

الأخطار في أخبار غزناطية

لِذِي الْوَزَارَتَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

حَقَّقَ لَصَهَ وَوَضَعَ مَقْلَمَتَهُ وَحَوَاشِيَهُ

مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ عِيَّانُ

المجلد الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1974

القاهرة

المشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » نقدمه إلى القراء والباحثين ، بعد أن تم بحمد الله ، تحقيقه ، وتزويده بمختلف الحواشي التفسيرية ، وبعد أن تم كذلك إخراج الطبعة الثانية من المجلد الأول ، من هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

ونود أن نبدأ هنا بالإشارة إلى بعض حقائق تتعلق بالأصول المخطوطة ، التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » ، فقد رجعنا في ذلك إلى الأصول الآتية :

أولاً — مخطوط أكاديمية التاريخ بمديرية (مخطوط العلامة جاينجوس) المحفوظ بها برقم CXLII .

ثانياً — مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم 8135

ثالثاً — مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال

برقم ١٦٦٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

رابعاً — مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم 1840

وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس ، حسبما فعلنا بالنسبة للمجلد الأول ، أساساً ، لتدوين نص المجلد الثاني ومقارنته . والواقع أنه لا يوجد بين هذه الأصول المخطوطة ، ما يتضمن المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بصورة مستقلة ، سوى مخطوط جامع الزيتونة ، الذي يقدم إلينا كتاب الإحاطة في ثلاثة أجزاء متتالية ، والذي يوصف خطأ ، بأنه هو النسخة الوحيدة الكاملة من الإحاطة في العالم . وقد سبق أن وصفنا هذا المخطوط وخصائصه وأحجام أجزائه بإفاضة ، في مقدمة المجلد

الأول . وبينما بوضوح ما يعتوره من ضروب النقص والتصحييف . وكيف أن القول بأنه هو النسخة الكاملة الوحيدة من الإحاطة ، لا يطابق الواقع ، فلا حاجة بنا هنا إلى التكرار .

هذا ، وقد سلطنا في تنظيم محتويات هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » وتبويبه مسلكاً جديداً ، راعينا فيه نظام « الأسفار » التي جعلها ابن الخطيب أساساً لتبويب كتابه ، ومن ثم فإننا لم نتخذ مخطوط جامع الزيتونة ، بالرغم من وصفه المتقدم ، أساساً وحيداً لتصنيف هذا المجلد الثاني من الإحاطة . ذلك أن الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، يتضمن عقب نهاية ترجمة (محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى) ابن زمرك - الإشارة الآتية : (انتهى السفر السادس هنا ، والحمد لله رب العالمين)

ويتضمن مخطوط جاينجوس ، عقب ترجمة محمد بن يوسف الصريحى - ابن زمرك المذكور - نفس هذه العبارة .

ويتضمن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ، رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، في رأس صفحة العنوان العبارة الآتية :

(تملك هذا السفر الثاني من مختصر الإحاطة .. بن جعفر بن محمد القيت لطف الله بهم ونفعهم) .

ومن الواضح أن « السفر الثاني » يقصد بها هنا « الجزء الثاني » . ذلك لأنه قد وردت في الصفحة التالية في بداية المخطوط هذه الإشارة :

(ومن السفر السابع المفتتح بقوله : ومن الطارين منهم في هذا الباب) . وإذا فإن مخطوط الإسكوريال ، يبدأ وفقاً لترتيب نظام الأسفار الذى اتخذ أساساً لتبويب كتاب « الإحاطة » ، عقب انتهاء السفر السادس من المخطوطين السابقين ، مخطوط الزيتونة ، ومخطوط جاينجوس ، بالسفر السابع . وعلى ذلك وبعد دراسة مقارنة عميقة ، لمختلف المخطوطات التى بين أيدينا ، رأينا أن نتخذ نظام الأسفار قاعدة لتبويب « الإحاطة » ، وأن نبدأ بعد نهاية السفر السادس من مخطوطي الزيتونة وجاينجوس ، في تدوين تراجم السفر السابع الذى يفتتح به مخطوط الإسكوريال .

ويجب أن نعلم بهذه المناسبة ، أن كتاب «الإحاطة» يشغل وفقاً لنظام الأسفار المشار إليه ، والذي اتخذه المؤلف قاعدة لتقسيمه وتبويبه ، إثني عشر سفرًا ، يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار ، من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر ، ويلى هذا السفر الأخير ، ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه . وهذه الأسفار فيما يبدو — عدا السفر الأخير — متقاربة الأحجام ، يحتوى كل منها على نحو أربعين ترجمة ، وهذا عدا السفر الأخير الذى يضم ثمان تراجم فقط . ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال يمثل بحجمه وعدد أسفاره ، نصف المؤلف الأصيل ، وتكون نسخة الإسكوريال هذه ، مكونة من جزئين كبيرين ، وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثانى ، الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثانى) من مختصر الإحاطة ، وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التى استولى عليها الإسبان فى عرض البحر فى أوائل القرن السابع عشر ، وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال ، وذلك حسبما فصلناه فى مقدمة المجلد الأول .

هذا وقد رأينا أن نفتح المجلد الثانى ، بترجمة السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجى (السلطان محمد الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب . هذا فى حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان ، يرد فى نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فى اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص ٣٠٦ — ٣٣٥) . ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى) ثانى الملوك النصريين .

وقد أحصينا التراجم التى وردت بالمجلد الثانى من مخطوط الزيتونة عقب الانتهاء من (السفر السادس) حتى نهايته ، فوجدناها سبعة وأربعين ترجمة ، تبدأ بترجمة (محمد بن أحمد بن عبد الله الإستجى) وتنتهى بترجمة (محمد بن على بن عبد الله اللخمى) وهى آخر التراجم الواردة بالمجلد المذكور ، وكلها من حرف الميم (المحمدون) . ووجدنا بالمراجعة الدقيقة أنه قد ورد منها فى مخطوط الإسكوريال سبع وثلاثون ترجمة ، وردت متباعدة تتخللها تراجم كثيرة أخرى من (المحمدين) أيضاً ، وتنتهى بترجمة ، محمد بن على بن عبد الله اللخمى فى اللوحة رقم 146 .

ونود أن ننوه بأنه إلى جانب البواعث النظامية والفنية ، التي حملتنا على انتهاج هذه الحطة ، توجد ثمة بواعث علمية هامة ، تتلخص في أن مخطوط الإسكوريال ، يتناول كثيراً من التراجم المذكورة بتوسع وإفاضة ، ويقرنها بكثير من مختارات المنظوم والمنثور ، التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ومنها تراجم كثيرة لشخصيات أدبية بارزة ، أمثال ابن الحداد الوادي آشئ ، وابن مرج الكحل ، وابن الجنان ، وابن أبي الحصال ، وذئ الوزارتين ابن الحكيم ، وابن طفيل ، ومحمد بن عبد العزيز التجيبي البرشاني ، وابن قزمان ، وابن القصيرة ، وابن خميس الحجري ، وابن جزئ ، وغيرهم . وقد وردت معظم هذه التراجم في مخطوط الزيتونة في نصوص موجزة ، ينقصها الكثير من مختارات الشعر والنثر ، التي يوردها مخطوط الإسكوريال ، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بأن مخطوط الإسكوريال ، هو أقرب المخطوطات التي انتهت إلينا ، إلى نص كتاب الإحاطة المطول ، وهذا بالرغم من كونه يوصف في صفحة العنوان ، وفي نهايته بأنه « مختصر الإحاطة » . وهذا كله إلى أن نص مخطوط الإسكوريال ، يمتاز بسلامته ، وخلوه من كثير من الأخطاء وضروب التصحيف ، التي ترد خلال نص مخطوط جامع الزيتونة .

وهناك إلى جانب ما تقدم فارق التاريخ . ذلك أن مخطوط الإسكوريال قد نص في نهايته ، على أنه قد تم نسخه في أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، وذلك بمدينة غرناطة ، هذا في حين أن مخطوط الزيتونة قد تم نسخه حسبما ورد في نهاية الجزء الثالث منه ، في شهر جمادئ الثانية عام ١٢٧٣ ، فهو إذن مخطوط حديث . وميزة القدم بالنسبة لمخطوط الإسكوريال ، وكونه قد كتب في غرناطة موطن مؤلف « الإحاطة » ، وبعد وفاته بنحو قرن وربع فقط ، تسبغ عليه أهمية خاصة ، من حيث الاطمئنان إلى سلامة النص ، وإلى أنه قد نقل من أصول معتبرة يعول عليها .

ولسنا بحاجة إلى أن نعيد هنا شيئاً مما ورد في مقدمتنا للمجلد الأول ، من البيانات والشروح عن كتاب « الإحاطة » ، وعن مصادره وتاريخ تأليفه ، أو عن مؤلفه ابن الخطيب ، وعن حياته ، وخلالها الفكرية والأدبية الالامعة ، فكل ذلك قد استوفيناه في مقدمتنا بإفاضة ، يرجع إليها في المجلد الأول .

ويحتوى المجلد الثانى من كتاب « الإحاطة » على إحدى وثمانين ترجمة ، ويضم طائفة من الرسائل الهامة ، التى دمجها ابن الخطيب بلسان سلطانه ، فى الحث على الجهاد ، وجمع كلمة الأمة فى الذود عن الدين والوطن ، كما يضم طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس ، مثل المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق ، والمنصور بن أبى عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير ، مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغنى بالله ، سلطان ابن الخطيب . ومن أكابر الكتاب والأدباء والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك ، وابن مرج الكحل ، وابن شلبطور ، وابن أبى الحصال ، وأبى عبد الله بن الحكيم ، وابن غالب الرصافى ، وأبى بكر بن القصيرة ، وابن قرمان ، وابن خميس الحجرى ، وغير هؤلاء وهؤلاء .

وتتضمن هذه التراجم كثيرا من الحقائق والتفاصيل التاريخية والأدبية الهامة .
إننا فضلا عما تقرر به من مختار المنشور والمنظوم .

وقد عينا فى هذا المجلد أسوة بالمجلد الأول ، بشرح وتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، فى حواشى خاصة ، وربما حدث خلال ذلك بعض تكرار فى التعريف بأعلام أو بلاد سبق التعريف بها فى المجلد الأول . ولكن ذلك لا ينتقص من أهميتها ، لأنها فى مكانها أقرب إلى التناول والإفادة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلد الثانى من « الإحاطة » سوف يصدر بعون الله ، فى ربيع أو صيف هذا العام — سنة ١٩٧٤ . وتوافق هذه السنة الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، وتقع هذه الذكرى فى خريف العام المذكور . وقد أشرنا فى ختام مقدمة المجلد الأول ، إلى أهمية إحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها ، وأهنا بالدوائر العلمية والأدبية فى مختلف البلاد العربية ، ولاسيما المغرب ، الذى قضى فيه ابن الخطيب أخصب فترات حياته ، ومازال يثوى النواء الأخير بأرضه ، أن تقوم بتنظيم الاحتفاء بهذه الذكرى العلمية التحليلة ، وقد علمنا مع الغبطة أن الحكومة المغربية . تعنى الآن بالعمل لإحياء هذه الذكرى فى موعدها . ونحن نرجو لها من الله العون والتوفيق فى تحقيق هذه الأمنية النبيلة .

محمد عبد الله عثمان

القاهرة فى غرة المحرم سنة ١٣٩٤
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٧٤

رموز المخطوطات

وأينما وفقاً لما تم في المجلد الأول ، أن نرمر إلى المخطوطات التي رجعنا إليها
في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على النحو الآتي :

١ — مخطوط أكاديمية التاريخ بمدرسة (مخطوط جاينجوس) بحرف «ج» .

٢ — مخطوط جامع الزيتونة بتونس بكلمة « الزيتونة » .

٣ — مخطوط الخزانة الملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .

٤ — مخطوط مكتبة الإسكوريال بكلمة « الإسكوريال » .

٥ — وجرينا في التعبير عن مخطوطي جاينجوس والزيتونة ، بكلمة
« المخطوطين » .

٦ — وفي التعبير عن جاينجوس والزيتونة والملكية « بالمخطوطات
الثلاثة » .

الإحاطة
في أخبار غرناطة

المجلد الثاني

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج
ابن يوسف بن نصر الخزرجي^(١)

أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدرُ الصدور ، وعلمُ الأعلام ، وخليفةُ
الله ، وعمادُ الإسلام ، وقدوةُ هذا البيت الأصيل ، ونيرُ هذا البيت الكريم ،
ولُبابُ هذا المجد العظيم ، ومعنى السكّال ، وصورَةُ الفضل ، وعنوانُ السعدِ ،
وطايرُ اليُمن ، ومحوّلُ الصُّنع ، الذي لا تبلغُ الأوصافُ مداه ، ولا تُوفى العبادةُ
حقه ، ولا يَجْزِي النظمُ [والنثر]^(٢) في ميدان ثَنائِهِ ، ولا تنتهي المدائحُ إلى
عَلَيَّائِهِ .

أُولَيَّتُهُ

أشهرُ من إمتاع الضُّحى ، مستوليةٌ على المدا ، بالغةٌ بالسَّعةِ بالانتساب^(٣) إلى
مَنَعِدِ بْنِ عُبَادَةَ عَنَانَ السَّاءِ ، مُبْتَدِجَةٌ^(٤) في جِهَادِ الْعِدَا ، بِحَالَةٍ مِنْ مَلَكِ جَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا ، وَهِيَ بِهَا فِي أَسْنَى^(٥) الْمَزَايِنِ وَالْحَلَى ، وَقَدْ مَأْفِيهِ بِحَسَبِ
لِمَنْ مَنَعَ وَرَأَى .

(١) وردت في الزيتونة إزاء اسم هذا السلطان العبارة الآتية في الهامش الأيسر (ترجمة سلطان المصنف) . هذا وقد وردت بداية هذه الترجمة في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة، فأينما أن نبدأ منها بالمراجعة عليه .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٣) هذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (على الانتساب) .

(٤) هكذا في «ج» و «الملكية» من ابتجح ، أى افتخر وقبأه .

(٥) في الملكية ، والزيتونة ، أبهى .

حاله

هذا السلطان أَمِنُ أَهْلِ بَيْتِهِ تَقِيَّةً ، وَأَسْعَدُهُمْ مِيلَاداً وَوَلَايَةً ، قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ حُسْنِ الصُّورَةِ ، وَاسْتِقَامَةِ الْبَنِيَّةِ ، وَاعْتِدَالِ الْخُلُقِ ، وَصِحَّةِ الْفِكْرِ ، وَتُقُوبِ الذَّهْنِ ، وَنُفُوزِ الْإِدْوَاكِ . وَلَطَافَةِ الْمَسَائِلِ ، وَحُسْنِ التَّنَاقُيْ ؛ [وَجُمَعَ لَهُ مِنَ الظَّرْفِ] ^(١) مَا لَمْ يُجْمَعْ لغيره ، إِلَى الْحِلْمِ ، وَالْأَنَاءَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمَا ^(٢) اللَّهُ ، وَسَلَامَةِ الصُّدْرِ ، الَّتِي هِيَ مِنْ عِلَامَةِ الْإِيمَانِ ، وَرَقَّةِ الْحَاشِيَةِ ، وَسُرْعَةِ الْعِبَرَةِ ، وَالتَّبَرُّكِ فِي مِيدَانِ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ ، إِلَى ضَخَامَةِ التَّنَجُّدِ ، وَاسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ ، وَالْكَلْفِ بِالْجِهَادِ ، وَثَبَاتِ الْقَدَمِ ، وَقُوَّةِ الْجَأَشِ ، وَمَشْهُورِ الْبَسَالَةِ ، وَإِثَارِ الرُّفْقِ ، وَتَوَخُّي السَّدَادِ ، وَنَجَاحِ الْمَحَاوَلَةِ . زَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَبْقَى أَمْرَهُ فِي وَلَدِهِ ، وَأَمْتَعَ الْمُسْلِمِينَ بِعَمَرِهِ . سَاقَى اللَّهُ [إِلَيْهِ] الْمُلُوكَ طَوَاعِيَةً وَاخْتِيَاراً ، إِثْرَ صَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ عَلَى بَقِيَّةِ ^(٣) وَفَاةِ الْمُقَدَّسِ أَبِيهِ ، مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، لِلْخَائِلِ الْخَيْرِ ، وَمَرْزِيَةِ السُّنَنِ ، وَمُظَنَّةِ الْبَرَكَاتِ ، وَهُوَ يَافِعٌ ، قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْمُرَاهِقَةِ ، فَأَنْبَتَهُ اللَّهُ النَّبَاتَ الْحَسَنَ ، وَسَدَّلَ ^(٤) بِهِ السُّتْرَ ، وَسَوَّغَ الْعَافِيَةَ ، وَهَنَّا الْعَيْشَ ؛ فَلَمْ تَشْخُ فِي مَدَنَةِ السَّمَاءِ ، وَلَا كَلِبَ ^(٥) الْأَعْدَاءِ ، وَلَا تَبَدَّلَتْ الْأَلْقَابُ ، وَلَا عُودِنِيَتِ الشَّدَائِدُ ، وَلَا عُرِفَ الْخَوْفُ ، وَلَا فُورِقَ الْخُلُصَبُ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَادِثَةُ ، وَنَابَهُ التَّمَحِيصُ ، الَّذِي أَكْسَبَهُ الْخُنُكَةَ ، وَأَفَادَهُ الْعِبَرَةَ ، فَشَهِدَ بِعَنَايَةِ اللَّهِ فِي كَفِّ الْأَيْدِي الْعَادِيَةِ ، وَأَخْطَأَ [أَلَمَ] ^(٦) السَّهَامِ الرَّاشِقَةَ ، وَتَخَيَّبَ الْأَمَالَ

(١) وردت في «ج» (وجمال الظرف) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة ، يحبهم . والتصويب لازم لاستقامة السياق .

(٣) كذا في «ج» و «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة ، وسبل .

(٥) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٦) الزيادة من «الملكية» ، والزيتونة .

المكايمة ، وأنسَدَّالْ أَرْوَقَةَ السُّتْرِ وَالْعِصْمَةَ ، ثُمَّ الْعُودَةَ ، الَّذِي عَرَفَ الْإِسْلَامَ ،
[بِدَارِ الْإِسْلَامِ] (١) قَدَّرَهَا ، وَتَمَلَّأَ عِزَّهَا ، وَرَجَّحَ (٢) وَزَنُهَا ، كَمَا اخْتَبَرَ ضِدَّهَا
فِرْصَةَ الْمُلْكِ ، وَشَاعَ الْعَدْلُ ، وَبُعِدَ الصَّيْتُ ، وَانْتَشَرَ الذِّكْرُ ، وَفَاضَ الْخَيْرُ ،
وَعَزَزَ الْقَطْرُ ، فَظَهَرَتِ الْبَرَكَاتُ ، وَتَوَالَتْ الْفَتْوحُ ، وَتَخَلَّدَتِ الْآثَارُ . وَسِيرِدَ مِنْ
بَيَانِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ ، مَا يَسَعُهُ التَّرْتِيبُ بِحَوْلِ اللَّهِ .

تَرْتِيبُ دَوْلَتِهِ الْأُولَى

إِذْ هُوَ دَوْلَتَيْنِ ، وَمُسُوغٌ وَلَايَتَيْنِ ، عَزَّزَهَا اللَّهُ ، بِمُلْكِ الْآخِرَةِ ، بَعْدَ
الْعُمُرِ الَّذِي يَمَلَأُ صَحَائِفَ الْبِرِّ ، وَيَخْلُدُ حُسْنَ الذِّكْرِ ، وَيُعْرِفُ إِلَى الْوَسِيلَةِ ، وَيَرْفَعُ
فِي الرِّفَاقِ الْأَعْلَى الدَّرَجَةَ ، عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

وَزَرَائِفُهُ وَحُجَابُهُ

انْتَدَبَ إِلَى النَّيَابَةِ عَنْهُ ، وَالتَّشْمِيرِ إِلَى الْحُجَابَةِ بِبَابِهِ ، الشَّيْخَ الْقَائِدَ الْمُعْتَمَدَ
بِالْتَّجَلَّةِ ، الْمُتَحَوِّلَ مِنْ اخْتِلَامِ الثُّبُهَاءِ ، الْمَتَسُودِ الْأَبْوَةِ ، الْمَخْصُوصَ بِالْفِدْحِ الْمُعَلَّى
مِنَ الْمَزِيَةِ ، الْمُسَلَّمُ لَهُ فِي خُصُوصِيَّةِ الْمُلْكِ وَالتَّرْبِيَةِ ، ظَهِيرَ الْعِلْمِ (٣) وَالْأَدَبِ ، وَأَمِينَ
الْجِدِّ ، وَمَوْلَى السَّلَفِ ، وَمُفَرِّغَ الرَّأْيِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، وَعِمْدَ سُفْرَةِ (٤) السُّلْطَانِ ،
وَبَقِيَّةَ رِجَالِ الْكَمَالِ مِنْ مَشِيخَةِ الْمَالِيكِ ، وَخِيَارِ الْمَوَالِي ، أَبَا النِّعَمِ رِضْوَانَ وَحَمِّهِ
اللَّهُ ، فَحَمْدُ الْكُلِّ ، وَخَلْفُ السُّلْطَانِ ، وَأَبْقَى الرُّتَبِ ، وَحَفِظَ الْأَلْقَابَ ، وَبَذَلَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَوْسَعَ السَّكْنَفَ ، وَاسْتَدْعَى النَّصِيحَةَ ، وَلَمْ يَأَلْ جَهْدًا فِي حُسْنِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ ، وَفِي «ج» وَ «الْمُلْكِيَّةِ» (بِهَذِهِ الْإِسْلَامِ) .

(٢) هَكَذَا فِي «الْمُلْكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ ، وَفِي «ج» وَاسْتَرْجَحَ . وَالْأُولَى أَفْضَلُ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» وَ «الْمُلْكِيَّةِ» ، الْعُمُرُ ، وَالتَّصْوِيبُ أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا فِي «الْمُلْكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ . وَوَرَدَتْ فِي «ج» سَفَرًا .

السيرة ، وتظاهر المحض ، وأفردني بالمزية^(١) وعاملني بما يرتد عنه جسر أطرف الموالاة والصحبة ، ووفى لي الكيل الذي لا يقتضيه السن ، والقربة من الاشتراك في الرتبة^(٢) ، والتزحزح عن الهضبة ، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر والغيبة ، والحفاظة على التشيع والقدمة ، بلغ في ذلك أقصى الغايات . مدارج التخلق المأثور عن الجلة ، والتودد إلى [المرأة بعد المرة]^(٣) ، واختصت بفوت المدة بالسلطان ، فكنت المنفرد بسرّه دونه ، ومفضى همه ، وشفاه نفسه ، فيما يُنكره من فتنة تقع في سيرته . أو تصير توجيه السداجة في معاملاته ، وصالح ما يتغير عليه من قلبه ، إلى أن لحق بربه .

شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه ، أبا زكريا يحيى بن عمر بن دحون عبد الله بن عبد الحق ، مطمح الطواف^(٤) ، وموفى الاختيار ، ولُبَاب القوم ، وبقية السلف . حَزْماً ودهاء ، وتجربة [وحُكْماً وجَدّاً وإدراكاً]^(٥) [ناهيك]^(٦) من رجل فذ المنازع ، غريبها ، مستحق التقديم ، شجاعاً وأصالة ، ورأياً ومباحثاً ، لساية قبيله ، وأضحى قسهم ، وكسرى ماسيتهم ، إلى لطف السجية ، وحسن التأني ، لغرض السلطان ، وطرق التّنزل للحاجات . ورقة غزل الشفاعات . وإمتاع المجلس ، وثقوب الذهن والفهم ، وحسن الهيئة . وزاده خصوصية ملازمته

(١) وردت في «ج» و «الملكية» بالزبدة ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» وفي «الملكية» بالزينة ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (المدة بعد المدة) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «الزيتونة» ، وفي «ج» و «الملكية» (الطرف) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (وحركة وجدا) .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضيا السياق .

مجلس الرطاع المعروضة . والرسل الواردة . وسيأتى ذكره فى موضعه بحول
الله تعالى .

كاتب سره

قتُّ لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التى أسندها^(١) إلى أبوه المولى المقدس ،
رحمه الله ، من الوقوف على رأسه ، والإمساك فى التهانى والمباينة بيده . والكتابة
والإنشاء والعرض والجواب . والخلة والمجالسة ، جامعاً بين خدمة القلم . ولقب
الوزارة ، معزز الخطط برسم القيادة ، مخصوصاً بالنيابة عنه فى الغيبة ، على كل
ما اشتمل عليه سور القلعة والخضرة . مطلقاً أمور الإيالة ، محكماً فى أشناته تحكيم
الأمانة . مطلق الجراية . ظاهر الجاه والنعمة . ثم تضاعف العز ، وتأكد
الرعى . وتمحض القرب . فنقلنى من جلسة المواجهة ، إلى صف الوزارة ؛
وعاملنى بما لا مزيد عليه من العناية ، وأحلنى المحل الذى لا فوقه فى الخصوصية ،
كافاً الله فضله ، وشكر رعيه ، وأعلى محله عنده .

وأصدر لى هذا الظهير لثانى يوم ولايته : هذا ظهير كريم ، صفى شربه .
وسفرنى فى الرسالة عنه ، إلى السلطان ، الخليفة الإمام ، ملك المغرب ، وما إليه
من البلاد الإفريقية ، أبى عنان ، حسبما يأتى ذكره . ثم أعفانى فى هذه المدة
الأولى ، عن كثير من الخدمة ، ونوّه بى عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة ،
فاخترت للكلّ والبديلة ، وما صان عنه فى سبيل التجلّة ، وإن كان منتهى أطوار
الرّفعة ، الفقيه أبامحمد بن عطية ، مُستنزلاً عن قضاء وادى آش وخطابتها ،
فكان يتولى ما يكتب بنظرى ، وراجعاً لحكمى ، ومتردداً لبالى ، مُكفّى

(١) وردت فى «ج» والملكية ، أسند . والتصويب أفضل .

المؤنة في سبيل^(١) الحمل الكلى ، إلى وقوع الحادثة ، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

قضائته

جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضى أبيه الشيخ الأستاذ الشريف ، نسيج وحده ، وفريد دهره^(٢) ، إغراباً^(٣) في الوقار ، وحسن السمّت^(٤) وأصالة البيت ، وتبحراً في علوم اللسان ، وإجهازاً في فصل القضايا ، وانفراداً ببلاغة الخطبة ، وسبقاً في ميدان الدهاء والرجاحة ، أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى ، الجانح إلى الإيالة النصيرية من مدينة سبتة . وسياتى التعريف به في مكانه إن شاء الله . وتوفى رحمه الله بين يديّ حدوث الحادثة ، فأرجىء الأمر بمكانه ، إلى قدوم متلقّف السكرّة ، ومتعاون تلك الخطّة ، الشيخ الفقيه القاضى ، أبي البركات قاضى أبيه . ووليها الأحقّ بها بعده ، إذ كان غائباً في السفارة عنه ، فوقع التمهيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة .

الملوك على عهده

وأولّهم بالمغرب ، السلطان ، [الإمام]^(٥) ، أمير المسلمين ، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، البعيد الشأو في ميدان السعادة ، والمُصنّى أغراض السداد ، ومُعظم الظفر ، ومُخَوِّل الموهبة ، المستولى على آماد الكمال ،

(١) وردت في الزيتونة بعد هذه الكلمة عبارة (المومنة في) وهي عبارة لا معنى لها هنا ، ومن ثم فقد أغفلناها .

(٢) هكذا في «ج» ووردت في «الملكية» ، عصره .

(٣) وردت في «ج» إغراباً . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» السعة ، والأولى أرجح .

(٥) الزيادة من الزيتونة .

عقلاً وفضلاً وأبهةً ورؤاءً . وخطاً وبلاغاً ، [وحفظاً وذكاءً] ^(١) وفهماً وإقداماً ، تغمده الله برحمته ، بعثني إلى أبيه رسولاً على أثر بيعته . وتمايم أمره ، وخطباً إنره ووذه ، مستزداً ^(٢) من منحة قبوله ، فألفيت بشراً مبدولاً ، ورفداً ممنوحاً ، وعزاً باذخاً ، يضيق الزمان عن جلالاته ، وتقصر الألسنة عن كنهه وصفه ، فكان دخولي عليه في الثامن والعشرين من شهر ذي قعدة عام خمسة وخمسين المذكور ، وأنشدته بين يدي المخاطبة ، ومضمن الرسالة :

خليفة الله ساعد القدر علاك ملاح في الدجا قر

فأحسب وكفى ، واحتفل واحتفى ، وأفضت بين يدي كرمته ^(٣) ، إلى الحضور معه في بعض المواضع المطلة على مورد وحب . هاج به الخدام أسداً ، أرود ، شئن الكفين مشعر ^(٤) اللبدة ، حتى مرق عن تابوت خشبي كان مسجوناً به ، من بعد إقلاعه ، من بعض كواه ، وأثارته من خلفه ، واستشاط وتوقد بأساً . وجلب ^(٥) ثور عبل الشوى ، منتصب المروى ، يقدمه صوار ^(٦) من الجواميس ، فقربت الخطأ ، وحجيت الوغى ، وبلغ الزئير والجوار ماشاء ، في موقف من ميلاد الشيم العلى [ينحى] ^(٧) الجبان مقارعة العدا ، ويوطن نفسه الشجاع على ملاقة الردى ، وخار الأسد عن المبارزة ، لما بلغ منه ثقافاً عن رد المناوشة ، ومضطماً بأعباء المحاملة ، فتخطاه إلى طائفة من الرجالة ، أولى عدة ،

(١) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» إدراكاً .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» مستزداً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) وردت في «ج» مشعر . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وجلبت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (صواراً) فاقتضى التصويب .

(٧) هذه الإضافة أو ما في معناها لازمة لاستقامة الساق .

وذوى دُرْبَةٍ^(١)، حمل نفسه متطارحا كشهاب الرّجم، وسرّك الدُّجاء، وأخذته
وماحهم بإبادته^(٢)، بعد أن أُرْدَى بعضهم، وجُدِّل بين يدى السلطان، منخبطا
فى دمه. وعرض بعض الحاضرين، وأغرّى بالنظم فى ذلك، فأشدته:

أنعامُ أرضِكَ تُقهرُ الأسادا طبعا كسا الأرواح والأجسادا
وخصايصُ الله بث ضروها فى الخلق ساد لأجلها من سادا
إن انفضائل فى حماك بضايغ لم تخش من بعد النفاق كسادا
كان الحزبرُ محاربا فجزيته بجزاء من فى الأرض وام فسادا
فابغ المزيه من آلايه بشكره وأرغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأتى القريحة، وإمكان البديهة، مع قيد الصّفة، وهيبة المجلس.
وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير، من واد^(٣) أصيل، وإمداد مؤهوب،
ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب، وصامت محمول، وطعمة مشوعة. وكان الوصول
فى وسط محرم من عام ست وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السعى، وأثمر الجهد،
وصدقت الخيلة، وقد تضمن رَحلى الوجّه، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله
الذى له الحمد فى الأولى والآخرة. وتوفى زعموا بحيلة، وقيل حتف أنفه، لما نهكه
المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى بابه الأبناء. وخاف
مُدبّر أمره، حايدة ملامته، على توقع برئه، وكان سيفه^(٤) يسبق على سوطه،
والقبر أقرب إلى من تعرض لعنته من سجنه، ففضى موضع هذا السبيل خاتمة
الملوك الجلّة، من أهل بيته. جدّد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب،

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة (ذرية). والتصويب أرجح.

(٢) فى «ج» و «الملكية» بآبارقه، والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت فى «الملكية» والزيتونة. وفى «ج» ود.

(٤) فى «ج» و «الملكية» سفيه. والتصويب من «الزيتونة».

وأغلظ العقاب ، وصير إيلته أضيّق من الخلد^(١) . وأمدّ الأندلس ، وهزم الأضداد ، وخذل الآثار ، وبنى المدارس والزوايا ، واستجلب الأعلام . وتحرّك إلى تلمسان فاستضافها إلى إيلته ، ثم ألحق بها قسنطينة وبجاية ، وجيز أسطوله إلى تونس ، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة ، واستمرت بها دعوته إلى ذى قعدة من العام ، رحمة الله عليه . وكانت وفاته في الرابع عشر لذي حجة من عام تسع وخمسين وسبعمائة . وصار الأمر إلى ولده المسعى بالسعيد ، المسكني بأبي بكر ، مختار وزيره ابن عمر القدووي^(٢) . ودام ضبط الإيالة^(٣) المشرقية فأعياه ذلك ، وبايع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان ، ولجأ الوزير وسلطانه إلى البلد الجديد ، مئوى الخلافة المرينية ، فكان أملك بها . ونازله منصور بن سليمان ، ثم استغضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته . وغادر^(٤) السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن أخو الهالك السلطان أبي عنان [الأندلس]^(٥) ، وقد كان استقر بها بإزعاج أخيه إياه عن المغرب ، كما تقدم في اسمه ، فطُلع على الوطن الغربي بإعانة من ملك النصارى ، عانى فيها هوّلاً كثيراً ، واستقرّ بآخرة بعد إخفاق شيعته^(٦) المرّاكشية ، بساحل طنجة ، مستدعى من بجبال غمارة ، ودخلت سبّنة وطنجة في طاعته . وفرّ الناس عن منصور بن سليمان ، ضربة لازب ، وتقبّض عليه وعلى ابنه ، فقتلا صبراً ،

(١) في المخطوطات الثلاثة (الحد) والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» القدوى . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٣) وردت في «ج» والزيتونة «الأبالي» . والتصويب من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (ونمض) . وفي «الملكية» والزيتونة (وبعض) . وهى كلمة لا معنى

لها هنا . وقد أضفنا كلمة (وغادر) ليستقيم السياق .

(٥) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

(٦) وردت في «ج» سعية . والتصويب من الزيتونة ، وبه يستقيم المعنى ، لأن السلطان

أبا سالم نزل أولاً بساحل دكالة على مقربة من منطقة مراكش ، ثم تحول عنها بعد فشله إلى الشمال .

نفعهما الله . وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر لشعبان عام ستين وسبعمائة ، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه . ثم دالت الدولة . وكان من لحاق السلطان برؤنة ، واستعانتته على رد ملكه ما يأتى فى محله ، والبقاء لله سبحانه .

وبتلمسان السلطان أبو حمزة^(١) موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يسمراس بن زيان ، قريب العهد باسترجاعها ، لأول أيام السعيد .

وبتونس الأمير إبراهيم بن الأمير أبى بكر بن الأمير أبى حفص بن الأمير أبى بكر بن أبى حفص بن إبراهيم بن أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد ، لنظر الشيخ رأس الدولة ، وبقية الفضلاء ، الشهير الذكر ، الشائع الفضل ، المعروف السياسة ، أبى محمد عبد الله بن أحمد بن تافراقين^(٢) . تحت مضايقة من عرب الوطن .

ومن ملوك النصارى بقشتالة ، بطرء بن ألهنشة بن هراندة بن شانجه بن ألفنش بن هراندة ، إلى الأربعين ، وهو كما اجتمع وجهه ، تولى^(٣) الملك على أخريات أيام أبيه فى محرم عام أحد وخسين وسبعمائة . وعقد معه سلم على بلاد المسلمين . ثم استمر ذلك بعد وفاته فى دولة ولده المترجم به ، وغمرت الروم . وألقت العصا ، وأغضت القضاء ، وأجالت على الكثير من الكبار^(٤) الردى ، بما كان من إخافته ساير إخوانه لأبيه ، من خاصته ، العجلة الغالبة على هواه ، فنبذوه على سوء^(٥) بعد قتلهم أمهم ، وانزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته برعية أمهم . وسلك لأول أمره سيرة أبيه فى عدوله عن عهوده بمكاييه لمنصبه ،

(١) هكذا فى «ج» . وفى «الملكية» والزيتونة (أبو عمران) . وهو كنية السلطان المشار إليه

(٢) هكذا رسمت فى «ج» . وترسم أحياناً بالكاف : تافراقين .

(٣) وردت مكانها فى «ج» ، وكأولى . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٤) وردت فى «ج» والزيتونة (كبار) . والتصويب لازم السياق .

(٥) وردت فى «ج» سوا . والتصويب من «الملكية» .

إلى اختصاص عجلة ، أنف بحراه كبار قومه ، من أجل ضياع بذره وانقراض
هقبه ، فال الخوارج عليه ، ودبروا القبض عليه ، وتحصل في أنشودة ، يقضى
أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع ، لولا أنه أفلتت وتخلص من شرارها .
فاضطره ذلك إلى صلة السلم ، وهو الآن بالحالة الموصوفة .

الأحداث في أيامه

لم يحدث^(١) في أيامه حدث إلا العافية المسحة^(٢) والهدنة المتصلة ، والأفراح
المتجددة ، والأمنة المستحكمة ، والسلم المنعمدة . وفي آخر جمادى عام ست
وخسين وسبعمائة لحق بجبل الفتح فشمم شعبته ، وأبرمت^(٣) ، كان على ثغره
العزیز على المسلمين ، من لدن افتتاحه ، الموسوم الخطية ، الخصوص بمزية تشييده ،
عيسى [بن] الحسن بن أبي منديل ، بقية الشيوخ أولى الأصالة والدهاء ،
والتزني بزي الخير ، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة ، والإغراق
في سوء العقبى . والله غالب على أمره . فكان أملك بمصامته ، وقر عينه بلقاء
ولده ، والتمتع منه بجواد عتيق . ملئ من خلال السياسة ، أوداه سوء الحظ ،
وشؤم النصب^(٤) . واظلم ما بينه وبين سلطانه ، مسوغه برداء العافية على فقه صغر ،
وملبسه رداء العفة على قدح الأمور ، أبدى منها الخوف على ولده ، وعرض
ديسم عزمه ، على ذوبان الجبل ، فانحطوا في هواه ، وغرثوه بكاذب عصبية^(٥) ،
فأظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور ، واتصلت الأخبار ، وساعت

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة ، تحدث . فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» ، المسحة . والتصويب من الزيتونة .

(٣) أعني قام بتعليق أسواره وأصلح أجزائه الخربة الهالكة .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» ، النصفة ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» مص التصويب من « . الملكية » والزيتونة .

الظنون ، وضاعت الصدور ، ونكست الرؤوس لتوقع الفاقة . بانسداد باب الصريح . وأنبتات سبب النضرة . وانبعث طمع العدو [وانجذبت الأطماع]^(١) في استرجاعه واستقالته ، لمكان حصانته ، وسمو الذروة ، ووفور العدة . ووجود الطعمة ، وأخذه بتلاشى الفرصة . ثم ردفت الأخبار بخروج جيشه^(٢) صعبة ولده إلى منازلة أشتبونة^(٣) ، وإخفاق أمله فيها . وامتناسك أهلها بالدعوة ، وانتصافهم من العائنة العادية ؛ فبؤدِر إليها من مائة بالعدد . وخوِطِب السلطان [من]^(٤) ملك المغرب أيده الله . بالجلية ، فتحققت المناوبة ؛ واستقرت الظنون . وفي الخامس والعشرين من شهر [ذي قعدة]^(٥) ، ثار به أهل الجبل . وتبرأ منه أشياعه ، وخذله بالفرار ، فأخذت شعابه ونقابه ، فسكر راجعاً أدواجه إلى القاعدة^(٦) الكبيرة . وقد أعجله الأمر ، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها . وكوثر^(٧) فألقى به ، وقد لحق به^(٨) بعض الأساطيل بسببته لداعى تسوّر توطى^(٩) على إمارته ، فقيده هو وأبنيه ، وخيض بهما البحر للبحين ، ولم ينتطح فيها عزّازان ، رحمه الله . سنام فيئة ألفت برّ كها^(١٠) ، وأناخت بكلّ كها . وقد قدّر أنها واقعة . ليس لها من دون الله كاشفة . فقد كان من بالجبل يرموا على إيالة ذينك المرتسمين^(١١) .

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (وركمت الأطماع) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة بعدها كلمة ، إل ، وهي حشولا محل له .

(٣) أشتبونة ، وبالإسبانية Estrepona ، ثغر أندلسي صغير ، يقع جنوبي إسبانيا ، وشمال جبل طارق في منتصف المسافة بينه وبين ثغر مربة .

(٤) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٥) مكانها بياض في المخطوطات الثلاثة ، ونعتقد صحة ما أثبتناه ، وهو متفق مع ما سبق

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (القاهرة) . وهو تحريف ظاهر . والتصويب أرجح .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وقد تعنى كثرة خصومه .

(٨) وردت بعدما في المخطوطات الثلاثة كلمة (الأسطول) ، ووجودها هنا يخل بالسياق والأغلب أنه من باب السهو .

(٩) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (سور تولى) .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة ، بركاها .

(١١) وردت محرفة في «ج» ، المرتسين . والتصويب من «الملكية» .

وألغوا أجوارها ، وأعدوها الصفقة . بما أطمعها في الثورة ^(١) . ولكل أجل كتاب . واحتمل إلى الباب السلطاني بمدينة فلس ، وبرز الناس إلى مباشرة إيصالها مجاوبين في منصّة الشجرة ، مرفوعين في هضبة المشلة . ثم أفضى السلطان فيهما حكم الفساد . بعد أيام الحراية ، فقتل الشيخ بخارج باب السمارين من البلد الجديد . بأيدي قرابته ، فكان كما قال الأول :

أضحت ^(٢) رماح بني أبيه تنوشه لله أرحامٌ هناك تُشقق

وقطعت رجل الولد ويده . بعد طول عمل وسوء تناول . ولم ينشب أن استنفذه حمامه فأضحى عبرة في سرعة انقلاب حالهما من الأمور الحميدة : حسن طاعة . وذباغ محمد ، وفضل شهرة . واستفاضة خيرية ، ونباهة بيت ، وأصالة عز ، إلى ضده هذه الخلال ، وقانا الله مصارع السوء ، ولا سلب عنا جلباب السّتر والعافية .

وسدّ السلطان ثغر الجبل بآخر ^(٣) . من ولده اسمه السعيد ، وكنيته أبو بكر ، فلحق به في العشر الأول من المحرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، ورتّب له بضائته . وقدر له أمره ، وسوغه رزقاً رغداً ، وعيشاً خفصاً . وبادر السلطان المترجم له ، إلى توجيه رسوله : قاضياً حقه . مقررّ السرور بجواره ، وأتبع ذلك ما يليق من الحال من برٍّ ومهاداة ونزل . وتعقبت بعد أيام المكافآت ^(٤) ، فاستحكم الودّ ، وتحسنت الألفة إلى هذا العهد . والله وليّ توفيقهم ^(٥) ومُسنى الخير والخيرة ^(٦) على أيديهم .

(١) في المخطوطات الثلاثة (الثروة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة ، ظلت .

(٣) وردت في «ج» بأمر ، والتصويب من «الملكية» .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» المكافأة . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» تفويقههم . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية» والزيتونة ، . الحبرات . والأولى أرجح .

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول ، خفضُ عيش^(١) ، وتوالى خِصب ، وشياعُ أمن . إلا أن شيخ الدولة القايد أبا النعيم رحمه الله ، أضاع الحزم . وإذا أراد الله إنفاذ [قضايه وقدره]^(٢) ، سلب ذوى العقول عقولهم ، بما كان من أمره جانب القصر^(٣) الملزم دار سكناه ، من عِلْيَةِ فيها أخو السلطان ، بتهاونه يحيل أمة المداخلة في تحويل الأمر إليه . جملة من الأشرار ، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأخلاف . وإبراهيم بن أبي الفتح . والدليل المورورى^(٤) . وأمدته بالمال ، فداخل القوم جملة من فرسان القيود ، وكثرة الشجون . وقلاميذ الأسوار . وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث ، المزروع العصمة ، خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام ، اجتمعوا وقد خفي أمرهم . وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من وادى هدأته إلى البلد ، اصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء ، وكان بسورها ثلم ، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه ، فنصبوا سلما أعد لذلك ، وصعدوا منه . ولما استوفوا ، قصدوا الباب المضاع المسلحة ، للثقة بما قبله ، فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح ، واستغلظوا بالتهويل . وراعوا الناس بالاستكثار من مشاغل الخلفاء ، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القايد أبي النعيم ،

(١) وردت في «ج» عيشة . وقد آثرنا لفظة «الملكية» والزيتونة .

(٢) هذا ما ورد في «ج» . وفي «الملكية» ، والزيتونة (أمر من أوامره) . والمزدي واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الصبر) وهو تحريف . ونعتقد أن المعنى يستقيم بالتصويب

(٤) المورورى أو الدليل المورورى ، هو أحد الزعماء الذين اشتركوا مع الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج في تدبير الثورة ، التي نشبت في رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، وانتهت بعزل محمد الغنى بالله ، وإجلاس أخيه إسماعيل بن يوسف مكانه على العرش . وقد ولاه هذا السلطان وزارته ، وجعله حافظ الباب وأمين السدة . راجع الإحاطة (١٩٧٣) ج ١ ص ٤٠١ و ٥٢٤ . واللحة البدرية ص ١١٦ .

فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه ؛ وقتلته في مضجعه ؛ وبين أهله وولده ، وانتهيت ما وجدت به . وقصدت الأخرى دار الأمير ، الذي قامت بدعوته . فاستنجزته واستولت على الأمر . وكان السلطان متحولاً بأهله^(١) الى مكى « جنة العريف »^(٢) خارج القلعة ، فلما طرقة النبأ ؛ وقرعت سمعه الطبول مدده الله ؛ وساند^(٣) أمره في حال الخيرة ، إلى امتطاء جواد كان مرتبداً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه ؛ وطار على وجهه ، فلاحق بوادى آش قبل سبق نسكته ، وطرق مكانه بأثر ذلك ، فلم يلب فيه ، وأتبع فأعيا المتبع . ومن القد ، استقام الأمر لأولى الثورة ، واستكلوا لصاحبهم أمر البيعة ، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزمة ، وأرسلوا [إلى]^(٤) ملك النصارى في عقد الصلح . وشرعوا في منازلة وادى آش ، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها ، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق . وخيف فوات البدر ونفاد القوة ، فشرع السلطان في النظر لنفسه ، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه ، فتلقاه بالقبول وبعث من يمهّد الحديث في شأنه ، قتم ذلك ثانياً يوم عيد النحر من العام . وكنت عند الحادثة على السلطان ، ساكناً بجنتى المنسوبة إلى من الحضرة ، منتقلاً إليها بجملى ، عادة المترفين ، إذ ذاك من مثلى ، فتخطانى الحتف ، ونالتنى النسكة ،

(١) هكذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (بأمره) .

(٢) هو قصر صنير أنيق يقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من شمال شرق قصبة الحمراء . وقد كان فيما يبدو بموقعه الجميل وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به ، مصيفاً لسلامين غرناطة ، ويعرف بالإسبانية El Generalife . وقد كان الوقت الذي وقع فيه الانقلاب الذي يرويّه ابن الخطيب وهو أواخر رمضان سنة ٧٦٠ هـ يوافق أوائل سبتمبر سنة ١٣٥٧ ، أعنى أوائل فصل الخريف .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي «الملكية» والزيتونة (وسواس) وهو تحريف .

(٤) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضيها السياق .

فاستأصلت النعمة العريضة ، والجدة الشهيرة ، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً ،
ولاذرت قديماً ولا حديثاً ، والحمد لله تخفف الحساب ، وموقظ أولى الألباب ،
ولطف الله بأن^(١) تعطف السلطان بالمغرب إلى شفاعتي بني بختة ، وجعل أمرى من
فصول قصده . [ففككت عني]^(٢) أصابع الأعداء ، واستخلصت من أنيابهم ،
ولحقت بالسلطان بوادي آش . فذهب البأس ، واجتمع الشمل . وكان رحيل
الجميع ثاني عيد النحر المذكور . فكان النزول بفحص ألفنت . ثم الانتقال إلى
لوشة ، ثم إلى أنتقيرة ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة^(٣) يضم أهل [كل]^(٤)
محل من هذه [مائماً للحسرة ، ومناحة للفرقة]^(٥) . وكان ركوب البحر صخرة
الرابع والعشرين من الشهر ، والاستقرار بمدينة سبتة ، وكفي بالسلامة غمماً ،
والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل إلى باب السلطان ، تحت بر لا تسعه العبارة ، ولقاؤنا إياه بظاهر
البلد الجديد للإمام ألم عاقه عن الإصحار^(٦) والتغني على البعد ، يوم الخميس السادس
لمحرم من عام أحد وستين بعده . في مركب هائل ، واحتفال رايح رايق ، فعورض
فيه النزول عن الصهوات ، والبرق اللايق بمناصب الملوك . والوصول إلى الدار
السلطانية^(٧) ، والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل . وقت يومئذ فوق رأس
السلطان وبين يدي مؤتمله ، فألشدته مغرياً بنصره ، كالوسيلة بقولي :

- (١) وردت في «ج» . ولم ترد في الملكية . وبالتصويب يستقيم السياق .
(٢) وردت في «ج» والزيتونة (فككت عن) . والتصويب أفضل للسياق .
(٣) إن هذه البلاد كلها تقع في الطريق من وادي آش إلى لوشة أولاً ، ثم جنوباً بغرب إلى
أنتقيرة ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة على شاطئ البحر المتوسط . وقد كانت بعد سقوط الجزيرة
الخضراء وجبل طارق فيما بعد من أهم ثغور العبور بين الأندلس والمغرب .
(٤) ساقطة في المخطوطات الدالة ، وبها يستقيم السياق .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة كالآتي : (مائماً
الحسرة ومناحة الفرقة) .
(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (الإحصار) وهو تحريف .
(٧) هكذا في «ج» . ووردت في الملكية والزيتونة (الإمامية) .

سلاهل لديها من مخبّرة ذِ كُرُ وهل أعشب الوادى ونمّ به الزهر
 فهاج الامتعاض^(١)، وصالت العبرّات . وكان يوماً مشهوداً . وموقفاً مشهوراً ،
 طال به الحديث . وعمرت به النوادى . وتوزعتنا^(٢) النزائل على الأمل .
 شكر الله ذلك وكتبه لأهله . يوم الافتقار إلى رحمته . واستمرت الأيام ، ودالت
 الدولة للرئيس بالأندلس . والسلطان تغلبه المواعيد . وتولّسه الآمال ، والأسبابُ
 تنوّفر ، والبواعث تتأّكد . وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه . واستقرت
 بى الدار بمدينة سلا ، مرابطاً . مُستمتعاً بالغيبة . تحت نعمة كبيرة ، وإعفاء
 من التكليف .

وفى اليوم السابع لشوال من عام التاريخ ، [قعدَ السلطان بقبة العرض]^(٣)
 بظاهر جنة المضارّة لتشيعه^(٤) ، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك : من آلة وحليّة^(٥) ،
 وقد برز الخلق ، لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع . الباعث للرقّة . المتبع
 بالدّعوات ، لما قدّف الله فى القلوب من الرحمة . وصحّبه به فى التفرّب من العناية ،
 فلم تذب عنه عين ، ولا تحمل له موكب . ولا تقلّصت عنه هيبة ، ولا فارقت
 حشمة ، كان الله له فى الدنيا الآخرة . وأجاز ، واضطربت الأحوال . بما
 كان من هلاك معينه السلطان أبى سالم ، وغدر الخيىث المؤمن على قلّعه
 به ، عمر^(٦) بن عبد الله بن على ، صعر الله حزبه^(٧) . وخلّد خزيه ، وسقط

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة : الامتعاض .

(٢) وردت فى المخطوطين (وتوزعتنا) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى المخطوطين . ونقلناها من «اللمحة البدرية» و «النفح» .

(٤) وردت فى «ج» وتشيعه . وفى «الملكية» والزيتونة وتشيعه وهو تحريف . والمقصود
 هنا هو تشيع سلطان غرناطة المخلوع .

(٥) وردت فى «ج» وخيلة . وهو تحريف .

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة محرفة (عامر) . والصواب ما أثبتناه .

(٧) وردت فى «ج» خزيه . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

في يده ، إلا أنه ثَبَّتَتْ في رُنْدَة من إيالة الأندلس ، الراجعة إلى إيالة المغرب^(١) ،
 قدمه ، فتعلل بها ، وارتاش بسببها ، إلى أن فتح الله عليه ، وسدد عزمه ،
 وأراه لما ضَعُفَت الحيل صُنْعَه ، فتحرك إلى بر مالقة ، وقد فغر عليها العدو فمه ،
 ثم أقبل على مالقة . مستميتاً دونها ، فسهل الله الصعب ، وأنجح القصد ، واستولى
 عليها . وانشأت عاياه حينها البلاد ، وبدا الريس المتوَّثَّب على الحضرة ،
 بعد أن استوعب الذخيرة والعُدَّة ، في جملة ضخمة من خاف على نفسه . لو وُفِّي
 بذمة الغادر وعهده ، واستقرَّ بنادى^(٢) صاحب قشتالة ، فأخذَه بجزيرته^(٣) ،
 وحَكَّم الحيلة في جنائنه وغدره ، وألحق به من شاركه في التَّسَوُّر من شيعته ،
 ووجَّه إلى السلطان برؤوسهم تَبَع رأسه . وحَثَّ السلطان أسعده الله خطاه إلى
 الحضرة ، يتلقاه الناس ، مُسْتَبْشِرِينَ ، وتزاحم عليه أفواجهم مُسْتَقْبِلِينَ مُسْتَغْفِرِينَ ،
 وأحقَّ الله الحقَّ بكلماته ، وقَطَعَ دابر الكافرين .

وكان دخول السلطان دار مُلْكِه ، وعودُه إلى أوريكة سلطانه ، وحلوله بمجلس
 أبيه وجَدِّه ، زوال يوم السبت المؤفي عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين
 وسبع مائة ، جعلنا الله من هَمِّ الدنيا على حَذَر ، وألهمنا لما يَخْلُصُ عنده من قول وعمل .
 وتخلَّف الأمير وولده بكره ، أسعده الله ، بمدينة فاس فيمن معه من جملة ، وخلقه
 من حاشية . [ولد المُسْتَوَلَى^(٤) على مُلْكِ المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رُنْدَة
 في مُعارضة هدفه . ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله ، وتَمَّ المقاصد بما عَمَّه من سعده .
 وكان وُصُولِي إليه معه ، في تَحْمِلِ اليُمن^(٥) والعافية ، وعلى كِسْرِ التَّيسِير من الله

(١) كانت رُنْدَة يومئذ ضمن القواعد التي نزل عنها ملوك غرناطة للملوك المغرب (بنى مرين)
 لتكون لجيوشهم قواعد للزول والرباط عند عبورها إلى الأندلس لإنجادها .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بنا) والتصويب لازم لاستقامة المعنى .

(٣) وردت في «ج» بجزيرة . وفي «الملكية» (في جزيرة) وهو تحريف .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (المتوَّثَّب) (هـ) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (اليسر) .

والعناية [١] يوم السبت المُوفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور

إلى بيعة السكور

هَناَ المسلمين ببركتها الوافرة ، ومزاياها المُتكَاثرة . السلطان أيده الله
قد مرّ ذِكْرُهُ ، ويسر الله من ذلك ما تيسر .

وزراؤه

اقتضى حَزْمُهُ إغفالَ هذا الرّسم مُجَمَّلةً ، مع ضرورته في السياسة . وعظم
الدخول ، حَذَرًا^(٢) من انبعاث المكروه له من قِبَلِهِ ، وإن كان قدّم^(٣) بهذا اللقب
في طريق^(٤) مُنْصَرَفِهِ إلى الأندلس . وإيَّامًا من مُقامِهِ برُنْدَة ، فَنَحَلَهُ عن كُرْهِ ،
على بن يوسف بن كُماشَة ، من عِتاق^(٥) خُدَّامِهِ وخُدَّامِ أَبِيهِ . مُستَصحبًا إِيَّاهُ ،
مَسْدُول التَّجَمُّلِ على باطن نُفْرَة ، مختومُ الجُرمِ ، على شوكة ، في حَظْبِهِ في حَبْلِ
المتغلب ، وإقراضِهِ السيئة من الحسنَة ، والمنزل الخَشن ، إلى الإنفاق منه على
الخلال الذميمة ، ترأسها خاصّة الشوم ، علاوة على حَمْلِ الشيخ الغريب الأخبار ،
والطعم في أرزاقِ الدور^(٦) ، والاسترابَة بمودّة الأب ، وضيق العَطَن^(٧) ، وقِصَرِ

(١) وردت في «الملكية» مقابل هذه الفقرة التي بين الخاصرتين ، فقرة أخرى لا تمت إليها
بأية صلة ، وذلك على النحو الآتي : (يصل فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح الضعيف ، وينتظر حصول
الزمن ، يعتمد ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة في الأمر عن سعد . وكان ...
في ترك الحظ ، والتبرى من سجية الانتقام ، والكلف بما تيسر من الله والعناية ، يوم السبت ...)

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : حوزا . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» والملكية (قدمه) . وفي الزيتونة (قدمه) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطتين : طريقه .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : عقاق . والتصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» والملكية (الدر) .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الطنن) . وهو تحريف .

الباب ، وعى الأسان ، ومشهور الجبن . ولما وقع القبض ، وساء الظن ، بعنه من رُعدة إلى الباب المرينى ليخلى منه جُندَه ، ويجسّ مرض الأيام . بعد أن نقل من الخطة كعبه ، فتيسر بعد مُنصرفه الأمر ، وتسقى الفتح . وحمله الجشعُ الفاضح ، والهوى المتبع ، على التشطُّط لنفسه ، والسكّاحُ لُحويصته بما أقطعه الجفوة ، وعسر عليه العودة على السلطان بولده ، إلى أن بلغ الخبرُ برجوع أمره . ودخول البلاد في طاعته . فالتى ماتعتين إليه ، وأهوى به الطمعُ البالغ في عرش الدولة ، ويرتاشُ في ريق انتقامها . وتحرك وراية الإخفاق خافقةً على رأسه ، قطبَ مخلصه ، وجُجوة عوده ، من شيخ تدور بين فتسكه رَحَى جَعْبعة ، وتثور بين أضلاعه (١) حية مكيدة ، ويندق (٢) فوق مساعيه غرابُ شومٍ وطيرة . وحدث حرفاؤه صرفاً من مداخله سلطان قشتالة ، أيام هذه المجاورة ، فبلغ أمنيته من ضربٍ وعدٍ ، واقتناء عهدٍ ، واتخاذ مددٍ ، وترصيد دار قرارٍ ، موهاً نفسه البقاء والتعمير والتملئ ، وانفساح المدة والأمر ، وقيادة الدجن (٣) عند تحوّل الموطن لِملة (٤) السكر ، يسمح (٥) لذلك . لتقصان عقله ، وقلة حَيائنه وضعف غيْره . وطوى المراحل ، وقبضُ حُمى تزلزل (٦) لها فكاؤه ، أضلّها الحسرة . وانترا (٧) الخبائث . وتلقاه بمالقة ، إيعازُ السلطان بالإقامة بها ، لما يتصل به من سوء تصرّيفه ، ثم أطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عتبه ، وصرفه إلى مثله ، ناظراً في علاج مرضه . ثم لما أفاق

(١) في «ج» أغلاطه . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» ويلحق . والتصويب من الملكية وهو أرجح .

(٣) الدجن من تدجن أى بقى بأرض الوطن بعد سقوطها في أيدي النصارى . والمذجنون

هم المسلمون الأندلسيون الذين كانوا يبقون في الأرض التي يفتحها النصارى .

(٤) وردت في «ج» الملكة ، وفي «الملكية» الملكة . ونعتقد أنه تحريف . وبالتصويب

يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (ينجح) والأولى أرجح .

(٦) وردت في «ج» تولول . وفي «الملكية» تزلزلول . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : انترام . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وَقَفَّه دُونَ حَدِّهِ ، وَلَمْ يَسْنَدْ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِ ، فَشَرَعَ فِي دَيْدَنِهِ مِنَ الْفَسَادِ عَلَيْهِ ، وَتَمَرَّسَ سُلْطَانُ قَشْتَالَةَ ، شَاكِيًا إِلَيْهِ بِشَيْءٍ ، وَأَضْجَرَ لِسُكْنَى بَادِيَتِهِ بِالنَّغْرِ ، فَرَابَ السُّلْطَانُ أَمْرَهُ ، وَأَمَمَهُ شَأْنَهُ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ ، وَصَرَّفَا فِي جُمْلَةٍ مِنْ دَائِرَةِ الشُّؤْمِ مِمَّنْ ثَقُلَتْ ^(١) وَطَأْتُهُ ، فَغُرُّبُوا إِلَى تُونِسَ ، أَوَّيْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ . ثُمَّ لَمَّا قَفَلَ مِنَ الْحِجِّ ، وَاسْتَقَرَّ بِبِجَايَةِ يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ، حَنَّ إِلَى جَوَارِ النَّصْرَانِيَّةِ ، الَّتِي رَمَى سَلْفُهُ الْعِبُودِيَّةَ إِلَيْهَا ، فَعَبَّرَ الْبَحْرَ إِلَى بَرْجِلُونِهِ ، يَنْفُضُ عَنَاءَ طَرِيقِ الْحِجِّ عَلَى الصُّلْبَانِ ، وَيَقْفُو عَلَى آثَارِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، تَقْبِيلَ أَيْدِي السَّكْفَارِ . ثُمَّ قَصَدَ بَابَ الْمَغْرِبِ رَسُولًا عَنْ طَاغِيَةِ ^(٢) بَرْجِلُونِهِ فِي سَبِيلِ فُسَادٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِ قَصْدُهُ ، فَتَقَاعَدَ لَمَّا خَسِرَ فِيهِ ضَمَانَهُ ، وَصَرَّفَ وَكْرَهُ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِصَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، وَعَنَّ عَلَى كَتِّبٍ إِلَيْهِ بِخَطِّهِ ، يَتَنَفَّقُ عِنْدَهُ وَيُعْرِيه بِالْمُسْلِمِينَ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَسُجِنَ بِفَاسَ مَعَ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ . وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَقَرَّ حَالُهُ إِلَى الْيَوْمِ ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّجَاوُزِ فِي أَمْرِهِ . وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

وَلَمَّا وَفَدَتْ عَلَى السُّلْطَانِ بَوَلَدُهُ ، وَقَرَّتْ عَيْنِي بِلِقَائِهِ ، نَحَتَ سَدَادُهُ وَعِزُّهُ ، وَفَوْقَ أُرَيْكَةِ مُلْكِهِ ، وَأَذَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ ، عَرَضْتُ عَلَيْهِ غَرَضِي ، وَنَفَضْتُ لَهُ خِزَانَةَ سِرِّي ، وَكَاشَفْتُ ضَمِيرِي بِمَا عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ مَهْدِي ، وَصَرَفْتُ إِلَى التَّشْرِيقِ ^(٣) وَجْهِي ، فَعَلِمْتُ بِي لِرُكُومِهِ عُلُوقُ الْكَرَامَةِ ، وَلَا طَفَنِي بِمَا عَامَلْتُ الْبِرَّ بَيْنَ الدَّعْرِ وَالضَّنَانَةِ ، وَيَضْرِبُ الْأَمَادَ ^(٤) [وَخَرَجَ لِي عَنِ الْضُرُورَةِ ، وَأَرَانِي أَنْ مُؤَاوَزْتَهُ أَبْرَ الْقُرْبِ ، وَرَأَى كُنْنِي إِلَى عَهْدٍ بِخِذْلِهِ ، فَسَحَّ فِيهِ لِعَامِينَ أَمَدَ النَّوَاءِ ،

(١) وردت في «ج» والزيتونة ثقلة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : طا - فقط . والتصويب ضروري لإستقامة السياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها السفر إلى المشرق لقضاء فريضة

الحج .

واقْتَدَى بِشُعَيْبِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَى تِلْكَ النُّسْبَةِ ، وَأَشْهَدَ مِنْ حَضَرٍ مِنَ الْعِلْمِيَّةِ ، ثُمَّ دَمَى إِلَى بَعْدِ ذَلِكَ بِمَقَالِيدِ رَأْيِهِ ، وَحَكْمِ عَقْلِي فِي اخْتِيَارِ عَقْلِهِ ، وَغَطَى مِنْ جَفَائِي بِحِلْمِهِ ، وَحَثَّنِي فِي وَجْهِهِ شَهَوَاتِهِ تَرَابَ زَجْرِي ، وَوَقَفَ الْقَبُولَ عَلَى وَغْظِي ، وَصَرَفَ هَوَاهُ فِي التَّحْوِيلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي ، وَاعْتَرَفَ بِقَبُولِ نَصَحِي ، فَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ ، وَامْلَأْتُ وَجْهَهُ فِيهِ ^(١) . وَصَادَقَنِي مُقَارَضَةُ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ ، وَدَمَى إِلَى بَدُنِيَاهُ ، وَحَكَمَنِي فِيمَا مَلَكَتْهُ يَدَاهُ ، وَغَلَّبَنِي عَلَى أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . فَأَكَلِ الْمَقَامُ بِيَابَهُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ مُدَّةَ أَجْرِي اللَّهُ فِيهَا ، مِنْ يُمْنِ النَّقِيَّةِ ، وَاطِّرَادِ السَّدَادِ ، وَطَرْدِ ^(٢) الْهَوَى ، وَرَفْضِ الزُّورِ ^(٣) ، وَاسْتِشْعَارِ الْجَدِّ ، وَنُصْحِ الدِّينِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَصَوْنِ الْجَبَابِيَةِ ، وَإِنْصَافِ الْمُرْتَزَقَةِ ، وَمَحَاوَلَةِ الْعُدُوِّ ، وَقَرَعِ الْأَسْمَاعِ بِلِسَانِ الصِّدْقِ ، وَإِيقَازِ الْعُيُونِ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ ، وَقَدَحِ زِنَادِ الرَّجُولَةِ ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، يُعَضِّدُ دَعْوَاهُ ، وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ ، سَجِيَّةُ السُّدَاجَةِ ، وَوَفْعُ التَّسْمِثِ ^(٤) ، وَتَسْكُوتُ الْمُنَسَّاهِ ، وَتَقْوِيَتِ الْعَقَارِ فِي سَبِيلِ الْقُرْبَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الزُّبْرِجِ ، وَبَثِّ جِبَالِ الْأَمَالِ ، وَالتَّعْزِيزِ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيْمَةِ ، وَجَعَلَ الثَّوْبَ غَطَاءَ اللَّيْلِ ، وَمَقْعَدَ الْمَطَالَعَةِ فِرَاشَ النَّوْمِ ، وَالشَّغْلَ لِمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ ، لَرَّيْمِ الْأَنْفَاسِ ، فَاتَّمَرَ هَذَا السَّكْرُخُ ^(٥) ، وَأَثْبَجَ هَذَا الْمَسْعَى مَنَاقِبَ الدَّوْلَةِ ، بَلَغَتْ أَعْنَانُ ^(٦) ، وَأَثَارًا خَالِدَةً ، مَا بَقِيَتْ أَنْخَضَاءُ عَلَى الْغُبْرَاءِ ، وَأَخْبَارًا تُنْقَلُ وَتُرَوَّى ، إِنْ مَأَدَهَا الْحَاسِدُ ، فَضَحَهُ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، وَكَأَثَرُهُ الْقَطَرُ الْمُنْثَالُ ، وَأَعْيَاهُ السَّيْلُ الْمُنْتَدِفِعُ :

(١) هذه الفقرة التي بين القوسين وردت في فصح الطيب (ج ٣ ص ٤١) ولم ترد في «ج» ولا في «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (أطراد) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الملكية» (الدور) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة (التسمية) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والزيتونة ، وفي «ج» (الكرج) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

فما يختص من ذلك بالسلطان ، فخامة الرتبة ، ونباهة الألقاب ، وتجميل
الرياش ، وتربع^(١) الشريعة ، وارتفاع التشاجر ببابه ، والمنافسة والاعتباط منه ،
بمجالس التنبيه والمذاكرة ، ويدرار الدموع في حال الرقة ، والإشادة باحتقار الدنيا
بين الخاصة ، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة ، والعود لمباشرة المظالم ستة
عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة ، يصل إليه فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح
الضعيف ، وينتظر حضور^(٢) الزمن ، ويتعمد هفوة الجاهل ، ويتأثر لشكوى
المصاب ، ويعاقب الوزعة على الأغلاط ، إلى إحسان^(٣) الملكة في الأسرى ،
والإغراب في باب الحلم ، والإيعاء في ترك الحظ ، والتبرئ من سجية الانتقام ،
والسكف بارتباط الخيل ، واقتناء أنواع السلاح ، ومباشرة الجهاد ، والوقار
في الهيئات ، وإرسال سجية الإيمان ، وكساد سوق المكيدة ، والنصائم عن
السماية ؛ هذا مع الشباب الغض ، والفاحم الجعد ، وتعدد^(٤) حبائل الشيطان
في مسالك العمر ، ومطاردة فائض اللذات في ظل السلم ، ومغازلة عيون الشهوات
من ثنايا الملوك . وأيم الله الذي [به]^(٥) تستخلص الحقوق ، وتيسر الشئور ،
وتستوثق العهود [ولا]^(٥) تطمئن القلوب إلا به ؛ ما كاذبته ، ولا واضيت
في الهوادة طوله ، ولا ساحتته في تقيض هذه الخلال . ولقد كنت أعجب من
نفاق أسواق الذكرى لديه ، وانتظام أقيسة النصيح عنده ، وإيقاع نبات الرشد
فيه نصيحة ، وأقول بارك الله فيها من سجية ، وهنأ المسلمين بها من نفس زكية .
وسياتى بيان هذه النتائج ، وتفسر بحمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلا به

(١) وردت في «ج» (فسويج) وفي الملكية (فهويج) . ونعتقد أن السياق يستقيم بالتصويب .

(٢) وردت في «ج» (حصوا) وفي «الملكية» والزيتونة (حصو) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (أحسن) . والأولى أرجح .

(٤) وردت في «ج» التعدد . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٥) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

سبحانه . والحال متصلة على عهد الوثير من إعاقته بالوسوع^(١) ، والخروج له عن هذه المهدة ، والنسليم له في البقية ، إرهافاً لسيف جهاده ، وجلاءً لمراة نصحه ، ونسوية لميزان عدله ، وإهابة [لمحمد رُشدته ، شد العقدة ، عقدة وغيرة على حرمة ماله وعرضه]^(٢) ، ورعاية للسان العلم المنبى عن شأنه ، ونياحة عنه في معقل مُلكه ، ومُستودع ماله وذخيرته ، ومحافظة على سيره وعلايته^(٣) مُكرمه وولده ، وعمراناً للجوانح بتفضيله وحبّه ، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه ، وأتحضها من أجله ، ترفعه عن جرایة [رحل هلالها ، وإقطاع تنجّع قدرته ، أو فصلة تعبت البنان بنشيرها ، وخطة تشد إليه على منشورها]^(٤) . والله يُرجح ميزاني عنده ، ويحظى وسيلتي لديه ، ويحرك مكافأة سعي في خواطر حجبّه ، وينبئه لتبليغ أُملي من حج بيت الله ، وزيارة رسول الله ، بمنه وكرمه ، فما على استخفاف الأجل من قرار ، ولا بعد الشيب من إعدار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أولاده

كُلّ له في هذا الوقت من الولد أربعة ، ثلاثهم ذكور ، يوسف بكره ، وأراه يتلوه سعد ، ثم نصر ، غلمة رُوقة ، قد أفرغهم الله في قالب الكمال ، إذا رأيتهم حسبته لؤلؤاً منشوراً ، فسح الله لهم أمد السعادة ، وجعل مساعيهم جانحة إلى حُسن^(٥) المعنى ، سالكاً [بهم]^(٦) سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

(١) هكذا في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» (بالوسع) .

(٢) هذه الفقرة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة .

(٣) وردت في «ج» وعناية . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) ما بين الجاصرتين ساقط في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» نعم . والمؤدى واحد .

(٦) ساقطة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة ، على . والتصويب يستقيم السياق .

قضائيه

قدّم لأول قدومه . الفقيه القاضي . الحبيب ، الخيّر ، أبا جعفر بن أحمد بن جَزَى ، شاكرًا بلاءه بمالقة . إذ كان قد ألقاه قاضيًا بها المتغلب ، فلم يألُ جهدًا في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها ، والتحريض على استنزاهم ، فاتخذ زُلفَةً لديه ، فأجرى الأحكام ، وتوخى السداد . ثم قدّم [إليها] ^(١) الفقيه القاضي الحبيب ، أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن ، عين الأعيان ببلده مالقة ، والمخصوص برسم التجلة ، والقيام بوظيفة العقد والحلّ بها في الدولة الأولى ، وأصاله البيت ، والانقطاع ^(٢) إليه ، ومصاحبة رُكابه في طلب [الملك] ^(٣) ، ومُتَسَوِّر المشاق من أجله ، وأولى الناس باستدراار خلف دولته ، فسدد وقارب ، وحمل الكل ، وأحسن فصاحة [الخطبة] ^(٤) ، وأخلطه ، وأكرم المشيخة وأرضى ، واستشعر النزاهة ، ولم يقف في حُسن التأني عند غاية ، واشتغل معها لفق الخطابة ، فأبرز وأعلم ، تسميًا وحفظًا وجَهْورِيَّةً ، فاتفق في ذلك على رجاحته ^(٥) ، واستصحب ^(٦) نظره على الأحباس . فلم يقف في النصيح عند غاية ، أعانه الله .

كتابه

أسند السكتابة إلى الفقيه المدرك ، المبرز في كثير من الخلال ^(٧) ، ملازمه

(١) ساقطة في «ج» . وواردة في الملكية والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة (الإقطاع) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) ساقطة في المخطوطين ، وإثباتها لازم السياق .

(٤) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» رجحانه . والأول أنسب للسياق .

(٦) هكذا في الملكية والزيتونة ووردت محرفة في «ج» . واستحب .

(٧) وردت في «ج» الخلل . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

أيضاً في طلب الملك . [ومطاردة قنص الحظ]^(١) أبي عبد الله بن زمر ، ويأتي التعريف بجميعهم .

شيخ غزاته

مُتولى ذلك في الدولة الأولى ، الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق ، قدّمه إليها مُعتباً إياه ، طاوياً بساط العدو بالجملة ، قدّموها بابنه عثمان [على]^(٢) الخَاصَّة يومئذ ، لمظاهرتة في الوجّه ، وسعيه في عَوْدَةِ الدَّوْلَةِ . واستمرت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان من عام أربعة وستين وسبعمائة ، وكان القبضُ على مُجملتهم ، وأجل^(٣) هذا البيت من سُفرة السياسة مدّة ، مجتزياً فيه بنظره على رُحمته في الوزاة من قبيله . ثم قدّم إليها موعودَه بها القديم الخدمه ، وسالف الأُدْمَة ، لما لجأ إلى وادى آش مفلتاً من وَبْقَةِ^(٤) الحادثة ، الشيخ أبا الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق . حلف السّداد أيامه^(٥) ، والمقاومة والفضل والدّمائة ، المخصوصَ على اختصار بيّمن النّقيبة ، واستمرت أيامه إلى نُقْبَةِ القفول عن غزوة جَيّان أخريات محرم من عام تسعة وستين ، وتوفى رحمه الله حتف أنفه ، فاحتفل لمواراته ، وإقرا به من تأبّيه ، واستغفاره ، والاعتراف بصدق موالاته ، وتفجيجه لفقده . وما أعربَ به من وفاء نَجْدِه ، وقَدّم لها عهداً طُرف اختياره ، الأمين^(٦) ، الشّهم . البهمة . خِذْن الشّهرة ، والمشار إليه بالبَسالة ، وفرع الملك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت مقابلها في «الملكية» (ومطاردة الحظ) وفي الزيتونة (ومطاردة الحظ) .

(٢) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . ويقتضيها السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة وأحلى . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في «ج» والملكية (وثبة) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) وردت في «ج» الأمير . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

والأصالة ، عبد الرحمن بن الأمير أبي الحسن علي بن السلطان أبي علي عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إذ كان قد لحق به ، بعد ظهور أتيح^(١) له بوطنه من المغرب ، استقر مبيعاً بجمالة سبجلماسة وما إليها ، وطن جدّه ، وميراث سلفه ، ففسّح له جانب قبوله ، وأحلّه من قُربه محل^(٢) مثله ، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونحّره . ثم استظهر به على هذا الأمر ، فأحسن الاختيار . وأعزّ الخطة . وهو القائم عليها لهذا العهد ، وإلى الله أسباب توفيقه .

ظُرِفُ السلطان وحُسن توقيعه

بَدَأَ في هذا الباب من تقدّمه ، وكثرة وقوعه ، بحيث لا [يُعَدُّ نادره] (٣) ، وقليلُ الشيء يُدَلُّ على كثيره . مرّ بي يوماً ومعي ولدّه ، يروم اتخاذ حُفَق القرآن ، فقلتُ له أيّدك الله ، الأميرُ يريدُ كذا ، ولا بدّ له من ذلك ، وأنا وكيله عليك في هذا ، فقال حسُبنا الله ونعم الوكيل . ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع . وغرابة مقاصده . ومجالسُه على الأيام معمورة بهذا ومثله (٤) .

الملوك على عهده

بالمغرب السلطان الجليل إبراهيم [بن السلطان] أبي الحسن ، بن السلطان أبي سعيد بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . تولى مُلك المغرب حسبما تقدم في اسمه^(٥) ، وألقى إليه بالمقاليد ، واستوسقت له الطاعة ، وبحسب ما بثّ الله من

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (أبيح) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (يعد نادك) . وفي الزيتونة (يعددك) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) وردت في «ج» ولمثله . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (اسم أبيه) . وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، لأن

المقصود هنا هو الإشارة إلى اسم السلطان إبراهيم أبي سالم . وقد مرت ترجمته في المجلد الأول ص ٣٠٣ .

إشرباب^(١) الخلق إليه ، وتعطشهم إلى لقاية ، ورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه ، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال ، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته ، وولعاً باغتيابه وتريصاً لمكروه به ، إذ أخفقت فيه الآمال ، واستولت الأيدي من خُدَّامه على مُلكه . وقبض الله لإبادة أمره ، وتغيّر حاله وهدّ ركنه ، الخائن الغادر نسمة السوء وقذار ناقة الملك ، وصاعقة الوطن [وحرّد السيد]^(٢) عمر بن عبد الله بن علي مؤتمنة^(٣) على البلد الجديد ، دار ملكه ومستودع ماله وذخيرته ، فسدّ الباب دونه . وجهرَ بخُلَمائه . وفض في أتباع الناعق المشثوم سورَ ماله ، وأقام الدّعوة باسم أخيه أبي عمر ، ذى اللّوثة ، الميثوس من إفاقته ، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعمائة . وبادر السلطان أبو سالم البيعة من مُتحول سكناه بقصر البلد القديم^(٤) ، وصابر الأمر عامة اليوم . ولما جنّ الليل ، فرّ لوجهة ، وأسلم وزراعه وخاصّته ، وقيدت خطاه الخيرية ، فأوى الى بعض البيوت ، وبه تلاحق متبوعه ، فقيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده ، وحزّ رأسه ، وأوتى به إلى الغادر . وكان ما بين انفصال السلطان عنه مُودّعاً إلى الأندلس بإيعازاته ، ومطوّق فضل تلقيه وقفوله وحسن كفالته ، ثمانية أشهر ويوم واحد . واستمرت دعوة أخيه الممّوء به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، واستدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيّان بن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن بن السلطان المعظم أبي الحسن . وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان أبي سالم ، وقع عليه اختيارُ

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (أشر) وهو تحريف . والاشرباب هو المحبة والميل .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والملكية . وفي «ج» (جرد السيد) .

(٣) وردت في «ج» ويتسنه . وهى املاء قديمة .

(٤) أى مدينة فاس القديمة أوفاس البالى حسبها تسمى . وذلك بعكس البلد الجديد ، وهو الصحاحية الملوكية التى أقشأها بنو مرين بجوار فاس .

هذا الوزير الغادر ، أذ وافق شئ تغلبه طبق ضعفه ، وأعمل الحيلة في استنجاله ، فوصل حسب غرضه ، وأجريت الأمور باسمه ، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه ، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه ، مغرئاً بالشراب على فيه [وبين الصَّحْب] (١) إلى أن ساءت حاله ، وامتلات بالموجدة على الوزير نفسه ، فعاجله بحتفه ، وبأشر اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه ، وطرحه بحاله في بعض سواق قصره ، مُتَبِعاً ببعض أواني خمره ، يومئذ بذلك قتاله ، تردّيه سكرأ ، وهويّه طفوحاً . ورقف عليه بالعدول عند استخراجه ، وندب الناس إلى مواراته ، وبائع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن ، المنفرد به ، وخاطب الجهات بدعوته ، وهو صبيٌّ ظاهرُ النبل والإدراك ، مشهورُ الصَّوْن ، وأعمل الحيلة لأول أمره ، على هذا الوزير مخيف أريكة مُلكه ، ومظنة البدا في أمره ، فطوقه الحمام [واستأصل مازراه] (٢) من مال وذخيرة . شكر الله على الدولة صنيعة وفي ذلك يقول :

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوماً وتخشاه
تغداً به عبد العزيز مبادراً وعاجله من قبل أن يتعشاه
وكان بعده وليه الحق ونصيره لا إله إلا هو . وهو اليوم ملك المغرب ، مزاحماً
بأبن أخيه ، السلطان أبي سالم ، المعقود البيعة بمرأ كش وما إليها ، جمع الله شتات
الإسلام ، ورفع عن البلاد والعباد مضرّة الفتنة .

وبتلمسان السلطان أبو حمو موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن
ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان . حسبما كان في الدولة الأولى ، متفقها (٣) منه على
خلال الكرم [والحزم] (٤) مضطماً بأمره (٥) والقيام على ما بيده .

(١) وردت في المخطوطين (وبين المصب) . وهي ساقطة في الزيتونة . ونعتقد أن المعنى يستقيم بهذا التصويب .

(٢) وردت في «ج» (واستأصل ما رناه) . وفي «الملكية» والزيتونة (واستأزر مازراه) . ولداخترنا الصحيح من العبارتين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . (٤) الزيادة من الزيتونة

(٥) وردت في «ج» (بدجا أمره) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

وبنولس ، الأمير أبو سالم إبراهيم بن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص ، حسبما تقدم ذكره .

ومن ملوك النصارى

فبِقِسْطِهَا سلطَانُهَا المتقدم الذكر في الدولة الأولى ، يَطْرُقُ بن السلطان أَلْهَنْشَةُ بن هِرَانْدَةَ بن شَانِجُ بن أَلْهَنْشَةَ بن هِرَانْدَةَ ، متأكِّدة بينهما السِّلْمُ الجَمَّةُ ، وأَلْهَنْدَةُ المَبْرُومَةُ ، بما سَلَفَ من مظاهرتِهِ إِيَّاهُ ، والحرص على [ما اسْتَحْكَمَهُ]^(١) من المغرب في أسطوله ، وبعثه إليه برأسِ عَدُوِّهِ المتوثَّبِ على ملكه ، ورؤوسِ أشياعِهِ ، الظالمين الغَدْرَةِ ، وأتباعِهِ^(٢) الفَجَرَةِ ، مستمرة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة وستين ، صارفاً وجهَهُ إلى محاربة صاحب برجلونة ، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة ، وقلاعِهِ المنيعَةِ ، لما أسْلَفَهُ به من إجازتِهِ^(٣) أَخِيهِ أَنْدَرِيقَ المدعو بالقُنْدِ^(٤) ، ومظاهرتِهِ حتى ساءت أحواله وأحوالُ عَدُوِّهِ ، وأَوْهَنْتِ الحركات قوَى جيشِهِ ، وَأَضْعَفَ الاحْتِشَادُ عَمْرَةَ أرضِهِ ، واشترَّأَتِ القلوبُ إلى الانحرافِ عن دعوته ، ومالت النفوسُ إلى أَخِيهِ ، وقامت البلاد بدعوته ، وتلاحقت الوجوه بِمُجْهَتِهِ ، ورام التمسُّكُ بِأَشْيَائِهِ دارِ ملكِهِ ، فنار أهلُهَا به في عام سبعة وستين . فخرجَ مُاراً عنها...^(٥) به والسلاح يَهْشُ إلىهِ ، وبعد أن استظهر بِخَوِصَّتِهِ ، وَأَحْمَلَ ما قَدَّرَ عَلَيْهِ من ذخيرة ، ورفع من له من ولدٍ وَحُرْمَةٍ ، رأى سُخْنَةَ العَيْنِ من انتهاب قصوره ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» بحرفه (على استخاته) . وقد تعني هنا ما وعده به من إجازته في أسطوله .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» (أشياعه) مرة أخرى .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (إجازة) .

(٤) الإشارة هنا إلى الكونت هنرى دى تراسبارا أخى بيدرو غير الشرعى ، ومنافسه في انتزاع العرش . وقد استجار بملك فرنسا فحشد له جيشاً من المرتزقة وحارب أخاه بيدرو وانتصر عليه (سنة ١٣٦٦) .

(٥) هنا بياض في المخطوطات الثلاثة .

وَتَشْعِثُ مَنَازِلَهُ ، وَعِيَاثَ الْأَيْدِي فِي خَزَائِنِهِ ، وَأَسْمَعَ النَّاسَ مِنْ نَحْضِ التَّائِيْبِ (١) وَأَعْرَاضِ الشَّمَاتِ ، مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَلَا ذِ بَصَاحِبِ بُرْتَغَالِ ، فَنَأَى عَنْهُ جَانِبَهُ لَمَّا يَجْنِيهِ أَبَوَاهُ مِنْ مَخَالِفَةِ رَأْيِ الْأُمَّةِ فِيهِ ، فَقَصَدَ بِلَادَ غَلِيْسِيَّةِ ، وَتَلَاحَقَ أَخُوهُ أَنْدَرِيْقُ بِمَحْضَرَةِ إِيْشِبِيلِيَّةِ ، فَاسْتَوَى عَلَى الْمُلْكِ وَطَاعَتِ لِأَمْرِهِ الْبِلَادَ ، وَعَاجَلَهُ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الثَّغُورِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَلَمَّا تَوَسَّدَ لَهُ الْأَمْرُ تَحَوَّلَ لِاسْتِثْصَالِ شَاقَةِ الْخُلُوعِ ، فَأَجْلَى عَنْ غَلِيْسِيَّةِ فِي الْبَحْرِ ، وَاسْتَقَرَّ بِبَلَدِ بَيُونَةِ (٢) ، مِمَّا وَرَاءَ دُرُوبِ قَشْتَالَةِ ، وَانْتَبَذَ عَنْ الْخِطَّةِ الْقَشْتَالِيَّةِ وَأَمَرَ نَفْسَهُ ، وَلَجَأَ إِلَى ابْنِ صَاحِبِ الْأَنْتَكِيرَةِ (٣) ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِبِرْقَسِينَ أَبِي الْأَمِيرِ ، وَبَيْنَ أَوَّلِ أَرْضِهِ وَبَيْنَ قَشْتَالَةِ ؛ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ فَقَبِيلُهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ ، السَّاكِنُ بِأَوَّلِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَسَقَرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ . فَأَنْكَرَ الْأَبُ اسْتِثْذَانَهُ إِيَّاهُ ، وَالْمَرَا جَعَةَ فِي نَصْرِهِ ، حَاجَةً لَهُ ؛ وَامْتَعَا ضًا لِلْوَاقِعِ . وَحَالُ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَرِيبَةٌ فِي الْحَمَا يَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْوَفَاءِ وَالرَّقَّةِ . وَالِاسْتِهَانَةِ بِالنَّفُوسِ فِي سَبِيلِ الْحَمْدِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْعَشَاقِ ، عَادَةُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ . وَأَخْبَارُهُمْ فِي الْقِتَالِ غَرِيبَةٌ ، مِنْ الْإِسْتِرْجَالِ وَالزَّحْفِ عَلَى الْأَقْدَامِ ، أَمِيرُهُمْ وَمَأْمُورُهُمْ ، وَالْجُثُوفُ فِي الْأَرْضِ ، أَوْ دَفْنٍ بِيَعِضِ الْأَرْضِ فِي الثَّرَابِ ، وَالِاسْتِظْهَارِ فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ بِيَعِضِ الْأَلْحَانِ الْمُهِيبَةِ ، وَرَمَاتِهِمْ

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (التَّائِيْبِ) ، وَحِكْمَةُ التَّصْوِيْبِ وَاضِحَةٌ .

(٢) بَيُونَةُ Bayonne ، هِيَ ثَغْرٌ وَلَا يَةُ غَسْقُونِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْوَاقِعِ فِي زَاوِيَةِ خَلِيْجِ بَسْكَوْنِيَّةِ بَيْنَ حُدُودِ فَرَنْسَا وَاسْبَانِيَا . وَالِإِشَارَةُ هُنَا إِلَى هَذَا الْقِسْمِ مِنْ جَنُوبِ فَرَنْسَا الَّذِي يَشْمَلُ وِلَايَتِيْ أَكُوْتِيْنَ وَجُوِيْنَ .

(٣) صَاحِبُ الْأَنْتَكِيرَةِ أَيْ مَلِكُ انْجَلْتَرَا ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ الْمَلِكُ إِدْوَارْدُ الثَّلَاثِ . وَابْنُهُ وَلِيُّ الْمَهْدِ ، وَاسْمُهُ أَيْضًا إِدْوَارْدُ (الْأَمِيرُ الْأَسْوَدُ) . وَقَدْ كَانَ يَحْكُمُ بِاسْمِهِ وِلَايَتِيْ أَكُوْتِيْنَ وَجُوِيْنَ ، اللَّذَيْنِ انْتَزَعَهُمَا أَبُوهُ مِنْ مَلِكِ فَرَنْسَا ، عَلَى أَثَرِ هَزِيمَتِهِ إِيَّاهُ فِي مَوْقِعَةِ يُوَاتِيْبِهِ (سَنَةِ ١٣٥٥) وَذَلِكَ ثَمَنًا لِنَتَازُلِهِ عَنْ دَعْوَاهُ فِي عَرْشِ فَرَنْسَا (بَطْرِيْقُ الْمِيرَاثِ عَنْ أُمِّهِ الْفَرَنْسِيَّةِ) .

قَسَمَهُمْ غَرِيبَةً جَافِيَةً ، وَكُلَّهُمْ [فِى] ^(١) دُرُوعٍ ، وَالْإِحْجَامُ عِنْدَهُمْ ، وَالتَّقَرُّرُ
مَقْدَارُ الشُّبْرِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ . وَعَارٌ شَدِيدٌ ، وَرِمَاتُهُمْ يَنْبُتُونَ لِلخَيْلِ فِى الطَّرَادِ ، وَحَالُهُمْ
فِى بَابِ التَّحْلِىِّ بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَثْرَةُ آلَاتِ الْفِضَّةِ ، غَرِيبٌ . وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَبْعَةِ
عَشَرَ يَوْمًا كَانَ رَجُوعُهُ وَرَجُوعُ الْبَرْنِسِ ^(٢) الْمَذْكُورِ مَعَهُ مُصَاحِبًا بِأَمْرَاءِ كَثِيرِينَ
مِنْ خُتْرَانِهِ ^(٣) وَقَرَابَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَفُوهُ مَا لَا كَثِيرًا ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ
صَاحِبُ الْأَنْتَكِرَةِ ، بِمِائَتَى أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
وَارْتَهَنُوا فِيهِ وَلَدَهُ وَذَخِيرَتَهُ . وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَيْشِهِ بِحَسَبِ دِينَارٍ وَاحِدٍ
مِنَ الذَّهَبِ لِلْفَارِسِ فِى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَكَانَ تَأْلِيفُ الْجِيُوشِ فِى بَنَابِلُونَةِ فِى أَرْبَعَةِ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَسَرُ عَلَيْهِمُ الْمَجَازُ عَلَى فَحْصِ أَحَدِ وَنِيهِ ، لِبِلَادِ تُمْسَكِ لَطَاعَةَ الْقُنْدِ
أَخِيهِ ^(٤) ، فَصَالِحُ الْقَوْمِ صَاحِبُ نَبَارَةِ ^(٥) عَلَى الْإِفْرَاجِ لَهُمْ ، وَنَزَلَتْ الْحَلَّاتُ فِى فَحْصِ
نَبَارَةِ ، مَا بَيْنَ حُدُودِ أَرْضِ نَبَارَةِ وَقَشْتَالَةِ ، وَنَزَلَ الْمُتَصَيِّرُ إِلَيْهِ أَمْرُ قَشْتَالَةِ ،
الْقُنْدُ بِإِزَائِيهَا فِى جُمُوعٍ لَمْ تَنْتَظِمْ لِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَشَهَامَتِهِ وَاعْتِرَاضِهِ ، أَجَازَ خَنْدَقًا كَانَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَبَّرَ جِسْرًا نَشِبَ فِيهِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ . وَكَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ
السَّبْتِ سَادِسَ إِبْرَيْلِ الْعَجْمَى ، وَبِمُوَافَقَةِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسْتِينَ . وَكَانَ هَذَا
الْجَمْعُ الْإِفْرَنْجِيُّ الْآتَى مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ^(٦) فِى صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ ، مُرْتَبَةً بَعْضُهَا

(١) وَارِدَةٌ فِى « الْمَلَكِيَّةِ » وَالزَيْتُونَةِ . وَسَاقِطَةٌ فِى « ج » .

(٢) نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَقْصِدُ هُنَا بِكَلِمَةِ (الْبَرْنِسِ) — وَسَوْفَ تَأْتِى مَرَّةً أُخْرَى — الْأَمِيرَ إِدَوَارْدَ

وَلِىَ الْعَهْدِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِى الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَمَعْنَاهَا مُخَادَعِيهِ أَوْ الْأَمْرَاءُ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِنَصْرَتِهِ .

(٤) يَقْصِدُ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى الْكُونْتِ هَنْرَى دِى تْرَاسْتَارَا أَخَى الْمَلِكِ بِيدِرُو .

(٥) نَبَارَةُ — وَفِى الْإِسْتِمَالِ الشَّائِعِ نَبْرَه — هِيَ مَمْلَكَةُ Navarra أَوْ بِلَادُ الْبَشْكَنْسِ الْوَاقِعَةُ

غَرْبِيَّ جِبَالِ الْبَرْنِيِّ ، وَجَنُوبَ شَرْقِ خَلِيجِ بَسْكَونِيَّةِ ، وَعَاصِمَتُهَا مَدِينَةُ بَنْبِلُونَةِ .

(٦) الْأَرْضُ الْكَبِيرَةُ تَعْنِى فِى الْجُغْرَافِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فَرَنْسَا . وَيَعْرِفُ جَنُوبَ فَرَنْسَا

كَذَاكَ بِغَالِيَسِ La Gaule .

خلف بعض ، ليس فيهم فارس واحد ، إنما هم رجالة ، سواء^(١) أميرهم ومأمورهم .
 في أيديهم هصى^(٢) جافية في غلظ المعاصم ؛ يَشْرَعُونَهَا أمامهم ، بعد إثبات
 زجاجها^(٣) فيما خلفهم من الأرض ، يستقبلون منها وجوه عدوهم ، ونحور خيله ،
 ويجعلونها دعائم وتسكات لبناء مصافهم ، فلم تَقْلَقْهم^(٤) المحلات ، وبين أيديهم
 من الرماة الناشبة الدارعة ، مالا يُحصيهم إلا الله عز وجل . وسائرهم السلطان ،
 مُستدعى نُصْرهم راجلاً أميلاً برأيهم ؛ إلى أن أعيا بعد ميلين منها فآزر كبوه بغلة
 تحمله بينهم عليها ، إلى موقف اللقاء والقُند^(٥) . وكان على مقدمة القوم ذلك^(٦) أخو
 البرنس ، والبرنس^(٧) مع السلطان مُستجيره في القلب ، والقُند المعروف بقُندار
 مانيان ، وكثير من الأمراء ؛ ردا وسيفه دونهم ، ومن خلف الجميع الخيل
 يجتنبها ساستهم وغلماهم وخُدّامهم ، ووراءها دواب الظُهر وأبغالهم ، وفي أثناء هذه
 العِصية من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره . وكان
 في مقدمة القُند المُستأثر بملك قشتالة ؛ أخوه شائجه في رجل قشتالة ، قد ملأ السهل
 والجبل ، ومن خلفهم أولو الخيل الجافية القبيلية ، المُسبغة الدروع ، من رأس إلى
 حافر ، في نحو ألف وخمسية ، وفي القلب أخوه الآخر دَنْطية^(٨) في جمهور الزعماء
 والفرسان والدّرق ، وهو الأكث من رجال الجيش اليوم ، ومن ورائهم السلطان
 أندريق^(٩) في لفيف من الناس . ولما حمل بعضهم على بعض أقدم ومائة الفَرنج ، ثقة

(١) وردت في «ج» سوى ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين (عصا) وهو تحريف .

(٣) ومفردها (الزج) وهو عبارة عن الحديدة المثبتة أسفل الرمح .

(٤) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (تقلقلهم) والأولى أرجح .

(٥) أى الكونت هنرى دى ترستارا السالف الذكر .

(٦) يقصد هنا أن يشير إلى أخى ولى العهد إدوارد ، دوق لانكستر Duke of Lancaster

وكان من قواد الحملة المذكورة .

(٧) وردت في «ج» والزيتونة (والبرق) . وهو تحريف .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (أخوه نطية) .

(٩) هو كما تقدم الكونت هنرى دى ترستارا .

بدرؤصهم، فعظم أنرم فيمن يازايهم من رماة عدوم ورجالهم، [لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم]^(١). وحملت خيل قشتالة الدآرعة، فحزحت كراً المصاف الإفرنجي، واتصل الحرب بالبرنس، وهو مطل عليهم في ربوة، فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من التراب فاستغ، وكسر ثلاث عِصِي^(٢)، وفعل من معه [مثل]^(٣) فعله، وهي عاداتهم عند الغضب. وعلامة الإقدام الذي لا نكوص بدمه. ووجه إلى أخيه في المقدمة. يقول له، إن وجدت في نفسك ضعفاً. فاذا كر أنك ولد صاحب الانتكيرة. وحمل الكل حملة رجل واحد. فلم يجد الخيل الدآرعة سيلاً. وقامت في نحورها تلك الأسنة، فولوا منهزمين. ولما رأى القند هزيمة أخيه، تقدم بنفسه^(٤) بمن معه من مدد^(٥) الأمة الرغونية^(٦)، وهو ينادى، يا أهل قشتالة، يا موالى، إياكم والعار. هأنذا، فلم يثبت أمره^(٧)، وتراجع فله. فعند ذلك فر في أربعة من أولى ثقته، واستولى القتل والأسر على خاصته، وتردى المهزمون في الوادى خلفهم. فكان [ذلك]^(٨) أعون الأسباب على هلكهم، فأناف عدد من هلك في هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلات أيدي هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يفادونهم [بمال عظيم]^(٩)، واتصل القند المهزم بأرض رعون^(١٠)،

(١) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (لكونهم كشفاء فكشفوهم). وفي الزيتونة (لكونهم كنفاء فكشفوا إياهم).

(٢) وردت في المخطوطين: عصاة - عصات، والتصويب أنضل.

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة.

(٤) وردت في المخطوطات (في نفسه). والتصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» (هذه) وهو تحريف.

(٦) أى الأمة الأرجونية.

(٧) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (ولا) وجودها هنا سهو لا يستقيم معه السياق.

(٨) أثبتنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية». ومكانها في «ج» (العظيمة) وهو تحريف.

(١٠) رعون هى ملكة أراجون.

ثم تَجَمَّعَ من البلاد الفرنسية . ودخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفاً بحميد^(١) سعيهم ، وعزیز فصرهم ، وقد رابه استيلاؤهم ، وأوجسَه تغلبهم . [وساءه في الأرض الرُّعَادَة عيائهم]^(٢) فاستأذَنهم في اللُّحوق بقواعد أرضه . وقَبَضَ الأموال التي تَجِبُ^(٣) منها نفقاتهم . وقَبَضَ منها ديونهم قَبْلَه . وحثَّ السَّيْرَ ، فوصل طَلَيْطَلَة ، لا يُصَدِّقُ بالنعْجَة ، وخاطب السلطان المترجم به . وقد رَوَّده^(٤) ، وحذَّره سَوْرَة هذه الأمة . التي فاض بحرُّها وأعيا أمرُها . وأنهى إليه شرُّها ، وشرَّه إلى استيصال المسلمين . وحدَّ له مواعيدَها التي جُعِلَتْ لذلك . ووصل إشبيلية ، وإنشأت البلاد عليه ، وعادت الإيالة إلى حُكْمه ، ثم شرع في جعل الضرايب . وفرض الأموال ، وأخافَ الناس [بالظَّلَب والتَّبعات]^(٥) فعاد نفورُهم عنه جَزَعاً . وامتنعوا من الغَرَم ، وطرَدوا^(٦) العُمال . وأحسَّ بالشرِّ ، فتحصَّن بإشبيلية ، وجهَّتها على نفسه ، وطال على الأمة الواصلة في [سبيل]^(٧) نصره الأمرُ . فرجعت إلى بلادها ، وورقت نفرة الفرسان ، وأولى الأتباع . وأظهروا الخلاف ، وكشفت جيَّان وجهَّها في خلْعانه ، والرَّجوع إلى دعوة أخيه المتصرِّف ، فتحرَّك إليها السلطان المترجمُ به ، بعد أن احتشد المسلمين ، فكان من دخولها عَنُوة ، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها ، ما هو مذكور في موضعه . ثم ألحقت بها مدينة

(١) وردت في «ج» والزيتونة (بمحد) . والتصويب أرجح .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في الملكية والزيتونة .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» يجرى . والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الملكية (وقرر رده) وفي «ج» (وقرر رده) والأولى

أرجح .

(٥) وردت في «ج» والزيتونة (والطلب بالتبعات) والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في «ج» والزيتونة . وفي «الملكية» وطرَحوا . والأولى أرجح .

(٧) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

أَبْدَةُ ، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله . وخالفَتْ عليه قرطبة ، واستقر بها من السكّيار مُجْمَلَةٌ ، كاتبوا أخاه ، واستعجلوا ، فتعرّض في هذه الأيام ، أنه قد بلغ أرض بُرْغُش ، ونازُ الفتنة بينهم ، ويدُ الإسلام لهذا العهد ، والمُنيمة^(١) لله ، وحده غالبية^(٢) .

وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرّومية ، لغرابة تاريخها ، وليستشعر الحذر ، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها ، والله ولي نصر المؤمنين بفضلِهِ^(٣) . وبأرض رَغُون سلطانتها السكاين على الدولة الأولى .

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولا ما يُرجع إلى مناقب الحِلْمِ والسَّكْطِ من مآزق^(٤) الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس .

فمن ذلك أن السلطان لما جَرَتِ الحادثة ، وَعَظَهُ^(٥) التّحْيِصُ ، وألجأ إلى وادي آش لا يملك إلا نفسه في خبر طويل ، بادو إلى مخاطبة ثقتَه بقصبة المريّة ، قلعة الملك ، ومِظَنَّة الامتناع ، ومهاد السّلامة ، وتخزن الجباية والمُدّة ، وقد أصبح محلّ استقراؤه ، بينها ، وبين المُنْتَرَى سَدًّا ، وبيعة أهلها لم يذسخ الشرع منها حُكْمًا يناشده الله في رَمَقِهِ ، ويتملّقه في رَعَى ذِمَّتِهِ ، والوفاء له ، وإبراء غُرْبَتِهِ ،

(١) كذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (واهيبة) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» عالية . والأولى أنسب للمعنى .

(٣) يهدي ابن الخطيب في سرد حوادث الحرب الأهلية في قشتالة ، وما تغلّتها من تدخل ملك فرنسا ، ثم ولي عهد إنجلترا أوصاحب إمارة أكوّتين وجوين لهذا العهد ، كل إلى جانب فريق من الفريقين المتحاربين - يهدي في ذلك كله دقة واضحة ، وحسن معرفة بأطوار المعارك المختلفة ونتائجها ، وكذلك بالأوضاع الجغرافية لاسبانيا وفرنسا في ذلك العصر .

(راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين - الطبعة الثالثة - ص ١٤٣ - ١٤٥) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الزيتونة (مداق) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (وعظمه) .

وتمسكك من أمانته ، فردّ عليه أسوأ الرد . وسجن رسوله في المطبق ، وخرج منها لعدوه^(١) ، وناصح بعد في البغي عليه . فلما ردّ الله الأمر ، وجبر الحق ، أعتب وأجرى عليه الرزق . ولما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي^(٢) ، هاتفاً بالدعوة لبعض القراية ، وأكذبه الله ، وعقّه الشيطان بعد نشر راية الخلاف ، وجعل للدولة ، علو اليد ، وحسن العاقبة . وتمكّن من المذكور ، أبقى عليه ، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه ، وهو من مغربات الحلم المبني على أساس الدين ، وابتغاء وجه الله .

ولما أجلي عن الترشيح من القراية ، بعد تقرب^(٣) التهمة ، وتمسك الأيدي في المعصية ، صُرفوا إلى المغرب صُرف العافية ، وأجرى على من تخلفوه عوايد الأرزاق ، ومرافق المواسم ، ووعد^(٤) ضعفاءهم بالإزفاد ، وتجوّفى عما يرجع للجميع من عة رِباع ، وأسعت^(٥) آمالهم في لحاق [ذويهم]^(٦) من أهل وولد . ومما يرجع إلى عوايد الرُفق ، ومرافق العدل من مأزق^(٧) في جهاد النفس ، وقوف وكيل الدولة ، مع من يجاور مستخلص السلطان^(٨) من العامرين^(٩) ومما ولى الفلاحة ، وقد ادعوا أضراراً ، يجره الحوار بين يدي القاضي بالخصرة ، حتى بعد منقطع الحق ، على ما يخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف . ولا كقضية التاجر المعروف بالحاج اللباس ، من أهل مدينة وادي آش ،

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . ووردت مكانها في «ج» (لدرى لعدوه) .

(٢) سوف نشر إليه في حاشية قادمة .

(٣) هكذا في « الملكية » . والزيتونة . وفي «ج» قرب .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (توعد) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (واستعفت) وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة لم ترد في المخطوطين . وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٧) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٨) مستخلص السلطان هو كما سبق شرحه الأملاك السلطانية الخاصة .

(٩) العامرين أى الذين يعمرّون الأرض ويفلحونها .

وقد [تحصّلت في] (١) داره ، من رَقِبل التاجر المذكور جاريةً من بنات الروم ، في سبيل تفوّث الذّم ، ومُسْتَمَلِك المتّولات (٢) ، وتَرَقّت إلى تربية وَلَدَه ، وأصبحت بعض الأظفار لأُمّ رايه . واتّصل بها كَلَفُه ، وزاد هِيَانُه ، وغَشِي مدافن (٣) الصّالحين من أجلاها ، وأنّهَيْتُ إليه خبره وبثّه . وقرّرتُ عنده شَجْوَه ، وألعتُ بها يُنْقَل في هذا الباب عن الملوك قبيله ، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه ، وانتزاعها من أيدي الغبطة ، وانتزاع القهر . بحاله في جميل الرّئي ، فمُسْكِنَتْ منها يدُ عاشقها الذّاهل ، وقد خَفَّتْ (٤) نفسه ، وسكن حِسّه ، وكاد لقاؤه إيّاها أن يَقْضَى عليه . ونظائر هذا الباب متعددة .

ومن مواقف الصّدق والإحسان من خارق جهاد النفس . بناء المارستان الأعظم حسنةً هذه التّخوّم القصوى . ومزينة المدينة الفضلى . لم يهتد إليه غيره [من] (٥) الفتح الأول ، مع توفّر الضرورة ، وظهور الحاجة ، فأغرى به همّةُ الدّين ، ونفسُ التقوى ، فأبرزه موقفُ الأُخدان (٦) ، ورحلةُ الأندلس . وفذلكة (٧) الحسنات ، فخامةُ بَيْت ، وتعدّد مساكن ، ورحب ساحة ، ودرّور مياه ، وصحّة هواء ، وتعدّد خزائن ومتوضّات ، وانطلاق جراية وحسن ترتيب ، أبرّ على مارستان مصر (٨) ، بالسّاحة العريضة ، والأهوية الطّيبة ، وتدقّق الميام

(١) ورد مكانها في المخطوطات الثلاثة (تخلّصت من) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في «ج» مدفن . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (خافت) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٨) يلوح لنا أن ابن الخطيب يشير هنا إلى المارستان المنصوري الكبير ، الذي أنشاه السلطان المنصور بن قلاوون سنة (٦٨٣ هـ) بميدان بين القصرين بالقاهرة ، وهو أقرب المارستانات القاهرية عهداً بعصر ابن الخطيب .

من فورات الرمل ، وأُسُود الصخر ، وتوَّج البحر : والسدال الأشجار . إلى موافقته إياي ، وتسويغ ما اخترعته ^(١) بإذنه . وأجريت ^(٢) بطيب نفسه ، من اتخاذ المدرسة والزاوية ، وتعيين التربة ، مُغيراً [في ذلك كله] ^(٣) على مقاصد الملوك ، نقشاً عليه ، بطيب اسمه في المزيد ، وتخليد في الجُدُرات للذكر ^(٤) ، وصوناً للمدافن غير المعتادة ، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة ، وترتيل التلاوة ، آناء الليل ، [وأطراف] ^(٥) النهار . وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدّاقته ، وعلوّ همته . ويشهد بما ينبه الحسّ إلى المنقبة العظيمة ، في هذا الباب ، من إمداد جبل الفتح ، مع كونه في إيالة غيره ، وخارج عن مُلكة حُكمه ، وما كان من إحاطته ، وسدّ ثغره ، فانهار إليه على خطر السرى ، والظهر البعيد المسعى ، ما ملأ الأهواء ، وقطع طمع العُدّة ، أنفقت عليه الأموال ، ما إن مفاتيحه لتنوء بالمُعصبة أولى القوة ، بُودٍ بذلك ، بين يدي التناؤل ، بتزول العدو وإياه ، فكان السِكرى ^(٦) على إيصال الطعام إليه ، بحساب درهم واحد وربع درهم للرّطل من الطعام ، منفعة فذة ، وحسنة كبرى ، وبدعاً من يدع الفتوى .

وفي موقف الاستعداد لعدوّ الإسلام ، من خارق جهاد النفس ، اطلاق البُنى ^(٧) ، للمدّة القريبة ، والزمان الضيق ، باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو ، والمشاركة الحدود ، مع أراضيه ، المتراصة النيران لتقرب جوابه ، منها ثغر

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : اخترعه ، والماضي هنا أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : وأجرات . وقد لزم التصويب لاستقامة السياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» الذكر ، فلزم التصويب .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٦) السِكرى هنا يقصد بها الكراء أو الأجر .

(٧) البنى هنا جمع بناء .

أَرْجِدُونَةَ^(١) ، المستولى عليه الخراب . أنفق في تجديد قصبته . واتخاذ جُبِّه . ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب ، وفي اليوم شجى العدو ، ومُعْتَصِمُ المساهمين . وحصن أشير ، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج . على بعد أقطاره . واتخاذ جباب الماء به . واحتفار السانية^(٢) الهائلة بربضه . ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله . والعناية بالإسلام . ثم ختم ذلك بنديد حصن الحمراء . رأس الحضرة ، ومَعْقِلُ الإسلام . ومَفْزَعُ الْمَلِك . ومَعْقِد^(٣) الأيدي . وصِوان المال والذخيرة . بعد أن صار قاعاً صفصفاً . وخراباً بَلَقْعاً . فهو اليوم عروس يُحلى المَهْضَب . ويغازل الشهب ، سكن لمساكنه الإزجاف . وذوت نجوم الأطماع . ونقل إليه مال الجباية . الْمُتَفَضِّل لهذا العهد . بحسب التدبير . ونَقْدُ الخراج . وصَوْنُ الألقاب . وقمع الخزانة بما لم يتقدم به عهد . من ثمانين سنة . والحمد لله . وتجديد أساطيل الإسلام ، وإزاحة علل جيوش المَرَج . وعساكر البحر . فهي لهذا العهد ، مَكْسُ الأديم . شارعة الشبا ، مُنْقَضَةٌ جفاتها إلى مساواة الأعداء ، رابكة ظهور المحاسن ، قلقة المواقف ، قُدُماً إلى الجهاد ، قد تعدد إغزاؤها ، وجاست البحر سوابجها ، وتعرفت بركتها والحمد لله ، وأنصاب جيش الجهاد ، استغرق الشهور المستقبلة . لرود^(٤) الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها ، على الدوام ، بعد أن كانت يتحيفها المَطل ، وينقصها المطال ، والحمد لله .

وفي (*) مواقف الجهاد الحسنى . وبيع النفوس من الله ، وهو ثمرة الجهاد الأول ،

(١) أرشدونة وأرشدونة Archlidona . هي بلدة حصينة تقع شمال مالقة على مقربة من حدود قشتالة في هذا العصر .

(٢) السانية هي الكلمة الأندلسية لكآلة الرى المعروفة بالساقية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة هنا (معقل) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (لدور) .

(*) هنا يبدأ الجزء الثانى من كتاب «الإحاطة» بمخطوطة جامع الزيتونة بتونس . وسوف نوال المراجعة عليه إلى جانب مخطوطى جاينجوس والخزانة الملكية . وسوف نرمرز له بكلمة (الزيتونة) .

ما لا يحتاج عليه إلى دليل . من الجوف^(١) إلى حصن أشر ، قُبِلَ الثغر ، والجارجُ المطلبُ على الإسلام ، والعزم على افتتاحه . وقد غاب الناس من مساورته . وأعْيى عليهم فتحه ، فلزمه السلطان بنفسه . بياض يوم القيظ . مُحْرَضاً^(٢) ، للمقاتلة ، مُوَاسِياً لهم^(٣) ، خالطاً نفسه بالمُسْتَنْفَرَةِ . يصابر لهيب النار . ووقع السلاح ، وتعميم الدُّخان ، مُقْدِياً للكلمات . مُحْرَضاً لذوى الجراح ، [مباشراً الصلاة على الشهداء] ^(٤) إلى أن فتحه الله [على يده] ^(٥) ، بعزمه وصبره ، فبأشر رَمِّ سوره بيده ، وتحصين عَوْرته بنفسه ، ينقل إليه الصَّخر ، وينال الطَّين ، ويخالط الفعلة ، لقرب محلِّ الطاغية ، وتوقع المفاجأة . ثم كان هذا العمل قانوناً مُطَرِّداً في غيره ، وَدَيْدَنًا في سواه ، حسبما تذكر في باب الجهاد .

وفي باب النصيحة للمسلمين من مآزق^(٦) الجهاد الأكبر . ما صدر في هذه الدولة ، من مخاطبة الكافة ، بلسان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، صَدَعَتْ بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر ، وأتممت آذان المحافل . ما لم يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر] ^(٧) .

نص الكتاب

ولما صَحَّتْ الأخبار بخروج الأمة الإفريقية إلى استئصال هذه البَقِيعة^(٨) ،

(١) وردت في المخطوطين (الخوف) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» متحرصاً .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الأول) . بالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت هذه الزيادة فقط في «ج» .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» ، وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت في «ج» البقعة .

والله متم نوره ، ولو كره الكافرون ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه :

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ، بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، أيده الله ونصره ، وأوى^(١) أمره ، وخلد ما أثره . إلى أوليائنا الذين نُوقِظ من الغفلة أحلامهم ، وندعوهم لما يطهر من الاوتياب إيمانهم ، ويُخلص لله أسرارهم وإعلانهم ، يرثي لعدم إحسانهم ، وخيبة قيامهم ، ويغار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم ، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات ، وتخفيض الشدائد المعتوزات ، وكُنْ أَكُفَّ العوادي المُبتدئات . إلى أهل فلاة ، دافع الله عن فتهم الغريبة^(٢) ، وعرفهم في الذراري ، وأحرّم ، عوارف الاطائف القريبة^(٣) وتداركهم بالصنایع العجيبة ، سلام عليكم أجمعين ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا نشرك به أحداً ، ولا نجد من دونه مُلتحداً مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جليداً ، وأبعد في الصبر مدداً ، ليزيد الذين اهتمدوا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أنقذ من الردى ، وتسكفل بالشفاعة [لمن]^(٤) غداً ضارباً هام العدا ، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولداً . والرضى عن آله الذين كانوا لسماء ملته عمداً ، فلم ترعهم السكتايب الوافرة ، وكانوا لهم أقل عدداً ، ولا هالتهم أمم الكفر . وإن كانت [أظهر جمعاً ، وأكثر عدداً]^(٥) صلاة لاتنقطع أبداً ، ورضى ، لا يبلغ مدداً . فإننا كتبنا إليكم ، كتبكم

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (واوى)

(٢) وردت في «ج» (الغري) وفي «الملكية» (الغري) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه الجملة في «الزيتونة» . وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (أكثر جمعاً وأظهر عدداً) .

الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدائه^(١) ورحمة^(٢)، ورمى بفكره غرض السداد ، فلم يُخط منه هدفاً ولا رمية . وقد اتصل بنا الخبر ، الذي يوجب نصح الإسلام ، ورعى الجوار والذمام^(٣) ، وما جعل الله للأُموم على الإمام ، فوجب علينا إيقاظكم من مراقدم المستقرقة ، وجمع أهوايكم المفتركة ، وتهيشكم إلى مصادمة الشدايد المرعدة المبرقة ، وهو أن كبير النصرانية ، الذي إليه ينتقدون ، وفي مرضاته يصادقون^(٤) ويمادون ، وعند رؤية صليبه يكونون يتسجدون ، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضماً وقغماً . وأوسعهم هضماً فلم تُبق لهم^(٥) عصباً ولا عظماً ، ونثرت ما كان نظماً ، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ، ويرفع ما طرق . ويرى^(٦) ما مزق الشّتات وخرق ، فرمى الإسلام بأمة عدوها كالتطر المنثال ، والجراد الذي تضرب به الأمثال . وعاهدكم وقد حضر التمثال ، وأمرهم وشأنهم الامتثال ، أن يدمنوا لمن ارتضاه الطاعة ، ويجمعوا من ملته الجماعة ، وبطلع السكل على هذه الفئة القليلة الغريبة . بغتة^(٧) كقيام الساعة . وأقطعهم ، قطع الله بر . | العباد والبلاد |^(٨) . والتأرف والتلاد ، وسوغهم الحريم المستضعف والأولاد ، وبالله نستدفع مالا نطقه . ومنه نسأل عادة الفرج . فما سدت لديه طريقه ، إلا أننا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنة بالبور . وأشقنا للذين من وراء البحار ، وقد أصبح معظمهم في لهوات الكفار ، وأردنا أن نهزمهم بالموعظة . التي^(٩) تكحل البصاير بميل الاستبصار . وتلهيكم الاستنصار بالله ، عند عدم الانتصار ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (الله) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» الذمار .

(٣) هكذا في الزيتونة والملكية . وفي ج (يضافون) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في الزيتونة والملكية .

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي الزيتونة (يرمى) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (سقية) . والتصويب أنسب للسياق .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (البلاد والعباد) .

(٨) هكذا في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» الذي ، وهو تحريف .

فإن جَبَرَ الله الخواطر بالضرعة إليه، والانكسار - ونسخ الإغسار بالإيسار، وأنجد
 اليمين باتهاء اليسار، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظُّ الخَسَار^(١) فإن من ظهر عليه
 عدوُّ دينه، وهو عن الله مَعْرُوف، وبالباطل مشغوف، وبغير^(٢) العُرْف معروف -
 وعلى الحذام المَسْلُوب ملموف، فقد تَلَّه^(٣) الشيطان للجبيين، وخَسِر الدنيا والآخرة،
 وذلك هو الخسران المبين. ومن نفذ فيه قَدَرُ الله عن أداء الواجب وبذل المجهود،
 وآجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن الشهوات الموبقة
 [في] ^(٤) دار الخلود، العابدة بالحياة الدائمة والوجود: أو الظُّهور على عدوه
 المحشود إليه صبرا^(٥) على المقام المحمود وبيعاً تكون الملائكة فيه من الشهود،
 حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهدوم، بقوة الله المحمود، والسَّواد الأعظم
 الممدود، كان على أمر رَبِّه بالحياء المردود «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
 ونحن نتربصُ بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيديننا، فتربصوا إننا
 معكم متربصون»^(٦). فالله الله في المهم، فقد خَبِتَ رِيحُها. والله الله في العقائد.
 فقد خَفَّتْ مصابيحُها. والله الله في الرُّجولة فقد فَلَ حَدُّها. والله الله في الغيرة.
 فقد نَعَسَ حَدُّها. والله الله في الدين: فقد طمع العدوُّ في تحويله. والله الله في
 الحريم. فقد مدَّ إلى استرقاقه يدُ تأمليه. والله الله في المساكن التي زَحَفَ لسُكناها

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (الخسران). والتصويب أنسب لسياق السجع.

(٢) وردت في «ج» (ويصير). ونعتقد أن هذا تحريف. والتصويب أنسب للمعنى.

(٣) تله أى صرعه.

(٤) ساقطة في «ج» والملكية، وإثباتها أنسب للمعنى.

(٥) واردة في «ج». وساقطة في الملكية.

(٦) يقول لنا المقرئ في نفع الطيب ٦ إن هذه الرسالة أو الموعدة التي تبدأ من هنا، وتنتهى فيما بعد.

بعبارة (والسلام الكريم ينخصم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته) كتبها على ابن الخطيب (وليس
 الدوه لسان الدين) على لسان السلطان، نداء إلى الأمة، واستنهاضاً لهمتها، على مثل رسائل عديدة
 وجهها إليها ابن الخطيب نفسه (راجع نفع الطيب ج ٤ ص ٤١٥ - ٤١٨).

والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسنّها | وقد كُـل فضلها وتناهى ^(١) .
والله الله في القرآن العظيم . والله الله في الجيران . والله الله في الطّارف والتّالّد .
والله الله في الوطن الذي توارثه الولدُ عن الوالد . اليوم تستأسد النفوسُ المهينة .
اليوم يُستنزَل الصبرُ والسكينة . اليوم تحتاجُ الهِمَمُ [أن] ^(٢) ترعى هذه النفوس
الكريمة الذّم . [اليوم يُسلّك سبيل العزم والحزم والشدة والشّم] ^(٣) اليوم يَرْجِع
إلى الله تعالى المصرون . اليوم يفيق من نومه الغافلون والمفترون . قبل أن يتفاقم
الهلّول ، ويحقّ القول ، ويُسد الباب ، ويحقّ ^(٤) العذاب ، ويُسترقّ بالسكفر
والزّقاب . [فالنساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار] ^(٥) . والذّيور ترفرف لتحمي
الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها والإضرار . تمر الأيام عليكم مرّاً السحاب
وذهاب الليالي لسكم ذهاب ^(٦) . فلا خبر يفضى إلى العين ، ولا حديث في الله ^(٧)
تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كدّ ^(٨) إلا لزينة يُحلى بها نحر وجيد ، ولا سَمى إلا
في ^(٩) متاع لا يغنى في الشدائد ولا يفيد . وبالأمس ندبتم إلى التماس [رُحى
أورضى] ^(١٠) مسخر السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ، وسؤال مرسل الديمة ،
ومُحي البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء ، واغبرت جوانبكم المخضرة
احتياجاً إلى بلالة الماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون . وإليها الأكف تمدون ،

(١) هذه الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، وإثباتها لازم للسياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٤) هكذا في « ج » والملكية . وفي « الزيتونة » (ويحق) والمؤدى احد .

(٥) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٦) هذه الجملة ساقطة في المخطوطات الثلاثة وواردة في النفح .

(٧) هكذا في « ج » . وفي الملكية (بالله) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة (تقد . تمد) والتصويب من النفح .

(٩) واردة في « الزيتونة » ، وساقطة في المخطوطتين .

(١٠) هذه الزيادة من نفح الطيب .

وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يصحّر^(١) منكم عددٌ معتبر ، ولا ظهر للإنابة
 [ولا للصدقة]^(٢) خبر ، وتوقّوون^(٣) عن إعادة الرغبة إلى الفنى الحميد ، والولى
 الذى إن شاء يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد . وأيم الله لو كان لهموا لارتقبت
 الساعات [وضاقت المتسعّات]^(٤) . وتزاحمت على جماله وغُصّت الجماعات^(٥) .
 أتعزّزاً على الله وهو القوى العزيز ، وتلبساً على الله ، وهو الذى يُميز
 الخبيث من الطيب ، والشّبه من الإبريز ، أمّنا بذة والنواصى بيده ، أغروراً
 فى الشدايد بالأمل [والرجوعُ بعد إليه]^(٦) . من يبدأ الخلق ثم يعيده ،
 ثم يُنزل الرزق ويقيده ، من يُرجع إليه فى الملمات ، من يُرجى فى الشدايد
 والأزمات ، من يوجد فى الحما والمات ، أفى الله شكٌ يخلج القلوب ، أم غيرُ
 الله يدفعُ المسكروه ، ويُيسّرُ المطلوب^(٧) . تفضّلون على اللجأ إليه فى الشدايد ،
 [بواسمَ الجهل ، وثرة الأهل]^(٨) وطائفة منكم قد بررت إلى استسقاء رحمته ،
 تمدّ إليه الأيدى والرقاب . وتستكشف بالخضوع لعزّة^(٩) العقاب^(١٠) ، وتستعجل
 إلى مواعد إجابة الارتقاب ، وكأنكم أنتم ، عن كرمه قد استغنيتم ، أو على

(١) وردت فى «ج» (بضجر) . وفى الملكية و«الزيتونة» (بضجر) والتصويب من النفع .

(٢) الزيادة من نفع الطيب .

(٣) وردت فى المخطوطين (وتقرّفل) والتصويب من النفع .

(٤) وردت فى «ج» و«الملكية» . (المساعات) والتصويب من النفع .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى النفع كالأق (وتزاحمت على

أفديته الجماعات) .

(٦) هذه الزيادة من النفع .

(٧) واردة فى «ج» والنفع . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت فى «ج» و«الملكية» . وساقطة فى الزيتونة . ووردت فى النفع كالأق

(ورائد الفضل وثرة الجهل) .

(٩) كذا فى «ج» والملكية . وفى النفع (لمعلمته) .

(١٠) هكذا وردت فى «ج» والنفع . وفى «الزيتونة» و«الملكية» (العذاب) . والأولى

أنسب للسياق .

الامتناع من الرجوع إليه بنيتهم . أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبليغ باليسير ، والاستعداد إلى (دار الرحيل)^(١) الحق والمسير ، ومداومة الجوع ، وهجر الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع . دخلت هليمة فاطمة رضى الله عنها ، وببيدها كسرة شعير ، فقال ما هذه يا فاطمة ، فقالت يا رسول الله ، خبزت^(٢) قرصة ، وأحببت أن تأكل منها ، فقال يا فاطمة ، أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم ، يستغفر في اليوم سبعين مرة . يلمس رُحماه ، ويقوم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، حتى تورمت قدماه ، وكان شأنه الجهاد ، ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد . فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون . وإذا لم تهتدوا بهديه فبمن تهتدون ، وإذا لم تُرضوه باتباعكم ، فكيف تعتزون إليه وتنتسبون ، وإذا لم ترغبوا في الاتِّصاف بصفاته غضباً لله (تعالى)^(٣) وجهاداً ، وتقللاً من العرض^(٤) الأدنى [وسهاداً ففهم ترغبون ، فابتروا حبال الآمال ، فكل آت قريب ، واعتبروا بثلاث]^(٥) ما ذهَم من تقدم من أهل البلاد والقواعد ، فذهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي كان يعلوها واعظ أو خطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف ، والجماعات المعبودة بأنواع الطاعات ، وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور بما أغضوا عيونهم ، وساءت بالغفلة عن الله عُقبي جميعهم ، وذهبت النعمات^(٦)

(١) وردت في «ج» للرحيل . وما أثبتناه عن النفع .

(٢) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (أخبرته) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي النفع وفي «الملكية» (العرض) .

(٥) الزيادة من نفع الطيب .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (المنقبات) : والتصويب من النفع .

بعاصيهم ، ومن ذاهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم [مناصب]^(١) للصلبان ، واستبدلت مآذنه بالنواقيس من الأذان . هذا والناس ناس ، والزمان زمان . (فإ)^(٢) هذه الغفلة عن من اليه الرجى وإليه المصير [وإلى متى التساهل في حقوقه ، وهو السميع البصير ، وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير]^(٣) وإلى متى نسيان اللبّاء إلى الولي النصير . قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم ، وتحركت الطواغيت من [كل]^(٤) جهة اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتابُ الله قائم فيكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمنح سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأنتم بقايا من افتتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ورضى الرحمن ، ما ظهر التشليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عديم الإسلام فيها عزم التأيد . ولكن ثمل الداء ، وصم النداء ، وتعميت الأبصار ، فكيف الاهتداء ، والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعاً ، فهو الغفور الرحيم ، واستقبل مقبل العثرات ، فهو الرؤوف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدّمت أيدينا ، فقبول المعاذير من شأن الكريم . سدّت الأبواب ، وضعت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم [يا فتاح]^(٥) ، يا وهّاب . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم [يا أيها الذين آمنوا]^(٦) قاتلوا الذين يلوّنكم من الكفار ، وليجندوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة واغبطوها ، فمن خاف الموت رضى بالدنيّة ، ولا بد على كل حال من المنيّة ، والحياة مع الذل ليست من شيم أهل العقول والنفوس السنيّة . واقتنوا السلاح والعدّة ، وتعرفوا إلى الله في الرّخاء يرفكم في الشدّة ، واستشعروا القوة بالله [تعالى] ^(١) على أعدايه وأعدايكم ، واستميتوا من دون أنبايكم . وكونوا كالبنّيان ^(٢) [المرصوص] ^(٣) لحملات العدو النازل بفنايكم ، وخطّوا بالتعويل على الله وحمدة بلادكم . واشتروا من الله جل جلاله أبناءكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها . وشكّت إلى بعض الصالحين ، فأشار عليها بالصدقة [فتصدّقت] ^(٤) ، برغيف . فأطلق السبع ولدها . وسمعت النداء [يا هذه] ^(٥) لقمة بلقمة ، وإنّا لما استودعناه لحافظون . أخرجوا الشهوات ، واستندّر كوا الباقيات ^(٦) من قبل الفوات . وأفضوا لمسا كينكم من الأثوات ، واخشعوا لما أنزل الله [تعالى] ^(٧) من الآيات . وخذوا نفوسكم ^(٨) بالصبر على الأزمات ، والمواساة في المهمّات ، وأيقظوا جفونكم من السّنات . واعلموا أنكم رُضع ^(٩) ثدى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب ، والدّين الوحيد ، وحزب التّمحيص ،

(١) الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» وفي النفح (كالبناء) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . ووردت بالملكية «محرفة (المرسوس)» .

(٤) الزيادة من النفح .

(٥) الزيادة من النفح .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» والنفح (البقية) .

(٧) الزيادة من النفح .

(٨) وردت في «ج» و «الملكية» (من لكم) . والتصويب من النفح .

(٩) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» والنفح (رضعاء) .

ونفّر [المرام] ^(١) العويص ، فتفقدوا معاملتكم مع الله [تعالى] ^(٢) ، فهما
وأيتم الصدق غالباً . والقلب للمولى الكريم . مراقباً ^(٣) وشهاب اليقين
ثاقباً ، فتتوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها ^(٤) غالب ؛ ولا ينالكم [من
أجلها] ^(٥) عدوُّ مُطالب ، وأنكم في السّتر الكثيف . وعصمة الخبير اللطيف .
ومهما رأيتم الخواطر متبدّدة ، والظنون بالله متردّدة ، والجهات التي تخاف ،
وترجى متعدّدة ، والغفلة عن الله ملابسها متجدّدة . وعادة [دواعي] ^(٦) الخذلان
دائمة ، وأسواق الشهوات قائمة . واعلموا أن الله منقذ فيكم [وعده] ^(٧) ووعيده
في الأثم الغافلين ، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم . ولا عدوان إلا على الظالمين . والتوبة
تردُّ الشارد ، والله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين . وهو القائل : « إن الحسنات
يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » . وما أقرب صلاح الأحوال ،
إذا صلّحت العزائم ، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم ، وتخلت الدنيا الدنيّة
في العيون ، وصدقت فيها عند الله الظنن : « يا أيها الناس إن وعد الله حقٌّ ،
فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » . وتوبوا سراعاً إلى طهارة
القلوب ، وإزالة الشوب ، واقتصدوا أبواب غافر الذنوب ^(٨) ، وقابل التوب .
واعلموا أن سوء الأدب مع الله ، بفتح أبواب الشدايد ، ويسدُّ طريق ^(٩) العوايد ،
فلا تطلّوا بالتوبة أزمانكم ، ولا تأمنوا مكر الله ، فتغشوا إيمانكم ، ولا تعلقوا

(١) و (٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنسخ . ووردت في «الملكية» و الزيتونة (راغباً وراقباً) .

(٤) هكذا في الزيتونة و «النسخ» . وفي «ج» عليها .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة و «الملكية» . وفي «ج» لأجلها .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) الزيادة من النسخ .

(٨) هكذا في الزيتونة . وفي «ج» و النسخ (الذنب) والأولى أنسب للسياق .

(٩) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (طرق) .

متابكم بالصرائر^(١). فهو عازم السراير، وإنما علينا معاشر الأولياء أن ننصحكم، وإن كنّا أولى بالنصيحة. ونعتمدكم بالموعظة المريجة، الصادرة عليم الله عن صدق المريجة. وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم^(٢) إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم الدنيا نفس مبدولة في جهاد الكفار. وتقدم إلى ربكم العزيز الغفار، وتقدم لديكم إلى مواقف الصبر. التي لا ترتضى، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسن وعقبي الدار. والاختيار لله ولي الاختيار. ومصرف الأقدار. وهانحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو. [ونفدى بنفوسنا]^(٣) البلاد والعباد. والحريم [المستضعف]^(٤) والأولاد. ونصلي من دونهم [نار]^(٥) الجلال. ونستوهب منكم الدعاء إلى من وعد بإجابته. وتقبل من صرف إليه وجه إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً، وعلى أعدائك ظهيراً. ومن انتقام عبدة الأصنام مجيراً، [اللهم]^(٦) قوّ من ضعفت حيلته، فانت القوى المعين، وانصر من لانصير له إلا أنت، إيك نعبد، وإياك نستعين. اللهم ثبت أقدامنا [وانصرنا]^(٧) عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملايكتك^(٨) المسومين، [عن ضيقت أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجاؤه]^(٩). اللهم هيّ لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير

(١) هكذا في الزيتونة و « النفع ». ووردت محرفة في « الملكية » وفي « ج » (الفرايز الفرايز).

(٢) هكذا في المخطوطين. وفي النفع (سبقناكم).

(٣) وردت في « ج » والملكية (ونفدى بنفوسنا). وفي الزيتونة (ونفد بنفوسنا). والتصويب من النفع.

(٤) الزيادة من النفع. (٥) الزيادة من النفع.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) الزيادة من النفع.

(٨) وردت في المخطوطين (بلايتك) والتصويب من النفع.

(٩) وردت في المخطوطات الثلاثة (رجاؤنا) والتصويب من النفع.

[إليك] ^(١) . ذليلٌ بين يديك حقيرٌ . [رحمةٌ تُروى بالأزمة وتشيع ، وقوةٌ تطرد وتُسْتَنْجِع ، يَغْلِبُ الغُلاب . يهازم الأحزاب . يا كريم العوايد . يا مُفْرِجَ الشدايد ، ربَّنَا أفرِّغ علينا صبراً ، وثبَّتْ أقدامنا . وانصُرنا على القوم الكافرين] ^(٢) . اللَّهُ اجعلنا من تَيَقُّظ [فتيةً ظ] ^(٣) ، وذَكَرَ فتدَكَّرَ ، ومن قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُمْ ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، قانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ ، لم يَمَسَّسْهُمْ سوءٌ ، واتبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ ، والله ذو فضلٍ عظيمٍ . وقد وَرَدَتْ علينا المَخاطباتُ من قَبْلِ إخواننا المسلمين ، الذين عَرَّفْنَا في القديم والحديث اجتهادهم ، وشكرنا في ذات الله [تعالى] ^(٤) جِهَادَهُمْ ، بنى مَرَيْنَ ، أولى الامتِعاَضِ اللهَ والْحَمِيَّةِ ، والمُخْصُوصِينَ بين القبائلِ السَّكْرِيَّةِ بهذه المِزْيَةِ ، بَعَزْهُمْ على الامتِعاَضِ لِحَقِّ الجِوَارِ ، والمُصَارَخَةِ التي تُلِيقُ [بالأحرار] ^(٥) [والنَّفَرَةَ لا تَهْأَكُ ذِمَارَ بَيْتِهِمُ الْمُخْتَارِ . وحركة سُلْطَانِهِمْ] ^(٦) محلٌّ أَخِينَا بَيْنَ لِه مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْصَارِ ، إِلَى الْإِعَانَةِ عَلَى هُزْلَاءِ السُّكَّارِ ، ومُدَافَعَةِ أَحْزَابِ الشَّيْطَانِ وَأَهْلِ النَّارِ . [فاسألوا الله تعالى] ^(٧) إِعَانَتَهُمْ عَلَى هَذَا الْمُقْصَدِ الْكَرِيمِ الْآثَارِ . والسَّعْيُ الضَّمْنِ ^(٨) لِلْعِزِّ وَالْأَجْرِ وَالْفَخَارِ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْضَعُكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . عَرَّفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ . صَحَّ هَذَا . فَكَانَ دِفَاعُ اللَّهِ أَقْوَى ، وَعَصَمْتُهُ أَكْفَى . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَوَايِدِهِ الْحُسْنَى .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) ما بين القوسين إبتداء من (عن ضيقت) ساقط كله في النسخ . وما بين القوسين

إبتداء من (رحمة تروى) ساقطة في الزيتونة . (٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) الزيادة من النسخ . (٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الزيتونة .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في النسخ . ووردت في «ج» و «الملكية» (فاسل . فارسل) .

(٨) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (الضامن) .

ومن الغيرة على الدين ، وتغيّر أحوال الملّحدين ، من مآزق جهاد النفس ، ما وقع به العمل من إخماد البدع . وإذهاب الآراء المضلة ، والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة . وقد أضاعت ^(١) أرباب هذه الأضاليل الشريعة ، وسدّت مضرّهم في السكافة ، فُيسلّط عليهم الحكماء . واستدعيت الشهادات . وأخذهم التّشريد ، فهل تُحسّ منهم أحداً ، أو تسمع لهم ركزاً .

وقيّد في ذلك عنى مقالات أخرى . منها رسالة « الغيرة على أهل الحيرة » ، ورسالة « تحلّ الجمهور على الشّئن المشهور » . ورسالة « أنشدت على أهل الرّد » . فارتفع الخوض ، وكسدت تلك الأسواق الخبيثة . وضمّ ^(٢) منها الصّدأ ، ووضّح نار الهدى ، والحمد لله ، ولو تتبععت مناقب الهدا ، لأخرج ذلك عن الغرض .

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشّعاء ، المُجحفة بالدولة ، وقد كان السلطان أنذر بطائفة ، تُدخل بعض القرابة ، فعاجله بالقبض عليه ، وهو في محل ولايته ، فصعد وأنجل إلى قصبة المريّة ، وخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر ، فتعجّلوا إبراز الكامن ، وإظهار الخبيث ، وتولّى ذلك جملة من بنى غرون ذُنابى بيت الإديار ، وقد عابهم من بنى مطرون ، يدور أمرهم على الدّليل البرّكى ^(٣) ، فأكذب الله دَعوتهم ، بعد أن أركبوا الشيخ عليّاً بن نصر ، ونصبوه تلقاء القلعة بباب البُنود ^(٤) ، ودَعُوا الناس إلى بيعته . وأخذ السلطان حِذره ، وناصبهم

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (أضيقّت) .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» وفي «الملكية» وضم .

(٣) الدليل البركى يشير به إلى أحد وزراء النّفى بالله ، وهو الذى قام بتدبير تلك الثورة التى نشبت في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) .

(٤) باب البنود هو من أبواب حى القصبة الجديدة من غرناطة . وكان يقع قبالة الحمراء وقبالة القصبة القديمة ، يفصله عن قصبة الحمراء نهر حدره .

القتال ، وأشاع العطا ، واستركب الجيش ، وعمر الأسوار . فأخفق القصد ، وفرّ الدليل البركي ، وتقبّض على الرئيس المذكور ، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان .

وكان مما أُمليت يومئذ بين يدي السلطان . من الكلام المرسل . ما هو نصه ،
بعد الصدر : وإلى هذا فمما أفادته الفطر السليمة . والحلم والقضا بالشرعية ،
والثقل الشرعي والسُنن المرعى ، أن مُغالِب الحق مغلوب ، ومزاحم الله مهزوم ،
ومكابر البرهان بالجلل موشوم ، ومرتع الغي مهجور ، وسيف العدوان مفلول ،
وحظ الشيطان مؤكوس ، وحزب السلطان منصور . ولا خفاء بنعمة الله علينا ،
التي أطردّها^(١) في المواطن العديدة ، والهضبات البعيدة . والشبهات غير المبينة ،
والظلمات الكثيفة ، معلنٌ بوفور الحظ من رحمة ، وإبراز^(٢) القداح في مجال
كرامته ، والاختصاص بسيا اختياره . فجعل العصبة ليلة الحادث علينا من دون
مَضْجَع أمانا ، ونَهَجَ لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا ، وسخر لنا ظهري
الطريف والطريق ، بعد أن فرّق لنا بحر الليل ، وأوضح لنا خفي المسلك ، وعبد
لنا عاصي الحزم ، ودُمّت غمر الشعراء^(٣) ، وأوطأنا صهوة المنعة ، وضرب وجود
الشُرذمة المتبعة ، بعد أن ركضوا قنّيب^(٤) البراذن البادية ، من خزائن إهدائنا ،
المتجملّة بحملَى رَكْبِنَا ، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير صلاتنا ،
وأبهروا الأنفاس التي طال ما رفعها إيناسنا وأبلغها الريق تأميننا ، وصبّوا العرق
الذي أفضله طعامنا ، شرهين إلى دَمِنَا ، المحظور بالكتاب والسنة ، المحوط
بسياج البيعة ، المحصن عنهم بتقديم النعمة ، وحرمة الأب ومُتَعَدِّد الأذمة ، فجعل

(١) وردت في «ج» اطردّها ، وفي «الملكية» اطردّها . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» وبراز . وفي «الملكية» (وبواز) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) الشعراء هي الأرض الكثيرة الشجر .

(٤) قنّيب أى الجمع المتكاثف .

الله بيننا وبينهم حاجزاً ، وسدّاً ليأجوجهم [من] ^(١) المردة ^(٢) مانعاً ، وانهلبوا
يعضون الأنامل الغضة من سُرَيْط جفاننا ، ويقلبون الأَكْفَ التي أجدها الدهر ،
ترفعاً من المهن المترتبة ^(٣) [في] ^(٤) خدمتنا ، قد حالهم صِغار القَدَر . وذلك
انخيبة ، وكبح ^(٥) الله جماعتهم عن التنفّق بتلك الوسيلة . واحتلّنا قصبه وادي
آش ، لا نملك إلا أنفسنا ، لم يشبها غشّ الإمّلة ، ولا كياذ الأمة ، ولا دَنَسها والحمد
لله عارُ الفاحشة . ولا وسمها الشوم في الولاية ، [ولا] ^(٦) أحبط عمل نجاتها ^(٧)
دخّلُ العقيدة ، ولا مرضُ السريرة ، مذ سلّمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب ،
وصير إلينا مُلْكاً أيّنا من غير حَوْل ولا حيلة . نرى أنّها أُمْلَكُ لحرمتنا . وأعلمُ
بما كنّا ^(٨) ، وأرحمُ بنا ، فتشبّثت بها القدم ، وحجّيت لنا من أهلها ، وعاهم الله الهيم ،
وصدّقت في الذّبِّ عنا العزائم ، وحاصرنا جيشُ العدو ، وأولياء الشياطين ،
وظهر ^(٩) الباطل ، فبان الظّفَر والاستقبال ، وظهّرت الفية القليلة ، والله مع
الصابرين ، فغلبوا هناك وانهلبوا صاغرين . ومع ما لنا من الضيق ، وأهمّنا من
الأمر ، فلم نُطلق ^(١٠) به غارة ، ولا شرّهنّا إلى تغيير ^(١١) نعمة ، ولا سرّحنّا عنا
اكتساح ^(١٢) على هجمة ، ولا شِعْنا لبساً في بيتٍ ولا حُلّة ، وأمّسكنا الأَرْماق

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (المودة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (الترتبة) .

(٤) وضعناها ليستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» (وجمع) . والأول أنسب للسياق

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نجاتها) .

(٨) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (بمالنا) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وطهر) .

(١٠) وردت في «ج» (نطق) والتصويب من «الزيتونة» .

(١١) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (تنير) والمؤدى واحد .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» وفي «ج» (إلى) .

بَيْسِيرِ الْحَلَالِ^(١) الذى اشتملته خزائناً من أغشار وزكوات ، وحظوظ من زراعات ، وارتقبنا الفرج بمن نحص بالشدة ، والإقالة ممن نبه من الغفلة ، وألهم الإقلاع والتوبة . ثم وفقنا^(٢) سبحانه ، وألهمنا من أمرنا رشداً ، وسلك بنا طريقاً فى بحر الفتنه يابساً ، فبدناه بمحمن الدماء ، وتأمين الأرزاء ، وشكرنا على البلاء ، كشكرنا إياه [على]^(٣) الآلاء . وخرجنا عن الأندلس ، ولقد كاد ، لولا عهده ، بأن نذهب [مذاهب الزوراء]^(٤) ، ونستأمل الشافة ، ونستأصل العرصة ، سبحانه ما أكل صنعه ، وأجمل علينا ستره ، إلى أن جزنا البحر ، ولحقنا بجوار سلطان المغرب ، لم تذب عنا عين ، ولا شمع علينا أنف . ولا حمل علينا بركب^(٥) ، ولا هتفت^(٦) حولنا غاشية^(٧) ، ولا نزع عنا [للتقوى والعفاف]^(٨) ستر ، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذى أغفله الأوغاد^(٩) من أبناء دولتنا ، والضفادع ببركة نعمتنا ، حتى إذا الناس طافوا الصيحة^(١٠) ، وتملأوا^(١١) الحسرة ، وسيموا الخسار والخيبة ، وسامهم^(١٢) الطغام الذين لا يرجون الله وقاراً ، ولا يألون لشعايره المعظمة احتقاراً ، كلاب الأطماع ، وعبيدة الطاغوت ، ومدبرو

(١) وردت فى «ج» (الحال) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا فى «ج» . ووردت محرفة فى «الزيتونة» و «الملكية» (أوقفنا . وقفنا) .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) فى المخطوطين (مذاهب ندمت الزوراء) . ونعتقد أن التصويب أفضل للسياق .

(٥) الركب - الجماعة من عشرة إلى ما فوق .

(٦) وردت فى «ج» (غفت) وفى الملكية (حفت) . وفى الزيتونة (هتف) . والتصويب

أوجه .

(٧) وردت فى «ج» غاشية . والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الملكية» (العفاف والتقوى) .

(٩) هكذا فى «ج» . وفى الزيتونة (الأعوان) والأولى أنسب للسياق .

(١٠) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (الهبجية) .

(١١) هكذا فى «الملكية» . وفى «ج» (وملوا) . والأولى أنسب للسياق .

(١٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (وساسهم) .

حُجُونُ الجَهِلِ . ومِياسِيسُ أسواقِ البُعدِ عنِ الرَّبِّ . وعرايسُ مُحَرَّمِ الزينةِ ، وَوُدُ
الْقَرْزِ ، وَتَغَارُ النَّهْمِ . الْأَعْزَّةُ (١) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَاطِلِ . الْأُذَلَّةُ (٢) فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ ،
مَنْ لَا يُحَسِّنُ الْمَحَاوَلَةَ . وَلَا يَلْزِمُ الصُّهُوَّةَ . وَلَا يَحْمِلُ السَّلَاحَ . وَلَا يُنْزِعُ مَجْتَمِعَ
الْحِشْمَةِ عَنِ الْفَحْشَاءِ ، وَلَا يُطْعِمُ الْمَسْكِينَ ، وَلَا يَشْعُرُ بِوُجُودِ اللَّهِ ، جَارُوا (٣) مَنْ
شَقِيهِمْ (٤) [الْمَحْرُومِ] (٥) ، عَلَى مَضْعُوفٍ مُتَلَتِّفٍ فِي الْحَرَمِ الْمَحْصُورِ ، مُتَحَنِّنٍ بِلُطْفِ
الْمَهْدِ ، مُعَلِّلٍ بِالْخُدَاعِ ، مَسْلُوبِ الْجِرَاءَةِ بِأَيْدِي اتِّهَازِهِمْ ، شَوْمٍ عَلَى الْإِسْلَامِ ،
وَمَعْرِفَةٍ فِي وَجْهِ الدِّينِ ، أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ حَقَّ الشَّرِيعَةِ ، وَأَنْصَفَ أَيْمَةَ الْمَلَّةِ . فَلَمْ يَنْشَبُوا
أَنْ تَهَارَشُوا ، فَعُضُّ بَعْضِهِمْ ، وَاسْتَأْصَلَهُمُ الْبَغْيُ ، وَأُلْحِمَ لِلْسَيْفِ ، وَتَقَنَّ الْقَتْلَ ،
فَمِنْ بَيْنِ مُجْدَلٍ ، يُوَارَى بِأَحْلَاسِ الدَّوَابِ الْوَابِرَةِ (٦) ، وَغَرِيقٍ يُزَفُّ (٧) بِهِ إِلَى
سُوءِ الْمَيْتَةِ ، وَاسْتُيْنِتَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، وَاسْتُضْمِيَ الدِّينُ ، وَاسْتُنْبِیَحَتِ الْحَرَمَاتُ ،
وَاسْتُنْبِیَحَتِ الْفُرُوجُ فِي غَيْرِ الرِّشْدَةِ ، وَسَاعَتْ فِي عَدُوِّ الدِّينِ الْحِيلَةُ ، فَتَحَرَّ كُنَاعُنِ
اتِّفَاقٍ مِنْ أَرْبابِ الْفُتْيَا ، وَعَزَمَ مِنْ أَوْلَى الْحَرِيَّةِ ، وَتَحَرَّضَ مِنْ أَوْلَى الْحَفِیْظَةِ وَالْمَهْمَةِ ،
وَتَدَاخِرَ (٨) مِنَ الشُّوْكَةِ ، وَتَحَرَّيْكَ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمَ
مِنْ تَسْكِينِ الثَّائِرَةِ [وَإِشْكَاءِ الْعَدِيمِ] (٩) ، وَإِصْمَاتِ الصَّارِخِ ، وَشَعْبِ الثَّأْنِ ،
وَمُعَاجَلَةِ (١٠) الْبَلَوَى ، وَتَدَارُكِ الْقَطَرِ ، وَقَدْ أَشْفَى ، وَكَشَفَ الضَّرَّ وَالْبَاسَا [أَمَّا

(١) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْعِزَّة) . وَفِي الْمَمْلُوكِيَةِ (الْفَرَّة) . وَالْأَوَّلَى سَبَبٌ لِمِيقَاتِ .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» (الْأَقْلَةُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَمْلُوكِيَةِ» .

(٣) هَكَذَا فِي «الْمَمْلُوكِيَةِ» . وَفِي «ج» دَارُوا .

(٤) وَرَدَتْ فِي «ج» سَقِيهِمْ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الزَّيْتُونَةِ» .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنَ «الزَّيْتُونَةِ» .

(٦) وَرَدَتْ فِي «ج» الدَّبْرَةُ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَمْلُوكِيَةِ» وَ «الزَّيْتُونَةِ» .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَوَرَدَتْ فِي «الْمَمْلُوكِيَةِ» وَ «الزَّيْتُونَةِ» (يُرُوفٌ) وَالْأَوَّلَى

أَنْسَبُ لِمِيقَاتِ .

(٨) هَكَذَا فِي «ج» وَ «الْمَمْلُوكِيَةِ» . وَالتَّدَاخِرُ تَعْنِي هُنَا الدَّفْعَ .

(٩) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَمْلُوكِيَةِ» .

(١٠) وَرَدَتْ فِي «ج» (مُعَاجَلَةُ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الزَّيْتُونَةِ» .

الحبوة فالتمسها . وجَلَّ الرَّبُّ . واستشاط عليها جوُّ السماء [١] . وأما مرافق
البحر ومرافدُه . فسَدَّتْ طرقها أساطيلُ الأعداء . وأما الحِمِيَّة فبدَّدها [٢] فسادُ
السيرة ، وغَمَطَ الحق ، وتفضيل الأذى . وأما المال فاصْطَلَمَ السَّفَهَ بيضاءه وصفراءه ،
وكبس خزائنه حتى وقع الإِدْقَاعُ والإِعدامُ . وأقوى العامر . وافْتَقَرَتِ الجبابي
والمغابن ، واغْتَرَبَتِ جفون السيوف من حُلاها . وجردتموه الآلة إلى أعلاها [٣] ،
والدَّغْلُ المُسْتَبِطُن [الفاضح] [٤] ، ويمحض الحين ، وأسامت للدواء
العَرِصَة ، وتخرَّبت الثغور من غير مُدافعة ، واكتُسحت الجهات فلم يُترك بها
نافخ ، ووقع القول ، وحقَّ البُهْت ، وخُذِلَ الناصر ، وتبرَّأت الأواصر ،
فما كنا العدو إلى النِّصْفَة . ولم نقره على الدَّنيَّة ، وبأيناه أحوَجَ ما كنا إلى
كُدْحِه ، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرتِه على السكفار مثله ، اعتزازاً بالله ، وثقةً
به ، ولجأً إليه وتوكلاً عليه ، سبَّحانه ما أبهرَ قدرته ، وأسرع نُصْرته ، وأوجى
أمره ، وأشدَّ قهره . وَرَكِبْنَا بِحَرَ الْخَطَرِ ، بِجَيْشٍ [من التجربة] [٥] ونَهَدْنَا
قُدُمًا ، لَانْهَابِ [٦] الْهَوْلِ وَلَا نَرَاقِبِه ، وَأَطْلَلْنَا عَلَى أَحْوَازِ رِيَّةِ [٧] فِي الْجَمْعِ الْقَلِيلِ ،
إِلَّا مِنْ مَدَدِ الصَّبْرِ الْمَفْرَدِ ، إِلَّا مِنْ مَظَاهِرَةِ اللَّهِ الْغُفْلِ ، إِلَّا مِنْ زِينَةِ الْحَقِّ الْمُظَلَّلِ جَنَاحِ
عَقَابِهِ يَمْتَنَحُ الرُّوحَ ، تُسَدُّ جِيَادُهُ بِصَهِيلِ الْعَزِّ ، الْمَطَالَعَةُ غُرُورُهُ بِطَلِيعَةِ النَّصْرِ . فلما أحسَّ
بِنَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُطَهَّرُونَ [٨] بِسَاحَتِهِمْ . انْتَرَوْا مِنْ عِقَالِ الْإِيَالَةِ الظَّالِمَةِ ، والدَّعْوَةِ الْفَاجِرَةِ ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (فشدّها) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» علاها .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» . ولكن قد وردت كلمة (الفاضح) في «ج» بعد كلمة (الحين) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وفي «ج» (من تجاربه) .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (هَبْ) والتصويب أرجح .

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أحواز أربه) وهو تحريف . وولاية رية المذكورة هنا هي

الولاية الأندلسية التي تقع بها مالقة وأحوازها من الشمال والغرب .

(٨) وردت في «ج» (المضطهدون) . والتصويب من «الملكية» وهو أرجح .

وتبرأوا من الشرذمة الغاوية . والطائفة المناصبة لله الحارية . وأقبلوا ثُنَيَات
وأفراداً، وزُرُافَت ووحداً. ينظرون بعيون لم تُرو من غَيْبَتِنَا من مُحَيَّا رَحْمَةٍ،
ولا اِكتَحَلت بمنظر رَأْفَةٍ، ووجوه عليها قسوة الخَسْف . وإِشَار عليها بوسُ
الْجَهْد ، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق، يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى ،
ويجهشون بالبكاء، ويعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرّفناهم الأمان من الأعداء ،
وأول عارِفَة جعلونا عليهم، وصرفنا وجه التَّأمين والتَّانيس ، وجميل الودِّ إليهم،
وخارِطَنَاهُمْ^(١) الإِجْهَاش والرَّقعة ، ووَثَبْنَا^(٢) لهم من الذَّلَّة ، واستولينا على دار
الملك ببلدِهم^(٣) . فَأَنْزَلْنَا مِنْهَا أَخَايْثَ كَانَ الْأَشْقِيَاءُ مُخْلَفُوهُمْ بِهَا ، من أَخْلَاف
لا يزال تطأ إِبْشَارهم الحدود ، وتأنف من استكفائهم اليهود ، وانشألت علينا
البلاد ، وشَمَّرَ الضَّاغِيَةُ ذَيْلُهُ عَنِ الْجِهَاتِ ، وراجع الإسلام رَمَقٌ^(٤) الْحَيَاةِ ، وَحَثَّنَا
السَّيْرَ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ فَرَّ عَنْهَا الشَّقِيُّ الْغَاصِبُ . بِشَوْكَةٍ بَغِيهِ ، التي أمدَّتْهُ
فِي الْغَيِّ ، وَأَجْرَكَهُ عَلَى حُرْمَةِ اللَّهِ ، وَقَصْدَ دَارِ قَشْتَالَةِ ، بِكُلِّ مَاصَانَتٍ الْحَقَاقِ
مِنْ ذَخِيرَةٍ ، [وَحَجَبَتْ الْأُمُهَاءَ مِنْ خَرْزَةِ ثَمِينَةٍ]^(٥) يَتَوَعَّدُونَ الْمُسْلِمِينَ بِإِدَالَةِ
الْكُفْرِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَاقْتِيَادَ جِيُوشِ الصُّلْبَانِ ، وَشَدَّ الْحِيَازِمَ إِلَى تَبْدِيلِ الْأَرْضِ
غَيْرِ الْأَرْضِ ، وَسَوِّمَ الدِّينَ ، وَطَمَسَ مَعَالِمَ الْحَقِّ ، كِيَادَا لِرَسُولِ اللَّهِ فِي أُمَّتِهِ ،
وَمَنَاصِبَةً [لَهُ]^(٦) فِي حَنِيفِيَّتِهِ ، وَتَبْدِيلَا لِنِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا . وَلِمَعْرُوفِ الْحَقِّ نُكْرًا ،
أَصْبَحَ^(٧) لَهُ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ الرُّضْفِ ، يَرْتَقِبُونَ إِطْلَالَ الْكَرِيهَةِ ، وَسَقُوطَ الظُّلَّةِ ،

(١) وخارطناهم (هكذا في ج والمملكية) معناها وبكىنا بكاء شديداً .

(٢) وثبنا بالتشديد معناها ، أكرمناهم وأقلناهم من الذلة .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و«المملكية» . وفي «ج» ببلادهم .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«المملكية» (إلى) والأولى أرجح للسياق .

(٥) هذه العبارة واردة في «ج» و«المملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (لله) ، وفي «المملكية» (لرسول الله) مرة أخرى . والتصويب أنسب للسياق

(٧) وردت في «ج» (أصبح) والتصويب من «المملكية» .

وعودة السكرة ، وعُقبى المعركة ، والله من ورائهم محيط ، وبما يعملون محيط ،
 ولداء للمستضعفين من المؤمنين مجيب ، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض
 قريب . ولم نُقدم [مذ] ^(١) حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره ،
 نناشده العهد ، ونطرى له الوفاء ، ونناجزه إلى الحق ، ونقوده إلى حُسن التلطف ،
 إلى الذي نشاء من الأمن ، نخسم الداء ، واجتث الأعداء ، وناصح الإسلام وهو
 أهدأ عدوه ، وحزَم الدين ، وهو المعطل ^(٢) من أدوايه ، وصارت صغرى عناية الله
 بنا ، التي كانت المظمى ، واندرجت أولاهها في الأخرى ، وأنت ركايبُ اليمَن
 واليسين ، تترى ، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع سدى ولا هباء عبثاً ،
 وأن له فينا خبيثةً غيب ، وسرُّ عناية ، يبلغنا إياها ، ويطوِّقنا طوقها ، لامانع
 لعطايه ، ولا مُعدِّد لآلايه ، له الحمد ملء أرضه وسمايه .

فمن اضطردت له هذه العجايب ، فحملته ^(٣) عوايق الاستقامة مزيةً جيوب
 التقوى ، كيف لا يتمنى ، ويدين لله بمناصحته ، ويحذر عناد الله بمخالفته ، ويخشى
 هاقبة أمره ، إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . فقللنا
 أظفار المطالبة [وأغضينا عن البقية] ^(٤) وسوَّغنا من كشف وجهه في حرِّبنا نعمة
 الإبقاء ، وأقطعنا رَحِم من قطع طاعتنا بجانب الصفح ، وأذررنا لكثير ممن شجَّ
 عنا ولو بالكلمة الطيبة جورة ^(٥) الرزق ، ووهنا ما وجب لنا من الحق ، ودنا له
 بكظم الغيظ ، وعمرنا الرُتب بأربابها ، وجردنا الألقاب بعد خرابها ، وقبضنا

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة وبإثباتها يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت محرفة في «ج» (المفضل) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فحمله) . والتصويب أنسب للمعنى .

(٤) وردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وأغضينا على البقية) . وفي «ج» (وأغضينا طرف

التبعية) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة والمقصود بها (الجرابة) .

الجباية مُحَمَّلَةٌ كَتَدَّ العادة ، مقودة بزمام الرُّفق . ممسوحاً عَظْفُهَا بِكَفٍّ^(١) الطواغية .
فبَلَّنا صَدَأَ الجيش المَمَطُول بالأمانى ، المَعْلَل بالكذب ، المُسْتخدَم فى الذبُّ عن
مُجَاهِم الفَحشاء ، ومراقِد العَهْر ، ودارينا الأعداء ، وحسَمنا الداء ، وظَهَرَ أمر الله
وهم كارهون . إلا أن تلك الشَّرِذمة الخبيثة ، أَبَقَتْ جِرائِمِ نِفاق ، رَكِبَها النَحْجار
النَّدَر ، وَبَذَرَ بِها حَصِيدُ الشرِّ ، وَأَخْلَطُوا الحَقايِب الأَمينة مِن ساء ظَنه ، وَخَبَثُ
فكره ، وَظَن أن العَقاب لا يَفْلِتُهُ ، والحق لا يَذَرُهُ ، والسياسة لا تَحْفِزُهُ ، فدَبَت
عقاربُهُمْ ، وتَدَارَتْ طُوافُهُمْ ، وتَأَبَّتْ^(٢) فسادُهُمْ ، فدَبَرُوا أَمراً تَبَرَّه الله تَتَبيراً ،
وَأَوْسَعَهُ خَزِياً وَبَيْلاً ، وَجَعَلُوا يَرْتادُونَ مِن أَذْيال القِراية ، مَنْ استَخْلَصَهُ الشَّيْطان
وَأَصْحَبَهُ الخِلْجان ، مَنْ لا يَصْلِحُ^(٣) لشيءٍ مِنَ الوظائف ، ولا يَسْتَقِلُّ بِبعض الكُف .
فخرَكُوا مِنْهُم زاهِق^(٤) زمانه ، مِنْ شرِّ الدَّوابِّ الذين لا يَسْمَعُونَ ، فَأَجْرَهُم رَسَنه ،
وتَوَقَّف^(٥) وقفة العين بين الورد والصدر . بِخِلال ما أَطاعنا الله طَلَعَ نَيْتِه . فعا جَلَمنا
بالتبُّض ، واستودعنا مَحْفِداً بِبعض الأطباق البعيدة ، والأجباب^(٦) العميقة ،
فخرَج أَمْرَهُمْ ، وخافُوا أن نَحْترِش السعايات ، صباب مكرهم ، وتَتَبِع نفاقهم ، فَأَقْدَمُوا
إِقْدام العير على الأسد ، استعجالاً للحين ، وَرَجَعاً لِحُكْم الخِيار ، وإِقْداما على التى هى
أَشَدُّ ، تولى كِبَرها ، وكشف وجهه فى معصيتها الخبيث البركى^(٧) حِلَف التهور
والخرق ، المموه بالبسالة وهو الكَذُوب النُّكُوثُ القُلُوب ، تَحْمِلنا هَفوتَه ، وَتَعَمِّدنا

(١) وردت فى المخطوطين (الكف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» و «الملكية» (وتبات) . والأولى انسب

الاساق .

(٣) وردت فى «ج» و «الملكية» (يصح) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى «ج» و «الملكية» وفى الزيتونة (زهو) والأولى أرجح .

(٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (ووقف) .

(٦) وردت فى «ج» (والأجبال) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) البركى . وقد سبق أن عرفنا بصاحب هذا الاسم .

بالعمى قديماً وحديثاً زلته ، وأعرضنا فيه عن النصيحة ، وأبقينا له حكم الولاية ،
 وأنسا من نقرته ، وتعافنا عن غرته ، وسوَّغنا الجرائم التي سبقت ، والجراير
 التي سلفت ، من إفساد العهد وأسر المسامين ، والافتيات على الشرع ، والصدوع
 بدعوى الجاهلية ، فلم يفده . إلا بطراً ، ولم يزد إلا مكرراً ، والخير في غير أهله
 يستحيل شراً ، والنفع ينقلب ضرراً . والتفت عليه طائفة من الخلائق ^(١) بنو غرون
 قرية الجبل والمشامة . وأذنب بيت الإديار ، ونفاية الشُّرَّار ، عرك جراثيم مكان
 ميرهم البائس . ابن بطرون ^(٢) . الضعيف المنة السقيط الهمة ، الخامل التفصيل
 والجنة . وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخيب سعيهم ، فافتحموا البلد صبيحة
 يهنفون بالناس أن قد طرقت حمامهم ، وأن العدو قد ذكَّهمهم ، ملُتفتين يرون أنهم في
 أذيالهم ، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم ، وسُرعانهم ترهقهم ، كأنهم سقطوا من السماء ،
 نواروا من بين الحصباء . ثم جالوا في أزقة البلد يتذفون في الصَّفاح نار الجباحب ^(٣)
 وكهناً فوق الصخر المرصوف ، وخوضاً في الماء غير المرهوف . ثم قصدوا دار الشيخ
 البائس م بن أحمد بن نصر ، نفاية البيت ، وذردى القوم ، ممسوخ ^(٤) الشكل ، قبيح اللُغ
 ماهر الكُتُور . لإدمان المعاورة ، مزنون ^(٥) بالمعاورة والرَّبت على الكبرة ساقط
 الهمة . عديم الدين والحشمة . مُنتَمَت ^(٦) في البخل والهلع ، إلى أقصى درجات
 الحنة . مثل في السكنب والغميمة ، معيب ^(٧) المثانة . لا يُرق بوله ، ولا يجف
 سائمه ^(٨) . فاستخرجوه مبيهاً في الخلافة . منصوباً بأعلى كرسى الإمامة ، مدعوماً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الخلاف) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ابن بطون .

(٣) وردت في «ج» . أي ما تظاير من شرر النار في الهواء من تصادم حجارة أو نحو ذلك .

(٤) وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» وفي «الملكية» (من شيوخ) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» . وفي «ج» (موقون) . والمزنون ، الحقون البول .

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (منتجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (عيب) وفي «الملكية» معيب .

(٨) في «ج» (سلسلة) والتصويب من «الزيتونة» .

بالأيدي لكونه قلقاً لا يثبت على العِصْوَرة . مخناراً لحماية البَيْضَة . والعدل في الأمة ،
مُعْتَمِداً للذب عن الحنيفية السَّخَّة ، وصعدوا به إلى رُبُوعِ بِازَاءِ قَلْعَتِنَا ، مُتَمَتِّعاً بِبَابِ
الْبِنُودِ (١) ، مُسْتَمْتِدِداً إِلَى الرِّبْضِ . مَطْلَاً عَلَى دَارِ الْمَلِكِ ، قَدْ أَقَامَ لَهُ وَسَمَ الْوِزَارَةَ ابْنُ
مَطْرُونِ (٢) السَّكَارَى ، السَّكْسِجُ الدُّووبُ بِرَسْمِ الْمَسُومَةِ ، الْحَرْدُ ، الْمُهَيْنُ الْحُجَّةُ ،
فَخِلْ (٣) طَاحُونَةُ الْغَدْرِ ، وَقِدْرُ السُّوقِ وَالْحَيَاةِ . وَالْيَهُودِيُّ الشَّكْلُ وَالنَّحْلُ ،
وَقَرَعَتْ حَوْلَهُ طَبُولُ الْأَعْرَاسِ ، إِشَادَةً بِخُمُولِ أَمْرِهِ ، وَاسْتِهْجَانِ آلَتِهِ . وَنُشِرَتْ
عَلَيْهِ رَايَةٌ فَالَ رَأْيُهَا ، وَخَابَ سَعْيُهَا ، وَدَارَتْ بِهِ زِعْنِفَةٌ مِنْ طِفَامٍ مِنْ لَا يُعْمَلُ وَلَا
يَزِيدُ الْمَكَا وَالصَّغِيرُ مِنْ حِيلِهِ ، وَأَنْبَثَ فِي سَكِّ الْبَلَدِ مُنَادِيَهُ ، وَهَتَفَ أَوْلِيَاءَهُ
بَاطِلُهُ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . وَانْتَجَزَوْا مَوَاعِيدَ الشَّيْطَانِ فَأَخْلَفَتْ ، وَدَعَوْا سَحَاسِيرَ الْغُرُورِ
فَصُمَّتْ ، وَقَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ فَصَلَدَتْ وَمَا أَوَارَتْ . وَلَحِينَ شَعَرْنَا بِالْحَادِثَةِ ،
وَنَظَرْنَا إِلَى مَرَجِ النَّاسِ ، وَاتَّصَلْنَا بِنَارِجِ الْخِلَافِ ، وَجَبَّهَرْنَا الْخُلَعَانَ . اسْتَعْنَا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا
عَلَيْهِ ، وَفَوَّضْنَا أَمْرَنَا إِلَى خَيْرِ النَّاصِرِينَ ، وَقَلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ،
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ، وَاسْتَرْكَبْنَا الْجَنْدَ . وَأَذَعْنَا خَبَرَ الْعِظَاءِ ، وَأَطْلَقْنَا بِرِيحِ الْجِهَادِ ،
وَنَقَّرْنَا الْجِلَادَ ، وَمَلَأْنَا الْأَكُفَّ بِالسَّلَاحِ ، وَعَمَّرْنَا الْأَبْرَاجَ بِالرِّجَالِ . وَقَرَعْنَا طَبُولَ
الْمَلِكِ ، وَنَشَرْنَا أَلْوِيَةَ الْحَقِّ ، وَاسْتَظْهَرْنَا [بِمَخَالِصَةِ الْأَمْرَاءِ] (٤) أَوْلِيَاءَ الدَّعْوَةِ ،
وَخَاطَبْنَا فُقَيْهَ الرِّبْضِ ، نَخْبِرُ نَخْبِرَهُ ، وَنُسَبِّرُ غَوْرَهُ ، فَأَلْفَيْنَاهُ مَتَوَارِيًا فِي وَكْرِهِ ،
مُرْعِيَا عَلَى دِينِهِ ، مُشَفِّقًا مِنَ الْإِخْطَارِ بِرُمَّةٍ ، مُشِيرًا بِكُمَّةٍ . وَتَفَقَّدْنَا الْبَلَدَ ، فَلَمْ تَرْتَبْ
بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ . فَلَمَّا كَمَلْتَ الْبَيْعَةَ . وَقُحِّمْتَ الْجَمْلَةَ ، أَنْهَدْنَا الْجَيْشَ ، وَلِيَ أَمْرَنَا ،

(١) هو أحد أبواب غرناطة القديمة . وقد سبق التعريف به .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» ابن بكرون .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (بل) . ونعتقد أن الأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الملكية» (بمخالصة الأمر) . والأولى أنسب للسياق .

الذى اتخذناه ظهيراً ، واستنبطناه مشيراً ، والتزمناه جليساً وصهيراً^(١) . ولم ندخر عنه محلاً أثيراً ، الشيخ الأجل ، أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبى زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو ، مُهد الرعب بقدمه ، والسعد فى خدمتنا بخدمه ، فى جيش كفيف الجمل ، سابع العُدَّة ، مُزاح^(٢) العِلَّة ، وافر النَّاشِيَّة ، أخذ بباب الرِّبْض وشُعابه ، ولفَّ عليه أطنابه ، وشرع إليه أمله . ولم يكن إلا كلاً ولا . حتى داسه بالسَّنابك ، وتخلَّنه بجرِّ العوالى ، وبجرى السوابق ، وهو الحِمى الذى لا يُتوعد ، والمجدُّ الذى لا يغرُب ، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السُّلْم ، واستظلاله بظلال العافية ، لَحُثَّ^(٣) الفاقرة ، ووقعت به الرِّزِيَّة^(٤) . وفر الأعداء لأول وهلة ، وأسلموا شقيهم أذلَّ من وتَد فى قاع ، وسُلَّحفة فى أعلى يقاع ، فتقبَّض عليه ، وأخذت الخليلُ أعقاب الغدرة أشياعه ، وقيد إلينا يرُسف فى قيد المهزم ، ثعلبان مكيدة ، وشكبة ضلال ومُظَنَّة فضيحة ، وأضحوكة سمر . فتضرع بين أيدينا ، وأخذته الملامة ، وعلاه^(٥) الخزي ، وألَّ إلى المُطَبِّق ، حتى نستدعى حكم الله فى جرِّمه ، ونقتضى الفتيا فى جريته ، ونختار فى أقسام ما عرضه الوحى من قتلته . وهدأت النائرة ، والحمد لله من يومها ، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها ، فالحمد لله الذى أتم نوره ولو كره الكافرون « إن هؤلاء مُتَبَرِّ ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون » . وماذا رايهم منّا ، أصغر الله مُنْقَلَبهم ، وأخزى مَرَدَّهم ، واستأصل فُلُككم . أولاً يقتبى أمر وارثه . ثم عوده إلينا طواعية ، ثم رفعنا وطأة العدو وحربه ، ومددنا ظلال

(١) هكذا فى «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت بحرفه فى «ج» (وسهيرا) .

(٢) وردت فى «ج» (قداح) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (المرتبة) وفى «الملكية» (المرتبة) .

والأولى متفقة مع السياق .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» و«الملكية» (وجلاه) والأولى أنسب

للسياق .

الأم من دفعة ، وأنفأنا^(١) رَمَقِ الثُّغُورَ، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمته ،
وبلوا من حَيْطَتِهِ^(٢) وتسوَّغاً من هدنه ، وانسجبت فوق آمالم وحريمهم من عِمَّة .
وأظهر الله علينا من نعمة . ربنا أنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا ، وعاملنا بدخلتنا فيهم ، وإن
كنا أردنا لجماعتهم شراً ، وفي دينهم إغماضاً ، وعن العدل فيهم عدولاً ، فعاملنا
بحسب ما تبلوه من عقيدنا^(٣) ، واستكشفه من خبيثتنا ، وإن كنت تعلم صحة
مناصحتنا لسوادهم ؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم ، ورعى^(٤) صلاحهم ،
وتكيف^(٥) آمالم ، فصل لنا عادة صُمتك فيهم ، ومسلنا طاعتهم ، واهد بنا
جماعتهم ، وارفع بنظرنا إطاعتهم ، يا أرحم الراحمين .

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حُسن العفو ، وأستقر على التقى هي أركى ، وظهر
لنا لا تخاف بالله دوركا ولا تخشى ، وأن سبيل الحق أنجبى ومحجَّة أحجى ،
خاطبنا كم نجلو^(٦) نعم الله قبلنا^(٧) عليكم ، ونُشيد بتقوى الله بنا ديك ، وعنايته
لدينا ولديكم ، ونهذى طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتباراً ،
فزجوا الله وقاراً ، وتريدوا يقيناً واستبصاراً ، وتصفوا العين من اختار لكم
اختياراً . وهو حسبنا ولم الوكيل ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . كتب
في كذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صح هذا

(١) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (حيطه) . والأولى

أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عقدنا) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (دروم) والمؤدى واحد .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلف) . والأولى أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بجلو) وهو تحريف .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (قبلكم) .

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبع مائة

اقتضى نظر الحزم ، ورأى الاجتهاد للإسلام ، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين ، فعظم الأثر ، وشهرُ الذكر ، واكتسحت المشية ، وألحم السيف . وكان ثغر بُرْغَة ^(١) ، الفائزةُ به يدُ الكفرة ، لهذه السنين القريبة ، قد أحمُ القلوب ، وشغل النفوس ، وأضاق الصدور ، لانبثات ^(٢) مدينة رُنْدَة ، بحيث لا يخلص الطَّيف ، ولا تبلغ الرسالة من الطَّير وغيرها إلى ناحية العدو ^(٣) . فوقع العمل على قصده ، واستعانة الله عليه ، واستنْفَر لِمنازلته أهل الجيات الغربية من مالقة ورندة ، وما بينهما ، ويسر الله في فتحه ، بعد قتال شديد ، وحرب عظيمة ^(٤) ، وجهاد شهير ، واستولى المسلمون عليه ، فامتلات أيديهم أثاثاً وسلاحاً ورياشاً وآلة ، وطهرت للحين مساجده ، وزينت بكلمة الله مشاهنه [وأنست بالمؤمنين معاهده] ^(٥) ورُتبت فيه الحماة والرماة ، والفرسان الحكمة ، واتصلت بفتحة الأيدي ، وارتفعت العوايق ، وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السبل ، والحمد لله . وتوجَّهت بفتح الرسايل ، وعظمت المنن الجلائل ، وفر العدو لهذا العهد عن حصن السهلة ، من حصون الحفرة اللوَيْشِيَّة ، وسدَّ الطريق الماثلة ، وذلك كله في العشر الأوسط ^(٦) لشعبان من هذا العام . ثم أجلب ^(٧) المسلمون في رُنْدَة في أخرياته

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة «بغرة» . وهو تحريف . وبرغة بالإسبانية Burgo ، وحي تقع شرق رندة .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (لانتباب) . وبالتصويب يستقيم المعنى . والانبثات معناها الانقطاع .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (وابه من الاعانة مسلما بها للاستباحة) وقد رأينا الإغضاء منها نظرا لاضطرابها وغموضها .

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (عظيم) . فاقضى التصويب .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (الأول) .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . ومعناها احتشدوا .

وقصدوا^(١) [باغة وجيرة^(٢)] فاستنزلوا أهلها ، وافتتحوها ، فعظمت النعمة ، واطرد الفتح ، واتسعت الجهة .

وكانت مما خوطبت به [الجهة المرينية^(٣)] من إملأى :

المقام الذى نبشره بالفتح ونحييه ، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه ؛ ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهضه من أغصان [الزهور ونجنيه^(٤)] ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه ، وإعانتهم أهم ما يعنيه . مقام محل أحنينا الذى نعظم قدره ، ونلتزم برّه . ونعلم سرّه فى مساهمة المسلمين وجهره ؛ السلطان الكذا ، الذى أبقاه [الله^(٥)] فى عمل الجهاد ونيتة ، متكفلة بنشر كلمة الله طويته ، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته . معظّم جلاله : ومجزل ثنايه ، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادى واعتنايه . أيد الله أمره ، وأعز نصره . سلام [كريم^(٦)] عليكم ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ، واصل سبب الفتوح ، ومجزل مواهب النصر الممنوح . ومؤيد الفية القليلة بالملايكة والروح : والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ، الآتى بنور الهدى بين الوضوح . الداعى من قبوله ورصواؤه إلى المنهل المورود والباب المفتوح ، والرضا

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) ورد مكانها فى «ج» (باغة وعارجير) وفى «الملكية» (باغة وعار واجره) وفى «الزيتونة» (باعش وعار وجيره) . وهذا كله تحريف شديد . والصحيح ما أثبتناه وهو (باغة وجيرة) . وهما حصنان يقعان بين رندة ومالقة . وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة السلطان الفنى بالله فى شعبان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . (راجع كتابى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتتصرين (الطبعة الثالثة) ص ١٤٨ ..

(٣) المقصود هنا بالجهة المرينية هو بلاط فاس . وكان ملك المغرب يومئذ هو السلطان أبو زيان محمد حفيد السلطان أبي الحسن المرىنى ، وقد حكم من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٦٨ هـ .

(٤) وردت فى «ج» (الظهور ونجنيه) . والتصويب من «الملكية» ..

(٥) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

عن الله وأصحابه . أسود الشروح . وحماة^(١) الشروح ، والمقتفين نهجه في جهاد
 عدو الله بالعين القارئة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالعرز الرفيع الصروح
 فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سُبُوح المواهب ، ووضوح المذاهب ،
 وعزة الجانِب ، وظفرة السكتايب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله
 واكفة السحايب ، كفيلة بذيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف ،
 ويجعل الشهيد دليلاً على الغائب . وإلى هذا وصل الله لعزائكم ، وحرس أخوازكم
 وعمّر بالحقيقة من أُمّراد مجازنا ومجازكم . فإننا بادونا تعريفكم بما فتح الله علينا من
 الثغر العزيز على الإسلام ، العايد رزؤه الفادح على عبادة الأصنام ، وكلب الغارات ،
 وممكن حياة المضمرات ، ومخيف الطريق السابلة ، والمسارح الآهلة ، حصن برُغّة^(٢)
 ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه ، وتطهر من دنس الكفار [وأنيرت
 مثنته]^(٣) بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار ، وعجلنا^(٤) ذلك على حين وضعت
 الحرب فيه أوزارها ، ووفت الأوتار أوبلاها^(٥) ، فسار الكتاب إليكم ، وأجير
 الأجر لم يجف عرقه ، وعذر الاستعجال لاجبة طرقة . ولما عدنا إلى حضرتنا ، بعد
 ما حصناه وعمّرناه ، وأجزلنا نظر^(٦) الحزم له وفرقناه . لم تكد البنود لمسرة فتحه
 أن تعاد إلى أما كن صونها ، مرتبة عادة الله في عونها ، حتى طرقت الأنباء السارة
 بتوالى الصنع وانفراده بتشفيح أفراده ، وذلك أن أهل رُندة حرسها الله ، نافسوا
 جيرانهم من أهل مالقة ، كان الله لجميعهم ، وتولى شكر صديقهم ، فيما كان من امتيازهم

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (حملة) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (حصن أشر) . ولكن من الواضح هنا أنه يقصد حصن
 (برغّة) الذي افتتح في هذه الغزوة . أما حصن أشر فقد افتتح في الغزوة التالية حسبما يحى .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وإنارة مآذنته) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وجعلنا) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (أوتارها) . والتصويب من «الملكية» .

(٦) وردت في «ج» (نصر) . والتصويب من «الملكية» .

بحصن برغة ، الجار المصائب لها ، فحميت همهم السنية ، وهانت في الله موارد المنية .
وتضافر العمل والنية . وظهر نجاح المقاصد الدينية في إتاحة الفتوح الحنية ، فوجهوا
نحو حصن وحبر^(١) ، وهو الداين صحر^(٢) المدينة ونحرها . والعدو الذي لا يتر عن
ضرها ، والحية الذكر التي هي مروان^(٣) أمرها ، ففتحوه بعون الله وقوته . وتهنؤوا
بعده سلوك الطريق ، وإشاعة الريق ، ومراصد الحرس . ومجأؤ الجرس ، وأنصفوا ،
وانصرفوا إلى حصن باغة ، من مشاهد تلك الحفرة^(٤) ، فناشبهوه القتال . وأذاقوه
الوبال ، وفوقوا إليه الثبال ، ففتحة الله فتحاً هيناً . لم تفت فيه للمسلمين نفس
ولا تطرق لنصر التيسير لبس ، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتوالية ، والمنن
المتقدمة والنالية . وأعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرقة^(٥) المراقب ، والطبول إلى
قرعها عملاً من الإشارة بالواجب ، وشكرنا الله على اتصال المواهب ، ووضوح
المذاهب ، وخطبنا مقامكم الذي نرى الصنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده ،
ويُعتد في الحرب والسلم بمجده ، علماً بأن هذه المسرات ، نصيبكم منها النصيب
الأوفى ، وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى . ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكليات ،
التي تفتت كبد العدو تنالها ، وتروع أحوازه وما يليها ، ولا بد له من امتعاض
يروم به صرع المعرّة ، ويأبى الله أن ذلك يأتي بالكثرة ، والله يجعلها محركات
لخفته المرقوب ، وحينه المجلوب ، ويحقق حق^(٦) القلوب ، في نُصرة المطلوب ،
عرفناكم بما تريدون عملاً^(٧) بواجب برؤكم ، ومعرفةً بقدركم . وما يتزايد نعرفكم
به ، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه والسلام .

(١) هكذا ورد اسمه في «ج» . وفي «الزيتونة» (وصبر) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وحير) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (مراوات) .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخرقة) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (المشرقة) والأول أرجح .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (علما) والأول أرجح .

الغزاة إلى حصن أشير^(١)

وفي أوائل شهر رمضان بعده - عمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشير . وهو قُفل^(٢) الثغر الذي فضّه الطاغية ، وسورها الذي فرغه^(٣) الكفر . وجارحه المخلّق على البلاد . والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد . فتأذن الله برد مُغتصبه ، والشفا من وَصْبِهِ ، وأحاط به وناصبه الحرب ، ففتحة الله على يده عَنَوَةٌ . على سمو ذروته ، وبعد صيته وشهرته ، واختيار^(٤) الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله ، فاز بمزية الحمد فيها السلطان ، لمباشرته إياها بنفسه ، وحمل كلّها فوق كاهله ، واتقاد ما أخذ من الحمية بتحريضه . ثم لما كان بعد الفتح من [استخلاص القَصْبَةِ]^(٥) وسدّ ثُلُمِها بيده ، ومصابرة جو القيظ عامة يومه ، فحاز ذكراً جميلاً وحلّ من القلوب محلاً أثيراً ، ورحل منها ، بعد أن أسكن بها من الفرسان وابطة مُخَيَّرَةٍ ، ومن الرُّمّة بُحْمَةً ، وتخلّف سلاحاً وعدّة ، فكان الفتح على المسلمين . في هذا المعقل العزيز عليهم جليلاً ، والمنّ من الله جزيلاً ، والصنع كثيراً ، وصدوت المخاطبة للمغرب بذلك : على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى .

الغزاة المعملة إلى أطريرة

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، كانت الحركة إلى مدينة أطريرة^(٦)

(١) وردت في كل من «ج» و «الزيتونة» (آش) . وهو تحريف . وحصن أشير يقع على مقربة من أطريرة شرق إشبيلية . وقد وقع غزو أطريرة عقب ذلك حسبما يحكى . واستولى المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله على حصن أشير في رمضان سنة ٧٦٧ هـ وقاموا بتحصينه . (٢) في الزيتونة (قبل) .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (اختبار) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٥) وردت مكان هذه العبارة في «ج» (مواساة الفعل) . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (مواسات الفتح) . وهي عبارات لا معنى لها . وبالعبارة الموضوعة يستقيم المعنى والسياق .

(٦) أطريرة وبالإسبانية Utrera هي مدينة صغيرة تقع جنوب شرق إشبيلية ، وشرق نهر الوادي الكبير .

بنت إشبيلية . و بلدة تلك الناحية الآمنة . مهاد الهدنة البعيدة عن العُمرمة . حرك إليها بعدُ المدى ، وآثرها بمحض الردى ، من بين بلاد العدا . ما أسلف به أهلها المسلمين ، من قتل أسراهم في العام قبله . فنازلها السلطان أول رمضان . وناشبهها الحرب واستباح المدينة وربضها عنوة . ولجأ أهلها إلى قصبها المنيع . ذات الأبراج المشيدة ، وأخذ القتال بمُخَنَقِهِمْ ، وأعان الزحام على استنزاهم ، فاستنزوا على حكم المسلمين ، فيما يناهز خمسة ، بما لم يتقدمه عهد ، ولا اكتحلت به في هذه المدة عين . ولا تلقته عنها أذن ، وامتلات أيدي المسلمين ، بما لم يعلمه إلا الله ، من شقى الغنائم ، وأنواع الفوايد ، واقتسم الناس السبى رُغْمًا على الأكفال والظهور ، وتقديرا بقدر الرجال ، وحملا فوق الظهور للفرسان . وعمرانا للسروج والأعضاء بالصبيبة ، وبرز الناس إلى ملاقة^(١) السلطان . في هول من العز شهير من الفخر ، وبعيد من الصيت ، قرّت له أعينهم ، وقعد لبيعتهم أياما تباعا ، ولا بهم البلاد هدايا وتحننا والحمد لله [وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي^(٢) .

الغزاة إلى فتح جيّان

وفي آخر محرم من عام تسعة^(٣) وستين وسبعمائة ، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيّان ، إحدى دور الملك ، ومدن المعمود ، وكرسیة^(٤) الإمارة ، ولوان المدن الشهيرة ، افتتحها الله عنوة ، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والسلاح ، ومكّنهم من قتل المُقاتلة . وسبي الذرية ، وتخريب الديار ، ومحو الآثار ، واستنساف النعم ، وقطع الأشجار . وهذا الفتح

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (قفول) . والأولى أنسب السياق .

(٢) هذه الجملة واردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في «الزيتونة» (سبعة) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

خارق . تعالى أن يحيط به النظم والنثر ، فذكره أطير ، وفخره أشهر . وصدرت في ذلك المخاطبة من إملأني إلى ملك المغرب . وأصاب الخلق عقب القفول في هذه الغزاة . مرض وافد ، فشا في الناس كافة ، وكانت عاقبته السلامة ؛ وتدارك الله باخلفه . فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء ، ومواقف الإطراء . إلى شغل عن ذلك ^(١) .

الغزاة إلى [مدينة] ^(٢) أبدة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام ، كان الغزو إلى مدينة أبدة ، واحتل بظاها جيش المسلمين ، وأبلى السلطان في قتالها ، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أهبة . واستعدت بما في الوُسع والقوة ، وكانت ^(٣) الحرب بها مشهورة . وافتتحها المسلمون فاتهبوها ، وأعقوا مساكنها العظيمة البناء ، وكنايسها العجيبة المرأى ، وألصقوا أسوارها بالترى ، ورأوا من سعة ساحتها ، وبُعد أقطارها ، وضخامة بناها ، ما يسكن لب الخبر فيه المرأى ، ويبدد الأفكار ، ويحير النهى . والله الحمد على آلايه التي لا تحصى . وقفل المسلمون عنها ، وقد أخربوها ، بحيث لا تعمُر وباعها ، ولا تأتلف حجورها وجوعها . وصدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشائي بما نصه :

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة ، بطره بن أدفونش بن هيراندة بن شائجه ، وهو الذي تهبأ به الكثير من الصنع للمسلمين ، بمزاحمة أخيه أندويق ^(٤)

(١) وردت بعد ذلك في «ج» العبارة الآتية (العدو إلى مدينة أبدة) . وهي عبارة لا محل لها هنا .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وكان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) سبق أن أوضحنا أن هذا الاسم يقصد به الدوق هنري دي ترانستارا الأخ غير الشرعي الملك بيدرو الثالث (بطره) ملك قشتالة .

في الملك وتضييقه عليه ، [وحياز سبعة]^(١) من كبار أصحابه ، وأهل ملته إليه ،
وافتقار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين ، وإجلابهم على من آثر طاعته ضده ،
فانهزم بظاهر حصن مُنْتِيل ، ومعه عدد من فرسان المسلمين ، ولجأ إلى الحصن
على غير أهبة ولا استعداد ، فأخذ أخوه الذي هزمه بمُخَنَّقَه ، وأدار على الحصن
البناء ، وفرّ جيشُ المحصور ، فاجتمع فُلُه بأحواز أْبْدَة ، وراسلوا المسلمين في مظهرتهم
على استنقاذهم ، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك . ووقع الاستنفار والاحتشاد
حرصاً على تخليصه ، ليسبب بقاءه بقاء الفتنة تستأصل الكفر ، وتشغل^(٢) بعض
العدو ببعضه .

وفي أثناء هذه المحاولة تباطن^(٣) الحائض المحصور بمن معه ، وبعد عليه الخلاص
من ورطته ، ومساهمة المسلمين إياه في محنته ، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته ،
فداخل بعض أمراء أخيه وظُهرائه ، بمن يباشر حصاره ، وكان قومساً شهيراً من
المدد الذي ظاهره . من أهل إفريقية ، ووعدته بكل ما يطمع من مال ومهد ، وتوفية
عهد . فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة . ولما نزل إليه : سجنه ومن لحق به من
الأدلاء [وأولى الحرّة بالأرض]^(٤) وأمسكه ، وقد طير الخبر إلى أخيه ، فأقبل
في شزيمة من خواصه وخُدّامه ، فهجم عليه وقتله ، وأوسع العفو من [كان]^(٥)
محصوراً معه ، وطير إلى البلاد برأسه ، وأوغر الثّين^(٦) في جُثته ، ولبس ثياب

(١) وردت في الزيتونة (وحياز من السبعة) وفي «الملكية» (وحياز من أسفه) . وفي
«ج» (من أسط) . وبالنسبة يستقيم السياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاث (واستغل . واشتغل) فاقضى التصويب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) ورد مكانها في «الزيتونة» (وهو) وفي «الملكية» (من هو) . والتصويب أنسب

السياق .

(٦) وردت في «ج» (واوغر تبر) وفي «الزيتونة» (وادغر تبين) وفي «الملكية» (واوغر تبين)

والتصويب يستقيم السياق .

الحزن من أجله . وإن كان معترفاً بالصواب في قتله . وخاطب البلاد التي كانت
 [على] ^(١) مثل الجرم من طاعة ، الجاهر ^(٢) بظاهرة المسلمين . وما جرّ ذلك من
 افتتاح بلادهم ، وتخريب كنياسهم ، والإتيان على نعمهم ، فأجابته ضربة ، واتفقت
 على طاعته ، فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة . واجتمعت
 كلمة النصارى ، ووقع ارتفاع شتاتهم ، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين ، وشاع
 استدعائهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه ^(٣) ، وعدو الأشبونة ،
 والعدو الثقيل الوطاة بإفرائسية . وقد كان الله جل جلاله ، ألهم أهل البصائر النظر
 في العواقب ، والفكر فيما بعد اليوم أعمل . ووقع لى إذن السلطان ، المئلى بينى
 وبين النصارى ، فى مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد ، فأثرت عليه
 بالاحتراز من قومه ، والتفطن لمساكيد من يحطّب فى حبلى أخيه ، وأرسته اتخاذ
 معقل يحرز ولده وذخيرته ، ويكون له به الخيار على دهره ^(٤) ، واستظهرت ^(٥) له
 على ذلك بالحكايات المتداولة ، والتواريخ المعروفة ، لتتصل الفتنة بأرضهم . فقبل
 الإشارة وشكر النصيحة ، واختار لذلك مدينة قرمونة ، المختصة بالجوار المكسب ،
 من دار ملئكم إشبيلية ، فشيّد هضابها ، وحصّن أسوارها ، وملاها بالمخازن طعاماً
 وعدّة ، واستكثر من الآلات ، واستظهر عليها بالنقات ، ونقل إليها المال والذخيرة ،
 وسجن بها رهان أكابر إشبيلية ، وأسرى المسلمين ، وبالع فى ذلك ، فيما لا غاية
 وراءه ولا مطمع ، ولا ينصرف إلى مصرعه الذى دناه القدر إليه ، حتى تركها عدّة
 خلفه ، وأودع بها ولده وأهله ، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهذنة ^(٦)

(١) هذه الكلمة لازمة لاستقامة السياق .

(٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة (الجدير) . والتصويب أرجح .

(٣) هى مدينة برشونة عاصمة مملكة أراجون وقتئذ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . وفى «الزيتونة» (ظهره) .

(٥) وردت فى المخطوطات الثلاثة (استطرت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وردت فى «ج» وفى «الملكية» (مصدنة) والأولى

أنسب للسياق .

خضه، ولا يُقر أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالنحل على شهده، ولجأوا إلى المسلمين، فبَغَضَ عليهم الكثرة والفتح بقاء هذا الشَّيْءِ، المُعْترض في حُلْمِهِ، وأهمه تغيير أمره، وجمعهم به المسمون لأجله. وأظهروا لمن انحاز بقرمونة. الامتساک بعده، فعظم الخرق، وأظهر الله نُجْحَ الحيلة. وصدق [بها] ^(١) المخيلة، وتفتر الأمر. وتحدث ^(٢) نار ذلك الإرجاف. واشتغل الطاغية بقرمونة، بخلال ماخوطب به صاحب الأرض الكبيرة ^(٣)، فطمعه في المظاهرة. وتحطَّب له مُلْكُ قشتالة. وعقد السلم مع صاحب برطغال ^(٤)، والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم. وخرجت عليهم الخوارج. فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة. وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أحوازها. وجعل الخصاص مُوجَّهَةً قَرْمُونَةَ. وانصرف إلى سدِّ الفتوق التي عليه بلطف الحيلة. ببواطن أرضه وأحشاء عمالته، وصار في مُلْكِهِ أشغل من ذات النّحيين. [فساغ الرِّيقُ] ^(٥). وأمكن العُذر، واتهمز الغرّة. واستدّرت الحركة ^(٦). فكانت إلى حصن مُنتيل والحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبع مائة. ثم إلى ثغر رُوطة. ففتحها الله [عن] ^(٧) جَهد كبير، واتصل به حصن زَمْرَة ^(٨). فأمن الإسلام عادية العدو بملك الناحية، وكبس أهل رُنْدَة. بإيعاز من السلطان إليها. وإلى من بالجبل. جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشتور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضاً.

(١) الزيادة من الزيتونة.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخمد). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) الأرض الكبيرة هي فرنسا.

(٤) هكذا وردت في «ج»، وفي «الملكية» و «الزيتونة» (يرتقال).

(٥) واردة في «ج» و «الملكية»، وساقطة في «الزيتونة».

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (الحركات) والتصويب أنسب السياق.

(٧) الزيادة من «الزيتونة».

(٨) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (حصن مرة).

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء ، باب الأندلس . وبكرُ الفتح الأول ، فكانت الحركة إليها شهر ذى الحجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصه :

معاشر المسامين المجاهدين . وأولى الكفاية عن ذوى الأعذار من القاعدين .
أعلى الله بعلوأيديكم كلمة الدين . وجعلكم في سبيل الأجر والفخر من الزاهدين .
إعدادوا رحمكم الله . أن الإيلاء بالأندلس . ساكن دار . والجزيرة الخضراء بابه ،
ومبعد مغار ، والجزيرة الخضراء ركبته . فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث
أسبابه . ونفرتة على أعدائه وأعداء الله أحبابه . ولم يشك العدو الكافر الذى
استباحها ، وطمس بظلمة الكفر صباحها^(١) . على أثر اغتصابها . واسوداد الوجوه
المؤمنة لمصابها ، وتبديل محاربها ، وعلوق أصله الخبيث في طيب ثرائها ، أن صريع
الدين الخفيف بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يفوم . بعد أن فرى الخلقوم .
وأن الباقي رفق يذهب . وقد سُدَّ إلى التدارك المذهب . لولا أن الله دفع الفارقة
ووقاها . وحفظ المسكنة^(٢) واستبقاها . وإن كان الجبل^(٣) عصمه الله نعم البقية .
وبمكانه حقت النقية ، فحسبك من مصراع باب بُعِثَ بثانيه ، ومضايق جوار حيل
بينه وبين أمانيه . والآن يا عباد الله قد أمكنكم الاتهاز ، فلا تُضيّعوا الفرصة ،
وفتر المُنْحَق فلا [تسوِّغه غُصَّة]^(٤) . وأعمروا البواطن بحميّة الأحرار ،
وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار . وانظروا للعون من الذرارى والأبكار ،
والنشأة الصغار ، زُغِب الحواصل فى الأكوار ، والدين المنتشر بهذه الأقطار ،

(١) وردت في المخطوطات الثلاث (صاحبها) وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح أو جبل طارق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (تسوها) .

واعملوا للعواقب، تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضامير، يُبَيِّنْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَمَلَكُمْ،
فَاعْذَرِ مَنْ سَلَّمَ فِي بَابِ وَكْرِهِ. وماذا ينتظر من أذعن السكينة عدوه ومكره. من
هذه الفُرْضة، دخل الإسلام ثرُوع أسوده. ومن هذه الجهة طلع [الفتح الأول] (١)
تُخَفِّقُ بُنُودَهُ، ومنها تقترج الغير الغريب. إذا رامت الجواز وفُودَهُ، فيبصر
بها صافآت والدليل يقوده. الباب المسدود يعباد الله فافتحوه، وَجْهُ النَّصْرِ تَجَلَّى
يعباد الله فالحُوه، الداء المضال يعباد الله فاستأصروه، حَبَلُ اللَّهِ يَارِجَالِ اللَّهِ قَدْ
انقطع فصلوه. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تُخْتَبَرُ الْهَمَمُ الْعَالِيَةُ،
في مثلها تُشْهِرُ (٢) العقائد الوثيقة، وتُدَسُّ الْأَحْبَاسُ الْعَرِيقَةُ، فنضّر الله وجهه من
نظر إلى قلبه، وقد امتلأته (٣) حِجَّةُ الدِّينِ، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا
مُتَهَكِّمُ الْجَبِينِ.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار السكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي
الذي أوفدك (٤) من خصوص الرّحمات وأجزلت، وبكل نبي (٥) رُكِعَ لوجهك
السكرام وسجد، وبكل ولى [سده من إمدادك كما وجد] (٦). ألا ما ردّدت
علينا ضالّتنا الشاردة، وهنأتنا بفتحها [من] (٧) نعمك الواردة، يامُسْجِلَ الْمَأْرَبِ
العسرة، ياجابر القلوب المنكسرة، يا ولى الأمة الغريبة، يامنزل الآيات القريبة،
اجعل لنا من ملايكة نصرك مدداً، وانجز لنا من تمام نُورِكَ الْحَقِّ موعداً. ربنا
آتينا من لدنك رحمةً، وهْيُيُّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْداً.

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الملكية» (الفتوح الأولى).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» و «الملكية» (تشعر) وهو تحريف.

(٣) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ووردت في الملكية (أملته).

(٤) وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و (فدت). والتصويب أرجح.

(٥) هكذا في «ج». وفي الملكية (ولى).

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الملكية» و «الزيتونة».

(٧) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

فوقع الانفعال ، وانتشرت الحمية ، وجُهزت الأساطيل . وكانت مُنازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وعاطاها المسلمون الحرب ، فدُخلت البنية^(١) وهي المدينة الملاصقة لها عنوة ، قتل بها من الفرسان الدائرة عدّة ، وصُرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى . فرأوا من أمر الله ، ما لا طاقة لهم به ، وخذلهم الله جلّ جلاله ، على منّة الأسوار [وبعد مهاوى الأغوار ، وكثرة العدّة والمدد]^(٢) . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، السعيد على المسلمين ، في العيد^(٣) والسرور ، [برّد الدين]^(٤) . والله الحمد على آلايه ، وتوالى نعمه وإرغام أعدايه .

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة ، انعمَل الحركة إلى أخواز إشبيلية دار الملك ، وحل الشوكة الحادة ، وبها نايب سلطان النصارى ، في الجمع الخشين من أنجاد فرسانهم ، وقد عظم التضيق ببلدة قَرْمُونَة ، المنفردة بالانترزاء على ملك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة^(٥) ، ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات . فسكن الانتقال قُدُماً إلى مدينة مُرْشَانَة^(٦) [وقد أحرقوا بها]^(٧) . وبها العدّة والعديد من الفرسان الصناديد . ففتحها الله سبحانه ، إلا

(١) البنية وبالإسبانية La Pena هي بلدة صغير تقع على المحيط غربي مدينة الجزيرة الخضراء وشمال مدينة طريف .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (العيدين) .

(٤) هاتان الكلمتان واردتان فقط في «ج» .

(٥) أشونة وبالإسبانية Osona بلدة تقع جنوب شرق إشبيلية ، على مقربة من شرق مدينة مورور .

(٦) مرشنة وبالإسبانية Marchena بلدة تقع جنوب شرق قرمونة وإشبيلية ، وشمال مورور .

(٧) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وقد أحدث إبنها) . وهو فيما يبدو تحريف . وبالتصريب يستقيم السياق .

الْقَصْبَةُ ، واستولى المسلمون فيها ، وفي جارتها . من الدواب والآلات على ما [لا] (١) يأخذه الحضر . وقتل الكثير من مقاتلتها . وعمَّ جميعها العدم والإحراق ، ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ، ما ثقله أظفر (٢) . راكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة ، وانحطاط الأسعار . وأوجب الغلاء في أرض السكفار ، وقفل والحمد لله في عزٍّ وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النشيط (٣) ، الميمون الطلوع والجمية

المقترن بالعافية . منقولا من تهليل نشأته المباركة . وحِرَز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الإثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قُلْتُ ، ووافقه من التاريخ الأعجمي [رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين] (٤) لتاريخ الصفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيودا وبطليموس ، أن يكون الطالع بـ برج (٥) القمر ، لاسنيلاه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الإثنين المذكورة . والطالع من بُرج الثنبلة ، خمس عشرة درجة . وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظهور) .

(٣) وردت في «ج» . و «الملكية» (النشيط) ونعتقد أن كلمة (النشيط) ومعناها النشأة

أنسب للتوافق .

(٤) إن هذا التاريخ الميلادي الذي يورده ابن الخطيب (وهو ١٣٧٧ م مقابل

التاريخ الهجري لمولد السلطان الفتي بالله وهو (٢٢ جمادى الثانية سنة ٨٧٣٩) ينطوى على خطأ

حسابي بين . والحقيقة أن مقابل التاريخ الهجري المذكور بالميلادي هو ٢١ يناير سنة ١٣٣٨ م .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (بدرج) والأولى أرجح .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس

ابن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري

من ولد سعد بن عبادة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن سليمان
ابن حارثة [بن خليفة] (١) بن ثعلبة (٢) بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هميّس بن يمين بن نبت بن إسماعيل
ابن إبراهيم ، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم . أمير المسلمين بالأندلس ودائلاها
[وخدمة النصارى بها] (٣) ، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله .

أوليته

وقد اشتهر عند كثير من عني بالأخبار أن هذا البيت النصري من ذرية
سعد بن عبادة سيد الخزرج . وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصنف الناس
في اتصال نسبهم [بقيس بن سعد بن عبادة] (٣) غير ما تصنيف . وأقوى ما ذكر ،
قول الرازي : دخل الأندلس [من ذرية] (٤) سعد بن عبادة رجلا ، نزل أحدها
أرض تاكرونا (٥) [ونزل] (٦) الآخر قرية من قرى (٧) سقرسطونة (٨) تعرف بقرية

- (١) وردت هذه الزيادة في «ج» وفي «الملكية» ، ولم ترد في «الزيتونة» .
- (٢) وردت هذه العبارة في «ج» فقط . (وخدم . . الخ) وهي تؤدي معناها بتصحيح الكلمة الأولى . والخدمة هي الحلقة المحكمة .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (سعد بن عبادة) .
- (٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .
- (٥) يطلق هذا الاسم أحيانا على منطقة رندة . (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
- (٧) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (نظر) .
- (٨) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (سقرسطة) . ونحن نعتقد أنه لا مجال هنا لذكر سقرسطة التي تقع بعيدا في الشمال ، وما يلي يدل على أن سقرسطونة — وإن لم نثر على مكان هذا الاسم — إنما يقصد بها مكان يقع في منطقة جيان .

الخزرج ، وتشأ بأحواز أرجونة^(١) من كنبانية^(٢) قرطبة ، أطيّب البلاد مدرة ، وأوفرها غلة ، وهو بلد ، وبلد جدّه ، في ظل نعمة ، وعلاج فلاحه ، وبين يدي نعمة وشهرة ، بحيث اقتضى ذلك ، أن يفيض شريان الرياسة ، وانطوت أفكاره على نيل الإجارة [وراه مرتادوا كفاء الدول أهلاً : فقدحوا رغبته ، وأثاروا طمعه]^(٣) .

حدث شيخنا الكاتب الشاعر . محمد بن محمد بن عبد الله اللوشى اليخصي ، وقد أخبرني [أنه كان يوجد] بمدينة جيان [رجل] من أهل المالية^(٤) ، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل . على عادة أولى المالية . وكان له من أهل الثغور ، من ارتباط الخيل ، والتنافس في إعداد القوة . وشهرت هذه الفرس . في تلك الناحية ، وبعث الطاغية ملك الروم في ابتاعها ، فعلمت بها كف هذا الرجل ، وآثر بها نفسه ، وازداد غبطة بها لديه ، ورأى في النوم قايلًا يقول له : سر إلى أرجونة ، بفرسك ، وابحث عن رجل اسمه كذا ، وصفته^(٥) كذا . فاعطه إياها^(٦) ، فإنه سيملك جيانًا وسواها . ينتفع بها عقيبك . وأرجى الأمر ، فعرض عليه ثانية ، وحث في ذلك في الثالثة ، فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها . فقال له المخبر ، وكان يعرف بابن يعيش ، فوصفه له ، فتوجه الفقيه إلى أرجونة ، ونزل بها ، وتسوّم به ،

(١) أرجونة بلدة من بلاد ولاية جيان تقع ، في جنوب غربي أندوجر ، على مقربة من نهج الوادي الكبير وبالإسبانية Arjona .

(٢) يقصد بكلمة كنبانية هنا ، السهل المنبسط من الأرض ، وهي مأخوذة من كلمة Campo الإسبانية ومعناها الحقل .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ج» .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المالية) والأولى أنسب للسياق . ويبدو أنه قد شطبت من هذه العبارة بعض كلمات . وربما كان تركيب العبارة كلها كالاتي (وقد أخبرني أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالية) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (ونعته) والمؤدى واحد .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (إياه) . فلزم التصويب .

وأقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه . فذكر غرضه فيه ، وأظهر العجز عن الثمن ، وسأل منه تأخير بعضه ، فأسمعه ، واشترى منه الفرس ، بمال له خطر . فلما كُمل له القصد . طلب منه انطولة به في المسجد من الحصن ، وخرج له عن الأمر . وأعطاه بيعته ، وصرف عليه الثمن . واستسكتمه السلطان خيفة على نفسه وانصرف إلى بلده .

قال : وفي العام بعده ، دعا إلى نفسه بأرجونة ، وتملك مدينة جيان . واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فقيل إن بعض العمال ، أساء معاملته في حق تخزني ، وقيل غير ذلك .

حاله

هذا الرجل كان آية من آيات الله في السداجة والسلامة والجمهورية ، جدياً ، ثغرياً شهماً ، أيدياً ، عظيم التجلد ، رافضاً للدعة والراحة ، مؤثراً للتشف ، والاجترأ باليسير ، متبلفاً بالقليل ، بعيداً عن التصنع ، جافٍ السلاح ، شديد العزم ، مرهوب الإقدام ، عظيم التشمير ، [مُقرِياً لضيئه] ^(١) . مُصطنعاً لأهل بيته ، فظلاً في طلب حظه ، مُحِياً لقرابته وأقرانه وجيرانه . مباشراً للحروب بنفسه ، تتغالى الحكمة في سلاحه ، وزينة دُبُوره ^(٢) . يَخْصِف النعل ، ويلبس الخشن ، ويؤثر البداوة ، ويستشعر الجد في أموره . سعد بيوم الجمعة ، وكان فيه تملكه جيان ، ثم حضرة الملك غرناطة ، وقيل يوم قيامه ، شرع فيه الصدقة الجارية على ضُعفاء الحضرة ، ومنايهم إلى اليوم . وتملك مدينة إشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره ، وهو عام تسعة وعشرين وستمائة نحواً من ثلاثين يوماً . وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور ، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود .

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

ولما تم له القصد من تلك البَيْضَة ، والحصول على العَمَالِ ، بمباشرة للحسابات بنفسه ، فتوفر ماله ، وغُصَّتْ بالصامات خزائنه ، وعقد السِّلْم الكبير ، وتهناً أمره ، وأمكنه الاستعداد ، فأنعم^(١) الأهواء . وملاً^(٢) بطن الجبل المتصل بالقلعة حبُوباً مختلفة . وخزائن دَرَّةٍ وملاً وسلاحاً وارية^(٣) ظهراً . وكراً عاً . فوجد فائدة استعدادة ، ولجأ إلى ما أذخره من عتاده .

سـ سيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالمُدْوَة وإفريقية ، يَخُطُّب لهم زماناً يسيراً . وتوصل بسبب ذلك إلى أمدادٍ منهم وإعانة . [وتقبل ما]^(٤) افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد ، حاذياً حذو سميح ابن هُود ، للهِج العامة في وقته . بتقلد تلك الدعوة ، إلى أن نزع عن ذلك كله .

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً ، يومين في كل أسبوع . فترفع إليه الظالمات ، ويُشافِه طالب الحاجات ، وتنشده الشعراء . وتدخل إليه الوفود ، ويُشافِه أرباب النصاب في مجلس اختصَّ به أهل الحضرة ، وقضاة الجماعة . وأولى الرتب النبئية في الخدمة ، بقراءة أحاديث من الصحيحين ، ويختم بأعشار من القرآن . ثم يفتقل إلى مجلس خاص ، ينظر فيه في أموره^(٥) فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك . ويؤا كل بالعشِّيَّات خاصته من القراية ؛ ومن^(٦) يليهم من نُباه القوَّاد .

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور ، محمداً وليَّ عهده ، وأمير المسلمين على أثره ، والأميرين

(١) كذا في «ج» و «الزيتونة» . ومعناها هنا : سكن .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وملك) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وراية) والتصويب من «الملكية» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ومعناها هنا ، وقبل ذلك .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أمره) وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (ما) . والتصويب أرجح .

أبا سعيد فرج . وأبا الحجاج يوسف : توفيا على حياته : حسبما يتقرر بعد
إن شاء الله .

وزراء دولته

وزرله جماعة - الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد^(١) زعيم قاعدة
جيان : وهو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة : واستوزر على بن إبراهيم
الشيباني من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى الدّماء والوقار . واستوزر
الرئيس أبا عبد الله بن الرئيس أبي عبد الله الرّميمي . واستوزر الوزير أبا يحيى
ابن السكّاب من أهل حضرته . وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم .

كُتّابه

كتب له من الجلة جماعة - كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن على بن محمد
ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى : ولما توفى كتب عنه ولده ، أبو بكر بن محمد .
هؤلاء مشاهير كُتّابه . ومن المرءوسين^(٢) أعلام كآبي بكر بن خطاب وغيره .

قضاته

ولى له قضاء^(٣) الجماعة - القاضى العالم الشهير ، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن
ابن ربيع الأشعري ، من جلة أهل الأندلس فى كبر البيت ، وجلالة المنصب ،
وغزارة العلم . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل
ابن غالب الأنصارى الخرزجى . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(١) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (ابن صناديد) وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المدرسين) وهو تحريف .

(٣) وردت فى «ج» (قاضى) والتصويب من «الزيتونة» .

ابن عبد السلام التميمي . وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة ، وآخر قضية العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده [الفقيه] ^(١) القاضي الحسيب أبو عبد الله بن أضحى ، وبينه شهر ، [ولم تطل مدته] ^(٢) . وولى بعده آخر قضائه أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشيلي الملقب بالأشبرون .

الملوك على عهده

بمرا كُش المأمون إدريس ، مأمون الموحدين ، مُزاحماً بأبي زكريا يحيى ابن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجليل . ولما توفى المأمون ولى الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستمائة ، وولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى ، إلى أن قتله إدريس الوراق أبو دُبُوس في عام خمسة وستين . وولى بعده يسيراً بنو عامر بن علي بمرا كُش ^(٣) ، وتماقب منهم على عهده جِلَّة ، كالأمير عثمان وابنه كحو ، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق . واستمر الملك في أسنّ أملاكهم ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن تحيُّو إلى آخر أيامه .

وبتونس ، شبيهه يَغْمُرَاسن بن زيَّان أول ملوكهم ، وتقدمه أخوه أكبر منه برهة . ويَغْمُرَاسن [أول من] ^(٤) أثل الملك ، وحاز الذِّكر ، واستحق الشهرة . وبتونس ، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وخاطبه السلطان المترجم به ، والتمس رِفْدَه ، وقد حصل على إعانته ، وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله ، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (مراكش) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في «ج» وفي «الزيتونة» . وبإثباتها يستقيم السياق .

وبقشالة هِرَانْدَة^(١) بن أَلْمَنْشَة بن شَانْجِه الإِنْبَرَطُور . وهراندة هذا هو الذى ملك قرطبة وإشبيلية ، ولما هلك ولى بعده أَلْمَنْش^(٢) ولده ثلاثاً وثلاثين سنة ، واستمر مملكته مدة ولايته . وصدرًا من دولة ولده بعده .

وَبَرْغُون جَايْمِش ابن بَطْرُه ابن أَلْفُونش قُط بَرْجُلُونه . وجايمش هذا هو الذى ملك بَلَنْسِيَة^(٣) ، وصيرها دار مملكته^(٤) من يد أبى جميل زِيَّان ابن مَرْدَنِيش .

لمع من أخباره

قام ابن أبى خالد بدعوته بقرناطة ، كما ذكر فى اسمه ، ودعاه وهو بجِيَّان - فبادر إليها فى أخريات رمضان من عام خمس وثلاثين وستائة ، بعد أن بعث إليه المَلَأ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم . أبى بكر الكاتب ، وأبى جعفر التَّيْزولى .

قال ابن عَدَّار فى تاريخه ، أقبل ومازيه بفاخر ، ونزل عَشَى اليوم الذى وصل بخارج غَرْنَاطَة . على أن يدخلها من الغد ، ثم بداله فدخلها عند غروب الشمس ، نظراً للحزم .

(١) المقصود بهراندَة هنا ، هو فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون (١٢١٧ - ١٢٥٢ م) ، وهو الذى استولى على قرطبة فى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وإشبيلية سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ، واستولى كذلك على جِرَّان وغيرها من القواعد الأندلسية . وهو يعتبر من أعظم ملوك إسبانيا النصرانية . وقد أسبغت عليه سفة القداسة ، ولقب بفرناندو المقدس (سان فرناندو) .

(٢) هو أَلْفُونسو العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم El Sabio . حكم قشتالة عقب وفاة أبيه فرناندو فى سنة ١٢٥٢ ، واستمر فى حكمها حتى سنة ١٢٨٢ م ، ثم ثار عليه ولده سانشو وانزع منه العرش ، وتوفى مخلوعاً منبوذاً فى سنة ١٢٨٤ م .

(٣) جايمش المشار إليه هنا ، هو خايمى الأول ابن بيدرو الثانى ملك أراجون . تولى الملك بعد وفاة أبيه حدثاً فى سنة ١٢١٣ م . وهو الذى افتتح الجزائر الشرقية من أيدي المسلمين (١٢٣٢ م) . ثم افتتح ثغر بلنسية فى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ومرسية سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وتوفى بعد حكم طويل سنة ١٢٧٦ م . ويلقب بخايمى الفاتح .

(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الملكية» (سلطانه) . والمعنى واحد .

وحدث أبو محمد البسطي قال . عاينته يوم دخوله وعليه شاشية^(١) ملف مضلعة أكتافها مخرقة ، وعند ما نزل بباب جامع القصبة ، كان مؤذن المغرب في الخيعة ، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب . فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب ، وصلى بهم ، على هيئته تلك ، بفاتحة الكتاب . « وإذا جاء نصر الله والفتح » . والثانية بقل هو الله أحد . ثم وصل قصر باديس . والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستماية ، صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم ، الذي طاحت^(٢) في شروطه جيان . [وكان]^(٣) واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته ، المختص بمحصن بليش^(٤) على بريد من الحضرة . وكان الفتح عظيما . ثم حالفه الصنح بما يضييق المجال عن استيعابه . وفي حدود اثنين وستين وستماية [صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم]^(٥) . وعقد البيعة لولى عهده ، واستدعى القبائل للجهاد .

مولده

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأرجوثة ، عام الأرك^(٦) .

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (شاية) فلزم التصويب .
 (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (طاق) . والتصويب أنسب لاستقامة السياق .
 (٣) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» بليش .
 (٥) وردت هذه العبارة في «الملكية» فقط .
 (٦) وردت (الأركة) في «ج» و «الملكية» . وهو تحريف ظاهر . وقد وهم ابن الخطيب في ذكر تاريخ موقعة الأرك ، إذ ذكر أنه سنة ٥٩٥ هـ . والحقيقة أن معركة الأرك وقعت في سنة ٥٩١ هـ (١٩٥م) بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور ، والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ، وأحرز فيها الموحدون نصرهم الباهر . والأرك بالإسبانية Alarcos . وهي تقع على مقربة من مدينة (ثيوداد ريال) . وسرى فيما بعد أن هذا التاريخ سوف يصحح وذلك بتصحيح تاريخ مولد ابن الأحمر وهو سنة ٥٩١ هـ .

وفاته

في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستائة ، وَرَدَ عليه وقد سنّ . جملة من كُتِّبَ (١) الرُّعَايَم ، يقودون جيشاً من أتباعهم ، فبرز إلى لقاءهم بظاهر حَضْرَتِهِ ، ولما كَرَّ آيئاً إلى قصره . سقط ببعض طريقته ، وخامره خَصَرٌ ، [وهو] (٢) راكب ، وأردفه بعض مماليكه ، واسمه صابر الكبير ، وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية المذكورة ، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسَاحِلِ السَّبِيكة (٣) ، وعلى قبره اليوم منقوش :

« هذا قبر السلطان الأعلى ، عزَّ الإسلام . جمال الأنام ، فخر الليالي والأيام ، غياث الأئمة ، غيث الرحمة ، قطب الملة ، نور الشريعة ، حامى السنة ، سيف الحق ، كافل الخلق ، أسد الهيجاء ، رحام الأعداء . قوام الأمور ، ضابط الثغور ، كاسر الجيوش ، قانع الطغاة ، قاهر الكفرة والبغاة ، أمير المؤمنين (٤) ، علم المهتدين . قدوة المتقين ، عصمة الدين ، شرف الملوك والولاة ، الغالب بالله ، المجاهد في سبيل الله ، أمير المسلمين ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري ، رفعه الله إلى أعلى عليين ، وألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولد رضى الله عنه ، وأتاه رحمة من لدنه . عام أحد وتسعين وخمسمائة (٥) ، وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين [من رمضان

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) أثبتناها ليستقيم السياق .

(٣) هو السهل المنبسط الذي تشرف عليه الحمراء من الناحية الشرقية .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (المسلمين) ، وهو لقب

يقصد به هنا التكريم فقط . ويلاحظ كذلك أنه يرد لقب (أمير المسلمين) فيما بعد .

(٥) هذا هو التاريخ الحقيقي لمولد محمد بن الأحمر ، وليس ما ذكره ابن الخطيب من قبل

وهو سنة ٥٩٥ هـ . وهذا التاريخ الصحيح لمولد ابن الأحمر ، يوافق تاريخ موقعة الأرك .

عام خمسة وثلاثين^(١) وستاية ، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستاية ، فسبحان من لا يفنى سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، ولا ينقضى زمانه ، لا آله الا هو الرحمن الرحيم .

ومن جبه أخرى :

قبر الإمام الهمام الطاهر العلم	هذا محل العلى والمجد والكرم
ومن شيم علوية الشيم	لله ما ضم هذا اللحد من شرف
لا بأس عنثرة ولا ندى هرم	بالجود والبأس ما تحوى صفايحه
فخر الملوك الكريم الذات والشيم	مغنى الكرامة والرضوان يمهده
كالغيث فى مجد وكالغيث فى أجم	مئة أمه فى كلا يومى ندى ووغى
تقر بالحق فيها جملة الأمم	ما أثر تليت آثارها سوراً
تضيق عنه بلاد العرب والعجم	كأنه لم يسر فى محفل لجب
يفتر منها الهدى عن نغم مبسم	ولم يباد ^(٢) العدا منه ببادرة
لا تشرب الماء إلا من قليب دم	ولم يجهز لهم خيلاً ^(٣) مضرة
تأوى رعيته منه إلى حرّم	ولم يقم حكم عدل فى سياسته
وما حواه لدين الله من حرّم	من كان يجهل ما أولاه ^(٤) من نعم
أبدى وأوضح من نار على علم	فتلك آثاره فى كل مكرمة
سحائب الرحمة الوكّافة ^(٥) الدّيم	لا زال تهيم على قبر تضمّنه

(١) أضفنا هذه العبارة من عندنا ليستقيم السياق .

(٢) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (يقاد) والتصويب أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت فى «ج» وفى «الزيتونة» (جيشا) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت فى «ج» (لواه) . وهو تحريف .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» الواكفة ، وهو لا يستقيم مع الوزن .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن
أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المَعافري ، المنصور بن أبي عامر

مُعَظَّم الظَفَر ، وَخِذَن السَّعْد ، وَمَلَقَى عُيَيْبُ الْجَدِ . وَجَوْهُ دِيَّاحُ ^(١) الشَّهْرَةِ ،
وَدِيَّوَانُ فَنُونِ السِّيَاسَةِ ، وَحِجَابُ الدَّوْلَةِ الْعَبْشِيَّةِ ^(٢) ، فِي التَّخْوِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ ،
الْمَزْيِ ^(٣) بِالظَّرْفِ وَكَمَالِ السَّجِيَّةِ ، وَالْجِهَادِ الْعَظِيمِ ، الْعَرِيقِ ^(٤) فِي بَحْبُوحَةِ بِلَادِ
الْكَفَارِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أوليته

دَخَلَ جَدُّهُ عَبْدَ الْمَلِكِ الْأَنْدَلُسِيِّ مَعَ طَارِقِ [مَوْلَى] ^(٥) مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
فِي أَوَّلِ الدَّخَالِينَ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ لَهُ فِي فَتْحِهَا أَثَرٌ جَمِيلٌ . وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ
مَادِحُهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ :

وَكُلَّ عَدُوٍّ أَنْتَ تَهْزِمُ ^(٦) عَرْشُهُ وَكُلَّ فُتُوْحٍ عَنْكَ يُفْتَحُ بِأَيِّهَا
بِرَأْيِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ حَلَا فَمُتَحٌ قَرْطُبَةٌ وَاتِّهَابُهَا
وَنَزَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْجَرِيرَةَ الْخَضِرَاءَ لِأَوَّلِ الْفَتْحِ ، فَسَادَ أَهْلُهَا ، وَكَثُرَ عَقِبُهُ
بِهَا ، وَتَسَكَّرَتْ فِيهِمُ النَّبَاهَةُ ، وَجَاوَرُوا الْخُلَفَاءَ بِقَرْطُبَةٍ . وَكَانَ وَالِدُ مُحَمَّدٍ هَذَا ،

(١) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (رناج) وهو تحريف .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأموية) . والعشيرة من أوصاف الدولة
الأموية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمزى أى الفائق للامع .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (العريقة) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (تهدم) . والتصويب من «الزيتونة» .

من أهل الدين والعفاف والزهد في [الدنيا] ^(١) والقعود عن السلطان . سمع الحديث . وأدّى الفريضة . ومات منصرفاً عن الخلق بإطراب البس .

حاله

كان هذا الرجل بسكر الدهر . وفايدة الأيام . وبيضة العمر ، وفرد الخلق في اضطراب السعد ، وتملذ العاجل من الحظ . حازماً ، داهية ، شتملاً على أنظار السؤدد ، هويئاً ^(٢) إلى الأتقي ، وطموحاً ، سوساً حياً . مضطرباً للرجال ، جالِباً للأشراف ، مستميلاً ^(٣) للقلوب . مطبقاً للمفاصل ، مُزيجاً للعُمل . مستبصر في الاستبصار ، خاطباً جميل الذكر ، عظيم الصبر ، رحيب الذراع ، طاموح الطرف ، جشع السيف ، مُهادي جياذ العقاب والمثوبة ، مهيباً . جزلاً ، مُنكسف اللون ، مُضفر الكف ، آية الله جل جلاله في النصر على الأعداء ومصاحبة الظفر ^(٤) . وتوالى الصنع .

نباهته

قال المؤرخ ، سلك سبيل القضاء في أوليته ، مقتفياً آثار عمومته وخؤولته ، يطلب الحديث في حديثه ، وكتب منه كثيراً . ولقي الجلّة من رجاله ، ثم صحب الخليفة الحكم مُتَحَرِّزاً ^(٥) في رُمُته . وولى له الأعمال من القضاء والإمامة . ثم استكفاه ، فعُدل عن سبيله ، وصار في أهل الخدمة . ثم اختصّه بخدمة أم ولده هشام ، فزاد بخاصته لولي العهد ، عزاً ومكانةً من الدولة . فاحتاج الناس إليه . وغشوا بابه ، وبلغ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (هدياً) والأولى أنسب لسياق .

(٣) وردت في «ج» (مستلياً) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» الصفر . وفي «الزيتونة» السفر . والتصويب من «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» متخرجاً . وهو تحريف .

الغاية من أصحاب السلطان معه^(١)، إسعاف^٢، وكرم لقاء، وسبولة^٣ حجاب، وحسن أخلاق. فاستطار ذكره. وتمرّ بابيه، وساعده الجّد. ولما صار أمر المسادين إليه، فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة.

الثناء عليه

قال، وفي الدولة العامرية، وأعين محمد على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلفه^(٢) لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، والوقار، والجّد والهيبة، والعدل والأمن، وحب العارة، وتعمير المال، والضبط والرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب. من [غير] ^(٣) وهن في دينه، وصحة الباطن، وشرح كل فضل، وجلب كل ما يوجب عن المنصور فيه.

غزواته وظهوره على أعدائه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه، فيما يناهز خمسين غزوة، وفتح فيها البلاد، وخضد شوكة الكفر، وأذل الطواغيت [وفض مضاف الكفار] ^(٤)، وبلغ الأعماق، وضرب على العدو الضرايب، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه [وأتحمفه بآيئته] ^(٥) في سبيل الرغبة في جهنمه، فكانت أحظى عقابله، وأبرت في الدين والفضل على سائر أزواجه، وعقد اثني عشر بروزاً إلى تلقى ملوك الروم القادمين عليه [مُصْطَهَرِينَ بِالْخَاحِ سَيْفِهِ] ^(٦) منكبين على لثم سريره.

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٢) هكذا في «ج» وفي «الملحقة».

(٣) أنشأنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هذه العبارة واردة فقط في «ج». وساقطة في المخطوطين الآخرين.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأنشأنا بها) وهو تعبير غامض. وبالتصويب يتضح المعنى

ويستقيم السياق. والإشارة هنا إلى زرجة المنصور النافارية ابنة سانشو غرسية ملك نافار. وقد أعداها للمنصور زوجة له، فاعتنقت الإسلام، وسميت (عبدته)، وأنجب منها المنصور ولده عبد الرحمن المنلب بشنحول أى سانشو الصغير نسبة لجدّه ملك نافار. وكانت عبده أحظى نساء المنصور وأحبهم لديه.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في المخطوطين الآخرين.

شعره

ومما يؤثر من شعره :

وميتُ بنفسى هَوَلٌ كل عزيمة وخاطرتُ والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنانٌ مُشِعٌّ وأسمرُ خطي وأبيضُ باتر
ومن شيمتي أني على طالب أجود بما لا تقيده المصادر
وإني لزجاءُ الجيوش إلى الوغى أسردُ تلاقِيها أسودُ خوادِر
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة وكأنتُ حتى لم أجِد من أكاثر^(١)
وما شئتُ بنيانا ولكن زيادةً على ما بنى عبد الملِك وعامر
رفعنا العلى بالعوالى سياسةً^(٢) وأورثناها في القديم مُعافِر

وبلغ في مُلكه أقطار المغرب ، إلى حدود القبلة^(٣) ، وبمدينة فارس ، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار ، ونَهْد أوليك الملوك الكبار .

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان في الدولة العامية ، وقد مر ذكر المنصور ، قُومس الفرنجة بمدينة برشلونة : وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا ، وأوسعها ، وأوفرها من الاستعداد ، وما أوطى من الممالك والبلاد ، وفتح من القواعد ، وهُزم من الجيوش . وقفل المنصور عنها ، وهو أطمع الناس في استيصالها ، ثم خصَّهم بصايغة سنة خمس وسبعين ، وهي الثالثة عشر لغزواته ؛ وقد احتفل لذلك ،

(١) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (وفأخرت حتى لم أجِد من أفاخر) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (رفعنا العوالى بالعوالى مثلها) .

(٣) بلاد القبلة تقع في جنوب المغرب على مشارف الصحراء الكبرى شمال شرق موريتانيا ، وتسكنها قبائل ضهاجة الكبرى .

واستبلغ في التدمير . واستوفى أتم الأبهة . وأكل العُدَّة . فجعل طريقه على شرق الأندلس . لاستكمال ما هنالك من الأطعمة . فسلَّك طريق البيرة . إلى بسطة . إلى تدمير ؛ وهزم في هذه الغزوات بُريل ملك فرَنْجَة (١) ونازل مدينة برجاوتة ؛ فدخلها عَنُوة يوم الإثنين النصف من صفر . سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها .

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد البيرة . ما يحقّ دعوى من ادّعى دخول المعتمدين من (٢) أهل الأندلس (٣) لذلك العهد ؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة ، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر ؛ فضلا عن سائر الأصناف على ندارة هذا الصنف من الخدام ؛ بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم .

والذي صح أنه حضر ذلك ، أبو عبد الله محمد بن حسين الطائبي (٤) . أبو القاسم حسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف . أبو الوضّاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد . أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي (٥) . أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن اليمني . عمر بن المنجم البغدادي . أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي . عبدالعزيز بن الخطيب المحرود . أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى بن أبي طالب . مروان [بن عبد الحكم] (٦) بن عبد الرحمن . يحيى بن هذيل بن

(١) هو الكونت بوريل أمير إمارة قَطالونية وقت أن غزانا المنصور . ولم تكن قَطالونية قد تحولت بعد إلى ملكة أراجون .

(٢) وردت مكانها في المخطوطات الثلاثة كلمة (هل) . ونعتقد أنه بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة كلمة (أيالك) ، وهي كلمة لا محل لها هنا .

(٤) وردت معرفة في المخطوطات (الطليبي) . والصواب ما أثبتناه . وكان الطليبي من أثر

شعراء المنصور لديه . والطليبي نسبة إلى طينة من أرض الزاب بالمغرب .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة ، وإذا كانت الكلمة من الألقاب فهي خطأ وصحتها

(البغدادي) . وإن كانت وصفاً فهي صحيحة لأن أبا العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ، كان شاعراً ولغوياً في نفس الوقت .

(٦) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

عبد الملك بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاضى . ابن عمرو القرشى المروانى .
 على النقاش البغدادى . أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب . محمد بن إسماعيل الزبيدى
 صاحب المختصر فى اللغة . أحمد بن درّاج القسطلّى مُتَنَبِّى الأندلس . أبو الفرج
 مُنِيل بن مُنِيل الأشجعى . محمد بن عبد البصير . الوزير أحمد بن عبد الملك بن
 شهيد . محمد بن عبد الملك بن جَهْور^(١) . محمد بن الحسن القرشى من أهل
 المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هانى . طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنْد .
 محمد بن مُنَرَّف بن شُخَيْص سعيد بن عبد الله الشُّفْتَرِينِى . وليد بن مُسْلَمَة المرادى .
 أغلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . أحمد بن أبى غالب الرُّصَافِى .
 محمد بن مسعود البَلْخِى ، عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن بن أبى الفهد
 الإمبرى . أبو الحسن بن المضيء البَجَلِى الكاتب . عبد الملك بن سهل .
 الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيرى . قاسم بن محمد الجياني .
 قال المؤرخ ، هؤلاء [مَنْ]^(٢) حفظته منهم . وهم أكثر من أن يحصوا ،
 فعلى هذا يتبنى القياس فى ضخامة هذا الملك ، وانفساح هذا العز .

وفاته

توفى رحمه الله منصوراً من غزواته المسماه بقنالش والرّيد ، وقد دوّخ أقدار
 قشتالة ، ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة ، وقد
 عهد أن يُدفن^(٣) ببلد وفاته ، بعد وصية شهيرة صدوت عنه ، إلى المُظَفَّر ولده ،
 فدفن بمدينة سالم ، التى بناها فى نحر العدو من وادى الحجارة ، وبَقَصَرها . وقبره

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة (هجور) وهو تحريف . وآل جهور من بيوت الوزارة
 المشاهير .

(٢) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت مكانها فى المخطوطات كلمة (يعرف) . وحكمة التصويب ظاهرة .

معروف إلى اليوم . وكان قد اتخذ له من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد . وعاء
كبيرا بجديه رحمه الله . وكتب على قبره هذا الشعر :

آثاره تدبىك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله أبداً ولا يحى الثغور سواه

محمد بن عباد بن [محمد بن] ^(١) إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] ^(١) بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم ، خلى النسب

أوليته

دخل الأندلس جدّه عطف مع بلج بن بشر القشيري . من أشرف الطالعة
الباجية ، وهم من عرب محص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش
في آخر الجفار بين مضر والشام . ونزل عطف بقريه تعرف بيومين من إقليم
طشانة ^(٢) على ضفة النهر الأعظم ^(٣) من أرض إشبيلية . ولما هلك قريش ، ورث ^(٤)
السيادة إسماعيل بن قريش ، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ^(٥) ، يكنى
أبا الوليد . ولى الشرطة الوسطى هشام بن الحكم ، وخُذّعة الإمامة إلى صلاة
الجمعة . ثم خافه أبو القاسم المنفرد برياسة إشبيلية ، المتخف فيها بخُطط الوزارتين
والقضاء والمظالم . وعزّ جاهد ، وكثرت حاشيته ، وتمدّت ^(٦) غلمانه ، وأذعنّت

(١) نقلنا هذه الزيادة في النسبة من «الحلة السيرة» لابن الأثير (القاهرة ١٩٦٥) ج ٢ ص ٣٤

(٢) إقليم ، أو بلدة طشانة ، وبالإسبانية Tucina ، تقع شمال شرق إشبيلية ، وشمال غربي

قرموفة ، على مقربة من جنوبي نهر الوادي الكبير .

(٣) النهر الأعظم هو نهر الوادي الكبير .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، ملك ، والمؤدّى واحد .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» كلمة (والده) . ونعتقد أنها تحريف لكلمة (الدهاء) .

(٦) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (وتقدّمت) . والأولى أرجح .

له عُداته . ثم خلفه الأمير المعتضد ولده ، وكان خيراً حازماً ، شديد الرأي ، مَصْنُوعاً له في الأعداء ، فلما توفى ، نصير الأمر إلى ولده المترجم به ، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعته .

حاله

قالوا كلهم ، كان المعتمد ، رحمه الله ، فارساً شجاعاً . بطالاً مقداماً : شاعراً ماضياً ، مشكور السيرة في رعيته . وقال أبو نصر في قلائده ^(١) « وكان المعتمد على الله ملكاً قمع العدا ، وجمع بين البأس والندى . وطلع على الدنيا بدور هدى . لم يتعطل يوماً كفه ، ولا بنانه ، آونة يراعه . وآونة سنانهُ . وكانت أيامه مواسم ، وثغوره برّة بواسم » . لقبه أولاً الظّافر . ثم تلقب بالمعتمد . كلفاً بجاريته اعتماداً ، لما ملكها . لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها . لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زَيْدُون ^(٢) . وابن عَمَّار . وغيرهم .

أولاده المملكون

عبيد الله . يكنى أبا الحسن ، وهو الرشيد . وهو الذي لم يوافق أباه على استِصْراخ المرابطين . وعَرَضَ بزوال الملك عنهم ، فقال : أحبُّ إلى أن [أكون راعى] ^(٣) إبل بالعدوة من أن ألقى الله ، وقد حوَّلت الأندلس دار كفر . وكان قد ولاء عهده ، وبويع له بإشبيلية ، وهو المحمول معه إلى العدو . ثم الفتح . وهو الملقب بالأمون ، كان قد بويع له بقرطبة ، وهو المقتول بها . المحمل رأسه إلى

(١) هو كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد ابن زيدون كلمة (ابن خلدون) وهو خطأ تاريخي بين

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يكون لراعى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

محنة العدو المرباطين . المحاصرة لأبيه بإشبيلية ، ثم يزيد الرافي . وكان قد ولاء
رندة ، قتل لما ملكها اللمتونيون^(١) . ثم عبد الله . ويكنى أبا بكر . هؤلاء
الأربعة من جاريته اعتماد . السيدة الكبرى . والمدعوة بالرميكسية منسوبة إلى
مولاه رميك بن حجاج الذي ابتاعها منه المعتمد .

مُلَمَّتُهُ

لما تكالب أذفوناش^(٢) بن فردلان على الأندلس بعد أخذه مدينة طليطلة^(٣)
ضيق بالمعتمد ، وأجحف في الجزية ، التي كان يتقى بها على المسلمين عاديته ،
وعلى ذلك أقسم^(٤) أخذها وتجنّي عليه ، وطمع في البلاد ، فحكى بعض الإخباريين
أنه وجه إليه رسالة في آخر أمره لقبض تلك الضريبة ، مع قوم من رؤساء النصارى ،
ونزلوا خارج باب إشبيلية ، فوجه إليهم المال ، [مع بعض الوزراء ، فدخلوا على
اليهودى المذكور في خبايه ، وأخرجوا المال]^(٥) ، فقال لهم ، لا أخذتُ منه هذا
العيار ولا أخذت منه إلا ذهباً مشجراً^(٦) ، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلا أجفان البلاد
ونقل كلامه إلى المعتمد ، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ، ونكّل بهم ، وقتل
اليهودى بعد أن بذل في نفسه زنة جسمه ذهباً ، فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ،
ورأسله الطاغية في إطلاقهم ، فأبى إلا أن يخلى منه حصن الحدود ، فكان ذلك .

(١) اللمتونيون هم المرباطون ، نسبة إلى قبيلتهم البربرية المغربية «لمتونة» .

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أذفوناش) والتصويب من «الملكية» . وهو ألفونسو
السادس ملك قشتالة .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرطبة) وهو سهو تاريخي . والصواب ما أثبتناه . وقد
استولى ألفونسو السادس على طليطلة من ملكها القادر بن دى التون في سنة ٤٨٧ هـ (١٠٨٥ م) .
وكانت أول قاعدة أندلسية كبرى تسقط في أيدي النصارى .

(٤) وردت في «ج» . وفي «الملكية» (قسم) . ولم ترد في «الزيتونة» .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط في «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت (مشهراً) .

واستصرخ الممتونين، وأجاز البحر بنفسه وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة ألا يرفع عنه يده . وهاجت حفيظة المعتمد ، واجتهد في جواز المراكبين ، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية [في] وقعة الزلافة^(١) فإنه الذي أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه ، وشهر صبره ، وأصابته الجراح في وجهه ويده ، رحمه الله . وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّي :

وقالوا كفه جُرحت فقلنا أعاديه ثواقمها الجراح
وما لمرتد^(٢) الجراحة ما رأيت فتوهيها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس منها ففيها من [مجاريه أنسيح]^(٣)
[وقد صحت . وسحت بالأمانى وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبويعقوب فيها عقاباً لا يهاض له جناح
فقال له لك القيدح المعلى إذا ضربت بمشهدك القيداح]^(٤)

ولما اتصلت به الصيحة . بين يدي دخول المدينة ركب في أفراد من عبيده ، وعليه قميص يشف عن^(٥) بدنه ، والسيف منتضي بيده . ويمم باب الفرج^(٦) ، فقدم الداخلين ، فردهم على أعقابهم . وقتل فارساً منهم . فأنزعجوا أمامه . وخلفوا الباب . فأمر بإغلاقه . وسكنت الحال . وعاد إلى قصره . وفي ذلك يقول :

(١) وقعة الزلافة هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش المرابطة والأندلسية المتحدة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي عاهل المغرب والمعتمد بن عباد ، والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة . وانتهت بنصر المسلمين الباهر ، وسحق الجيوش النصرانية وذلك في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . ويقع مكان الموقعة وهو سهل الزلافة على مقربة من شمال شرق مدينة بطليوس .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . ووردت في «القلائد» (وما أثر) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (محاربه انتياح) . والتصويب من «القلائد» .

(٤) نقلنا هذه الأبيات الثلاثة من «القلائد» تكملة للقصيد (ص ١٣) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أرجح .

(٦) هو أحد أبواب إشبيلية الإسلامية ، وقد كان يقع جنوب المدينة على مقربة من القصر

[إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
 فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع]^(١)
 قد رمت يوم نزالهم ألا تحصني الدروع
 وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفع
 أجلي تأخر لم يكن بهوى ذئبي والخصوع
 ماسرت قط إلى القتل وكان من أمل الرجوع
 شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع]^(٢)

جوده

وأخبار جوده شهيرة، ومما يؤثر من ذلك، على استصحاب حال العز -
 ووفود^(٣) ذات اليد، وأدوات^(٤) الملك، غريب. والشاهد المقبول بقاء السجينة
 وصاحبة الخلق المسكية، مع الإقنار والإيسار، وتقلب الأطوار. وتعرض له الحصري
 القرموني^(٥) الضريح بخارج طنجة، وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال؛
 بأشعار ظاهرة المقت، غير لايقة بالوقت؛ ولم يكن بيده زعموا، غير ثلاثين ديناراً
 كانت بخفه، معدة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر
 طيها اعتذار عن نزرها، راغباً في قبول أمرها، فلم يراجعه الحصري بشيء عن
 ذلك، فكتب إليه :

(١) نقلنا هذين البيتين، وهما فاتحة القصيدة من الحلة السراء (ج ٢ ص ٦٥).
 (٢) هذا الشعر في المخطوطات الثلاثة ملء بالتحريف والتصحيح. وقد اكتفينا بنقل النص
 السليم عن الحلة السراء.
 (٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» و«الملكية» (وفود).
 (٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وأداة). وفي الملكية (وأداة).
 (٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الملكية». ووردت بحرفة في «الزيتونة» (القيرواني)
 والقرموني نسبة إلى مدينة قرمونة الواقعة شمال شرق إشبيلية.

قل لمن جمع العلم وما أحصى صوابه
كان في الشجرة تسعراً فانتظرنا جوابه
قد أتيناك فملاً جَلَب الشعر جوابه

حلله

رُفِعَ إليه صَدْرُ دولته شعر ، أغرى فيه ، بأبي الوليد بن زيدون ، وهو شهير ،
وتُخَيَّرُ^(١) له موقع وترصد حين ، وانتظر به مؤجره ، وهو :

يا أيها الملك [الأعز] ^(٢) الأعظم أقطع وريدَي كل باغ يُسَلِّمُ^(٣)
واحسم بسيفك^(٤) كل منافق يُبدى الجميل وضد ذلك يكتُم
لا تتركن للناس موضع شبهة وأحزم فمك [في العظام] ^(٥) يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى قولاً على مر الليالي يُعلم
لا يسلم الشرف الرفيع^(٦) من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ^(٧)
فوقع على الرقعة :

كذبت منكم صرخوا أو جمجموا الدِّينُ أمتن والسجّة أكرم
خنتم ورمت أن أخون وإنما حاولتم أن يستخف بلملم
وأردتم تضيق صدر لم يضيق والسمر في صدر^(٨) النحور تحطم

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) ساقطة في «ج» واردة في الزيتونة . ووردت مكانها في «القلائد» (العلی) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (يلم) ، وفي «القلائد» (ينم) .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بنفسك) . والتصويب من «القلائد» .

(٥) هذا ما ورد في «الزيتونة» وفي «القلائد» : وهو ساقط في «ج» .

(٦) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (الشریف) . وهو ما يخالف النص المعروف المتداول .

(٧) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات الخمسة فقط من القصيدة : وهي تقع في سبعة وعشرين

بيتاً ، وقد نشرت كاملة في «القلائد» (ص ١٤ و ١٥) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلائد» (نذر) .

وزحقتكم بمحالكم لمَجْرَبٍ ما زال يَثْبُتُ الْمُحَالُ فِيهِمْ زَمٌ
أَتَى رَجُوتُمْ غَدْرَ مَنْ جَرَّبْتُمْ منه الوفاء وظُلْمٌ من لا يظلم
أنا ذا كم لا السَّعَى ^(١) يَشْعُرُ غَرْسُهُ عندي ولا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُهْدَمُ
كُفُّوا وإلا فارقُبوا إلى بِلْشَةِ يَبْقَى ^(٢) السَّفِيهِ بِمَنَاهَا يَتَحَلَّمُ

توقيعه ونثره في البدئية

كتب مع الحمايم إلى ولده الرشيد عَقِبَ الفراغ من وقعة ^(٣) الزَّلَاقَةِ ^(٤) .

يا بني، ومن أبقاه الله وسلمه، ووقاه الأسواء وعصمه. وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه
كتبته، وقد أعزَّ الله الدين، وأظهر المسلمين، وفتح لهم على يدي مستدعيات الفتح
المبين، بما يسره الله في أمسه وسناه، وقدره سبحانه وقضاه، من هزيمة أذفونش
ابن فرذلند لعنه الله وأصله، وإن كان طاح للجحيم، ولا أعدمه وإن كان أهل
العيش الذميم، كما قنعه الخزي العظيم. وأتى القتل على أكثر رجاله وحماته،
واتصل النهب ساير اليوم، والليلة المتصلة به، بجميع محلاته، وجمع من رؤوسهم
بين يدي، من مشهورى رجالهم، ومن كورى أبطالهم، ولم يختار منهم إلا من شهر
وقرب، وامتلات الأيدي مما سلب ونهب. والذي لامرية فيه، أن الناجي منهم
قليل، والمفلت من سيوف الجزع والبعد قتيل ^(٥)، ولم يُصْنِى بفضل الله إلا جرح
أشوى، وحسن الحال عندنا والله وزكى، ولا يُشْغَلُ بذلك بال، ولا يُتَوَهَّمُ غير
الحال التي أشرت إليها حال، والأذفونش بن فرذلاند، إن لم يصبح تحت السيوف

(١) هكذا وردت في المخطوطات النادرة. ووردت مكانها في «القلائد» (البغى).

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «القلائد» (يلق). ونعتقد أن التصويب أرجح وأنسب للسياق.

(٣) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (غزوة).

(٤) سبق أن قدمنا تعريفاً موجزاً بموقعة الزلاقة (أنظر الهامش في ص ١١١).

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». ووردت في «الملكية» (قليل).

فسموت لا محالة كمدًا ، وإن كان لم تعلقه أسرار الحمام [فعدًا ، فإن برأسه طمرة
ولحام]^(١) . فإذا ورد كتابي هذا ، فمر بجمع الخاص والعام ، من أهل إشبيلية ،
وجيرانها الأقربين ، وأصفينائنا المحبين ، في المسجد الجامع . أعزهم الله . وليقرأ
عليهم فيه ، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم ، ويضيفوا شكرًا لله إلى صالح دُعائهم
[والحمد لله على ما صنع حقَّ حمده ، جلَّ الزيد لأمر حين ، إلا من عنده . والسلام]^(٢) .

تلفظه وظرفه

قال أبو بكر الداني^(٣) : سألتني في بعض الأيام عند قدومي عليه بأغيات ،
قاضياً حق نعمته ، مُستكثراً^(٤) من زيارته ، مُستمتعاً^(٥) برايق أدبه ، على حال
محنه ، عن كُتبي ، فأعلمته بذهابها في نهْب حضرته . وكنت قد جَلبتُ في سفرتي
تلك ، الأشعار الستة ، بشرح الأستاذ أبي الحجاج الشنتمرى الأعم ، وكانت
مستعارة ، فكتمتها عنه . ووُثِي إليه أحد الأصحاب . فحجل بكرمه وحسن شيمته ،
من الأخذ معي في ذكر ما كتمته ، فاستطرد إلى ذلك بغرض نبيل ، ونحافه
نحواً ، يعرُب عن الشرف الأصيل ، وأملَى عليّ في جملة ما كان يُمليه :

وكوا كب لم أذر قبل وجوها أن البـدور تدور في الأزار
نادمُها في جَنح ليل داس فأعرّنه مثلاً من الأنوار

(١) هكذا وردت. هذه العبارة في «ج». ووردت في «الزيتونة» (فعد برأس طرة ولحام) .
وكلتاها يشويها الغموض .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ج» ، في هامش الصفحة . وساقط في المخطوطين الآخرين .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ، من شعراء عصر الطوائف ،
اتصل ببلاط إشبيلية وغدا شاعر المعتمد الأثير لديه ، وقد نظم الكثير في مديحه . ولما ذهبت دونه
المعتمد ، وثني أسيراً إلى المغرب ، زاره أبو بكر في أغيات . وله في دولة المعتمد وأيامه ، وفي
محنه وأسرهِ قصائد كثيرة . وله في تاريخ الدولة العبادية كتاب عنوانه «نظم السلوك في مواعظ الملوك»

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مستكراً) والتصويب أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (متمتعاً) .

في وسط روضة نرجس كعيونها ما أشبه النوار بالنوا
 فإذا واصلنا الحديث حسبتني ألهو بملتقط لدرّ نشار
 فإذا اكتسحت برق^(١) تغير باسم سكبت جفوني أغزر الأملار
 حنر الملام وخيفة من جفوة تذر الصدور على شفير هار
 ترك الجوارى الآسات مذاهي وسولها ظفر بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد سرى إليه ، فأعلمته قصتها . فبسط العذر بفضله . وتناول الأمر . وقسم الأشعار . على ثلاثة من بنييه . ذوى خط رائع ، ونقل حسن . وأدب بارع . أخذوا في نسخها . وصرفوا الأصل لأجل قريب .

محتته

ولم يلبث أمير اللعنوفيين بعد جوازه إلى الأندلس ، وظهوره على طايفة^(٢) الروم ، أن فسده ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس ، وعزم على خلعهم . فأجاز من سبته العساكر ، وسرب الأمداد . وأخذ المعتمد بالعزم يحصن حصونه ، وأودع المعاقل عدته ، وقسم على مظان الامتناع ولده . وصمدت الجموع صمدة بنييه . ونازل الأمير سير إشبيلية ، دار المعتمد ، وحضرة ملكه . ونازل الأمير محمد بن الحاج قرطبة ، وبها المأمون ، ونزل جرور^(٣) من قواده زئدة ، وبها الراضي ابن المعتمد . واستمر الأمر ، واتصلت المحاصرة ، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها . فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة ، وقتل الراضي ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» برق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت أيضاً تحريفاً لكلمة (طاغية) .

والمؤدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرور) . والصواب ما أثبتناه .

وجلب رأسه فطيف به بمراى من أبيه . وكان دخول إشبيلية على المعتمد ، دخول
 القهر والغلبة . يوم الأحد لعشر بقين من رجب (١) . وشملت الغارة ، وادّخمت
 الدور ، وخرج ابن عباد فى شكته (٢) . وابنه مالك فى أمته ، معهما فقتل مالك
 الملقب بفخر الدولة ورهقت الخيل ، وكثر ، فدخل القصر ملقياً بيده . ولما جن الليل ،
 وجه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير . فحجب عنه ، ووكل بعض خدمه به ،
 وعاد إلى المعتمد فأخبره بالإعراض عنه . فأيقن بالهلكة . وودّع أهله وعلا
 البكاء ، وكثر الصراخ ، وخرج هو وابنه ، فأنزلا فى خباء حصين . ورُقبا بالحرس ،
 وأخرج الحرم من قصره ، وضم ما شتمل عليه . وأمر بالسكّيب إلى والده برئدة
 ففعل . ولما نزل ، واستوصلت ذخيرته سلا (٣) . وأجيز المعتمد البحر . ومن معه
 إلى المنجة ، فاستقرّ بها فى شعبان من العام . وفى هول (٤) البحر عليه فى هذا الحال ،
 يقول رحمه الله

لم أنسُ الموت يد نينى ويُقصينى	والموت كأنّ المنيّ يأتينى
أبصرتُ هوّلاً لو أن الدهر أبصره	لما خوفاً لأمر ليس بالشون
قد كنت ضائعاً بنفس لا أجود بها	فبعضتها باضطرار بيع مغبون
كم ليلة بت مطوياً على حرق	فى عسرٍ من عيون الدبر (٥) فى العين
فتلك أحسن أم ظلات به	فى ظلّ عزّة سلطان وتمكين
ولم يكن والذى تعنو الوجوه له	عريضاً مُهاناً ولا مالى بمخزون
وكم خلوت من الهيجا بمترك	والحرب تُرقل فى أثوابها الجون
يادبُّ إن لم تدع حالاً أسرُّ به	فهب لعبدك أجراً غير ممنون

(١) وردت فى «ج» بعد هذه الكلمة ، كلمة (الهب) ، ولا مكان لها فى السياق .

(٢) فى شكته أى فى سلاحه وعدته .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (سل) .

(٤) وردت فى «ج» و «الملكية» (هو - هوا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) وردت فى «ج» (الدير) . والتصويب من «الزيتونة» .

وجرى على مناته شيء يوم خروجهن، واضطرتهن الضيقة إلى معيشتهن من غزل أيديهن، وجرت عليه محن طال لها شجنه^(١) وأقعدته قيئده. إلى [أن]^(٢) نقل إلى أغمات وريكة^(٣)، وحلّ عنه الاعتقال. وأجرى عليه رزقه. تبلغ به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال ابن الصيرفي. وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة، وخلع أميرها عبد الله بن بلقين حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين: ولحق ابن عباد [وحليفه ابن مسلمة]^(٤) بخيل ورجل ورؤما وعدد، وحلّ ذلك من [ابن] عباد تضيماً لمسرة أمير المسلمين. وتحققاً^(٥) بموالاته، فدخل عليه، وهنيأه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد النماعية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استصفاء نعمة صاحبها، عوضاً عن الجزيرة الخضراء، وكان قد أشخصه معه، [فعرض بغيره]^(٦). فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية [كل منهما]^(٧) التخلّص من يده، والرجوع إلى بلده. فأعمل ابن عباد

(١) وردت في «ج» (سجنه). والتصويب من «الملكية».

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أغمات أو أغمات وريكة، هي بلدة قديمة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلو متراً من جنوب شرق مراكش، وكانت قبل إنشاء مراكش عاصمة للدولة المرابطية.

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة (وخليفة بن مسلمة). وهو تحريف. والصواب ما أثبتناه. وابن مسلمة هو المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس. ويعرف بنو الأفطس أيضاً ببني مسلمة باسم جددهم ومؤسس دولتهم عبد الله بن محمد بن مسلمة.

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وتحقوا). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت مكان هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة عبارة مضطربة مكررة (فعرض به فأعرض عنه بغيره: فأعرض به ما عرض عنه بغيره.. الخ). وهذا التصويب الموجز يستقيم المعنى والسياق.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كل واحد منهما).

الحيلة . فكتب ، يزعم ^(١) أنه وردت عليه تحثه من إشبيلية في اللحاق ، أنباء ^(٢) مهمة طرقت بتحريك العدو . واستأذن بها في الصدور ، فأخذ له ولخليفة ابن مسلمة ، فاستهزا ^(٣) الفرصة ، وابتدرا الرجعة . ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك رياسة أمره .

مولده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ووُلِّي سنة إحدى وستين . وخَلَعَ سنة أربع وثمانين .

وفاته

كانت وفاة المعتمد [على الله] ^(٤) بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد . وجزع عليها جزعاً ، أقرب ^(٥) سرعة لحاقه بها . ولما أحس بالمنية . رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تُكتب على قبره :

قبرُ الغريب سقاك الرَّاحُ الغادى حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
[بالحلم بالعلم بالنعى إذا اتصلت بالخصب أن أجذبوا بالرى للصادى]
بالناعم الضارب الرأى إذا اقتتلوا بالموث أحمر بالضرامة العادى
[بالدهر فى نغم بالبحر فى نغم بالبدر فى ظلم بالصدر فى النادى]
نعم هو الحق [فاجأتى على] ^(٦) قدر من السماء ووافانى لميعاد

(١) فى «ج» (زعم) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت فى «ج» (لأنباء) . فاقتضى التصويب .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (فاستهزا) . والتصويب أفضل .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (رحمه الله) .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» و «الملكية» (أقر) .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . ووردت فى «المعجم» . وفى مصادر أخرى

(حبابى به) .

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلاه
[كفأك فاروق بما استودعت من كرم
[يبكى أخاه الذي غيبت وأبلاه
[حتى يجودك دمع الغل منهمراً
فلا تزل صلوات الله نازلةً
أن الجبال تُهادى فوق أعواد
رواك كل قطوب البرق رعاد
تحت الصفيح بدمع رائح غادي
من أعين الزهر لم تبخل بإسماد^(١)
على دفينك لا تُحصى بتمداد

بعض مراثي به

قال ابن الصبّير في: وخالف في وفاة المعتمد، فقال: كانت في ذى حجة. فلما
انفصل الناس من صلاة العيد. حفّ بقبره ملاً، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل
ابن عبد الصمد، فوقف على قبره وأنشد:

ملكُ الملوك أسمعُ فأنادى أم قد عدّتك عن السماع عوادى
لما خلّيت منك التصوّر فلم تسكن فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت^(٢) في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضع الإنشاد^(٣)
ثم خرّ يبكي، [ويقبل القبر]^(٤) ويعفر وجهه في التراب، فبكى ذلك للملأ حتى
أخضلوا ملابسهم، وارتفع نشيجهم^(٥) فلله درُّ ابن عبد الصمد، ولأذ ذلك البلد.

(١) وردت هذه القصيدة مذكورة في المخطوطات الثلاثة. وقد أكتاها بالأبيات التي بين
الخواصر. وأوردنا المراكشي في «المعجم» (١٣٢٢ هـ) من ٨٧.

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (قبلت). وفي «الملكية» (مثلت).

(٣) أورد ابن الخطيب مطلع هذه القصيدة فقط. وقد أوردتها الفتح في «القلائد» كاملة
(قلائد المكيان من ٣١).

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (ويقبل في القبر).

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذه الكلمة عبارة (دمع البار). ولا مكان لما في

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرَدَنِيش الجَلْدَانِي
قال بعضهم ينتمى في تُجَيْب. الأمير أبو عبد الله .

أُولِيَّتُهُ

معروفة . وعلى يد أبيه جَرَت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة . على ابن رُذْمِير
الطاغية ، فجَلَّت الشهرة ، وعظُمت الأثرة . قال بعضهم ، تولى أبو سعد قيادة
إفراغة وما إليها . وضبطها . ونازلها ^(١) ابن رُذْمِير . فشهر غناؤه بها في دفاعه . وصبره
على حصاره ، إلى أن هزمه الله [عز وجل] ^(٢) . على يد ابن غانية ^(٣) . وظهر
بعد ذلك فحس بلاؤه . وبعد صيته . ورأس ابنه محمد . ونفق في ألقته . وكان بينه
وبين ابن عياض المتأمر بمُرسية صهر ، ولأه لأجله بكنسية . فلما توفي ابن عياض ،
بادرها ابن سعد ، وبأعنه أثناء طريقه ، غدر العدو بحصن جلال ، فكر [وقادله] ^(٤)
وفتحه . وعاد فلك بالنسية ، وقد ارتفع له صيت شهير ، ثم دخلت مُرسية في
أمره ، واستقام له الشرق . وعظمت حاله .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (ونال) .

(٢) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) موقعة إفراغة المشار إليها هنا ، هي الموقعة الحاسمة التي نشبت بين أبناء نفس المذهب
(ابن رُذْمِير) ملك أراجون وبين المرابطين تحت أسوار مدينة إفراغة الواقعة على نهر سبلا . كان
نهر إبيرو بالنهر الأعلى ، بقيادة يحيى بن غانية اللدوني . وكان الأراجونيون قد ضمروا سلباً الحصار
وقاوتهم سلباً الإسلامية بقيادة واليها سعد بن محمد بن م. دلفش أشد مقاومة ، وحشدت حتى
وافت القوات المرابطية . ومضى الأراجونيون في الموقعة بهزيمة ساحقة ، وكان ذلك في يوم ٢٣ رمضان
سنة ٥٢٨ هـ (٧ يولييه ١١٣٤ م) . وقتل ألفونسو الخارب خلال الموقعة أو توفي بعدها أيام قلائل
غماوياً .

(٤) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

حاله

قال ابن حمّامة . ساد من صغره بشجاعته ونجابهته ^(١) ، وصيت أبيه ، فقال بذلك إلى القيادة . وسنة إحدى وعشرون سنة . ثم ارتقى ^(٢) إلى الملك الراشح . والسلطان الشاخ . بباهر شجاعته وشهامته . فسما قدره . وعظم أمره . وفشّى في كل أمة ذكره . وقال غيره ، كان بعيد الغور ، قوى الساعد ، أصيل الرأي . شديد العزم ، بعيد العفو ، مؤثراً للانتقام ، مرهوب العتوبة .

وقال في مختصر «نورة المريدين» ^(٣) كان عظيم القوة في جسّعه ، ذا أيد في عظّمته . [جزارة في ليله] ^(٤) ، وكان له فروسيّة ، وشجاعة . وشهامة . ورياسة .

بطالته وجوده

قال وكان له يومان في كل جمعة . الإثنين والخميس ، يشرب مع ندمائه فيهما . ويجود على قوّاده . وخاصته وأجناده ، ويذبح البقر فيهما ^(٥) ، ويفرق لحومها على الأجناد ، ويحضر القيّان بمزاميرهن وأغوادهن ^(٦) ، ويتخلل ذلك لهو كثير ، حتى ملك القلوب من الجند ، وعاملوه بغاية النصّح ، وربما وهب المال في مجالس أنسه . ذكر أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قوّاده ، فشرب معه ومع القرابة ،

(١) . هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (ونجدته) والأولى أرجح .

(٢) . هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ارتفع) .

(٣) . وردت في المخطوطات الثلاثة (ثور المريدين) . والصواب ما أثبتناه . وثورة المريدين كتاب من تأليف ابن صاحب الصلاة الباجي مؤرخ الموحدين وصاحب كتاب (المن بالإمامة) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا .

(٤) . وردت هذه العبارة فقط في «ج» . وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) . هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (في المواسم) والأولى أرجح وأكثر اتفاقاً مع السياق .

(٦) . هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

في مجلس قد كساه بأحمر الوشى والوطىء^(١) والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم . فلما كُمل نهاره معهم، وهبهم الآنية . وكل ما كان في المجلس من الوشى^(٢) وغير ذلك .

ما نقم عليه ووصم به

قالوا، كان عظيم الانهماك في ميدان البهالة، واتخذ جُملة من الجوارى . فصار يُراقِد منهم جملة تحت لحاف واحد . وانهمك في حُب القيان، والزُمر والرقص . قالوا، وكان له فتى اسمه حسن، ذو وقبة سمينة، وقفاً عريض . فإذا شرب، كان يرزه، ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلاً . وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسَّلمى، وكان يحضر شرابه . ويخمر^(٣) .

أدركتوس المدام والرّز	فقد ظفّرنا بدولة العـزّ
ونعم الكفّ من قنا حسن	فلنبا في ليانة الخـزّ
وصاحب إن طلبتُ أخدعه	فلم يكن في بذله بمـتـزّ
أنحني على أخداعي فاطربني	وهزّ عَنفَى أيما هـزّ

وأجزل صلة السَّلمى حين أشدها إياه، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق، واستظرفها الناس . [فردّ مُرسية دار مجونه، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين]^(٤) . وآثر زى النصارى من الملابس، والسلاح، واللّجم، والسَّروج . وكَلّف بلسانهم يتكلم مُباهتة^(٥)، وألجأ الخروج عن الجماعة . والانفرادُ بنفسه (إلى الاحتماء)^(٦)

(١) هذه الكلمة واردة فقط في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت مكررة في «ج» (فرش وآنية)

(٣) وردت في «ج» وفي «الملكية» (ويخف - يخفه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطات الثلاثة . ولم تنضج حكمة وجوده هنا . والظاهر

أنه قد سقطت منه بعض كلمات .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم المعنى والساق .

بالنصارى ، ومُصانعتهم ، والاستماعة بطواغيتهم . فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة . وصالح ملك قشتالة على أخرى . فكان يبدل لهم في السنة [خمسين ألف مثقال]^(١) . وابتنى جيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم ، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق ، تختنق^(٢) بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر ، مؤنًا غريبة . وأمارسوم الأعراس والملاهي . فكانت قبالاتها غريبة . حدث بعض المؤرخين عن الثقة ، قال كنت بجيان مع الوزير أبي جعفر الوَقَّشي فوصل إليه رجل من أهل مرسية ، كان يعرفه . فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنیش وعن سيره فقال الرجل ، أخبرك بما رأيته من جور عماله وظلمهم . وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن ، كان له بنظر شاطبة ، ضويرة يعيش بها ، وكان لازمها أكثر من فايدها ، فأعطى لازمها حتى افتقر ، وفر إلى مرسية . وكان أمر ابن مردنیش ، أنه من فر من الرعية أمام الغزو^(٣) ، أخذ ماله للمخزن . قال الرجل الشاطبي ، فلما وصلت إلى مرسية فارًا عن وطني ، خدمتُ الناس في البُنَيان ، فاجتمع لي مثقلان سَعْدِيَّان ، فبينما أنا أُمشي في السوق . وإذا بقوم من أهل بلدي شاطبة ، ومن قرابتي ، فسألهم عن أولادى وزوجتى ، فقالوا إنهم في عافية ، وفرحت فرحا عظيما ، وسألهم عن الضويرة ، فقالوا إنها باقية بيد^(٤) أولادك ، فقلت لهم عسى تبسيتوا عندى الليلة ، فاشتريت لحما وشرابا ، وضربنا دفًا . فلما كان عند الصباح ، وإذا بنقر عنيف

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (خمسين ألفا من المثاقيل) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة . وربما كان القصد أنها تزدحم .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (العدو) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عند) .

بالباب . فقلت من أنت ، فقال أنا الطرقون الذى بيده قبالة الله ، وهى متفقة بيدي .
 وأنتم ضربتم البارحة الدف فأعدنا حق العرس الذى عملت . فقلت له والله ما كانت
 لى [عرس] ^(١) . فأخذت وسُجنت . حتى اقتديت بمنقال واحد من الذى خدمت به .
 وجئت إلى الدار . فقيل لى أن فلاناً وصل من شاطبة الساعة . فشيت لأسأله [عن
 أولادى . فقال تركتهم فى السجن . وأخذت الضوئية من أيديهم فى رسم الجبالى .
 فرجعت] ^(٢) إلى الدار . إلى قرابتى . وعرفتهم بالذى طراً على . وبكيت طول ليلتى ،
 وبكوا معى . فلما كان من الغد . وإذا بناقر بالبواب . فخرجت . فقال أنا رجل صاحب
 المواريث . أعلمنا أنكم بكيتم البارحة . وأنه قد مات لكم ميت من قرابتكم
 [غنى] ^(٣) . وأخذتم كل ما ترك . فقلت والله ما بكيت إلا نفسى . فكذبني
 وحملني إلى السجن ، فدفعت المنقال الثانى . ورجعت إلى الدار [وقلت أخرج إلى
 الوادى . الى باب القنطرة . أغسل ثيابي من دَرَن السجن . وأفر إلى العدو] ^(٤)
 فقلب . لامرأة تغسل الثياب . إغسلى مما على . وجردتها . ودفعمت لى زناراً
 ألبسه . فبينما أنا كذلك . وإذا بالخصى قائد [ابن] ^(٥) مردنيش ، يسوق
 ستين رجلاً من أهل الجبل ، لابسى الزنانير . فرآني على شكاهم . فأمر بحملنى
 إلى السخرة والخدمة بمحصن مسقوط عشرة أيام . فلبثت أخدم وأحضر مدة عشرة
 أيام . وأنا أبكى واشتكى للقائد المذكور ، حتى أشفق على وسرّخنى . فرجعت أريد
 مرسية . فقيل لى عند باب البلد . كيف أسمعك فقلت محمد بن عبد الرحمن ، فأخذنى
 الشرطى ، وحملت [الى] القابض بباب القنطرة . فقالوا هذا من كتبته من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) أضفنا هذه الكلمة تصحيحاً للاسم .

أرباب الحالى بكنا وكذا دينار . فقلت والله ما أنا إلا من شاطبة . وإنما إسمي وافق ذلك الاسم ، ووصفت له ما جرى علي ، فأشفق وضحك مني ، وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا .

بعض الأحداث فى أيامه ، ونبذ من أخباره

استولى على بلاد الشرق . مُرْسِيَّة وبَلَنْسِيَّة وشاطبة ودانية ، ثم اتسع نطاق ملكة ، فولى جِيَّان [وأُبْدَّة وبيَّاسة]^(١) . وبُسْطَة ووَادَى آش ، وملك قَرْمُونَة ، ونازل قرطبة وإشبيلية . وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس . فولى صهره ابن هَمْشُك . وقد [مر]^(٢) فى باب إبراهيم . مدينة جِيَّان [وأُبْدَّة وبيَّاسة]^(٣) ، وضيق منها على قرطبة . واستولى على إستجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة وثار عليه^(٤) يوسف بن هلال من أصهاره بحصن مطرنيش^(٥) وما إليه . ثم تفاسد ما بينه وبين صهره [الآخر ابن هَمْشُك]^(٥) ، فكان سبب إندبار أمره . واستولى العدو فى مدة ابن سعد على مدينة طُرْطُوشة عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة . وعلى حصن إقليج . وحصن شرانية .

دخوله غرناطة

ولما دخل ابن هَمْشُك مدينة غرناطة . وامتنعت عليه قصبته . وهزم

(١) ما بين الحاسرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق . وقد مررت ترجمة ابن هَمْشُك فى المجلد الأول ص ٢٩٦ .

(٣) وردت (على) فى «ج» و «الزيتونة» ؛ فلزم التصويب لاستقامة المعنى .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (حصن بطرقش) . وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه .

و حصن مطرنيش يقع على مقربة من بلنسية .

(٥) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

الجيش المُصرَّح لمن حُصر بها من الموحدين بمرج الرقاد^(١) وثاب أثناء ذلك أمرُ الموحدين . فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب . وأجار البحر ، واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة . استمد^(٢) ابن هَمْشُك صهره الأسعد . أبا عبد الله محمد بن سعد . نخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى . فوصل إلى غرناطة ، واضطربت محلاته بالربوة السامية المنصلة بربض البيّازين . وتُعرف إلى اليوم بكُدية مردنيش [وتلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة . فأُبينوا جيش عدوهم . فكانت عليه الدّبرة ، وفر ابن مردنيش]^(٣) فلاحق بيجان ، واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين فلم يكن له بعده ظهور .

وفاته

وظهر عليه أمر الموحدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده ، وأوقعوا بجنده الواقع العظيمة . وحُصر بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ، فمات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام [سبعة]^(٤) وستين وخمسمائة وله ثمانية وأربعون عاما ، ووصل أمره أبو القمَر هلال^(٥) ، وألقى باليدين إلى الموحدين ، فنزل على عهدٍ ورسومٍ حسبما يأتى في موضعه .

(١) موقعة مرج الرقاد ، نشبت بين الموحدين وبين قوات ابن هَمْشُك صهر ابن مردنيش على أثر استيلائه غرناطة في جمادى الأولى سنة ٥٥٦ هـ ، في الموضع المسمى مرج الرقاد ، ويقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل البيرة ومقابله مكان يسمى اليوم Majorracal وقد هزم الموحدون في تلك الموقعة هزيمة شديدة

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (استمر) . وهو تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين وأرد في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» و «الزيتونة» وفي «الملكية» (عام احد وستين وخمسمائة) . وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وردت في ج (وهي) وفي «الملكية» (وضم) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هلال ، أبو القمَر ، هو ولد محمد بن سعد بن مردنيش . وقد أقنعه القادة والأشياخ على أثر وفاة أبيه بالتسليم للموحدين . فصدع برأيهم وأعلن طاعته للموحدين . وسار إلى إشبيلية يؤكد ذلك بنفسه لخليفة الموحدين أبي يعقوب يوسف ، وثبوتها فيما بعد أواخر المودة بين خليفة الموحدين وبين آل مردنيش ، ولا سيما حين تزوج الخليفة إبنه محمد بن سعد .

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أمير المسلمين
بالأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل
على الله .

أوليته

من ولد المستعين بن هود . وأوليتهم معروفة ، ودولتهم مشهورة ، وأمرؤهم
مذكورون . خرج من مرسية تاسع وجب عام خمسة وعشرين وستماية إلى
«الصخور»^(١) من جهاتها في نفر يسير من الجنود [معه]^(٢) وكان الناس
يستشعرون ذلك . ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه ، وينتدون^(٣) . بإمرته
وسلطانته . وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحدّين مرات ، إذ
كان بعض المهاتفين بالأمور السكينة ، والتضاي المستقبلة ، يقول لهم ، يقوم عليكم
قايم من صنف الجند ، اسمه محمد بن يوسف . فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من
من أهل جيان . ويقال [إن]^(٤) شخصاً ممن يفتح ذلك ، لقي ابن هود ، فأمن
النظر إليه ، ثم قال له [أنت سلمان الأندلس]^(٥) ، فانظر لنفسك ، وأنا أدلك
على من يقيم ملكك ، فاذهب إلى المقدّم الغشّي^(٦) فهو القايم بأمرك .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الحضور) . والصواب ما أثبتناه . وهو «الصخور»
أو «الصخيرات» حسب يأتي بعد .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يندرون) والأولى أرجح

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (أنت السلطان

بالأندلس) .

(٦) وردت في المخطوطات (الغشّي) وهو تحريف .

وكان الغشي رجلاً صُعلوكاً يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال، وسباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال: نستفتح بمُعاوَرَة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فجلبوا كثيراً من الغنائم^(١) والأسرى، وانضاف إلى ابن هود طوايفٌ مثل هؤلاء، وبايعوه «بالصخيرات»^(٢) كما ذكر، من ظاهر مرسية^(٣)، وتحرّك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية، فأوقع به وشرّده، ثم تاب إليه ناسه، وعدل إلى الدُّعاء للعباسيين، فتنبّه اللّيف، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر^(٤) الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيّد الجيوش، وقهر الأعداء، ووفّى للغشي بوعده، فولاه أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبّنة، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فنار به أهلها بعد وخلعوه، وفرّ أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر بغرب الأندلس، ودام زماناً، ثم تخلص في سن الشيخوخة، ومات برباط آسفي.

حاله

كان شجاعاً، ثبّتاً، كريماً حياً: فاضلاً، وفيّاً. متوكلاً عليه^(٥)، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستغلى لذلك عليه ولأنه بالقواعد، كأبي عبد الله بن الرّميّ بالمرية، وأبي عبد الله بن زنون بمالقة، وأبي يحيى عُنْبَة بن يحيى الجزولي بغرناطة. وكان مجذوداً، لم ينهض له جيش. ولا وفق لرأى: لعلبة الخِفة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الغنى). والتصويب أرجح.

(٢) هي الصخور أو الصخيرات كما سبق شرحه.

(٣) وردت في «الزيتونة» (غرناطة) وهو خطأ ظاهر.

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (فانتصر).

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية»، ووردت محرفة في «ج» (كقلبه). والتصويب

من «أعمال الأعلام».

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم منها هزيمة السلطان الغالب بالله إِيَّاهُ مرتين، إحداهما بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجا^(١) بنفسه. ثم هزمه بالبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة. واستولى على محلته، ولأذ منه بمدينة مرسية. ثم شغل المأمون الأمر، وأهمته الفتنة الواقعة بمرّا كُش، فصرف وجهه إليها. وثاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المريّة، ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستماية، تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصراخ^(٢) مدينة ماردة، وقد نازلها العدو وحاصر، ولقى الضاغية بظاهرها، فلم يتأنّ زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافّة^(٣). ثم لما كرّ إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. واستولى العدو على ماردة بعد ذلك.

وفتح عليه في أمور: منها تملكه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستماية، وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بمعاد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين. رجعت قرطبة إلى طاعنه، واستوسق أمره. وتلك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستماية، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال. دخل في طاعته الريّسان أبو زكريا، وأبو عبد الله: إبن الرئيس أبي سلطان [عزيز]^(٤) بن

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ثم نجا) والمؤدى واحد.

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وفي «أعمال الأعلام».

(٣) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (مصابه - مصارفه - مصامه). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) الزيادة من «أعمال الأعلام».

أبي الحجاج بن سعد . وخرجا عن طاعة الأمير أبي بجميل ، وأخذوا البيعة لابن هود على منأى أيديهما . وفي سنة ست وعشرين وستمائة ، تملك الجزيرة الخضراء عَنوة ، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام . وفي العشر الأوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو وُجهة مدينة وادي آش . فأسرى ليلا مسرجاً^(١) بقية^(٢) يومه . ولحق بالعدو على ثمانين ميلاً . فأتى على آخرهم . ولم ينبج منه أحد .

أخوته

الرئيس أبو النجاة سالم ، [وعلامته وثقتُ بالله]^(٣) ، ولقبه عماد الدولة ، والأمير أبو الحسن عضد الدولة ، وأسره العدو في غارة^(٤) ، وافتككه بمال كثير ، والأمير أبو إسحاق شرف الدولة . وكلهم يُكْتَب عنه ، من الأمير فلان .

والده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله ، أخذ له البيعة على أهل الأندلس . في كذا ، ووُلِّي بعده ولَّى عهده ، واستقل بملك مرسية . ثم لم يذشب أن هلك .

دخوله غرناطة

[دخل غرناطة]^(٥) مرّات عديدة ، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وقد وردت عليه الرأية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد . وبمصلّى غرناطة ، قرى على الناس كتابه ، وهو قايم ، وزية السواد ، ورايته السوداء بين يديه ،

(١) وردت في «ج» (مضرجا) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بجاية) وهو تحريف ظاهر . والتصويب يستقيم المعنى

والسياق .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (غزوة) .

(٥) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» ، وساقطة في «ج» .

وكان يوم استسقاء ، فلم يستتم على الناس قراءة الكتاب يومئذ ، إلا وقد جادت السماء بالمطر ، وكان يوماً مشهوداً ، وصنعاً غريباً ، وأمر [بعد انصرافه]^(١) ، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد .

وفاته

اختلف الناس في سبب وفاته ، فذكر أنه قد عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره ، فلما تصير إليه الأمر ، أعجبه رومية [حصلت له بسبب السبي]^(٢) من أبناء زعمائهم ، من أجل الناس ، فسترها عند ابن الرميى خليفته ، فزعموا أن ابن الرميى علق بها . ولما ظهر حملها . خاف اففضاح القصة ، فدبر عليه الحيلة ، فلما حل بظاهر المرية . عرض عليه الدخول إليها ، فاغتاله ليلاً ، بأن أقعد له أربعة رجال ، قضاوا عليه خنقاً بالوسايد . ومن الغد ادعى أنه مات فجأة ، ووقف عليه العدول ، والله أعلم بحقيقة الأمر^(٣) . وسبحانه . وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستماية . وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود ، والأمر قبل وقوعه ، يقول الشاعر :

هُمَامٌ بِهِ زَادَ الزَّمَانُ طَلَاقَةً وَلَدَّتْ لَنَا فِيهِ الْأُمَانِ مَوْرَدَا
فَقُلْ لِبْنِ الْعَبَّاسِ هَاهِي دَوْلَةٌ أَغَارَ بِهَا الْحَقُّ الْمُبِينِ وَأُنْجَدَا
فَإِنْ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ وَصْفُهُ بِتَمْهِيدِ هَذِي الْأَرْضِ قَدْ جَاءَ فَاهْتَدَا^(٤)
فَإِنْ بَشَرْنَا بِابْنِ هُودٍ مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ ابْنَ هُودٍ مُحَمَّدَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعد أن انصرف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (في سبي الروم)

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الزيتونة والملكية (ذلك) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (فابتدا) .

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب

ابن حامد بن زيد بن منخل النافقي

يكفي أبابكر من أهل غرناطة . وسكن وادي آش .

أوليته

أصل هذا البيت من إشبيلية ، وذكره الرأزي في الاستيعاب ، فقال ،
ويإشبيلية بيتُ زيد النافقي ، وهم هناك جماعة كبيرة . فرسانٌ ولهم شرف قديم ،
وقد تعرفوا في الخدمة . بَلَدِيُون^(١) . ثم انتقلوا إلى طَلْمِيْطَلَة ، ثم قُرْطُبَة ، ثم
غَرْنَاطَة . وذكر الملاحى في كتابه^(٢) ، الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب
[بن زيد]^(٣) ، وعنده من أهل الشورى ، وقضاة الجماعة بغرناطة . وأحمد بن زيد
ابن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد ، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب
بالله بن نصر ، وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها ، وعُيِّنَ جُمع له بين الدين
والفضل والمالية .

حاله ونباهته ومحنه ووفاته

كان هذا الرجل عَيِّناً ، من أعيان الأندلس ، وصدرًا من صدورها . نشأ عفاً

(١) البلدون يطلق على العرب المواقيل الذين دخلوا الأندلس واستقروا بها قبل قدوم بني عبد الحميد مع بلج بن بشر القشيري أو الطالعة البنيوية .

(٢) الخلاصة ، هو محمد بن عبد الواحد بن قنبر . وأصله من الخلاصة وهي قرية من أملاك البيرة . وقد برع في الأدب والزراعة والسير والتجارة . استقر في قرطبة . ثم انتقل إلى البيرة وأسس بها داراً . وهو الذي كان هذا . وقد يطلق الكنديون على هؤلاء العرب . وقد ذكره ابن خلدون في كتابه .

(٣) الحسن بن زيد بن زيد .

مُتَصَاوِنًا عَزُوفًا ، وَطِلَاوَةً ^(١) نَزِيهًا [أَبِيَا كَرِيمِ الْخَوْلَةِ] ^(٢) ، طَيِّبِ الْعَلَمَةِ ، حُرِّ الْأَصَالَةِ ، نَبِيهِ الصُّهْرِ ^(٣) . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْوِزَارَةِ بَيْلَهُ ، ثُمَّ قُدِّمَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنَ الْفِرْسَانِ ، فَأُورِدَ لَهُمُ الْمَوَارِدَ الصَّفِيَّةَ بِإِقْدَامِهِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنَ الْعُدُوِّ الْفُرْصَةَ ، وَأَكْسَبَهُمُ الذِّكْرَ وَالشُّهْرَةَ ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَى غَضَاظَةِ الْإِيمَانِ ، وَصِحَّةِ الْعَقْدِ ، وَحُسْنِ الشَّيْخَةِ ، وَالْإِسْتِرْسَالِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ ، وَالْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأَمْثَالِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَمَسْحَبِ أَذْيَالِ الطَّهَارَةِ ، وَهَجْرِ الْخُبَايِثِ ، وَإِثَارِ الْجَدِّ ، وَالْإِنْخِطَاطِ فِي هَوَى الْجَمَاعَةِ .

مَشِيخَتُهُ ^(٤)

قَرَأَ بِفَرَنْطَاةٍ عَلَى شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ ، وَبَيْلَهُ عَلَى الْأَسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرْسُونِيِّ ، وَبِهِ انْتِفَاعُهُ ، وَكَانَ جَهْوَرِي الصَّوْتِ ، مُتَفَاضِلًا ، قَلِيلَ التَّهَيُّبِ فِي الْحِفْلِ . وَلَمَّا حَدَّثَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِكَيَادِ دَوْلَتِهِ ، وَتَلَا حَقَّ بَوَادِي آشٍ مُفْلِتًا ، قَامَ بِأَمْرِهِ ، وَضَبَطَ الْبِلَادَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَلْمِ الْمُدَاهِنَةَ ^(٥) فِي أَمْرِهِ ، وَجَعَلَ حَيْلَ عَدُوِّهِ دُبْرَ أُذُنِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الْعُدُوِّ ، فَكَانَ زَمَانُ طَرِيقِهِ مُقْدِيًا لَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِمَأْمَنِهِ ، فَتَرَكَهَا مَغْرِبَةً .

خَبَرُ فِي وَفَاتِهِ وَمَعْرِجَتِهِ ^(٦)

وَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَحْمُدِهِ ، وَاسْتَأْنَزَ [بِهِ الدَّخْلُ] ^(٧) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزَيْتُونَةِ» .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» (أَبِيَا كَرِيمِ الْخَوْلَةِ) وَالتَّصْوِيبُ أَرْجَحُ . وَسَاقِطَةٌ فِي «الزَيْتُونَةِ» «الْمَلِكِيَّةُ» .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (الظُّهْر) .

(٤) سَاقِطَةٌ فِي «ج» . وَوَارِدَةٌ فِي «الزَيْتُونَةِ» .

(٥) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (الْمَرَاهِنَةُ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزَيْتُونَةِ» .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (بِالدَّخْلِ) .

اغتياباه ، وأغرى به عقد ضنائه ، وخلطه بنفسه ، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة ، فتقبض عليه ، وعلى ولده ، لباب بنى وقته ، وغرة أبناء جنسه ، فأودعهما مطبق أرباب الجرائم ، وهم باغتيالهما^(١) ، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لحرم من عام اثنين وستين وسبعمائة في جملة من النبهاء ، مأخوذتين بمثل تلك الجريرة . ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية ، في العشر الأول لربيع الأول مصفدين . ولما حلوا بها ، أقاموا تحت برّ وتجلة ، ثم ركبوا البحر إلى تونس ، فقطع^(٢) بهم أسطول العدو بأحواز تكررنت ، ووقعت [بينه و]^(٣) بين المسلمين حرب ، فكرم مقام المترجم يومئذ ، وحسن بلاؤه . قال المخبر ، عهدى به ، وقد سلّ سيفاً ، وهو يضرب العدو ويقول ، اللهم اكْتُبْهَا لى شهادة . واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ، ومنهم ولده ، وكُتِبَ^(٤) افتكّ الجميع ببلد العناب^(٥) ، وانصرف ابنه إلى الحج ، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة . من سُكون وفضل ودين وحياء ، وتلاوة ، إلى ما كان يجده من الرّكض ، ويعانيه من فروسية ، فمضى على هذا السبيل من الشهادة ، نفعه الله ، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعمائة .

شعره

أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن [له]^(٦) :

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغتيالها) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٣) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (القبلة) . والأولى أرجح .
 والعناب هى ثغر بونة .
 (٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

يأبىها المرتجى لُطْفَ خالقِهِ وفضله في صلاح الحال والمال
لو كنتَ توقنَ حقاً لُطْفَ قُدْرَتِهِ فاشمخْ بأنفك عن قيلٍ وقيلٍ وقال
فإن لله لطفًا عزَّ خالقُهُ عن أن يُقاسَ بنشبيهه وتمثال
وكل أمرٍ وإن أعياكَ ظاهرُهُ فالصنع في ذاك لايجرى على بال

محمد بن أحمد بن محمد^(١) الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله. ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، القهْرمان بها، المستَوْزِر آخر عمره، سداد من عَوْن.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتَّصاؤُن، جانحاً إلى الخير: مُحبّاً في أهل الإصلاح، مَغْضُوض الطَّرف عن الحَرَم^(٢)، عَفِيفاً عن الدماء، مستمسكاً^(٣) بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرّز في عُدُول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرائض، وحظّه تافه^(٤) من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة [مرقوساً مع الجملة]^(٥). وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعيّن لحصر ما استرفع من مُنْتَهَب ماله، وتحصّل بالدار السلطانية من آثائه وخُرَيْثِيَّة^(٦)، فحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (أحمد).

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية»، وفي «الزيتونة» (الحرام).

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». ووردت في «ج» (متمسكا).

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرقوساً مع الجملة) ونعتقد أن تصويب الكلمة الأولى

يعطى العبارة معنى مناسباً.

(٦) الخرب أي أثاث البيت.

الوقت ، وطلّع له جاه كبير ، وتملك أموالاً عريضة ، وأرضاً واسعة (١) ، فجمع الدنيا بحزمه ومثابرته على تنمية داخله . [وترقى] (٢) إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول النضرية ، بتدبير شيخ الغزاة ، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلاء ، فوصله إلى إدوار دنياء ، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده ، فاستولى وحجّب السلطان . ثم وقعت بينه وبين مرشّحه ، الوحشة الشهيرة ، عام سبع وعشرين وسبعمئة ، مارساً (٣) لمكان الفتنة ، صلة فارط في حجّب السلطان ، وأجلى جمهور ما كان ببابه ، ومنع من الدخول إليه . فاضطربت حاله ، وأعمل التدبير عليه ، فهجم عليه بدار الحرّة الكبيرة جدّة السلطان ، وكان يعارضها في الأمور ، ويجعلها [تسكّاة لغرضه] (٤) ، فتَيّان من أحداث المالك ، المُستبقيين مع محجوبه ، تناولاه سَطّاً بالخناجر ، ورعى نفسه في صهرج الدار ، ومازالا يتعاورانه من كل جانب [حتى فارق الحياة] (٥) رحمه الله تعالى .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له فيه فراسة صادقة .

(١) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (إلى ضاف طريقتهما التي لو كان له) وقد آثرنا الإغضاء عنها .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (داوسا) والأولى

أرجح .

(٤) هذه العبارة ولردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر [ويشهر بالأشبرون] (١) . قاضي الجماعة .

حاله

كان طرِفًا في الدهاء والتخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق ، ومما يميز الرّيب ، وعِلَل
الشهادات ، فذًا في الجزالة ، والصرامة ، مقدامًا (٢) ، بصيرًا بالأموار ، حسن السيرة ،
عذب الفكاهة ، ظاهر الخطوة ، على الرتبة . خرج من إشبيلية عند تغلب العدو
عليها ، ووُلّي القضاء بمالقة وبسطة . ثم وُلّي الحسبة (٣) بغرناطة ، ثم جُمعت له إليها
الشرطة . ثم قُدّم قاضيًا ، واستمرت ولايته نحوًا (٤) من ثلاثين سنة .

وفاته

توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيت الكلاعي

ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيت ، من أهل بلّش يكنى أبا بكر .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٢) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة (صارما) . وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .
وقد أغضينا عنها لأنها تكرار لا محل له .

(٣) وردت في «الزيتونة» (الخدمة) وفي «ج» و «الملكية» (الخدمة - الخدمة) . ونعتقد
أن التصويب أرجح ، وهو يستقيم مع المعنى والسياق .

(٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (مدة) .

حاله

من «عائد الصلة» من تأليفنا (١). كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقيماً للأبهة، مستدعياً بأبيه ونفسه للتعجّل. بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروعة وحشمة، إلى خطّ بديع قيد البصر، ورواية عالية. ومشاركة في فنون، وقراءة، وفقه. وعربية، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرسم، واستعمل في السفارة، فسدّ مسدّ مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، وبغرافطة، على شيخ الجماعة الأستاذ [أبي جعفر] (٢) بن الزبير. ومن أعلام مشيخته، جدّه للأُم خال أبيه، الحكيم العارف أبو جعفر ابن الخطيب [أبي الحسن بن الحسن المذحجي الحلي] (٣). والخطيب الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة، والوزير أبو عبد الله ابن رشيد.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكفى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

(١) «عائد الصلة» هو حسبا بينا في مقدمة «المجلد الأول» مجموع صغير من التراجم كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا على كتاب «صلة الصلة» لابن الزبير. وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين. وهو يقتبس منه في كثير من تراجم الإحاطة.

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في «الزيتونة».

(٣) هذه الزيادة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

أَوَّلَيْتِهِ وَحَالِهِ

[كان أبوه نجاراً من مُدَجْنِي مدينة إشبيلية^(١) من العارفين بالحِجَل الهندسية ، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية ، والعمل بها ، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق ، واتخذ له الدولاب ، المنفسح القطر [البعيد المدى]^(٢) ، مُلَتِن المركز والمحيط ، المتعدّد الأكواب ، الخفيّ الحركة ، حسبما هو اليوم ماثل^(٣) بالبلد الجديد ، دار الملك بمدينة فاس ، أحد الآثار التي تحدد إلى مشاهدتها الرُّكَّاب ، وبناء دار الصُّنعة بسلا . وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من بني نصر ، ومث إليه بوسيلة ، أذنت محله ، وأسنت جراياته ، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين ، أبي الجيوش نصر ، واضطلع بتدبيره . وقم الناس عليه بإشارته لمقالات الرُّوم ، وانحطاطه في مهوى^(٤) لهم ، والتشبه بهم في الأكل والحديث ، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان ؛ وتطرّيز المجالس بأمثالهم وحكمهم ، سمّة وسمت منه عقلاً ، لنشأته بين ظهرائهم ، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم ، فلم تفارقه بحال ، وإن كان آية في الدهاء ، والنظر في رجلٍ بعيد الغور ، عميق الفكر ، قايم على الدّمنة ، مُنطوي على الرُّضف ، لين الجانب ، مبذول البشر^(٥) ، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الروم

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الملكية» . ووردت مكانه في الزيتونة الجملة الآتية (كان جده من مدينة إشبيلية) . وما ورد في «ج» أدق وأرجح ، يؤيد ما ورد بعد من وصف الأب بالمعرفة بالحِجَل الهندسية . والمدجنون في تاريخ الأندلس كما سبق هم المسلمون الذين بقوا في القواعد الأندلسية المغلوبة تحت حكم النصارى . وبالإسبانية Mudejares .
(٢) هكذا وردت في «ج» ووردت في «الملكية» (البعيد المدار المحيط) .
(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (مؤثّل) .
(٤) هكذا . ردت في «ج» وفي «الملكية» (قهرى) . وفي «الزيتونة» (هم) .
(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (بشرة) .

وسيرهم ، مُخسّم الأوضاع [في] أدب الخدمة ، ذَرِب^(١) بالتصرف في أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم ، وجهرُوا بإسلامه إليهم ، وقد ولوه بسبب الثورة . وطوّقوه كياد الأزمة . فضنَّ به السلطان ضنّانة ، أعزّبت عن وفايه ، وصان مُهْجَةً . واستمر الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك . وكان نزول [الوزير^(٢)] المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة ، وكبير الطائفة . عثمان بن أبي العلي ، فانتقل محفوظ الجملة ، محووط الوفر . ولم ينشِب إلى أن لجأ إلى العُدوة ، واتصل بالأمير أبي علي عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد ، فحرّكه . زعموا ، على مُحَادَّة أبيه ، وحمله على الانْتِزاع ، فكان ما هو معلوم من دُعائه إلى نفسه ، ومنازعة أبيه [^(٣)] . ولقايه إياه بالمقرمِدة^(٤) . وفلَّ جيشه . وفي أثنائه هلك المترجم به .

وفاته

توفي بفاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربع عشرة وسبعمائة .

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النميري]^(٥)
من أهل وادي آش . يكنى أبا يحيى .

حاله

كان صَدْرًا شهيرًا ، عالماً علماً ، حَسِيْبًا ، أَصِيْلًا ، جَمَّ التحصيل ، قوى

(١) وردت في «ج» (دربا) . وبالتصويب من «الملكية» .

(٢) واردة في «ج» وفي «الملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الحاصرتين كلها ساقطة في «الزيتونة» .

(٤) المقرمِدة هي بلدة صغيرة تقع على مقربة من جنوب شرق فاس .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الملكية» .

الإدراك . مضطرباً بالعربية واللغة . إماماً في ذلك ، مشاركاً في علوم من حساب
وهيئة وهندسة . قال الشيخ . كان في هذا كله أروع من لقيته ، إلى سראوة
وفضل وتواضع ودين : جاريّاً في ذلك على من سلفه . وعلو محنته . جالسته .
رحمه الله . كثيراً عند [عليه]^(١) من أدركته بفرناطة . لإقامته بها
[وتكرر لقائي إياه بها]^(٢) وبغيرها ، فرأيت أصيلاً جليلاً ، قد جمع علماً
وفضلاً ، وحسن خلق ، وكان حسن التقييد ، خلته ووثق يمتاز به . ويبعد
عن غيره ، ولى القضاء ببلده . ثم ولى بعد مدة برشانة^(٣) فخدمت سيرته .

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودي بن عبد الرحمن . وقرأ عليه
الغريب^(٤) واللغة ، ولأزمه في ذلك ، وأجاز له [إجازة]^(٥) عامة . وأخذ
من غيره ببلده ، وصحب بفرناطة بجملة^(٦) من العلماء بها . أيام اختلافه إليها ،
وإقامته بها .

توالياه

ألف كتاباً سماه « الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال » ، وهو
كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأفدته . واختصر الغريب المصنف . وله تقايد

(١) ماقطة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (وتقرر لقائي إياه بها) .

(٣) برشانة وبالإسبانية Purchena بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة غربي مدينة المنصورة
وشمالى نهر ألمرية .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة . وقد تكون (جلة) .

منشور ومنظوم في علم النجوم . ورسالة في الإسطرلاب الخطي والعمل به . وشجرة
في أنساب العرب .

وفاته

توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبع وخمسين وسبعماية ،

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن
محمد]^(١) بن خاف بن محمد بن سايان بن سوار بن
أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير^(٢) بن عيَّاش

المسكني بأبي عيشون بن تحود ، الداخلى إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير ،
ابن عتبسة بن حارثة بن العباس بن المرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيقي^(٣)
الأصل ، مروي^(٤) النشأة والولادة والسلف ، يعرف بابن الحاج ، وشهر الآن
في غير بلده باللفيقي ، وفي بلده بالمعرفة القديمة .

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس ، صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وأحد خطبايه وشعرايه . رئيس في الإسلام . ورئيس في الجاهليه .
وكان لسلفه . وخصوصاً لإبراهيم من الشهرة بولاية الله ؛ وإيجاب الحق من خلقه

(١) الزيادة بين الحاصرتين من «الزيتونة» .

(٢) في «الزيتونة» (سعد) فقط .

(٣) بلفيقي نسبة إلى بلفيقي Belfiq وهي بلدة من بلاد ولاية المرية ، تقع جنوب برشانة .
على مقربة من نهر المنصورة وشمال ثغر المرية .

(٤) مروي هنا نسبة إلى «المرية» .

ما هو مشهور ، حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ،
 كأبي بكر بن صهيب ، وابن عمه أبي إسحاق ، وغيرهم ، الكثير ممن صنف
 في رجال الأندلس ، كأبي عبد المجيد المالقي ، وابن الأبار ، وابن طلحة ،
 وابن فرثون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ،
 فليَنظر هناك .

حاله

نشأة ببلده المرية عمود^(١) العفة ، فضفاض جلباب الصيانة ، غَضِيض طرف
 الحياء ، نَأَى جَنَبَ السَّلام ، حليف الانقباض والازورار ، آوياً إلى خالص النَّشَب
 وَبَحَث^(٢) الطَّعْمَة ، لا يُرى إلا في منزل من سألَه ، وفي حَلَقِ الأَسانيد ، أو في
 مسجد من المساجد خارج المدينة المَعْدَّة للتَّعَبُّد ، لا يجيء سوقاً ، ولا مجمعا ، ولا
 وليمة ، ولا مجلس حاكم [أو وال]^(٣) ، ولا يلبس أمراً من الأمور ، التي
 جرت عاداته أن يلبسها بوجه من الوجوه . ثم تَرامى إلى رحلته^(٤) ، فجاس خلال
 القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتَقْيِيدِهِ ،
 وأخذ قِيام ذكر ، وإغفال شهرة . ثم صرف عِنايته إلى الأندلس ، فتصرف
 في الإقراء ، والقضاء ، والخطابة . وهو الآن نَسِيحٌ وَحْدَهُ في أصالة عريقة ، وسجية
 على السلامة مفطورة [فما شئت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ،
 ونُصح مَبْذول ، وتصنع مرفوض]^(٥) ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ،

(١) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وتحت) وهو تحريف .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (حقة) والتصويب من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

ودمعة سريعة . وهزل يُشمر تجلّة . وانبساطٍ يفيد حُسن نية . إلى حُسن العهد . وفضل المشاركة ، ورقة الحاشية . وصلابة العود ، وصدق العزيمة ، وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة . وجلّة الوقت . وفايدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً . فارس المنابر غير الهَيَّابَة ، ولا الجزوع ، طيب النّعمة بالقرآن ، مُجْهَشاً في مجال الرّقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياح الأوقات ، [مدّماً على الفينة]^(١) ، مُجِماً ، مُحَوّلاً في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يُسمح فيه الإيجاز ، ويتّجافى عنه الاختصار ، ويكفى فيه الإلماع والإشارة ، أبقى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته . ولايته

تقدم قاضياً بقنالش^(٢) ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة^(٣) ثم وُلّي مَرَبِلَة ، وإِسْتَبُونَة^(٤) ثم كانت رحلته^(٥) إلى بجاية . ثم عاد فقدم بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسلم ، مُتَّفَقاً على اضطرّاعه بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب إلى الأندلس ، واستقر ببلده المرية ، فقدم بمسجدها الجامع للإقراء [ثم قدّم قاضياً بِبَرَجَة ودكّاية ، والبَيْنُول^(٦) وفِنْيَانَة^(٧)] ، ثم نقل

(١) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) قنالش من بلاد وادي المنصورة في شمال ولاية المرية ، وتقع على مقربة من بلفيق بلد ابن الحاج .

(٣) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (خمسة وسبعمائة) .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرية) وهو تحريف . ومربلة وبالإسبانية Marbella هي ثغر أندلسي صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غربي مالقة . وإستبونة أو إشتبونة تقع بعدها على الشاطئ . وقد سبق التعريف بها .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ولايته ورحلته) .

(٦) Berja من بلاد ولاية المرية وتقع غربي ثغر المرية . ودلاية Dalias تقع جنوب شرق برجة . والبينول Albinol من بلاد ولاية مالقة ، وتقع غربي النهر الأحمر وشمال شرق مزيل .

(٧) فنيانة هي بلدة صغيرة من بلاد ولاية المرية تقع جنوب شرق وادي آش .

عنها إلى بيرة^(١) ، ثم غربي ألمرية^(٢) . ثم قُدِّم قاضياً بمالقة ، ثم قُدِّم بغيرها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب «طُرُقَة العصر»^(٣) من تأليفنا في نهر ولايته ما نصه :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعمائة ، ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى ، وانتابه^(٤) الطلبة ، ووجوه الحضرة والدولة ، مهنيين بمشواه من دار الصيانة ، ومحل التجلّة ، إحدى دور الملوك بالحراء ، فطَفِقُوا يَنْقُشُونَهُ [بها]^(٥) زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ، فِي إِتَاحَةِ الْخَيْر ، وَالْهَامِ السَّدَاد ، وَتَسْوِيقِ الْمَوْهَبَةِ . وكان وصوله ، وَالْأَفُقُ قَدْ اغْبَرَّ ، وَالْأَرْضُ قَدْ اقْشَعَرَّتْ لَانْصِرَامِ حَظٍّ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ الْمُوَافِقِ لَشَهْرِ وَلَايَتِهِ ، لَمْ يَسِجْ فِيهِ الْغَمَامُ بِقَطْرَةٍ ، وَلَا لَمَعَتْ السَّمَاءُ بِنَزْعَةٍ ، حَتَّى أَضْرَّتْ^(٦) الْأَنْفُسُ الشَّحَّ ، وَحَسَرَ الْعُسْرُ عَنْ سَاقِهِ ، وَتَوَقَّفَتْ الْبُذُورُ ، فَسَاعَدَهُ الْجَدُّ بِنَزُولِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ نَزْوَلِهِ مِنْ مِرْقَاةِ الْمَنْبَرِ ، مُجَابَةً دَعْوَةِ اسْتِسْقَايِهِ ، ظَاهِرَةً بَرَكَةِ خَشْوَعِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا أُنْشَدَتْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ :

ظَمِئَتْ إِلَى السَّقْيَا الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَامًا مُجَدِّبًا
وَالْغَيْثَ مَسْدُولَ الْحَجَابِ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَمَامِ قَدُومَكُمْ فَتَأْدَّبُ
وَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي الْأَحْكَامِ فَأَجَالَ قَدَاحَهَا ، مَضْطَلَعًا بِأَصَالَةِ النَّظَرِ ، وَإِرْجَاءِ
الْمُشْهَبَاتِ ، وَسَلَكَ فِي الْخُطَابَةِ طَرِيقَةً مُثَلًى ، يَفْرَغُ فِي قَوَالِبِ الْبَيَانِ أَغْرَاضَهَا ،

(١) بيرة بلدة صغيرة تقع شمال شرق ألمرية على مقربة من مصب نهر المنصورة .

(٢) ما بين الحاصرتين واردة في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) قد تم التعريف به في مقدمة المجلد الأول . وعنوانه الكامل «طُرُقَة العصر في تاريخ دولة بني نصر» . ولم تصلنا منه أية نسخة مخطوطة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وانتبه) و «الملكية» (وانتباه) وهو تحريف .

(٥) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

وَيَسْرَفُ عَلَى الْأَحْكَامِ السَّكَوَيْنِ وَالْبَسَاطَاتِ أَسَالِيْبَهَا. مِنَ الْحَاكَاةِ (١). بِاخْتِلَافِ
التَّبَضُّعِ وَالْبَسْطِ . وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . حُظُوظِهَا عَلَى تَبَضُّعِ الْعَدْلِ . وَسَبَبِ الصَّوَابِ
يَقُومُ عَلَى كَثِيرٍ (٢) مِمَّا يَصْدَعُ بِهِ ، مِنْ ذَلِكَ شَاهِدُ الْبَدِيْهِةِ . وَدَلِيلُ الْإِسْتِيْعَابِ .
قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ : ثُمَّ صُرِفَتْ عَنْهَا لِلسَّبَبِ الْمُتَقَدِّمِ . وَبَقِيَتْ مُقِيَمًا بِهَا ،
لَمَّا اشْتَهَرَ مِنْ وَقُوعِ الْوَبَاءِ بِالْمَرْيَةِ ، ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَى الْقَضَاءِ وَالْخُطَابَةِ بِالْمَرْيَةِ ، وَكُتِبَ
بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ رَجَبِ عَامِ تِسْعَةِ (٣) وَأَرْبَعِينَ . وَبَقِيَتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صُرِفَتْ
بِسَبَبِ مَا ذَكَرَ . ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ ، عَنِ
أَنْ يَكُونَ الْإِنْقِطَاعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ . فَأَنَا الْآنَ أَتَمُّلُ بِمَا قَالَهُ . أَبُو مُطَرِّفٍ (٤) بْنُ عَمِيرَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَدْ نُسَبْنَا إِلَى الْكِتَابَةِ يَوْمًا (٥) [ثُمَّ جَاءَتْ] (٦) خُطَّةُ الْقَضَاءِ تَلِيَهَا
وَبَسْطُهَا لَمْ تُطَقْ لِلْمَجْدِ إِلَّا (٧) مِنْزَلًا نَائِيًا وَعَيْشًا كَرِيهَا
نِسْبَةً بَدَّلْتُ فَلَمْ تَتَغَيَّرْ مِثْلُ مَا يَزْعُمُ الْمُهَنْدِسُ فِيهَا
بَدَّلَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابَةِ إِلَى الْخُطَابَةِ . وَأَغْرَبَ مَا رَأَيْتُ مَا أَحْكَى لَكَ ،
وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِبَعْضِ ذَلِكَ ، أَنْ أَفْضَلَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي ذَلِكَ ، الْخُطْبَةُ مِنَ الْعَمَلِ
الَّذِي أَخْلَصْتُ لِلَّهِ فِيهِ ، وَرَجَوْتُ مِنْهُ الْمَثُوبَةَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مُفْتَخِرٌ

(١) هَكَذَا فِي «ج» وَ «الْمَلِكِيَّةِ» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (الْحَاكَاةُ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَفِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (الْكَثِيرُ) .

(٣) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَ «الزَيْتُونَةِ» (سَبْعَةٌ) .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَهِيَ تَرْسُمُ عَادَةَ (أَبُو الْمُطَرِّفِ) .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَمِيرَةَ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِحَاطَةِ (ص ١٧٧)

كَالآلِي : (قَدْ عَكَفْنَا عَلَى الْكِتَابَةِ حِينًا) .

(٦) هَكَذَا فِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (وَاتَّصَلَتْ) .

(٧) وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَمِيرَةَ كَالآلِي (وَبِكُلِّ لَمْ يَبْقَ لِلْمَجْدِ إِلَّا) (الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ

ص ١٧٧) .

لمن أراد أن يفتخر [غير]^(١) مُلِّمَت للدنيا . فعليه عُولت سبحانه .
انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلى بخطه [ما نصه] . وهو فصل من فصول : وأما تواليفه فأكثرها ،
أو كلها غير مُتَمِّمة . في مُبَيَّضَات . منها كتاب ، قد يَكْبُؤُ الجواد في أربعين
غلطة [عن أربعين من النقَّاد ، وهو نوع من تصحيف الحُفَاط للدارقُطني ، منها
سَلَوَةُ الخاطر]^(٢) فيما أَشْكَل من نِسْبَةِ النَّسَب الرَّيْب إلى الذَّاكر . ومنها كتاب
« قَدَرُ جَمِّ في نظم الجمل » . ومنها كتاب « خطر فبطر : ونظر فحظر ، على تنبيهات
على وثائق ابن قُتُوح » . ومنها كتاب « الإفصاح فيمن عُرِف بالأندلس بالصلاح » .
ومنها « حركة الدخولية في المسألة المالكية » . ومنها خُطْرَةُ المجلس في كلمة وقعت في
شعر استنصر به أهلُ الأندلس جزء صغير . ومنها « تاريخ المَرِيَّة » غير تام .
ومنها ديوان شعره المسمى « بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج » .
ومختصرة سَمَاء القاضى الشريف « اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج
يُسْتَخْرَجَان »^(٣) . ومنها « عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصّات المنابر » يحتوى
على فصول الخطب التى أنشئت بطول بنى والخطابة . ومنها « المؤتمن على أبناء
أبناء الزمن »^(٤) . ومنها تأليف [فى]^(٥) أسماء السكتب ، والتعريف بمؤلفيها ،

(١) الزيادة من «الملكية» .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى «الملكية» وفى «الزيتونة» . وساقط فى «ج» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» و «الملكية» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٤) هذا العنوان هو كما ورد فى «ج» وفى «الزيتونة» . ولكن المقرئ يورده لنا فى «نفح

الطيب» كالاتى : (اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان) .

(٥) ورد هذا العنوان فى «الملكية» كالاتى : (المستومان على أبناء الزمان) .

(٦) زيادة من «الزيتونة» .

على حروف المعجم . ومنها « ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات » ومنها كتاب « ما رأيتُ وما رُئِيَ لى من المقامات » . ومنها كتاب « المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك » . ومنها « مُشَبَّهَات اصطلاح العلوم » . ومنها « ما كثر وروده فى مجلس القضاء » (١) . ومنها « الغلَسِيَّات » ، وهو ما صدر عنى من الكلام على صحيح مُسلم أيام التكلم عليه فى التعليل . ومنها « الفصول والأبواب » فى ذكر من أخذ عنى من الشيوخ والأتباع والأصحاب .

ثم قال ، وقد ذهب شَرَحُ الشَّباب ونشاطه ، وتقطَّعت أوصاله ، ورحل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال ، وقلة المبالاة التى لا يصل أحد بها إلى مَنال . وهذه الأعمال لا يُنَشِّطُ [إليها إلا] (٢) المحرِّكات التى هى مقفودة عندى ، أحدها طلبيةٌ مجتمعون منعطشون إلى ما عندى ، منشوفون غاية التشوف ، وأين هذه بالمرية . الثانى ، طلبُ رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم ، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ فى عادة هذا الوقت ، فالتشوف لهذه الرياسة مقفود عندى . الثالث ، سلطانٌ يلاُ يد من يظهر مثل هذا ، على يده غبطة ، وما تم هذا . الرابع ، نيةٌ خالصة لوجه الله تعالى فى الإفادة ، وهذا أيضاً مقفود عندى ، ولا يد من الإناصاف . الخامس ، قَصْدُ بقاء الذِّكر . وهذا خيال ضعيف بعيد (٣) عنى . السادس ، الشفقة على شيء ابتدئ ، [وسعى فى] (٤) تحصيل مبادئه ، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق ، وهذا السادس ، هو الذى فى نفسى منه شيء* ، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت ، وما أخذت ، ويكون إن شاء الله

(١) هذا العنوان وارد فقط فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هاتين الكلمتين ليستقيم السياق . ووردت مكانهما فى المخطوطات الثلاثة (الى

وهى لا تكفى لربط المعنى .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بعد) . والتصويب أرجح .

(٤) وردت فى «ج» (ونغوى) وفى «الزيتونة» (ونعى فى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

إبراز^(١) إذا^(٢) الصَّحَف نُشِرَتْ . وأكثَرُ زَمَانِي يَذْهَبُ فِي كَيْفِيَةِ الْخُرُوجِ عَمَّا أَنَا فِيهِ . فَإِذَا يَنْظُرُ إِلَى الْعَاقِلِ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ ، لَا يَسْعُدُ إِلَّا الشُّقَّةُ عَلَى . وَالرَّحْمَةُ لِي . فَإِنَّهُ يَرَى رَجُلًا مُطَرِّقًا أَكْثَرَ نَهَارِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى مَالِهِ ، فَلَا يَنْشُطُ إِلَى إِصْلَاحِهِ . وَهُوَ سَابِعُ^(٣) وَلَا يَلْبَسُ بِالْعِبَادَةِ . وَهُوَ فِي زَمَانِهَا الْمُقَابِلِ لِلْفَوْتِ ، وَلَا يَنْهَضُ إِلَى إِقَامَةِ حَقِّ كَمَا يَنْبَغِي لِعَدَمِ الْمُعِينِ . وَلَا يَمْنَحُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ رَاحَاتِ الدُّنْيَا ، وَيَشَاهِدُ مِنْ عُلُومِ الْبَاطِلِ^(٤) الَّذِي لَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى رَفْعِهِ . مَا يُضَيِّقُ صَدْرَ الْحَرِّ [يَقْضِي]^(٥) نِصْفَ النَّهَارِ ، مُحْتَمِلًا^(٦) فِي مَكَانٍ غَيْرِ حَسَنٍ تَارَةً يُفَكِّرُ ، وَتَارَةً يَكْتُبُ مَا هُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ أَنَّهُ كَذَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ . وَنِصْفَ النَّهَارِ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ ، تَارَةً يَرَى مَا يَكْرَهُ ، وَتَارَةً يَسْمَعُ مَا يَكْرَهُ ، لَا صَدِيقَ يُذَكِّرُهُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلَا صَدِيقَ يُسَلِّيهُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، يَكْفِينِي مِنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ^(٧) . اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي يَا مَنْ بِيَدِهِ الْخَلْقُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

شعره

مِنْ مَطْوَلَاتِهِ فِي النَّزْعَةِ الْغَرِيبَةِ [الَّتِي]^(٧) أَنْفَرْدَ بِهَا ، مَنْقُولًا مِنْ دِيْوَانِهِ . قَالَ . وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ بِسَبْتَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فِي وَصْفِ حَالِي ، وَأَخَذَهَا عَنْي الْأَسْتَاذُ بِسَبْتَةِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي ، وَالْأَدِيبُ الْبَارِعُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِي ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَزْبِ اللَّهِ ، وَسَوَاهِمُ . وَلَمَّا أَنْفَضِلْتُ مِنْ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت هنا للترقيم ، أي سابع الأمور .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٥) وردت (محتمل) في المخطوطات الثلاثة . فلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة وربما كانت (الغزارة) .

(٧) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

سبّية إلى بلاد الريف^(١) زدت عليها إبياتاً في أولها وكثر ذلك بوادي لو^(٢) من بلاد الريف وهي :

تأسفتُ لا كن حين عزّ الناشف ورام سكوناً وهو في رجـل طائر
أراقب قلبي مرةً بعد مرة سقيمٌ ولا كن لا يحسُّ بدايه
وجاذب^(٣) قلباً ليس يأوى لمألفٍ وأعجبُ ما فيه استواء صفاته
إذا حلّت الضراء لم ينفع لهما مذاهبه لم تبذل غاية أمره
فما أنا من قوم قصارى همومهم ولا لي بالإسراف فكرٌ محدثٌ
ولا أنا ممن لهوّه جلّ شأنه ولا أنا ممن أنسه غاية المني
ولا أنا ممن تزدهيّه مصانع ولا أنا ممن همهّ بجمعها فإن
على أن دهوى لم تدع لي دُروفه وكفـكتُ دمعاً حين لا عين تذرِفُ
ونادى بأُنى والمنازل تعنف فألفيه ذيك الذى أنا أعرفُ
سوى من له في مآزق الموت موقوف وعالج نفساً داؤها يتضااعف
إذ الهم يشقيه أو السرّ يَنزِفُ^(٤) وإن حلّت السراء لم يتكئف
فؤادٌ لعمري لا يرى منه أطرفُ بنوهم وأهلهم وثوبٌ وأرغفُ
سيغدو حبيى أو سيشعر مطرف بروضٍ أنيق أو غزالٍ مُهفّف
بصوتٍ رخيمٍ أو نديمٍ وفرقن ويُسبّيه بُستانٍ ويلمّيه نخرف
تراعت يَلْب^(٥) بسعي لما وهو مُرجف من المال إلا مسحة أو مجلف

(١) بلاد الريف هي المنطقة التي تقع بالمغرب الأقصى جنوبى الطرف الأخير من البحر المتوسط قبل امتداده شمالاً إلى ثغر سبّية ، وتسكنها قبائل غمارة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وادي آش) وهو تحريف واضح لأن وادي آش من مدن الأندلس .

(٣) في «الزيتونة» (وجاوب) .

(٤) وردت في «ج» يترف . والتصويب من «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (ثبت) . والتصويب من «الملكية» .

ولا أنا ممن هذه الدار هم
ولا أنا ممن للسؤال قد انبرى
ولا أنا ممن نجيح الله سعيهم
فلا في هوى أضحي إلى الله وقائداً
أحارب دهرى في تقيض طباعه
وأنظره شزراً بأصلف ناظر
وأضبطه ضبط الحديث صحفه
ويأخذ منى كل ما عز نياله
أدور له في كل وجه لعلنى
ولما يثنا منه تهنا ضرورة
تكأفت قطع الأرض أطلب مآلوه
وخاطرت بالنفس العزيزة مقدماً
وصرفت نفسى في شئون كثيرة
وخضت لأنواع المعارف أبجراً
ولم أحل من تلك المعانى بظايل
وقد مر من عمرى الألد وها أنا
وإنى على ما قد بقى منه لم يبق
أعد ليالى العمر والفرص صومها^(١)

وقد غره منها جمال وزخرف
ولا أنا ممن صان عنه التعطف
فهمتهم فيها مصلى ومصحف
ولا فى تلقى أمسى إلى الله يزلف
وحربك من يقضى عليك تعجرف
فيعرض عني وهو أزهى وأصلف
فيخرج فى التوقيع أنت المصحف
ويبدو بجلى منه فى الأخذ مخنف^(٢)
سأثبته وهو الذى ظل يحذف
فلم تبق لى فيها عليه^(٣) تشوف
لنفسى فما أجدى بتلك التسكف
إذا ما تخطى النصل قصد مرهف
لحظى فلم يظفر بذاك التعرف
ففى الحين ما استجرتها وهى تتعرف^(٤)
وإن كان أهلها أطالوا وأسرفوا
على ما مضى من عهده أتلف
لحرمة ما قد ضاع لى التخوف
وحسبك من فرض الحال تعف

(١) هكذا فى «الملكية». وفى «ج» (مخفف). وفى «الزيتونة» (مخفف) والأولى أرجح.

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» و «الملكية» (عليها).

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة». وفى «الملكية» (تتلف).

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «الملكية» و «ج» (طولها).

على أنها إن سلمت جَدَلِيَّةٌ^(١) تُحَدِّثُني الآمال وعي كِدِينِهَا^(٢) بَأَنِّي في الدُّنْيَا سَأَقْضِي مَآرِبِي وتلك أمان [لا حقيقة] ^(٣) عندها وربُّ أَخِلَاءٍ^(٤) شَكُوتُ إِلَيْهِمْ فبعضهم يُزِدِي على وبعضهم وبعضهم يومى إلى تعجُّبًا [وبعضهم يُبَلِّغِي جوابه على يسى استماعًا ثم يُعْثِدُ إجابة] ولا هو يبدى لى على تعقُّلًا^(٥) وما أُنْمِرُنَا إِلَّا سَوَاءً وَإِنَّمَا فلو قد فرغنا من علاج نفوسنا أما لهم من علة أرمت بهم وخُضْنَا لهم في السَّكُتِ^(٦) عن كُنْهٍ أَمْرِهِم

تعارض آمالاً عليها يُنْثِفُ^(٧) تُبَدِّلُ في تحديتها وتُحَرِّفُ وبعدُ يحسُّ الزَّهْدُ لى والنَّشْفُ أنى قرنى الضَّدين يبقى التَّكَلُّفُ ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يُفْ يغضُّ وبعضُ يُرْثَى ثم يَصْـمَدُفُ وبعضُ بما قد رأيتَه^(٨) يتوقف مُقْتَضَى العقل الذى عنه يتوقف [^(٩) على غير ما تحذوه يحذو ويخصف ولا هو يُرْثَى لى ولا هو يَعْنِفُ عرفنا وكلُّ منهم ليس يعرف [وخطوا الدنية من عليل وأنصف] ^(١٠) ولم يعرفوا أغوارها وهى تتلف ومثلى عن تلك الحقائق يكشفُ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» و «الملكية» (جد ليلة).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (ثيف).

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (كرينها).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (حقيقة).

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الخلا). والتصويب من «الملكية».

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وربما كانت (رايه).

(٧) هذا البيت وارد في «ج» و «الزيتونة» وساقط في الملكية.

(٨) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية». وردت في «ج» و «الزيتونة» (فلا هو يبدى

عن تعقل على).

(٩) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة مع تحريفات يسيرة في كل منها..

(١٠) هكذا وردت في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (الكتاب).

وصنفت في الآفات كل غريبة
وليس عجيباً من تركب جهلهم
إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله
فما جاءنا إلا بأمر مناسب
ولا كن عجيب الأمر علمي وغفلي
إلا أنها الأقدار يظهم سرها
أيارب إن الأب طاش بما جرى
وإننا لندعوهم ونخشى وإنما
أقول وفي أثناء ما أنا قائل
وإني مع الساعات كيف تقلبت
وما جر ذا التسويف إلا شبيقتي
إذا جاء يوم قلت هو الذي يلي
أقدم رجلاً عند تأخير أختها
[كائن لداني المراقب منهم]^(١)
وهبني أعيش هل إذا شاب مفرقي
وكيف ويستدعي الباريق رياضة
متى يقبل التتوهم غير عطوفة
ولو لم يكن إلا ظهوره^(٢) سره

فجاء كما يهوى الغريب المصنف
فإن يحجبوا عن مثل ذاك وصرف^(١)
إذا ما مثلناه أزهى وأسخف
أينهم عن كنف الجبان المشق
فديتكم أي المحاسن^(٢) أكشف
إذا ما وفي المقدور فالرأي يخلف
به قلم الأقدار والقلب يرجف
على رمحك الشرعي من لك يعكف
رأيت المناسبات وهي لي تتخطف
لأشهرها من فوقت متهدف
تخيّل لي طول المدى فأسوف
ووقتك في الدنيا جليس تخفف
إذا لاح شمس فالنفس تسكن
ولم أودعهم والخض ريان ينسف
وولي شبابي هل يباح النشوف
وتلك على عصر الشباب توظف
وبى بعد حسا فالنار تنسف
إذا ما دنا التدليس هان التنطف

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخجّارين) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (كان لداني المراقب منهم)

وهذا لا يستقيم مع الوزن .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (ظهره) .

أَمَرُوا إِلَى الْأَسَارَى أَنْتَ أَوَّلَى بِعَازِلِهِمْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَحَقُّ وَأَعْظَمُ
فَقَدْ قَفْنَا بِلَجِّ الْبَحْرِ وَالْقَيْدِ أَخَذُ بَارِجَانَا وَالرَّيْحِ بِالْمَوْجِ تَعْصِفُ
وَفِي السَّكُونِ مِنْ سِرِّ الْوُجُودِ عَجَائِبُ أَطْلُ عَلَيْهَا الْعَارِضُونَ وَأَشْرَفُ
وَكَمَتِ (١) عَلَيْهِمْ نَكْثَةُ (٢) فَتَأَخَّرُوا وَدَدْتُ بِأَنَّ الْقَوْمَ بِالْكَلِّ أَسْمَفُ
فَالَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَحْطَّ رِقَابُنَا بِأَبْوَابِ الْأَسْتِسْلَامِ وَاللَّهُ يَلْطَفُ
فَهَذَا سَبِيلُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ غَيْرُهَا وَإِلَّا فَمَاذَا يَسْتَطِيعُ الْمُكَلَّفُ
وَقَالَ ، وَضَمَّنَهَا مُحَاوَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَقَيَّدَتْهَا عَنْهُ زَوَالُ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ
التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ لِلْحَرَمِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ (٣) وَسَبْعِمِائَةٍ ، بِرَابِطَةِ الْعُقَابِ (٤) ، مُتَعَبِدٍ
الشَّيْخِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَهِيَ :

يَا بِي شَجُونُ جَدِيثِي الْإِفْصَاحِ إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأَوَاحِ
قَالَتْ صَفِيَّةُ [إِذْ مَرَدْتُ] (٥) بِهَا أَفْلا تَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحِ
فَاجِبَتْهُمَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ (٦) لِي مَا تَبْتَنِي بَعْدَ الْغُدُوِّ رَوَاحِ (٧)

- (١) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (ركعت).
(٢) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (نكثت) .
(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (خمس وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، لأن هذا التاريخ المتأخر يوافق أواخر أيام ابن الخطيب بالمغرب قبيل مصرعه بوقت يسير .
(٤) رابطة العقاب كانت إحدى الروابط التي تخصص للعبادة ، وكانت تقع على مقربة من غرناطة . وأبو إسحاق الإلبيري هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإلبيري ، وهو فقيه ورع وشاعر غرناطي توفي في أواخر سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بقصيدته في التحريض على البطش باليهود أيام باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم ، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وقتل باليهود وذلك في صفر سنة ٤٥٩ (راجع كتابي دول الطوائف (الطبعة الثانية) ص ١٣٥ و ١٣٦) .
(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (عند ما مرت) ، وهو لا يستقيم مع وزن الشعر . فلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية» . مع إضافة كلمة إلى . ووردت محرفة في «ج»
(فاجبت لولا أن الرقيب لكان لي) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (رباح) .

قالت وهل في الحى حى غيرنا
فأجبتها إن الرقيب هو الذى
وهو الشهيد على موارد عبده
قالت وأين يكون وجود الله إذ
فأفرح بإذن الله جل جلاله
وانهج على ذم الرجال ولا تخف
وانزل على حكم الشرور ولا تبيل
واخلع عذارك فى الخلاعة يا أخى
وانظر إلى هذا النهار فسيده
أنواره ضحكك وأترع كأسه
وانظر إلى الدنيا بتظرة رحمة
فأجبتها لو كنت تعلم ما الذى
ما كان معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرنا من الأمر الذى
لعذرتنى وعامت أنى طالب
فاترك صفيك^(٢) قارعا باب الرضى
يا حى حى على الفلاح وخلفى
وقيدت من خطه فى جملة ما كتب إلى ماله :
ومما نظمته بغرناطة ، وبعضه ببرجة^(٤) ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتبها
لك ، وهو غريب المنزع ، وإنه كما قال :

(١) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٤) سبق التعريف بها .

خُذْهَا عَلَى رَغَمِ الْفَقِيهِ سُلَافَةِ
أَبْدَى أَطْبَاءِ انْقِلَابِ لَأَهْلِهَا
وَإِذَا امْرُؤٌ ^(٢) قَالَ فِي أَشْوَانِهَا
يَا قُوَّةُ ^(٤) دَارَتْ عَلَى أَوْبَابِهَا
مُرِجَتْ فِغَارَ الشَّيْخِ مِنْ تَرَكِيهَا
فَبَدَتْ فِغَارَ الشَّيْخِ مِنْ إِظْهَارِهَا
لَا تَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى مُسْتَهْرَفٍ
وَكَذَلِكَ لَا تَعْتَبُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
سُكْرَانٌ ^(٦) يَعْثُرُ فِي ذِيُولِ لِسَانِهِ
كَمْ الْهَوَى حَرْبٌ بَعْضٍ وَبَعْضٍ
لَا تَخْشِينِ عَلَى الْعَدَالَةِ هَاتِفًا
الْحُبُّ خَمْرُ الْعَارِفِينَ وَقَدْ ضَفَّتْ
فَاشْطَحَ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ وَأَهْلُهُ
كَبُرُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مَوْتَى عَلَى
وَاهِزْهُمْ بِهَمْ فَتَى يَقُلْ نَصَحَاؤُهُمْ
وَإِذَا أَرِيَهُمْ ^(٨) اسْتَخَفَّ فَقُلْ لَهُ

تُجَبَّلِي بِهَا ^(١) الْأَقْدَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى
مِنْهَا شَرَابًا لِلنَّفُوسِ مُبَرِّحًا
[قُلْ أَنْتَ] ^(٣) بِالْإِخْلَاصِ فَيَمْنِ قَدْ صَحَا
فَاهْتَزَّتْ الْأَقْسَامُ مِنْهَا وَاللِّحَا
فَلِذَاكَ جَرَّدَهَا وَصَاحَ وَسَرَّحَا
فَاشْتَدَّ يَبْتَدِرُ الْحِجَابَ مُلَوِّحَا
قَدْ غَارَ مِنْ أَسْرَادِهَا ^(٥) أَنْ يُفَضِّحَا
لَمْ يَدْرِ مَا الْإِيضَاحُ لَمَّا أَوْضَحَا
كُفْرًا وَيَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ سَبَّحَا
ضَاقَ ذَرْعًا بِالْغَمِّ رَامَ فَبَرَّحَا
أَغْرَ ^(٧) أَرْتِيَا حِ الْغَاشِقِينَ فُجَّرَحَا
حَمًّا عَلَى مَنْ ذَاقَهَا أَنْ يَشْطَحَا
عَجَبًا فَلَيْسَ بِرَاجِحٍ مِنْ رَجَّحَا
غَيْرِ الشَّهَادَةِ مَا أَغْرَ وَأَقْبَحَا
أَهْبِجْ فَقُلْ حَتَّى أَلَاقَى مُفْلِحَا
بِاللَّهِ يَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دَعْ جِحَا

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (به).

(٢) وردت في «ج» (المراي). وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المرو). والتصويب أرجح.

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (ما أنت).

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (يا قوّة). وبالتصويب يستقيم الوزن والمعنى

اللاحق.

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (استارها).

(٦) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (بسكران).

(٧) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (نقر).

(٨) وردت في «ج» وفي «الملكية» (زرم).

أَبْنَى سُلَيْمٍ قَدْ نَجَا مَجْنُونَكُمْ مَجْنُونٌ إِلَى الْعَارِفِينَ بِهِ قَدْ مَحَا
 هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَمْ يُبْسِحْ بِحَبِيبِهِ مَعَ مَنْ يَذْكُرْ حَبِيبَهُ قَدْ أَفْضَحَا
 فَافْرَحَ وَطِيبَ وَابْهَجَ وَقَلَّ مَا شِئْتَ مَا أَمْلَحَ الْفُقَرَاءُ يَامَا (١) أَمْلَحَا
 وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ الَّتِي هِيَ آيَاتُ الْعَجَائِبِ ، وَطَرَرُ حَالِ الْبِدَايِعِ فِي شَقَى الْأَغْرَاضِ
 وَالْمَقَاصِدِ ، قَوْلُهُ يَعْتَذِرُ لِبَعْضِ الْعُذْبَةِ ، وَقَدْ اسْتَدْبَرَهُ (٢) بِيَعُضْ حُلُقِ الْعِلْمِ بِسَبْتَةِ :
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ بِصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانُهَا
 لَا غَرَوُ اتَى لَمْ أَشَاهِدْكُمْ فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي غَرَضِ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ :

يَلُومُونِي بَعْدَ الْعِذَارِ عَلَى (٣) الْهَوَى وَمِثْلِي فِي وَجْدِي لَهُ (٤) لَا يَفْنَدُ
 يَقُولُونَ لِي أَمْسِكْ عَنْهُ قَدْ ذَهَبَ الصَّبَا وَكَيْفَ يُرَى الْإِمْسَاكِ وَالْخَيْطِ أَسْوَدُ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمُجَنَّبَاتِ (٥) ، وَهُوَ مِنَ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ :
 وَمُضْفَرَّةُ الْخَدِيدِ مَطْوِيَّةُ الْحَشَا عَلَى الْجُبْنِ وَالْمُصْفَرُّ يُؤْذَنُ بِالْخَوْفِ
 لَهَا هَيْئَةٌ (٦) كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنَّا فِي الْحَيْنِ تَغْرُبُ فِي الْجَوْفِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي النَّصِيحِ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ تَقْتَضِي ذَاكَ :

لَا تَبْدُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلْقَى لِبَدَلِ النَّصِيحِ مِنْهُ قَبُولًا
 فَالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُولًا

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» وَ «الْمَلَكِيَةِ» (مَا) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلَكِيَةِ» وَ «الزَيْتُونَةِ» (اسْتَدْرَكَه) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَفِي النَّفْحِ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ . وَوَرَدَتْ فِي «ج» (بِه) .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ . وَفِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (الْمُجَنَّبَاتِ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ حَسْبَ الْيَدِ .

مِنْ سِيَاقِ الْبَيْتِ التَّالِي .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ «الْمَلَكِيَةِ» . وَوَرَدَتْ فِي النَّفْحِ (بِهَجَةٍ) .

ومنها في الحكم :

ما رأيت الموم تَدْخُلُ الا من دروب العيون والآذان
غُضَّ طَرْفًا وَسُدَّ سَمْعًا ومهما تَنَاقَى هَمًّا فلا تَتَّقِ بَضَمَان

ومنها قوله ، وهو من المعاني المبستكرات :

حزنت عليك العينُ يا مُنَى الهوى فالدمع منها بعد بُعْدِكَ ما رَقَا
ولذلك [قد صُبِغَتْ] ^(١) بلون أزرق أو ما ترى ثَوْبَ المآثم أزرقا

ومنها قوله في المعاني الغريبة . قال ، ومما نظمته في عام أربعة وأربعين
في التفكير في المعاني ، مُغْلَقُ العينين :

أُبْحَثُ فيما أَنَا حَصَلْتُهُ عند انغماض العين في جَفَتِهَا
أَحْسِبُنِي كالشاة مجتررة تمضغ ما يخرج من بطنها

وقال ، ومما نظمته بين أندرش وبرجة ^(٢) عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب
مسافر ، وهو مما يُعْجِبُنِي ، إذ ليس كل ما يصدر عني يُعْجِبُنِي . قلتُ وبحق
أن يعجبه :

تطالبني نفسي بما ليس لي به يَدَّان فأعطينها الأمان ^(٣) فتقبل
عجبتُ نَحْصَمُ لَجٍّ في طلباته يصالح عنها بالحال فيفصل

[قال ومما نظمته في السنة المذكورة من ذم النساء :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي النسخ (ما ظهرت) .

(٢) نعود هنا إلى الإشارة إلى برجة لورودها مع أندرش . فبرجة وأندرش كلتاها من مقاطعة ألمرية ، تقع الأولى شرق النهر الأخضر . وتقع الثانية غربية على منقبة من مصبه . ومما هو جدير بالذكر أن أندرش هي البلد التي أقام فيها أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس بعد سقوط غرناطة في سنة ١٤٩٢ ، ومكث بها نحو عامين ، ثم غادرها إلى منفاه في المغرب .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأماني) .

ما رأيت النساء يُصالحن إلا للذى يصلح الكنيف من أجله
فعلى هذه الشريعة صالحهن لا تمدُّ بأمرى عن محله^(١)
قال . ومما نظمته في السنة المذكورة :

قد هجرتُ النساء دهرًا فلم أبدعْ آذاني^(٢) صفهاتهن الذميمة
ما عسى أن يُقال في هجو من قد خصَّه المصطفى بأقبح شيعة
أو يبقى لنا قصر العقل والدين إذا عدَّت المشالب قيمة
وقال ، وما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن . هذان البيتان ، ولم أر معناها
لمن مضى . ولورحل رجل إلى خراسان ، ولم يأت إلا بهما ، كان ممن لم يخفق
مسماه ، ولا أجذب مرعاه ، ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح^(٣) ، إذا أجهده
ما يسكبه من المضاضة . ونقض العهد ، واختلاف الوعود . وهذه الحنة من
شر ما ابتلى به بنو آدم ، شذشنة نعرفها من أمرهم . ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فنسى :

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كفؤنا مؤونات البقا على العهد
فلوقد وفوا كئنا أسارى^(٤) حقوقهم تراوح بين النسيئة والنقد
وقال يُداعبني ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، ولقد لقيت^(٥) ، رجلا ببلاد
الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج ، وكان برِد^(٥) في بستان كان له ، فقلت
أهجوّه عام أربعة وأربعين وسبعمائة :

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» «الملكية» (أذنى) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (أسرى) . ونعتقد أن الوزن يستقيم بالتصويب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (رأيت) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (بردا) .

قالوا أبو البركات جَمَّ (١) ماؤه فغدا أبو البركات لا أبا البركات
قلنا لأن يُكنى بموجوداته أولى من أن يكنى بمعدومات
ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة :

قد كنتُ معذورا بعلی وما أبثُ من وعظي بين البشر
من حيث قد أملت إصلاحهم بالوعظ والعلم فخان النظر
فلم أجد أوْعظَ للناس من أصوات وُعَظْ جلود البقر

ومما نظمته بمرسى تلهي . من بلد هُنين (٢) ، عام ثلاثة وخسين ، وقد
أصابني هوسٌ في البحر وخطبت به بعض الأصحاب :

رأسي به هوسٌ جديد لا الذي تدريه من هوس قديم فيه
قد حلَّ ما أبديه من هنا كما قد حلَّ من ذاك الذي أخفيه

ومن الملح قوله ، قال ، وبِثُ بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة
الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفرداً ، فطُفِي [المصباح] (٣) ، وبقيت
مُفَكِّراً ، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن [في] (٤) الأرحاء والحمامات ،
وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذَّ عند دخولها منفردين بالليل : لا سيما
في الظلام ، واستشعرتُ قوة في نفسي عند ذلك ، أعراضٌ وأوهام ، فقلت
مرتجلاً ، رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها إن عُرِضت للبيع غير ثمين

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (هم) . وفي «الملكية» (ضم) . وهو تحريف

(٢) هنين أو مرسى هنين هو ثغر صغير يقع غربي وهران ، وشمال تلمسان على شاطئ

البحر المتوسط .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

أن الرّحاً معبورة بالجن والحمّام عندهم [كذا]^(١) ييقين
 إن كان ماقلوه حقاً فاحضروا للحرب هذا اليوم من صيفين
 فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة بآنى مضارع قيس المجنون
 قال ، ودخلت رياضا يوما . فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه
 من حوايجي ، ولا من حوايج حارسة البستان ، فسألها فقالت ، هو
 لجارتى فقلت :

من مُنصفي من جارتى^(٢) جارت على مالى كأتى كنت من أعدائها
 عدت إلى الشمس التى انتشرت^(٣) على أرضى وأمت فيه [بيس كسائها]^(٤)
 لولا غيوم يوم تيبس الكسا سرت لحجب الشحب جل ضياءها
 لقضيت منهم الخسار لأننى أصبحت مُزورّاً على بُخلائها
 قلت ، وصرت إلى معنى^(٥) بحمّة بجانة^(٦) وسارمى كلب كان يحرس
 رياضى اسمه قطمير ، وهو فيما يُدّكر كلب أهل الكهف ، فى بعض الأقوال ،
 فتبغى من ألمرية إلى الحمة ، ثم من الحمة إلى ألمرية ، فقلت :

رحلت وقطمير كلبى رفيقى يونس قلبى بطول الطريق
 فلما أنخت أناخ حذائى يلاحظنى لحظ خل شفيق
 ويرعى أذمة رفقى كما يتبغى الصديق الصدوق

(١) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم وزن الشعر .

(٢) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . ووردت فى «الزيتونة» (جاريق) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى «الملكية» (انتثرت) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الملكية» .

(٥) وردت فى «ج» (مالى) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) بجانة ، وبالإسبانية Pechina بلدة تقع على نهر أندرش ، على مقربة من شمال شرق

المرية .

على حين قومي بني آدم بلؤمهم لم يوفؤوا حقوق
ولا فرق بين الأبايد منهم وبين أخ مُستعجب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقه هوىً اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولي حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يُفضلُ كلباً عليهم فياويلهم من رفيق
ألا من يرقّ لشيخ غريب أبى البركات القتي البليق

وقال ؛ ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وأيّن الخير من ^(١) زمانى وأهله على أننى للشرّ أولُ سابق
لما الله دهرًا قد تقدّمتُ أهله فتلك لعمر الله إحدى البوائق
ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله فى الزُّهاد إنهم لم يتركوا عرّض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم يُصايروها فملّوا ثقل حملهم
وعظّم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة التّرك ^(٢) فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زادوا وأعلى الناس طرّاً فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا التّرجيح دونهم لاشيء أبين ^(٣) من ترجيح فضلهم
فالمال والجود والراحات ^(٤) غاية ما يحكى لنا الزهد فى ذا عن ^(٥) أجّتهم

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عن) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى نص (أحسن) .

(٤) وردت فى «ج» (الراحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «الملكية» (فى ذلك) وفى «ج» (فيه) وفى «الزيتونة» (فى) . وبالتصويب

والزاهدون براحت^(١) القلوب مع الأبدان سُروا وعزُّوا بعد ذلهم
فكل ما فرَّقوا قد حصلوا غرضاً^(٢) منه وزادوا ثناء الناس كلهم
قال ، ومما نظَّمته عام أربعين في ذم الحمر من جهة الدنيا ، لامن جهة الدين ،
إذ ليس بغريب :

لقد ذمَّ بعضَ الحمرِ قومٌ لأنها تُكبرُ على دينِ القتي بفساد
وقد سلَّموا قولَ الذي قال إنها تحلُّ من الدنيا بأعظم ناد
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى لمدِّمنها من طارفٍ وتلاد
فيُمسَى كريماً سيِّداً ثم يفتدى سفيفاً حليفَ الغنى بعد رشاد
وقالوا تسلى وهو عاوية لها وإلا فلم يأتوا لذاك بشاد
وصلةٌ ونور^(٣) وحسناء طفلة ومراى به للطريف سير جواد
وهل يُداوى من مرارتها التي أوآخرها مقرونةً بمهاد
ولو أشرب الإنسان مهلاً بهذه لأصبح مسروواً بأطيب زاد
ومن حُسن حال الشاربين يقيونها^(٤) بالرغم [من] برقي وساد
ومن حُسن ذا المحروم أن مُدامه إذا غلبت تكسوه ثوب رقاد
فيختلف الندمان طراً لروحه ويحدوهم نحو المروعة حادي
ومن حُسنه بين الوري ضربُ ظهره فيُمسَى بلا حرب وهين جلاد
بجائز في الأوهام قد ضلَّ سعيهم يخففون بيعاً بحسن غواد^(٥)

(١) وردت في «ج» (براحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (عوضاً) والأولى

أرجح .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (نوار) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وغاد) .

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ، واستبماد وجوه المتعالب في جنسه ، مما
نظمته يوم عرفة عام خمسين | وأنا مُنْزَوٍ في غارٍ | ^(١) يبعض جبال ألمرية :

زعموا أن في الجبال قوماً ^(٢) صالحين قالوا من الأبدال

وادَّعوا أن كل من ساح فيها فسيلة — اعلم على كل حال

فاخترقنا تلك الجبال — راراً — بنعال طَوْرًا ودون نعال

مارأينا فيها سوى الأفاعى وشبا عترب كمثل النبال

وسباعاً ^(٣) يخترون بالليل عَدُوًّا لا تُملنى [عنهم] بتلك الفيال ^(٤)

ولو كُنَّا لدى العُدوة الأخرى رأينا نواجه الرِّيبال

وإذا أظلم الدجى جاء إبليس إلينا يزور طيف الخيال

هو كان الأُنيس فيها ولولا ه أصيبت عقولنا بالخبال

خل عنك المحال يا من تعني ليس تلتقى الرجال غير الرجال

قال ، ومن المنازع الغربية ذمُّ الأصحاب | ومدحُ ^(٥) الأعداء ، فمن

ذلك قولي :

جزى الله بالخير [أعداءنا] ^(٦) فوردهم أنسى ^(٧) المصدر

هم كحلونا على العرف كرهاً وهم صرَّفونا عن المنكر

وهم أقعدونا بمجلس حكمهم وهم يؤثونا ذرى المنكر

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) في النسخ (رجالاً) .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (وسباع) . والأول أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (الفيال) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وهم) . والتصويب بقضيه الساق ، وبإسقاط

الآيات .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإليه لا ريب لقسط المعنى والسياق .

(٧) كذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي الملكية (أنى)

وهم صَيَّرُونَا أُمَّةً عَالَمٌ وَدِينٌ وَحَسْبُكَ مِنْ مَفْخَرٍ
 عَدُوِّي بِأَوَّلِ فِدَى مَأْتَمٍ وَإِنْ جِيتُ بِالْإِنَّمِ لَمْ يَمْدُرْ
 وَأَنْتَ تَرَى تَمَحِيصٌ مِنْ يَمْعِدِلٍ [بَيْنَ الْمُسَىءِ وَبَيْنَ الْبَرِّ] (١)
 وَلَا زَوْدَ اللَّهِ أَصْحَابِنَا بَزَادَتِ ثَقِيٍّ وَلَا خَسِيرٍ
 هُمْ جَرَّؤُونَا عَلَى كُلِّ إِيْثَمٍ وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُمْ بِالْمُخْبِرِ (٢)
 وَعَدُوا مِنْ إِيْكَبَارِ آثَامِنَا فَكَانُوا أَضْرًا مِنَ الْفَاتَرِ (٣)
 أَعَارَنِي الْقَوْمَ ثَوْبَ الثَّقِيٍّ وَإِنِّي مِمَّا أَعَارُونِي بَرِي
 إِذَا خَدَعُونِي وَلَمْ يَنْصَحُوا وَإِنِّي بِالنَّصِيحِ مِنْهُمْ حَرِي
 فَمَنْ كَانَ يَكْذِبُ حَالِ الرُّضَى يَصْدُقُ فِي غَضَبٍ يَفْتَرِ (٤)
 بَلَى سَوْفَ تَلْقَى لَدَى الْحَالَتَيْنِ يَحْكُمُ النَّفْسَ هَوَى الْفَرِ
 فَيَاوَبُّ أَبْقَ عَلَيْنَا عَقُولَنَا (٥)
 قَالَ ، وَمَا رَأَيْتُ هَذَا الْمَعْنَى قَطُّ لِأَحَدٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ مَا مَعْنَاهُ :
 عُدَاتِي لَمْ فَضَّلْ عَلَى وَمِنَّةٍ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
 هُمْ يَبْحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبْتُ (٦) الْمَعَالِيَا
 فَوَقَعَ حَافِرِي (٧) عَلَى سَاقِ هَذَا . [قَالَ] وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ ، مَتَخَيَّلًا (٨) أَنِّي
 سَابِقٌ مَعْنَاهُ :

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (يعادل بين المسىء والبر) .

(٢) وردت في «ج» (بالخبر) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (الفر) . والأولى أصلح للسياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها هنا (يفترى) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الملكية (عقولا) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فارتكبت) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (حافى) .

(٨) وردت في «ج» (مختلا) . والتصويب من «الزيتونة» .

خَلَسْنَا لِيَاةٍ مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَنِينَ^(١) بِاللَّيَالِي الطَّيِّبَاتِ
 سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَقْلِ فِيهَا مَسَالِكَ قَدْ جُلِينَ عَنْ الشَّتَاتِ
 قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَّفْسِ فِيهَا وَحَقُّ اللَّهِ مَرَعَى الشُّبَاتِ^(٢)
 فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا بَدَتْ حَسَنَاتُهُ فِي السَّيِّئَاتِ

ثم رأيت بعد ذلك [على هذا]^(٣) .

لا وليالٍ على المصلي تسرق في نُسكها الذنوب
 فوقعت ساقى على حافر هذا المحروم ، إلا أنى جرّدت ذلك في المعنى ،
 وأوضحته ، وجلّوته على كرسى التّعبد والتّنجيد ، فلو لا التاريخ لعاد سارق
 البرق .

نثره

وأما نثره فنمطٌ مرتفع عن مُعتاد عصره ، استنفاراً وبلاغةً ، واسترسالاً
 وحلاوةً ، قلما يُعَرَّج على السُّجع ، أو يأمر على التّكليف ، وهو كثيرٌ بحيث
 لا يتعين عيونه ، ولكن نلّمع منه نُبذةً ، ونجلب منه يسيراً . كتب إلى عند
 إياي من الرّسالة إلى ملك المغرب ، متمثلاً بيّتين لمن قبله ، صدّ بهما :

يَأْتِيهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي نَجْبُهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
 إِيَّاسِي التَّوْبَةَ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرَبِ

بل محلك^(٤) ، أمثلُ من التّمثيل بالشمس ، فلو كان طلوعك على هذه الأوتار

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظنين) وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الاهمات) .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (نجلك) . والتصويب من «الملكية» .

شمساً ، لأصبح [جُلِّها لك] (١) عُبَاد . ولو كان نزولك مطراً لتكثَّفت الصُّخُور
تُرَاباً دَمِناً . ولو لامعرتنا مَعَشَرُ إِخْوَانِ (٢) الصِّفَا ، بِأَقْرَارِ (٣) أَنْفُسِنَا ، لحَكَمْنَا بِأَن
قُلُوبُنَا تَمَایِمُ لِأَصْدِقَائِنَا ، ولكن سبقت عیون السَّعَادَةِ ، بِالسَّكَلَاتِ (٤) فلو تُصَادَفُ
بِالرَّضَى مُحَلّاً ، لِأَن تَحْصِيلَ الْحَاصِلِ مُحَالٌ ، لَا زِلْتَ مُحْرُوساً ، بِعَینِ الَّذِی لَا تَأْخُذُهُ
سِینَةٌ وَلَا نَوْمٌ [مَكْنُوفَةٌ بِبَرَکَةِ الَّذِی یُرِیهِ رَایِمٌ] (٥) وَالسَّلَامُ .

وكتب إلى عندما تقلدت من ریاسة الإنشاء ما تقلدت : تخصم یا محلَّ الإبن
الأَرْضَى ولادة ، والأخَّ الصادق إخلاصاً ووُدّاً ، خصَّكم الله من السَّعَادَةِ بِأَعْلَاهَا
مَرْقًى ، وَأَفْضَلِهَا عُقْبًى ، وَأَحْمَدَهَا غِنًى ، وَأَكْرَمَهَا مَسْعًى ، تَحِيَّةُ اللَّهِفَانِ (٦) إِلَى
أَيَّامِ لِقَائِكَ ، الْمُسْلَى (٧) عَنْهَا بِنَامِيلِ الْعُودِ إِلَيْهَا ، الْمُزْجَى أَوْقَاتُهُ بِتَرْدَادِ الْفِكْرِ فِيهَا ،
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَاجِّ ، أَبَقَاهُ اللَّهُ ، عَنْ شَوْقٍ ، وَالَّذِی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَمْ أَجِدْ قَطُّ مِثْلَهُ إِلَى
وَلِيِّ حَمِيمٍ . وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ، مَعْرِفَانِی بِعَلَاقَةٍ (٨) ، وَتُصَالِیْنِی عَنْ كَسْرِهِ
بِحَاجَتِهِ (٩) ، لَمَّا اعْتَنَى بِهِ مِنْ تَوْقِيلِكُمْ بِالرُّتْبَةِ ، الَّتِی مَا زَالَ أَحِبَّاءُكُمْ (١٠) بِهَا يَمْتَطُولُ
بِرِّهَ . عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَزِدْ بِذَلِكَ رُتْبَةً عَلَى مَا كُنْتَ بِاعْتِبَارِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَالْمَسْكَاةِ

(١) هكذا في «الزيتونة» . ومكانها في «ج» (للقايك) . وفي «الملكية» (حلها بك) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (إخواننا) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وهي جمع قرارة . ومعناها هنا الأعماق . وقد تكون تحريفاً لكلمة (بأسرار) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (إسماد) ونعتقد أن الأولى أرجح .

(٧) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (المتسلى) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٩) وردت في «ج» و «الملكية» (بجاجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(١٠) وردت في «ج» (أحبائهما) والتصويب من «الزيتونة» وهو أكثر تمشيماً مع السياق .

العلية ، إلا عند الأطفال والأغفال ، والمحققين من النساء والرجال ، لا كن
أفرعنا هذه المخاطبة المخطئية (١) في قالب الجمهور ، ولم نسر فيها ، على الأصح ،
لا كن على الجمهور . ولو كانت مصارف الوجود بيدي ، لوأفتك من الوجود ،
منازلُ أَسْمَايَه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ،
وأحللتك أرفعهُ مَعْقِلًا ، وأقبستك بُدْرَهُ (٢) مصباحاً ، وأهدتك (٣) أسرارهُ تحفًا .
وقد تبلغ المقاصدُ مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نُضْمِرُهُ لتلك الجملة
الجليلة الفاضلة ، مما الله رقيبٌ عليه ، ومحيطٌ بدقايقه . ولو كانت هذا العبد
الغافل ، المأسور في قيد نفسه ، الحزُون على انتهاب الأيام ، رأس (٤) عمره في غير
شيء ، دعوةٌ يساعدها الوجدُ حتى يغلبَ على ظنّه ، أن العليم بذات الصدور ،
ولآها من قبوله بارقةً لخصاك بها ، والله شهيد على ما تُكِنُّهُ الأفئدة ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

والفضلُ جمٌّ ، والمحاسنُ عديدة ، فلنقتصر اضطراراً ، ولنكف (٥) امتثالاً
للرسم ، وانقياداً ، أمتع الله به .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المخطئية) .

(٢) وردت في «ج» (بدوره) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأهديتك) . والتصويب يستقيم انسيق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (ونكف) .

محمد بن عبد الله^(١) بن منظور القيسى

من أهل مالقة . يكنى أبا بكر

أوليته

أصله من إشبيلية ، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم ، والأصالة ،
تشهد بذلك جملة أوضاع ، منها «الروض المحظور»^(٢) فى أوصاف بنى
منظور ، وغيره .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» . كان جم التواضع والتخلق ، كثير البر ،
مفرط^(٣) الهشة ، مبدول البشر ، عظيم المشاركة ، سريع اللسان إلى الثناء ،
مُسترسلا فى باب الإطراء ، دَرِباً على الحكم ، كثير الحنكة ، قديم العالة ،
بصيراً بالشروط . وُلَّى القضاء بمجرات كثيرة ، وتقدم بمالقة ، بلده^(٤) فشكرت
سيرته ، ومُحدث مدارته ، وكان سريع العبارة ، كثير الخشية ، حسن الاعتقاد ،
معروف الإيثار والصدقة ، شائع الإقراء^(٥) لمن ألم بصقعه ، واجتاز على محل ولايته ،
جارياً على سنن سلفه ، ينظم وينثر ، فلا يقصر .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبى محمد بن أبى السداد الباهلى ، ولازمه وانتفع به ، وسمع

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عيا الله) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (المنثور) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» و «الملكية» (مفوض) والأولى أرجح .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (ببلده) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (القراء) وهو تحريف .

على غيره من الأعلام ، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والعدل الراوية
المسنن أبي عبد الله بن الأديب ، والمسنن أبي الحكم مالك بن المرحل ، وعلى
الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد^(١) الأقرشي الفاسي ، ولبس عنه
خرقة التصوف ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد ، وعن الشيخ القاضي
أبي المجد بن الأحوص ، وعلى ابن مجاهد الرندي المعروف بالسَّمار ، والخطيب
أبي العباس بن خيس بالجزيرة الخضراء ، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله
السلال . وكتب إليه بالإجازة ، أبو عبد الله بن الزبير ، والفقير أبو الحسن
ابن عقيل الرندي ، والوزير المعمر أبو عمر^(٢) الطنجي ، وأبو الحكم بن منظور
ابن عم أبيه ، والأستاذ أبو عبد الله بن الكباد . نقلت ذلك من خطه .

تواليفه

أخبرني أنه ألف « نفحات المسوك » ، و« عيون التبر المسبوك »^(٣) في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب « السحب الواكفة والظلال الوارفة » ، في
الرد على ما تضمنه المضمون^(٤) به على غير أهله من اعتقاد^(٥) الفلاسفة . وكتاب
الصَّيْبِ الهَتَانِ الواكف بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من
الأحاديث الصحيحة النبوية وسُور القرآن . وكتاب « البرهان والدليل في خواص
سور التثريل » ، [وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل]^(٦) . وكتاب يشتمل

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذا الاسم كلمة (أمين) وهو اسم آخر لم تجر العادة
بوروده على هذا النحو .

(٢) هكذا وردت في « ج » وفي « الملكية » . ووردت في « الزيتونة » (أبو علي) .

(٣) هكذا وردت في « الزيتونة » . وفي « ج » (المسكوك) . وفي « الملكية » (المسوك) .

والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « الملكية » (المظنون) .

(٥) وردت في « ج » (الاعتقاد) . والتصويب من « الزيتونة » .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

على أربعين حديثاً في الرقاق . موصولة الأسانيد . وكتاب « تحفة الأبرار في
مسألة النبوة والرسالة ، وما اشتملت ^(١) [عليه] ^(٢) من الأسرار » . وكتاب
« الفعل المبرور : والسعي المشكور ، فيما وصل إليه . أو تحصل لديه من نوازل
القاضي أبي عمر بن منظور »

شعره

ومن شعره قوله :

ما للعطاس [ولا] ^(٣) للقال من أثر فثق فدينك بالرحمن واصطبر
وسلم الأمر فلا أحكام ماضية تجرى على السنّ المربوط بالقدر

محمد بن علي بن الخضر بن هارون النسائي

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عسكر

حاله

من كتاب « الذيل والتكملة » ^(٤) . كان مغرباً ^(٥) مجوّداً ، نحويّاً ، متوقّداً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (اشتمل) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) الزيادة من « الزيتونة » .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن والسياق .

(٤) هو كتاب « الذيل والتكملة » لكتّابي الموصول والصلة للعلامة المغربي الثقة ابن عبد الملك المراكشي المتوفى في سنة ٧٠٣ هـ . وهو معجم نفيس للتراجم ، يتضمن تراجم جمهرة كبيرة من أعلام المغرب والأندلس حتى القرن السابع الهجري . ويقع في أربعة مجلدات كبيرة . ومنه أجزاء مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية والمتحف البريطاني ومكتبة الإسكوريال ودار الكتب المصرية . وقد نشرت منه الأسفار الأول والثاني والرابع والخامس ببيروت (سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥) .

(٥) هكذا وردت في « الملكية » . ووردت في « ج » (مغربياً) وفي « الزيتونة » (مغربياً) .

والأولى أرجح .

الذهن ، متفتناً في جملة معارف . ذا حظ صالح من رواية الحديث ، تاريخياً ، حافظاً ، فهماً ، مشاوراً ، ذؤوباً في الفتوى ، متيناً في الدين ، تامّ المروعة ، سنياً فاضلاً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، رحيب الصدر ، مسارعاً إلى قضاء الحوائج ، شديد الإجمال ، محسناً إلى من أساء إليه ، نفاثاً بجاهه ، سمحاً بذات يده ، متقدماً في عقد الوثائق ، بصيراً بمعانيها ، سريع البديهة في النظم والنثر ، مع البلاغة ، والإحسان في الفنّين

وُلِيَّ قضاء مالقة نائياً عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ، ثم وُلِيَّ مستقبلاً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر^(١) ، يوم السبت لليلتين بقيتا من من رمضان [عام] ^(٢) خمس وثلاثين . وأشفق من ذلك وامتنع منه [وخطبه مُستعفياً ، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطبة تورعاً منه] ^(٣) فلم يُسَمِّه . فتقلدها ، وسار فيها أحسن سيرة ، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها ، ونفّذ الأحكام .

وكان ماضى العزيمة ، مقداماً ، مهيباً ، جَزَلاً في قضاائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، واستمر على ذلك بقية عمره

مشيخته

روى عن أبي إسحاق الزوّالي^(٤) ، وأبي بكر بن عتيق بن منزول ، وأبي جعفر الجليان ، وأبي حسن الشَّقُورِي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الخطّاب بن واجب ، وأبي زكريا الإصْبِهَانِي مُقيم^(٥) غرناطة

(١) هو الأمير محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة . وقد حكم من سنة ٦٣٥-٦٧١ هـ

(٢) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) هكذا في «الملكية» . ووردت في «ج» (الزوّالي) . ومكانها بياض في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمعنى المقصود هنا هو (المقيم بغرناطة) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته ، وأبو العون ، وأبو عبد الله ابن بكر الإلبيري . وحدث عنه بالإجازة ، أبو عبد الله الأبار ، وأبو القاسم ابن مهران ، وكتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوا من أهل الأندلس ، حسبما تقدم في رسم أبي بكر بن هشام ، وضمنها نظماً ونثراً اعترف له بالإجادة فيهما .

تصانيفه

صنّف كتباً كثيرة ، أجاد فيها وأفاد . منها المشرع الروى في الزيادة على المروى . ومنها أربعون حديثاً التزم فيها موافقة اسم شيخه ، اسم الصابى ، وما أراه سبق إلى ذلك ، وهو شاهدٌ بكثرة شيوخه ، وسعة روايته . ومنها نزّهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر . ومنها الخبر المختصر ، في السلوى عن ذهاب البصر ، ألفه لأبي محمد بن أبي الأحوص الضرير الواعظ . ومنها رسالة في ادّخار الصبر ، وافتخار القصر والفقر . ومنها الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة السكّرام . وله اسم آخر ، وهو مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخبار ، وتقيّد من المناقب والآثار . واخترّمته المنية عن إتمامه فتولى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور ، وقد نقلتُ منه في هذا الكتاب .

شعره

ومن شعره . وقد نُعيت إليه ^(١) نفسه [قبل] ^(٢) أن تغرب من سماء معاوفاً شمسه :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (إلى) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

ولما انتفى إحدى وخمسون حجة كأنى منها بعد كرب^(١) أحلم
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها مدى الحثف منى على منه أسلم
إذا هو قد أدنت إليه كأنما ترقيت | فيه نجوة^(٢) وهو سلم
وقال فى أحب :

وأحب تحسب فى ظهره جابه فى نهر عايمة
مثلت الخلقة لا كنهه فى ظهره زاوية قائمة

ومن أمثال نظمه قوله ، وقد استدعيت منه إجازة :

أجبتك لأنى لما رمته أهل ولا كن ما أجبت محتمل سهل
[وما العلم إلا بحر طال مدانه]^(٣) ومالى تحم^(٤) فى الورد ولا نهل
فكيف أدانى أهل ذاك وقد آتى على المحتيان^(٥) البطالة والجهل
وأسأل ربى العفو عني فإنه لما يرتجيه العبد من فضل أهل
مولده : [تخميناً]^(٦) فى نحو أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته : ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة ، عام ستة
وثلاثين وستماية .

(١) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (بكر) .

(٢) وردت محرفة فى المخطوطات الثلاثة . «ج» (فبها نحوه) . وفى «الزيتونة» و «الملكية»
(فبها نحوه) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (وما العلم البحر طاب مذاقه) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (مما) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٦) هذا الكلمة واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بكر، من ذرية بلج بن يحيى بن خالد بن
عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بردة. واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى. واسمه
عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكره ابن حزم^(١) في جملة
من دخل الأندلس من العرب^(٢).

حاله

من «عائد الصلة». كان من صدور العلماء، وأعلام الفضلاء، سذاجة
ونزاهة ومعرفة وتفنناً. فسيح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثراً
للإنصاف، عارفاً بالأحكام والقراءات، مبرزاً في الحديث، تاريفاً وإسناداً،
وتعديلاً وتجريحاً، حافظاً للأنسب والأسماء والسكنى، قائماً على العربية،
مشاركاً في الأصول والفروع، واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض
الجناح، حسن التخلق، عفوفاً على الطلبة، محباً في العلم والعلماء، مجللاً لأهله،
مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس، بادی الظاهر، عزيز النفس، نافذ الحكم،
صوّالة. معروف بنصرة [من أزر إليه]^(٣). تقدم للشيخة ببلده مالقة، ناظراً
في أمور العقّد والحل، ومصالح الكفاة. ثم ولى القضاء بها، فأعزّ الخلة، وترك

(١) في كتابه (جمهرة أنساب العرب).

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (المغرب) والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

المواودة ، [وإنفاذ الحق]^(١) ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً للأوقات ، حريصاً على الإفادة .

نم ولّى القضاء والخلافة بغيرناطة في العشر الأول لمحرّم سبعة وثلاثين وسبعماية ، فقام بالوظائف ، وصدع بالحق ، وجرح الشهود فزيّف منهم ما ينيف على السبعين عدداً ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضاة ، خاض تبيجها ، وصادم تيارها ، غير مبال بالمغربة ، ولا حافل بالتبعية ، فناله لذلك من المشقة ، والكيد العظيم ، مانال مثله . حتى كان يمشى إلى الصلاة ليلاً في مسلة لا يعطئن على جاله . جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أرواه الله . وعزم عليه الأمير في بعض من الخطة ، ليردّه إلى العدالة ، فلم يجد في قذاته مغمزاً ، ولا في عوده معجماً ، وتصدّر لبث العلم بالحضرة ، يقرى^(٢) فنوناً منهجّة ، فنفع وخرج ، ودرّس العربية والفقه والأصول ، وأقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث ، شرحاً وسماعاً ، على سبيل^(٣) من انشراح الصدر ، وحسن التجميل ، وخفض الجناح .

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ، فقال ، وأما شيخنا ، وقربينا مصاهرةً ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، فصاحب عزم ومضاء ، وحكم صادق وقضاء . كان له رحمه الله ، مع كل قولة ، صولة ، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة ، فأحرق قلوب الحسدة والشب ، وأعز الخطة ، بما أزال عنها من الشوائب ، وذهب وفضض^(٤)

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها ترك أهدار الحق ، أو بعبارة أخرى الحرص على إقامته .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (يقراً) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (سبل) .

(٤) ذهب وفضض ، أى جعلها ناصعة كالذهب والفضة .

كواكب الحق بمعارفه ، ونفذ في المشكلات ، وثبت في المذهلات ، واحتج وبكت ، وتفقه ونكت ^(١) .

توقيعه

قال ، وحدثنا صاحبنا ، أبو جعفر الشَّقُورِي ، قال كنت قاعداً في مجلس حُكْمِهِ ، فرفعت إليه امرأة رُقعة ، مضمونها أنها مُحِبَّة في مُطَلَّقها ، وتبتغي من يَسْتَشْفِع ^(٢) لها في رَدِّها ، فتناول الرُقعة ، ووقع في ظهرها للحين من [غير] ^(٣) مُهَلَّة : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب ^(٤) ، فليصغ لسماعه إصاغة مُغِيث ، وليشفع للمرأة عند زوجها ، تأسيّاً بشفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبربرة في مُغِيث . والله يُسَلِّم لنا العقل والدين ، ويسلك بنا مسالك المهتدين . والسلام يعتمد على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها ، ورحمة الله . قال صاحبنا ، فقال لي بعض الأصحاب ، هالاً كان هو الشفيع لها . فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره

ولم يُسمع له شعر إلا بيتين في وصف قوس عربي النُصَب في شعر من لا شعر له ، وهما :

هَامُ الْفَوَادِ فِي بَنَاتِ النَّبْعِ وَالنَّشْمِ زُوراً تُزْدِي بَعْطَانَ الْبَانِ وَالصَّنَمِ ^(٥)
قَوَامُ قَامَتِهَا تَمَامُ مَعْنَاهَا مِنْ يَلْقَى مَقْتَلَهَا تُصْمِيهِ أَوْ تُصَمِّمُ

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة مرة أخرى (وبكت) . ونعتقد أن التعديل أرجح وأكثر مَشْيَاً مع مقتضيات البيان والسجع .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» ، وفي «ج» (يشفع) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) بالقلوب هنا يقصد بها ما يظهر الورقة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (زورا ترى بعطف البان والصنم) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ المتقن الخطيب أبي محمد بن أبي الشداد الباهلي القرآن العظيم
 جَمْعاً وإفراداً ، وأخذ عنه العربية [والفقه] ^(١) والحديث . ولأزمه ، وتأدب به .
 وعلى الشيخ [الراوية] ^(٢) الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخزرجي القرطبي ،
 قرأ عليه كثيراً من كُتُب الحديث ، منها كتاب صحيح مُسلم ، وسمع عليه
 جميعه إلا دولة واحدة . ومن أشيائه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن
 السَّكوت . والفقهاء [المشاور] ^(٣) ، الصَّدر الكبير ، أبو عبد الله بن ربيع ،
 والخطيب ^(٤) القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي ، والشيخ القاضي
 أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصاد ، والأستاذ خاتمة المقرئين
 أبو جعفر بن الزبير ، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشيد . والخطيب الولي
 الصالح أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن بن اللباد المشرقي ^(٥) . والشيخ
 الأستاذ أبو عبد الله بن السَّكاد السَّطِّي اللَّبْلِسِي . وأجازه من أهل سبته شيخ الشرف
 أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع ، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن
 الهواري ، وأبو إسحاق التهامي . والحاج [العدل] ^(٦) الراوية أبو عبد الله بن
 الحصار ، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي ، والأستاذ أبو بكر
 ابن عُبيدة ، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري .
 ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون ، وأبو العباس أحمد

(١) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (والفقيه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المسرق) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

ابن محمد الأشعري المالقي [نزىل تونس] ^(١) ومحمد بن محمد بن سيّد الناس اليغمري ،
وعثمان بن عبد القوي البلوي . ومن أهل مصر الذّسابة شرف الدين عبد المؤمن
ابن خلف الدّمياطي . والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق ، وجماعة غيرهم
من المصريين والشّاميين والحجازيين .

مولده

في أواخر ذى حجة من عام أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

فُقِدَ في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف ^(٢) شهيداً [مُحَرَّضاً] ^(٣) ،
زعموا أن بَغْلَةً كان عليها [كَبَتْ به] ^(٤) ، وأُفْلِقَ رابط الجأش ، مجتَمع القوي .
وأشاد عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال انصرف هذا يوم
الفرج ، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ،
وذلك ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية .

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) موقعة طريف هي الموقعة العظيمة التي نشبت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو
الحادي عشر ملك قشتالة ، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ومعه قوات
الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة ، على مقربة من ثغر طريف ، وعلى شفاف
نهر سالادو الصغير ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون
هزيمة شديدة . وكانت محنة عظيمة بالنسبة للمغرب والأندلس .

(٣) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد
ابن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حُثيون بن القاسم
ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[رضي الله تعالى عنه] (١)

حسباً نقل من خطه :

أُولَئِكَ مَعْرُوفَةٌ [كَانَ وَلِيَّتُهُ مِثْلَهُ] (٢) .

حاله

هذا الفاضل جُملة من نُجَل السَّكَّال ، غريب في الوقار والخصافة ، وبلوغ
المدى ، واستولى على الأمم حِلماً وأناة ، وبُعْداً عن الريب (٣) ، وتمسكاً بِعُرَى
النزاهة ، واستمسكاً بِمِجَاسِ الاسترسال ، وانقباضاً مع المُدَاخِلَةِ ، معتدلاً الطريقتة ،
حسن الإدارة ، ماسكاً أَرْزَمَةَ الدَّوَى ، شديد الشفقة ، كثير المواساة ، مَغَار حَبْل
الصبر ، جميل العشرة ، كثيف سِتْرِ الحياء ، قوى النفس ، رابط الجأش ، رقيق
الحاشية ، مُتَمِّعُ المَجَالِسَةِ ، متوقد الذهن (٤) ، أَصِيلُ الإدراك ، بارِعاً بِأَعْمَالِ (٥) المَشِيخَةِ ،
إِلَى جلالِ المُنْتَمَى ، وكرمِ المُنْصِبِ ، ونزاهة النفس ، وملاحاة الشَّيْبَةِ (٦) . وحمل راية
البلاغة ، والإعلام في ميادين البيان . رُحْلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان . حَافِ

(١) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» . و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (الريب) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (الزهد) وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (بإغفال) ، ونعتقد أن التصويب يتشبه مع السياق

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

الخصل [والفضل^(١)] في ميدانها. غريفة غريزة الحفظ. مُقْنَعَة الشاهد. مُسْتَبْحَرَة النظر، أصيلة التوجيه، بريئة عن النوك والغفلة. مرهفة باللغة والغريب، والخبر والتاريخ والبيان. وصناعة البديع. وميزان العروض. وعلم القافية وتقدماً في الفقه، ودرساً له. وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والصبر، والدؤوب عليه، بارع التصنيف، حاضر الذهن، فصيحُ اللسان [مَفْخَرَة من مفاخر أهل بيته^(٢)].

ولايتيه

قَدِمَ على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر^(٣)، كما استجمع شبابه، يَفْهَقُ عِلْماً باللسان، ومعرفةً بمواقع البيان، وينطق بالمعذب الزلال من الشعر، فسَّهَّلَ له كَنْفَ البر، ونُظِمَ في قلادة كتاب الإنشاء، وهو إذ ذاك ثَمِينَة^(٤) الخِزَارَات، محكمة الرِّصْف^(٥) [فشاع^(٦)] فضله، وذاع رجله^(٧). [ثم تقدم^(٨)]، فنقل من طور الحكم، إلى أن قُلِّدَ [الكتابة^(٩)] والقضاء والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها [التي أعقبها ولاية مالقة^(١٠)] في الرابع من شهر ربيع الآخر

(١) واردة في «الزيتونة» و «الملكية». وساقطة في «ج».

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في «ج»، وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (مفخر أهل بيته).

(٣) الخامس من ملوك بني نصر، ملوك غرناطة، هو السلطان أبو الوليد إسماعيل، وقد حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٧٢٥ هـ (١٣١٤ - ١٣٢٥ م).

(٤) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (ج - ثمنية. الزيتونة - تمية. الملكية - ثمنية).

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». وفي الملكية (وصف). والأولى أرجح.

(٦) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أرجله).

(٨) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٩) الزيادة من «الزيتونة».

(١٠) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية».

عام سبع وثلاثين وسبعماية . فاضطلع بالأحكام . وطبق مفصل الفضل [ماضى
 الصريعة ، وحى الإجماع] (١) . نافذ الأمر . عظيم الهيبة . قليل النقاد ، مُطعم
 التوفيق ، يصدع فى مواقف الخلق بكل بليغ من القول . مما يروق ديباجته ، ويشف
 حيقاله ، وتبرأ من كلال الخطباء جوانبه وأطرافه . واستعمل فى السفارة للعدو
 ناجح المسمى ، ميمون النقيية . جزيل الحياء والكرامة . إلى أن عزل عن القضاء
 فى شعبان من عام سبعة وأربعين وسبع مائة . من غير زلة تخفيض (٢) ، ولا هنة
 تؤثر ، فتحيز إلى التحليق لتدريس العلم ، وتفرغ لإقراء العربية والفقه ، ولم يذنب
 أميره المنطوى على الهاجس . المغرى بمثله ، أن قدمه قاضياً بوادى آش ، بنت
 حضرته ، معززة بسندها الكبير الخطّة . فانتقل إليه بجملته ، وكانت بينه وبين
 شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب . صداقة صادقة . ومودة مستحكمة ، فجرت بينهما
 أثناء هذه النقلة . بدائع . منها قوله . يوس عنه . خطة القضاء التى اخترعها . ويوليها
 خطة الملامة :

لا مرحباً بالناشر الفـ	إن جُهِلت رفعة مقـ
لو أنها قد أوتيت رُشـ	ما برحت تعشـو إلى نارك
أقسمتُ بالنـور المبين الذى	منه بدت مشكاة أنوارك
ومَظهرِ الحكم الحكيم الذى	يتلو عليه طيّب أخبـارك
ما لقيت منك كفوّاً لها	ولا أوتُ أكرم (٣) من دارك

نم أعيد إلى القضاء بالحضرة ، فوليها . واستمرت حاله وولايته على متقدّم
 ممّته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة ، إلى أن

(١) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (تحفظ) . والأولى أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (الكريم) . وبالتصويب يستقيم الشعر والمعنى .

هلك السلطان مُسْتَقْضِيَةٌ مَأْمُومًا بِهِ . مُقْتَدِيًا بِسُجْدَتِهِ . يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ . خَمْسَةَ
وخمسين وسبعماية . وولى الأمر ولده الأسعد . فُجِدَّ دَوْلَاتُهُ . وَأُكِّدَ تَجَلُّتُهُ . وَرَفَعَ
رَتَبَتُهُ . وَاسْتَدْعَى بِحَالَتِهِ

• شَيْخَتُهُ •

قرأ ببلاده سَبْتَةً عَلَى أَبِيهِ الشَّرِيفِ الْمُطَاهِرِ . نَسِيحَ وَحْدِهِ [فِي الْقِيَامِ] (١) .
وعلى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي [وَبِهِ جُلٌّ] (٢) انْتَفَاحُهُ ؛ وَعَلَيْهِ جُلٌّ اسْتِفَادَتُهُ . وَأَخَذَ
عَنِ الْإِمَامِ شَيْخِ الْمَشِيخَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ . وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْغُمَارِيِّ ، وَالْخَطِيبِ الْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ . وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْقُرْطُبِيِّ ، وَالْفَقِيهِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُرَيْثٍ . وَأَخَذَ عَنِ الْأُسْتَاذِ النَّظَارِ
أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِطِ وَغَيْرِهِ .

• مُحَنَّتُهُ •

دارت عليه يوم مَهْلِكِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ [رَحَى الْوَقِيعَةَ] (٣) ، فَعَرَّكَتْهُ بِالثَّقَالِ ،
وَتَخَلَّصَ مِنْ شِرَارِهَا هَوَلًا (٤) ، لَسَطَّارِحِ الْأَمِيرِ الْمُتَوَكَّبِ (٥) أَمَامَ الْمَرْيَةِ عَلَيْهِ .
خَاتَمًا فِي السَّجْدَةِ . وَدَرَسَ السُّلْمَةَ إِيَّاهُ عِنْدَ الدَّجَلَةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ لِحُلِّ الْوَطْأَةِ .
وَلَا افْتِقَادَ (٦) لِحُلِّ (٧) صَلَاةِ تِلْكَ الْأُمَّةِ . فَغَشِيَهُ مِنَ الْأَرْجُلِ ، رَجُلُ الرَّبِّي كَثِيرَةٌ .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) كذا في «ج» . وفي «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (المتب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (إبتناء) .

(٧) إلى هنا تمت المراجعة على مخطوط «الإحاطة» المحفوظ بخزانة الرباط الملكية ، إلى جانب
مخطوط الزيتونة . وهو ينتهي حسبما ذكرنا في المقدمة بالترجمة الحالية . وستجرى المراجعة منذ
الآن فصاعدا على مخطوط «الزيتونة» وحده .

والتفت عليه مُرسِل طيلسانه . سادًّا بجري النَّفْس إلى قابله . فعالج الحمام وقتًا .
إلى أن نفَس الله عنه . فاستقلَّ من الرَّدَى . وانقبذ من مُطَرَّح ذلك الوَغَى . وبُودِر
بالفَّصاد ، وقد أَشْفَى . فكانت عثرة لقيت لُماً ومُتاعاً . فسمح له المدى آخر من
يوثق به . من محل البَث . وودعات السَّرِّ من حِظَّيات المَلِك . أن السلطان
عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم . كونه في محراب مسجده . مع قاضيه المُترجم
به . وقد أقدم عليه كَلْبٌ . أصابه بثوبه ، ولطَّخ ثوبه بدمه . فأهَمَّتْهُ رؤياه . وطَرَقَتْ
به الظنون مطارقها . وهمَّ بعزل القاضي ، انقياداً لبواعث الفكر ، وسدًّا لأبواب
التوقيعات . وقد تَأَذَّن الله بإرجاء العزم . وتصديق الحلم . وإمضاء الحكم . جلَّ
وجهه . وعزَّت قدرته . فكان من الأمر ما تقرر في محله .

تصانيفه

وتصانيفه بارعةٌ ، منها ، رَفْعُ الحُجُبِ المستورة في محاسن المَقْصُورة (١) ، شرح
فيها مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بما تنقطع الأَطماع فيه . ومنها رياضة الأبي
في قصيدة الخزرجي ، أبدع في ذلك بما يدل على الاطلاع وسداد الفهم . وقَيِّد على
كتاب التَّسْهِيل لأبي عبد الله بن مالك تَقْسِيْدًا جليلًا ، وشرحًا بديعًا ، قارب
التمام . وشرع في تَقْسِيْدٍ على الخبر المسمى ، بِدُرَرِ السَّمْط في خبر السَّبْط . ومحاسنه
جمة ، وأغراضه بديعة .

شعره

ولما الشعر فله فيه القَدَحُ والمَعْلَى ، والحِظُّ الأَوْفَى ، والدَّرَجَةُ العُلْيَا . طبقة وقته ،

(١) «المقصورة» المشار إليها هنا هي القصيدة الطويلة التي وضعها أديب المغرب الكبير الإمام
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأندلسي في مدح الخليفة الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر
بالله ، والشرح الذي وضعه لها أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبيعي هو شرح كبير يقع في مجلدين
ومنه نسخ مخطوطة في الخزائن المغربية وغيرها . وقد طبعت المقصورة وشرحها بالقاهرة (سنة ١٣٤٤هـ)

وفاته

وفى قاضياً بغيرناطة في أوائل شعبان من عام ستين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي^(١)

قاضي الجماعة بديعة الإسلام فاس ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل له أبوة صالحة ، وأصاله زاكية ، قديم الطلب ، ظاهر التخصص ، مفرط في الوقار [نابه البرة والركبة ، كثير التهمة ، يؤهم به الفار]^(٢) ، وصدر الصُّور في الوثيقة والأدب ، فاضل النفس ، مَمْحُوض النصح ، جميل العشرة لإخوانه ، مجرى الصداقة [نصحاً ، ومشاركة ، وتنفيقا ، على سجية الأشراف وسنن الحسباء]^(٣) ، مديد^(٤) الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، عارف بالتحسين والتقبيح ، مَنْ أدركه ، أدرك علماً من أعلام المشيخة . قدّمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس ، قاضياً بحضرته ، واختصّه ، واشتمل عليه ، فاتصل بعمده سعد^(٥) ، وعُرف حقه . وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه ، فذاع فضله ، وعُلم قدره . ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النبوة^(٦) التي أصابت

(١) نسبة إلى قشتالة وهي إحدى القبائل الجبلية التي تقطن في تيمالي مدينة فاس .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) هذا أيضاً وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (مديح) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في «ج» وكذا في «الزيتونة» (استماله) . ونعتقد أن بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بحو النبوة) . والنبوة هنا تعني السقطة أو

الدولة ، بَلَوْتُ من فضله ونصحه وتأنيسه ، ما أكد الغبطة ، وأوجب الشناء ،
وخاطبته بما نصه :

من ذا يَعُدُّ فضائل الفِشْتَالِي والدهر كاتب آيها والتسالى
عَلِمَ إذا التمسوا الفنون بعلمه مرعى المشيح^(١) ونجعة المكنال
نال الذى لا فوقها من رفعة ما أملتها حيلة المحتال
وقضى قياس تراثه عن جدّه إن المُقَدِّم فيه عين التالى

قاضى الجماعة ، بماذا أثنى على خلائك المرُتَضَاة^(٢) ، أبقديمك الموجب
لتقديمك ، أم بحديثك الداعى لتحمل حديثك ، وكلاهما غاية بعد مرماها ،
وتحامي المتصور حماها ، والضالع لا يسام سبَقاً ، والمنبت لأرضاً قطع ، ولا ظهراً
أبقى . وما الظن بأصالة تعترف [بها]^(٣) الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة ؛ كانت
فى غير ذات الحق تزهد ، وفى نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد
الحق وتمهد ، وتهزم الشبه إذا تشبه . وقد علم الله أن جوارك لم يُبق للدهر على
جوار ، ولا حَتَّ من غصنى ورقاً ولا نَوَّاراً^(٤) . هذا وقد زار على أسدٍ وحمل
نوراً^(٥) . فقد أصبحت فى ظل الدولة التى وقف على سيدى اختيارها ، وأظهر
خلوصُ إبريزه معيارها ، تحت كنف وعزٍّ مؤتلف ، وجوار أبى دلف ، وعلى
ثقة من الله بحسن^(٦) خلف . وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إلا رحلة ،

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (المهم) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المرضاة) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) وردت فى المخطوطين (نورا) ونعتقد أنه بالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (نورا) وهو تحريف .

(٦) وردت فى «ج» (محسن) . وفى «الزيتونة» (تجس) . وبالتصويب يستقيم السياق .

لم يَبْرُكْ بعدَ سَحلها ، ولا قرَّ عملها ، وأوحال حال بينى وبين مُسَوِّر البلد القديم^(١) مَهْلها . ولولا ذلك لا غتبطت الزَّايِد^(٢) ، واقتنيت الفوايد ، والله يطيل بقاءه ، حتى تتأكد القرية ، التى تُنسى^(٣) بها العُرْبَة ، وتعظم الوسيلة ، التى لا تُدْكَر معها الفضيلة . وأما ما أشار به من تقييد القصيدة التى نفق سوقها استحسانه ، وأنس باستظرافها إحسانه ، فقد أعمل وما أمهل ، والقصور باد إذا تأمل ، والإغضاء أولى ما أمل ، فإنما هى فكرة ، قد أخذت نارها الأيام ، وغيرت آثارها الليام . وقد كان الحق إجلال مطالعة سيدي من خللها ، وتنزيه رجله عن تقبيل مُرتجلها . لا كنَّ أمره مُمتثل ، وأتى من المجد أمراً لا مرد له مثَل . والسلام على سيدي من مُعظم قدره ، ومُلتزم برّه ، ابن الخطيب ، وزحمة الله .

فكتب إلى مراجعاً ، وهو الملىء بالإحسان :

وافت يجر الزهو فضلة بُردها حسناء قد أضحت نسيجة وحدها
 لله أى قصيدة أهديت لو يهتدى المعارض نحو غاية قصدها
 لابن الخطيب بها محاسنُ جمة قارعت عنه الخطوب ففلت من حدها
 سرُّ البلاغة عنه أودع حافظاً قد صانه حتى فشى من عندها
 فى غير عَقْدٍ نفثته^(٤) بسحرها فلذا أنى سلساً منظم عَقْدُها
 لم أدوما فيها وقت معاوناً^(٥) من طرسها أو مُعلماً من بُردها

(١) يقصد مدينة فاس القديمة أو فاس البالى ، وذلك تمييزاً لها عن «البلد الجديد» وهو ضاحيتها الذى به مقر الملك والبلاط .

(٢) وردت فى «ج» (الرايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت فى المخطوطين (تنسى) . وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت فى «ج» (نفثت) . وفى «الزيتونة» (نبشت) . والتصويب رجح .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين .

حتى دفعتُ بها لأبعد غاية باعاً تقصُر في البلوغ بمجدها
 حدان^(١) من نظم ونثر إن من يلقيها منها بذلة عبيدها
 أولى يداً^(٢) بيضاء موليها فما لى مزية أن أقوم بحمدها
 ورفضت تكذيب المنى متشيعاً لعلّى مرآها يُصادق وعدها
 فبذلتُ شعري رافعاً من برّها وهزرتُ عطفي رافلاً من بردها

خُذْهَا أَعَزَّ اللَّهُ جَنَابَكَ، وَأَدَالِ لِلْأَنْسِ عَلَى الْوَحْشَةِ اغْتِرَابَكَ، كَغَيْبَةِ^(٣) الطَّائِرِ
 الْمُنْتَجِدِ، وَنُهْبَةِ النَّارِ الْمُسْتَوْفِزِ، وَمِيقَةِ^(٤) الْأَلْحَظِ، قَلِيلَةَ الْفَلْظِ، قَدْ جَمَعْتَ مِنْ
 سُؤْمِهَا وَاتَّقِهَا بِهَا. بَيْنَ نَظْمٍ قِيدٍ، وَصُلُودٍ زَنْدٍ، وَتَوَعَّتْ، فَعَلَى إِقْدَامِهَا وَانْحِجَامِهَا^(٥)
 إِلَى قَاصِرٍ وَمُعْتَدٍ، وَلِيْنِي إِذَا جَاءَتْ سَحَابَةُ ذَلِكَ الْخَطَاطِرِ الْمَاطِرِ الْوَدْقِ، وَانْجَابِ^(٦)
 الْعَانِي عَنْ مُزْنَةِ فِكْرَتِي، بِتَقَاضِي الْجَوَابِ، انْجِيَابِ^(٧) الْوَدْقِ، وَأَيَقُنْتُ أَنِّي قَدْ
 سُدَّ عَلَى بَابِ الْقَوْلِ وَأَرْتَحِجُ، وَقُلْتُ هَذِهِ السَّالْفَةُ السَّكَلِيَّةُ فَسَدَّتْ لَهَا الدَّائِمَةُ مِنْ
 تَكَلُّمِ الْإِمْرَةِ [وَلَمْ أَفْهَ إِذَا عَوِزَتِ الْمُرَّةُ بِالْحُلُوءِ]^(٨)، لَا كُنِّي قُلْتُ، وَجَدْتُ الْمُسْكَنَ
 كَجَهْدِ الْمُقَلِّ، وَالْوَاجِبُ قَدْ يَقِلُّ الْإِمْتِنَالُ فِيهِ بِالْأَقْلِ. فَبَعَثْتُ بِهَا عَلَى عِلَالَتِهَا،
 وَأَبْلَغْتُهَا عِذْرَهَا. فِي أَنْ كَسَبَتْ عَنْ شَوْقِهَا بِلِغَاتِهَا، وَهِيَ لَا تَعْدَمُ مِنْ سَيْدِي
 فِي إِغْضَاءِ كَرَمٍ، وَإِرْضَاءِ سَلِيمٍ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ بِالتَّائِسِ الْحَبْلُ، وَيَجْمَعُ الشَّمْلُ.

(١) وردت في «ج» (خوان). والتصويب من «الزيتونة».

(٢) وردت في المخطوطين (يد). ولزم التصويب.

(٣) وردت في المخطوطين (كتفة). والتصويب يستقيم السياق. والغبة هي البلغة اليسيرة.

(٤) هكذا في المخطوطين. ويقصد بها هنا اللحظ الضعيف أو الفاتر.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وانجمها).

(٦) وردت في المخطوطين (وانجاية). والتصويب يستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» (انجياب) فلزم التصويب.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

والسلام الكريم يخص تلك السيادة . ورحمة الله وبركاته . من محمد بن أحمد
الفشتالى .

وهو الآن قاض بفاس المذكورة ، محمود السيرة . أبقاه . وأمتع به .

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن
أبي بكر بن علي [بن داود] ^(١) القرشي المقرئ

يكنى أبا عبد الله ، قاض الجماعة بفاس وتلمسان .

أوليته

نُقلت من خطّه ، قال ، وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن
قبله مراراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ ، صاحب أبي مدين ^(٢) ، الذي
دعاه ولذريته ، بما ظهر فيهم من قبول وتبين . وهو أبي الخوامس [فأنا محمد بن
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن] ^(٣) ، وكان هذا الشيخ
عزوى الصلاة ، حتى أنه [ربما] ^(٤) امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،

(١) الزيادة من «الزيتونة» . ودعى غير واردة في نفح الطيب .

(٢) الشيخ أبو مدين هو ولي المغرب الكبير . وضريحه بضاحية تلمسان المسماة «العباد» . وهو
في الأصل العلامة الأندلسي شعيب بن الحسين الأنصاري ، ويكنى أبا مدين . ولد سنة ٥٢٠ هـ
بقتلانة من أعمال إشبيلية ودرس حيناً بالأندلس ، ثم هجر البحر إلى المغرب . ودرس في سنة
وفاس ومراكش . ثم مال إلى التصوف ، واعتنق طرائقه ، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج .
ثم عاد إلى المغرب ، ونزل بفنجر بجاية . وكان حجة لا يبارى في الشريعة والحديث وعلوم الدين .
واشتهر أبو مدين أثناء حياته بكراماته . وسمع به الخليفة الوجيه يعقوب المنصور ، وبما يتمتع به من
راسع الشهرة والنفوذ ، فأمر باستدعائه إلى مراكش ، فأخذ إلى الخليفة ، ولكنه توفي في طريقه على
مقربة من تلمسان وذلك في ربيع الأول سنة ٥٩٩ هـ . ودفن برابطة العباد ضاحيتها . وما زال ضريحه
لى اليوم مزاراً يقصده الألوف من الزوار من سائر أنحاء المغرب .

(٣) الزيادة من نفح الطيب (ج ٣ ص ١١٢) . (٤) الزيادة من نفح الطيب .

ولا استشعر منه شعور^(١) . ويقال إن هذا الحضور . مما أدركه من مقامات شيخه
 أبي مدين . ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتحاية ، فهدوا ، طريق
 الصحراء بحفر الآبار . وتأمن التجار . واتخذوا طبل الرحيل ، وراية التّقدم عند
 المسير . وكان ولد^(٢) يحيى . الذى كان أحدهم أبو بكر . خمسة رجال . فعقدوا
 الشّركة بينهم فيما مَلَكوه ، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال . وكان
 أبو بكر ومحمد . وهما أرومتا نسي من جميع جهات [الأم والأب]^(٣) يتامسان ،
 وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد^(٤) وعلى . وهما
 شقيقاهم الصغيران . بأى والاثن^(٥) فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار .
 فتزوجوا [النساء]^(٦) . واستولدوا الإماء . وكان التامسان يبعث إلى الصّحراوى^(٧)
 [بما يرسم له من السلع . ويبعث إليه الصّحراوى بالجلد والعاج والجوز والتبر ،
 والسجلماي كيسان الميزان]^(٨) يعرفهما بقدر الرّجحان والخسran ، ويكاتبهما
 بأحوال التجار ، وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت فى الفخامة
 أحوالهم ، ولما افتتح التّسكروور [كورة]^(٩) أى والاثن وأعمالها ، أُصِيبَتْ
 أموالهم ، فيما أُصِيب من أموالها ، بعد أن جَمَعَ من كان بها منهم إلى نفسه الرّجال ،
 ونَصَبَ [دون ماله]^(١٠) القتال . ثم اتصل بملكهم فأكرم مشواه ، ومكّنه

(١) وردت فى المخطوطين (شهور) والتصويب من النفح .

(٢) هكذا فى «ج» والنفح . وفى «الزيتونة» (أولاد) .

(٣) فى النفح (أبى وأبى) .

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (عبد الرحمن) والتصويب من النفح .

(٥) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» . وأبى والاثن موضع بالصحراء .

(٦) الزيادة من النفح .

(٧) فى «ج» (الصحراء) . والتصويب من النفح .

(٨) ما ورد بين الحاصرتين كله ساقط فى «ج» و «الزيتونة» وورد فى النفح .

(٩) الزيادة من النفح .

(١٠) هكذا وردت فى «ج» . وفى النفح (دونها دف مالم) .

من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب ، والخلصة الأقرب . ثم صار يكتب مَنْ بتلمسان ، يَسْتَقْضِي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من [كُتِبَهِ] ^(١) وَكُتِبَ الملوك بالمغرب ، ما ينيء عن ذلك . فلما استوثقوا ^(٢) من الملوك ، تَذَلَّت ^(٣) لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوق الحصر والعَدَّ ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر ^(٤) | كانت تجلب لها من المغرب | ^(٥) ما لا بال له من السلع ، فيُعَاوِض عنه [بما له بال من الثمن] ^(٦) . [ثم قال أبو مدين] ^(٧) « الدنيا ضم جنب أبي حو ، وشمل ثوباه . كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ، ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتى إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يُغَيِّر من العوايد ، ويجرُّ السفهاء إلى المفاسد » ^(٨) .

ولما هلك هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم [ولم يقوموا] ^(٩)

(١) الزيادة من النفع .

(٢) وردت في «ج» (است تقوى) وفي «الزيتونة» (استانوى) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (ذلت) .

(٤) إن الإشارة إلى أهل مصر هنا مما يستوقف النظر ، ويحمل على الاعتقاد بأن التجار المصريين ، كانوا في ذلك العصر (القرن الرابع عشر الميلادى) يؤمون هذه الأقطار (ممالك السودان الغربى) بكثرة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفع (كان يجلب إليها من المغرب) .

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (بمال ومال من الثمن) . وفي «الزيتونة» (بمال من الثمن) . والتصويب من النفع .

(٧) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في النفع .

(٨) وردت هذه الفقرة التى بين الشولتين في المخطوطين وفي نفع الطيب ، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ . ولم نفهم حكمة نسبتها هنا إلى الشيخ أبو مدين . وهى على العموم ظاهرة الإضطراب .

(٩) وردت في المخطوطين (ويقولوا) . والتصويب من النفع .

بأمر التثمير قيامهم ، وصادفوا توالى الفتن ، ولم يَسْلَمُوا من جور السلطان ^(١) . فلم تزل حالهم فى نقصان إلى هذا الزمان [فها أنا ذا لم أدرك فى ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة . ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرّضا وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن] ^(٢)

حاله

هذا الرجل مشاؤ إليه بالعدوة المغربية ^(٣) اجتهدا ، ودؤوبا ، وحفظاً وعناية ، وإطلاعا ^(٤) ، وتقللاً ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير المشقة ، مفرط الخفة ، ظاهر السداجة ، ذاهب أقصى ، مذاهب التخلص ، محافظ على العمل ، مشابر على الانتقطاع ، حريص على العبادة ، مضايق فى العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يغافض الوقت فيها ، ويوقعها دُفْعَةً متبعا إياها زعقة التكبير ، برجة ، ينبو عنها سمح من لم يكن تأنس بها عادة ، بما هو دليل على [حسن] ^(٥) المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة ، متصل الخيرية ، مكب على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف فى المذاكرة ، حاسر الذراع عند المباحثة ، راحب عن الصدر فى وطيس المناقشة ، غير [مختار] ^(٦) للقرن ، ولا ضان

(١) فى النفح (السلطين) .

(٢) هذه الفقرة التى بين الحاصرتين لم ترد فى المخطوطين ، ونقلناها عن النفح .

(٣) وردت فى المخطوطين (الغربية) .

(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (اضطلاعا) .

(٥) هذه الزيادة من النفح .

(٦) هذه الزيادة من النفح .

بالفايدة . كثير الالتفاف ، متقلب الحدة^(١) . جهيرٌ بالحجة ، بعيد عن المراء والمباهة ، قائل^(٢) بفضل أولى الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العرببة والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتجر^(٣) . يحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً في ذلك [غرض الإجابة]^(٤) . ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين^(٥) فيها . شرق وحج ، ولقي جلّة ، واضطرب^(٦) رحلة مفيدة ، ثم آب إلى بلده ، فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم . فلما ولي ملك المغرب السلطان ، محالف الصنع ونشيدة الملك ، [وأثير الله من بين القرابة والإخوة]^(٧) أمير المسلمين أبو عنان فارس ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحكم^(٨) ، وألان [الكلمة ، وآثر التسيّد ، وحمل الكلّ ، وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، وأحبته]^(٩) الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم ، فرأيت من صبره [على اللد ، وتأتيه للحجج]^(١٠) ورفقه بالخصوم ، ما قضيت منه العجب .

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحدائق) ، والتصويب من النفع .

(٢) وردت في «ج» (قايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يتحين) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه الزيادة من النفع .

(٥) وردت في «ج» (بالزميق) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٦) وردت في «ج» (واضطرب) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي النفع (الحق) .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» و «الزيتونة» . ووارد في النفع .

(١٠) هذا وارد في «ج» والنفع ، وساقط في «الزيتونة» .

دخوله غر ناطلة

ثم لما أُخِّرَ عن القضاء ، استعمل بعد لأى فى الرسالة ، فوصل الأندلس ،
 أوائل جمادى الثانية من عام ست وخمسين وسبعمائة . فلما قَضَى غرض الرسالة ،
 وأبرم عقد وجهته . واحتل مالقة فى مُنْصَرَفِهِ ، بدأ له فى نَبَذِ السُّكُفَةِ واضطراح
 وظيفة الخدمة ، وحلَّ التَّقِيدُ ، إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد ، وشهر غرضه ،
 وبثَّ فى الانتقال ، طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلَّى بينه وبين همه .
 وترك وما انتحل^(١) من الانقطاع إلى ربِّه . وطار الخبر إلى مُرْسَلِهِ ، فأنف من
 تخصيص إيلائه بالمجرة ، والعدول عنها ، بقصد التَّخْلِ والعبادة ، وأنكر ما نحل^(٢)
 غاية الإنكار ، من إبطال عمل الرسالة ، والانقباض قبل الخروج عن العهد ، فوَّغَرُ
 صدره على صاحب الأمر : ولم يُبعد حمله على الظَّنة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت^(٣)
 جملة من الخدام المُجَلِّين^(٤) فى مآزق الشبهة ، المضطَّلمين بإقامة^(٥) الحججة ، مؤلِّين
 خِطَّة الملام [مُخَيَّرِينَ بين سحايب عاد من الإسلام]^(٦) مظنة إغلاق النعمة^(٧) ،
 وإيقاع المُثْلَةِ ، والإساعة^(٨) بسبب القطيعة والمناذرة . وقد كان المترجمُ به لحق
 بفرناطة فتدَّمَّ بمسجدها ، وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوعد من يجيرُه ، بنسكير
 من يُجِير ولا يُجَاوِ عليه [سبحانه]^(٩) فأهمَّ أمره ، وشغلت القلوب أبدته ، وأمسك

(١) هكذا وردت فى النسخ . ووردت فى «ج» و «الزيتونة» (انتحل) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . و «الزيتونة» . وفى النسخ (ما حقه) .

(٣) وردت فى «ج» (تجهز) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (المجبلين) .

(٥) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (لاقالة) . والتصويب من النسخ .

(٦) هذه العبارة وردت بحرفة فى «ج» و «الزيتونة» . واتبعنا فيها نص النسخ .

(٧) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (النفعة) والأولى أرجح .

(٨) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (الإشادة) والأولى أرجح .

(٩) الزيادة من النسخ .

الرسول بخلال ما صدرت شفاعته [اقتضت له رفع التبعة] ^(١) ، وتركه إلى تلك الوجهة .

ولما تحصل ما تدسر من ذلك ، انصرف محفوقاً بعالمى ^(٢) القطر ، قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المترجم به قبله ، والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج ، مستهلين ^(٣) لوروده ، مشافهين للشفاعة فى غرضه ، فأقشعت الغمة ، وتنقست الكربة . [وجرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة ، ما تضمنه الكتاب المسمى « بكُناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ^(٤) ما صورته ^(٥) :

« المقام الذى يجب الشفاعة ، ويرعى الوسيلة ، ويُنجز العدة ، ويتم الفضيلة ، ويُضفى بمجده المنن الجزيلة ، ويُعيى حمده المادح العريضة الطويلة . مقام محل والدنا الذى كرم مجده ، ووضع سعده ، وصح فى الله تعالى عقده ، وخلص فى الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان السكدا ^(٦) ابن السلطان السكدا ابن السلطان السكدا . أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (اقتضى فيها رفع التبعة) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و النسخ . ووردت فى «ج» (بعلمى) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (مسلمين) والأولى أرجح .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) إن الرسالة التالية لم ترد فى المخطوطين . وقد أوردتها المقرئ فى نصح الطيب مباشرة ضمن ترجمة جده ، وهى التى نقلها بلا ريب من مخطوط أكل من «الإحاطة» . ومن ثم فقد رأينا من الواجب إكمال الترجمة بإيراد هذه الرسالة ، معتمدين فى ذلك على نصها الذى أوردته المقرئ ، وكذلك على نصها الأصيل الوارد بكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) . (راجع نصح الطيب ج ٣ ص ١١٣ و ١١٤ وكناسة الدكان - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٧) .

(٦) المقصود بالسلطان الكذا هنا ، هو السلطان فارس أبو عنان المرىنى ابن السلطان أبى الحسن الكبير ، ملك المغرب المتوفى فى أواخر سنة ٧٥٩ هـ .

مُعَظَّمُ سُلْطَانُهُ السَّكْبِيرُ ، وَمُمَجِّدُ مَقَامِهِ الشَّهِيرُ ، الْمُتَشَيِّعُ لِأَبَوْتِهِ الرَّفِيعَةِ ، قَوْلًا
بِاللِّسَانِ ، وَاعْتِقَادًا بِالضَّمِيرِ ، الْمُعْتَمِدُ مِنْهُ بِعَدَالَتِهِ عَلَى الْمُلْجَأِ الْأَحْيَى ، وَالْوَلِيُّ
النَّصِيرِ . فَلَانٌ ^(١) . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طَيِّبٌ بَرٌّ عَمِيمٌ ، يَخْصُ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ،
وَأَبَوْتَكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ ، الَّذِي جَعَلَ الْخُلُقَ الْحَمِيدَ دَلِيلًا عَلَى عُنَايَتِهِ بِمَنْ حَلَّهَ خُلَاهَا ،
وَمَيَّزَ بِهَا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ ، الَّتِي اخْتَصَمَهَا بِكَرَامَتِهِ وَتَوَلَّاهَا ، حَمْدًا يَكُونُ كُفْوًا لِلنِّعَمِ الَّتِي
الَّتِي أَوْلَاهَا ، وَأَعَادَهَا وَوَالَاهَا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ ، الْمُنْتَرَقِ مِنْ دَرَجَاتِ الْإِخْتِصَاصِ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، الْمُمْتَازِ مِنْ أَنْوَارِ
الْهُدَايَةِ بِأَوْضَحِهَا وَأَجْلَاهَا ، مُطْلِعِ آيَاتِ السَّعَادَةِ يَرُوقُ بِمُجْتَلَاهَا . وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ خَبَّرَ صَدَقَ ضَمَائِرَهُمْ لَمَّا ابْتَلَاهَا ، وَعَسَلُ ذِكْرَهُمْ فِي الْأَفْوَاهِ فَمَا أُعْذِبَ أَوْصَافُهُمْ
عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَحْلَاهَا . وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِ أَبَوْتَكُمْ ، حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى عُلاَهَا ، بِالسَّعَادَةِ
الَّتِي يَقُولُ الْفَتْحُ أَنَا طَلَّاعُ الْقَنَائِيَا وَابْنُ جَلَّاهَا ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي تَخْتَرِقُ الْمَفَاوِزَ بِرُكَائِبِهَا
الْمُبَشِّرَاتِ فَتَقْلِي فَلَاهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عَزَّةً مُشِيدَةً
الْبِنَاءِ ، وَحَشَدَ عَلَى أَعْلَامِ صَنَائِعِكُمُ السَّكْرَامِ جِيُوشَ الثَّنَاءِ ، وَقَلَّدَكُمْ قَلَائِدَ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، مَا يَشْهَدُ لِدَاثِكُمْ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْإِعْتِنَاءِ . مِنْ حُرَّاءِ غَرْنَاطَةِ حَرْسِهَا اللَّهُ ،
وَالْوُدُّ بَاهِرِ الثَّنَاءِ ، يُجَدُّ عَلَى الْأَنَاءِ ، وَالنَّشِيعُ رَحْبُ الدَّسِيعَةِ وَالْفَنَاءِ .

وإلى هذا ، وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، فَإِنَّمَا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ
السَّكْرِيمَ ، فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْرِي ، خَارِ اللَّهُ تَعَالَى
لَنَا وَلَهُ . وَبَلَّغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ مِنْ مَثَابَتِكُمْ فِيهِ ، مِنْ
الْإِشَارَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ ، وَالْمَأْرَبِ الْمُعْمَلَةِ ، وَالْقَضَايَا غَيْرِ الْمَهْمَلَةِ ، نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي

(١) هو السلطان محمد الثاني بالله ملك غرناطة (الأندلس) الذي حكم منذ سنة ٧٥٥ هـ ،

وتوفي سنة ٧٩٣ هـ ، والذي يخبره ابن الخطيب في بداية هذا المجلد بترجمة مستفيضة .

مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّاهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَجْلَى وَلَا تُصَدُّ ، حَسْبَاسَنَّهُ
 الْأَبُ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ . وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضُحُّ مِنْهُ فِي الْمَسْكَومِ . الرِّسْمُ وَالْحَدُّ .
 وَلَمْ نَصْدِرِ الْخَطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صَدَقُ الْمُخَيَّلَةِ . وَتَبَلَّجَ صَبِيحُ الزَّهَادَةِ
 وَالْفَضِيلَةِ ، وَجُودُ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ بِالْعَرَضِ الْأَذْنَى الْبَخِيلَةِ . وَظَهَرَ تَخَلُّيهِ عَنِ
 هَذِهِ الدَّارِ . وَاخْتِلَاطَهُ بِاللَّيْفِ وَالْعُفَارِ ، وَإِقْبَالَهُ عَلَى مَا يُعْنَى مِثْلَهُ مِنْ صَلَةِ الْأَوْرَادِ ،
 وَمَدَاوِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالِقَةِ هَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَرَهُ ،
 وَالْفَضْلَ الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ ، أَمَرْنَا أَنْ يُعْتَنَى بِأَحْوَالِهِ . وَيُعَانِ عَلَى فِرَاقِ
 بَالِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ سَيْبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَعْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا
 أَمَا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٌ مُسْتَنْدٌ صَحِيحٌ لِاسْتِدْلَالِهِ ، فَفَرَّ مِنْ مَالِقَةٍ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا
 لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعَدَ بِحَضْرَتِنَا مُسْتَوْرًا مُنْتَمِيًّا وَالْمُنْتَسَبِ ، وَسَكَنَ بِالْمَدْرَسَةِ بَعْضَ
 الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَّةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ ، وَالْمُحْتَرِفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِحَيْثُ
 لَمْ يُتَعَرَّفْ وَرُودُهُ وَوُصُولُهُ إِلَّا مَنْ لَا يُؤْبَهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ زَوَائِدُهُ وَأَصُولُهُ
 لِقَلَّةِ تَصَرُّفِهِ . ثُمَّ تَلَا حَقَّ إِرْسَالِكُمْ الْجِلَّةِ ، فَوَجِبَتْ حَيْثُئِذِ الشَّفَاعَةُ ، وَعُرِضَتْ
 عَلَى سَوَاقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْإِسْتِطْلَافِ وَالِاسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ ، وَقَرَرْنَا
 مَا تَحَقَّقْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَانْتِقَبَاضَهُ عَنْ زَيْدِ الْخَلْقِ وَعُمَرِهِ ، وَاسْتِقْبَالَهُ الْوُجْهَةَ الَّتِي مِنْ
 وَلِيِّ وَجْهِهِ شَطْرُهَا فَقَدْ آثَرَ أَثِيرًا ، وَمِنْ ابْتِنَاعِهَا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَالَ فَضْلًا كَبِيرًا ،
 وَخَيْرًا كَثِيرًا ، وَسَأَلْنَا مِنْكُمْ أَنْ تَبِيحُوهَ ذَلِكَ الْغَرَضَ الَّذِي رَمَاهُ بِعِزِّهِ ، وَقَصَّرَ
 عَلَيْهِ أَقْصَى هِمَّةٍ . فَمَا أُخْلِقَ مَقَامَكُمْ أَنْ يَفُوزَ مِنْهُ طَالِبُ الدُّنْيَا بِسَهْمِهِ ، وَيَحْصُلَ مِنْهُ
 طَالِبُ الْآخِرَةِ عَلَى حِظِّهِ الْبَاقِي وَقِسْمِهِ ، وَيَتَوَسَّلَ الزَّاهِدُ بِزَهْدِهِ وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ ، وَيَعْوَلُ
 الْبَرِيءُ عَلَى فَضْلِهِ . وَيَثِقُ الْمَذْنُوبُ بِحِلْمِهِ . فَوَصَلَ الْجَوَابَ الْكَرِيمَ بِمَجْرَدِ الْأَمَانِ ،
 وَهُوَ أَرْبٌ مِنْ آرَابٍ ، وَفَائِدَةٌ مِنْ جِرَابٍ ، وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ إِعْرَابٍ ، فَرَأَيْنَا
 أَنَّ الْمَطْلَ بَعْدَ جَفَاءٍ ، وَالْإِعَادَةَ لَيْسَ بِثِقَلٍ خَفَاءٍ ، وَلِجَدِّكُمْ بِمَا ضَمَّنَا عَنْهُ وَفَاءٍ ،

وبادونا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله . وأن يقتضى له عمرة المقصد ، ويبلغ طيبة الإسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لثله ممن تعلق بجناب الله : من مثلكم حاصلًا ، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبنا كيمياء السعادة بإعانتكم واصلًا . ولما مدت اليد في تسوية حالة هديكم عليها أبدأ يُعرض ، وعلمكم يُصرّح بمزيتها ولا يُعرض ، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسمعنا فيه مشاحة الكتاب ، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة ، فهو أصبح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلّوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتّشهير ليوم العرّض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذي تعلق به ، أعلق الله به يديكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مُكمّلة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض أعمال الرّكّاب بسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تؤلّون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربّي على التّأميل ، ويكتّب على الودّ الصريح العقد وثيقة التّسجيل . وهو سبحانه يُبقيكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرّفد الجزيل . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابتم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته . في الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعائة [والله ينفع بقصده ، ويسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله] (١)

مشيخته

قال : فَمِمَّنْ أَخَذَتْ عَنْهُ ، واستفدت منه علماها (٢) [يعنى تلمسان] (٣)

(١) هذه الخاتمة واردة في المخطوطين دون الرسالة .

(٢) وردت في «ج» (علماؤها) . وفي «الزيتونة» (علمائها) . والتصويب من نفح الطيب .

(٣) الزيادة من نفح الطيب . وهى لازمة لاستقامة السياق .

الشاخان ، وعلمها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ،
 إبننا محمد بن عبد الله بن الإمام ، وحافظها ومُدرِّسها ومُفتيها أبو موسى عمران بن
 موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين ، أبي علي ناصر الدين علي إبنته ،
 ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها] ^(١) يضيء ولو لم تمسسه نارٌ ، الأستاذ أبو إسحاق
 إبراهيم بن حكيم الكِنَاني السَّوَي رحمه الله . ومنهم القاضي أبو عبد الله
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن ^(٢)
 البرُّوني ، وأبو عمران موسى بومِن المصَّودي الشهير بالبُخاري . قال سمعت
 البرُّوني يقول : كان الشيخ أبو عمران يُدرِّس البُخاري ، ورفيق له يدرِّس صحيحَ
 مُسلم ، وكانا يُعرفان بالبُخاري ومُسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهودُ عليه
 بالإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران أتمكَّنهُ من الإعذار في الصَّحيحين ، البُخاري
 ومُسلم ، فضحك القاضي ، وأصلح بين الخصمين . ثم قال ، ومن شيوخ الصلحاء
 الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي
 الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيَّار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد السَّكروني ، وكان
 بصيراً بتفسير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه ، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف
 ابن عبد الحق [مع من] ^(٣) كان فيه ، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى
 أبا جمعة على التَّلَاسي الجرايحي منهم ، كأنه قائم على ساقية دايرة ، وجميع أقداحها
 وأقواسها تصب [في] ^(٤) نقيير في وسطها ، فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا
 فيه قرْنٌ ودَمٌ ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل
 إلى خاصَّة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، [وهو النهار] ^(٥) ، فأخبره ، فقال

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (زيتها يكاد) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (الحسين) .

(٣) وردت في المخطوطين (من) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (من) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

إن صدقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف . قال الساقية الزمان ، والتتير السلطان ، وأنت جراحى ، تدخل يدك فى جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل] ^(١) ، فأخرج ، فوجد السلطان مطعونا بخنجر ، فأدخل يده فى جوفه ، فناله الفرث والدم ، فحاط جراحته وخرج ، فرأى خاصة ماء ، فغسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفى ، وسرحوا من كان فى سجنه . ومن أشياخه الإمام لسيج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن أحمد الآبلى التلمسانى ، وهو رُحلة الوقت فى القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قدّم على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى ، عُرف بن المُسَفَّر . رسولاً من صاحب بجاية . وزاره الطلبة ، فكان مما ^(٢) حدثهم أنهم [كانوا] ^(٣) على زمان ناصر الدين ، يستشكلون كلاماً وقع [فى] ^(٤) تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكله الشيخ معهم . وهذا نصه : ثبت فى بعض العلوم العقلية ، أن المركَّب مثل البسيط فى الجنس ، والبسيط مثل المركَّب فى الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الآبلى لما رجعوا إليه ، فتأمل ثم قال ، هذا كلام مُصَحَّف ، وأصله أن المركَّب قبل البسيط فى الجنس ، والبسيط قبل المركَّب فى العقل ، وأن الجنس أقوى من العقل ، فأخبروا ابن المُسَفَّر ، فاجَّ : فقال لهم الشيخ ، التمسوا النسخ ، فوجدوا فى لَفْظ بعضها كما قال الشيخ .

(١) أضفنا هذه العبارة لاستقامة المعنى والسياق .

(٢) وردت فى «ج» (معن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

رحلته

رحل إلى بجاية مُشَرِّقاً ، فلقى بها جلّة ، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المُسَفِّر . ومنهم قاضيا أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي ، فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو علي حسن بن حسن إمام المَعْقُولَات بعد ناصر الدين . وبتونس قاضى الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام ، وحضر دروسه ، وقاضى المناكح أبو محمد اللخمي ، وهو حافظُ فقهاءها في وقته ، والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول . ثم حجّ فلقى بمكة إمام الوقت ^(١) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزْرِي المعروف بخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضى الدين الشافعى ، وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد . ثم دخل الشام ، فلقى بدمشق ، شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية ، وصدر الدين الغماري ^(٢) المالكي ، وأبا القاسم بن محمد الياني الشافعى وغيرهم . وبيت القدس أبا عبد الله بن مُثَبَّت ^(٣) ، والقاضى شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان ، وغيرهم .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمّنها كل أصيل من الرأى والمباحثة . ودوّن في التَّصَوُّف ، إقامة المُريد ، ورحلة المُتَبَتِّل ، وكتاب الحقائق والرقائق ، وغير ذلك .

شعره

نقلتُ من ذلك قوله . هذه لمحة العارض لتكملة [الألفية] ^(٤) ابن الفارض ،

(١) وردت هذه الكلمة في «ج» (الموقف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطين (الغازي) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت هكذا في «ج» والنسخ . ووردت محرفة في «الزيتونة» (منبت) .

(٤) الزيادة من النسخ .

سَكَبَ الدهر من فرايدها^(١) مائة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على رُدِّها بحول الله المعين .

من فصل الإقبال

رفضتُ السَّوى^(٢) وهو الطَّهارة عندما تَلَفَّتُ في مرط الهوى وهو زينت^(٣)
 وجئتُ الحِمَى وهو المَصلى مُبِمَا
 وقتُ وما استفتحت إلا بذكرها
 فدينى إن لاحت ركوعٌ وإن دنت
 على أتنا في القُرب والبُعد واحدٌ
 وكَم من هجير خُضت ظمآن طاوياً
 وفيها لقيت الموت أحمَر والعِدا
 ويدي وبين العذل فيها منازلٌ
 ولما اقتسمنا خطَّينَا لُحامل
 خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته
 وكَم لى على حُكم الهوى من تجلِّدٍ
 يقول تميرى والأسا سالم الأسى
 لو أنَّ مجوساً بَتَّ موقدَ نارها
 ولو كنتُ بحرّاً لم يكن فيه نَضْحَة
 بوجهة قلبي وجهها وهو قبلى
 وأحرمتُ إحراماً لغير تجلَّة
 سجدٌ وإن لاهت قيامٌ بحسرة
 تالَّفنا بالوصل عين التَّشتُّ
 إليها وديجور طويت برحلة
 مرزقة أسنان الرِّماح وحدة
 تُنسيك أيام الفجار ومؤنة
 فجار بلا أجر وحاملُ برَّة
 فعاد ختامُ الأمر أصل القضية
 دليلٌ على أن الهوى من سَجِيَّتِي
 ولا توضع الأوزار إلا لِحُنة
 لما ظلَّ إلا منهلًا ذا شريعة
 لعين إذا نارُ الغرام استحرَّت

(١) هكذا في النسخ . وفي «ج» (فرايدها) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (الهوى) .

(٣) ورد في المخطوطين هذا البيت فقط من القصيدة ، وهي في خمسة وثلاثين بيتاً . وقد أوردها المقرئ كاملة في نفع الطيب ، وذكر خلال حديثه عن جده ، أنه نقلها عن «الإحاطة» . وكذا نقل بعدها من «الإحاطة» أربع قصائد طويلة أخرى من نظم جده . وقد رأينا نحن تكملة للنص الأصل ، أن ننقل هذه القصائد كلها (نفع الطيب ج ٣ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

فلا رَدَم من نَقِيبِ المعاولِ آمِنُ
 فم تقول الأسْفُطَساتِ منك أو
 فإن قام لم يَنْبُتْ له منك قاعدُ
 فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هوا
 وإنى على صبرى كما أنت واصفُ
 أقل الضنى إن عَجَّ من جسمى الضنى
 وأيسرُ شوقى أنى ما ذكرتها
 وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى
 وأسهل ما ألقى من العذل أنى
 وأوجُ حظوظى اليوم منها حضيضها
 وأوجز أمرى إن دهرى كله
 أروح وما يلقى التأسفُ راحتى
 وكالبیضِ بیضُ الدهر والشعر سوده
 وشأنُ الهوى ما قد عرَفْتَ ولا تسل
 سقامٌ بلا بُرء ضلالٌ بلا هدى
 ولا عتبٌ فالأيام ليس لها رضا
 ألا أيها اللوام عنى قوَضُوا
 ولا تعذِلُونى فى البكاء ولا البسكى
 فما سَلَسَلْتُ بالدمع عيني إن جَنَّتْ
 تجلّى وأرجاء الرّجاء حوالِكُ
 فلم يَسْتَبِنْ حتى كانى كاسفُ

ولا هَدَم إلاك شَيْدُ بقوّة
 علام مزاجٍ رَكِبْتَ أو طبيعة
 وإلا فانت الدهرُ صاحب قِعْدَة
 أم النار أم دساس عِرْق الأُمومة
 وحالى أقوى القائمين بِحُجَّة
 وما شاكه مِعْشار بعض شِكَايَتِي
 ولم أَلَسْهَا إلا احترقت بلوغة
 جَوَاى وأخفى الوَجْد صبر المودة
 أحبُّ ألقى ذكرها وفضيحتى
 بالأمس وسَلُّ حرّ الجفون الغزيرة
 كما شاعت الحسناء يوم الهزيمة
 وأغدو وما يعدو التَفَجُّع خِطَئِي
 مساءتها فى طي طيبر المسرة
 وحسبك أن لم يُخْبِر الحب رؤيتي
 أوام بلا رى دم لا بقيمة
 وإن تَرْض منها الصَّبْر فهو بغيّ
 رِكاب ملاهى فهو أولُ محنتي
 وخلوا سبيلي ما استطعت ولو عني
 ولكن رَأَتْ ذاك الجمال فَجُنَّتْ
 ورُشدى غاوى والعميات عَمَّتْ
 وراجعتُ أبصارى له وبصيرتى

ومن فصل الاتصال

وكم موقف لي في الهوى خُضت دونه
 فجاوزت في حدى مجاهدتى له
 وحلَّ جمالى في الجلال فلا أرى
 وغبت عن الأغيار في تيه حالى
 وكأنت ناسوتى بأماره الهوى
 وعلم يقينى صار عيناً حقيقة
 وبدلت بالتلوين تمكين عزّة
 وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى
 وكم جُلت في سَم الخياط وضاق بي
 وما اخترت إلا دنَّ بقراط زاهداً
 وفقرى مع الصبر اصطفت على الغنى
 وأكتم حبي ما كنى عنه أهله
 وإني في جنسى ومنه لواحد
 تسببت في دعوى التوكل ذاهباً
 وآخر حَرَفٍ صار منى أولاً
 تعرّفت يوم الوقف منزل قومها
 فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى
 فبايعتها بالنفس داراً سكنتها
 فخلص الاستحقاق نفسى من الهوى
 فيا نفس لا ترجع تقطّع يننا

عُبَاب الرّدى بين الغلبا والأسنة
 مُشاهدتى لما تَمَتَّ بي همى
 سوى صورة التّنزيه في كل صورة
 فلم أنتبه حتى امسحى اسمى وكنيتى
 وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
 ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
 ومن كل أحوالى مقامات رفعة
 مع الحو والإثبات عند تثبتي
 لبسطى وقبضى بسطوجه البسيطة
 وفي مَلَكُوت النفس أكبر عبدة
 مع الشكر إذ لم يحظ فيه مشوبتى
 وأكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
 كنوع ففصل النوع علّة حصّتى
 إلى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
 مريداً وحرف في مقام العبودة
 فبتُ بجمع سدّ خرق التثبّت
 وأقضى على قلبى برعى الرعية
 وبالقلب منه منزلاً فيه حلّت
 وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
 ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

ومن فصل الإدلال

تبدب لعيني من جمالك لمحة
ومرت بسمي من حديثك ملحمة
ملامي ابن عذري استبين وجددي استعن
فن شاهدي سخط ومن قاتلي رضا
مراعي إشارات مراعي تعكر
وفي موقفي والدأر أقوت رسومها
معاني إمارات معاني تذكر
وبث غرام والحبيب بحضرة
ومطلع بذر في قضيب على تقا
ومكن سحر بابلي له بما
ومنت مسك من شقيق ابن منذر
ورصف اللآلي في اليواقيت كلما
سل السلسيل العنب عن طعم ريقه
ورمان كافور عليه طوابع
ولطف هواء بين خفق وبانة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه
وأنت وإن لم تبق مني صباية
وكل فصيح منك يسرى لمسمي
تهون على النفس فيك وإنها
فإن تنظريني بالرضا تشف علقى

أبادت فؤادي من سناها بلفعة
تبدت لها فيك القرآن وقرت
سماعي أين حالي أين قاتلي أصمت
وتلوين أحوالي وتمكين رقتي
مراقى نهايات مراسي تثبت
تقرب أشواقى تبعد حسرتي
مباني بدايات مثاني تلنت
ورد سلام والرقيب بغفلة
فويق محل عاطل دون دجية
حوت أضلعي فعل القنا السهرية
على سوسن غض بجنة وجنة
تل بصرف الراح في كل سخرة
ونسكته يخبرك عن علم خيرة
من الندم لم تحمل به بنت مزنة
ورقة ماء في قوارير فضة
سراقة لحظ منك للمتلفت
منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل مليح منك يبدو لمقلتي
لتسكروم أن تغشى سواك بنظرة
وإن تظفروني باللقا تطف غلتي

وإن تذكريني والحياة بقيدها
وإن تذكريني بعد ما أسكنُ الثرى
صليبي وإلاَّ جددى الوعدُ تدركى
فما أمُّ بؤها لك بتسـوـفة
فلما رأته لا ينسـازع خلفها
بكتُ كلما راحت عليه وأنها
بأكثر منى لوعةً غير أنى
فرحتُ كما أهدو إذا ما ذكرتها
أهون ما ألقاه إلاَّ من القلى
أخوض الصلى أطفئ العلاء والعلاء لا
ألا قاتل الله الحماة غـدوة
وقاتل مغناها وموقف شجوها
فغنت غناءً أعجمياً فهيجت
فأوسكت الأجنان سُجُبا وأوقدت
نظرت بصحراء البريقين نظرة
فيالهما قابلاً شحياً ونظرة
وواعجباً للقلب كيف اعترافه
وللعين لما سؤلت كيف أخبرت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى
إلى مستوى ما فوقه مستوى
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
مؤكدَةً بالنذر أيام عهد

عدلتُ لأمنى مُنيقٍ بمنيتي
تجلت دُجَاه عند ذاك وولت
صُباة نفس أيقنت بتغلَّت
أقيم لها خلف الحلاب قدَّرت
إذا هى لم ترسل عليه وضنت
إذا ذكرته آخر الليل حنت
رأيت وقار الصبر أحسن حلية
أطامن أحشائي على ما أجت
هوى ونوى نيل الرضامك بغيتي
أصل السلا أرمي الخلى بين عبرى
لقد أضلت الأحشاء نيران لوعة
على الغصن ماذا هيئت حين غنت
غرامى من ذكرى عهد تولت
جَوَاى الذى كانت ضلوعى أكنت
وصلت بها قلبى فصلَّ وصلَّت
حجازيةً لوجنَّ طرف لجنت
وكيف بدت أسراهِ خلف سيرة
وللنفس لما وُطئت كيف دلت
يسامى بأعلام العلاء كل رتبة
فلما توافيننا ثبت وزات
على نحر قربان لدى قبر شيبه
فلما توائفنا اشتدَّت وحملت

ومن فصل الاحتمال

أزور اعتماراً أرضها بتدشك
 وفي لثائي الأخرى ظهرت بما علمت
 ولولا خفاء الرمز لاولن ولم
 ولولم يجدد عهدنا عقد خلة
 بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأت
 فلم يعد أن شام البشارة شام ما
 فيالك من نور لو أن الثفانة
 تحدث أنفاس الصبا أن طيها
 وتذي أصل الربيع عن الرشا
 وتغير أصوات البلابل أنها
 فهذا جمالي منك في بعد حشرتي
 تبدى وما زال الحجاب ولادنا
 له كل غير في تجلية مظهر
 تجلي دليلي واحتجاب تنزيه
 فاشئت من شيء وآليت أنه
 وفي كل خلق منه كل عجيبة
 وفي كل خاف منه مكن حكمة
 أراه يقلب القلب والأغز كامنًا
 وفي طي أوفاق الحساب وسرما
 وفي نفثات السحر في العقد التي

وأقصد حجا بيتها بتحالة
 له نشأت الأولى على كل فطرة
 تجدها لشمل مسلكا بتشتت
 قضيت ولم يقض المني صدق توبه
 على قدم عيناى منه فسكفت
 جفا الشام من نور الصفات السكرية
 تعارض منه بالنفوس النفيسة
 بما حملته من حراقة حرقه
 وأشجاره إن قد تجلت فجلت
 تغنت بترجيبي على كل أئكة
 فكيف به إن قربتني بخلة
 وغاب ولم يفقده شاهد حضرتي
 ولا غير إلا ما تحت كف غير
 وإثبات عرفان ومحو تثبت
 هو الشيء لم تحمد فجار أليتي
 وفي كل خلق منه كل لطيفة
 وفي كل باد منه مظهر جلاوة
 وفي الزجر والفأل الصحيح الأدلة
 يتم من الأعداد فابدا بسنة
 تطوع لها كل الطباع الأبية

يصور شكلاً مثل شكل ويعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 وفي كل تضعيف وعضو بذاته اختلاج وفي التثويم تجلى لرؤية
 وفي خضرة السكون تزجي شرابه مواعيد عرقوب على أثر صفرة
 وفي شجر قد خوفت قطع أصلها فبان بها حبل لأقرب مدة
 وفي النخل في تلقحه واعتبر بما أتى فيه عن خير البرية واسكت
 وفي الطابع السبقي في الأحرف التي يبين منها النظم كل خفية
 وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
 وفي حرز أقسام المؤدب تحرز وحزب أصل الشاذلي وبكرة
 وفي سيمياء الحارثي ومنهـب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدعة
 وفي المثل الأولى وفي النحل الألى بها أو هموا لما تساموا بسنة
 وفي كل ما في الكون من عجب وما حوى الكون إلا ناطقاً بعجوبة
 فلا سر إلا وهو فيه سريرة ولا جهر إلا وهو فيه كحلية
 سل الذكرك عن إناصاف أصناف ما بقى عليه الكلام من حروف سليمة
 وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما أتت فيه أمضى مدتها وتثبتت
 فلا بد من رمز الكون الذي ألحجا ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
 ولولا سلام ساق للأمن خيفتي لعاجل مس البرد خوفي لمينتي
 ولو لم تداركني ولكن بعدلها درجت رجائي أن نعمتي خيبتني
 ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولم قضى العتب مني بغية بعد وحشتي
 ولعم أقامت أمر ملكي بشكرها كما هونت بالصبر كل بليّة

ومن فصل الاعتقال

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي وسارت ولم تثن العنان بعطفة

مُحْيَا ابْنَةَ الْحَيِّينَ فِي خَيْرِ لَيْلَةٍ
 لَمَّا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا كَمَا كُنْتَ
 لِكُلِّ نَبَاشِي بِهَا حِصْنٌ ذِمَّةٌ
 سَوَى وَقْفَةِ التَّوْدِيْعِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ
 مَهَاوِي الْمَهْوَى وَالْهُونَ جَدُّ تَقَلُّتِي
 قَضَاءُ قُضَاةِ الْحُسْنِ قَدَمًا فَصَدَّتْ
 وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لَغَيْرِ تَعَالَى
 وَبَاطِلٌ أَوْصَافِي وَحَقٌّ حَقِيقَتِي
 وَنَوْعِي وَشَخْصِي وَالْمَوَاءُ وَصُورَتِي
 وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّتِي الْقُدْسِيَّةِ
 وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِلْوَعْدِ
 وَأَمْرِي أَمْرِي وَالْوَرَى تَحْتَ قَبْضَتِي
 وَلَا وَقْتُ لِي إِلَّا مَشَاهِدُ غَيْبَةٍ
 مَنَاطُ الثَّرْيَا مِنْ مَدَارِكَ رُؤْيِي
 يُلْقِنُ سَمْعِي مَا تُوسَّسُ مُهْجَتِي
 كَأَنَّكَ نَوْرٌ فِي سِرَارِ سَرِيرَتِي
 كَأَنَّكَ فِي أَفْقِي كَوَاكِبُ زِينَةٍ
 وَأَنْتَ الَّذِي أَبْدَيْتَ فِي جَنِّ شَهْرَتِي
 وَمُرٌّ أَمْتِنَلْ وَأَمْلِلْ أَمِلْ وَارْمِ أَثْبُتْ
 لَعَنَتِي فِيهِ الدَّهْرُ مَوْقِعَ نُسْكُنَةٍ
 فَلَا تَنْتَمِي إِلَّا إِلَيْكَ بِمَنْفَرَةٍ
 أَرَى ذُونَهُ مَا لَا يَنْالُ بِحِيلَةٍ

وَذَلِكَ لَمَّا أُطْلِعَ الشَّمْسُ فِي الدُّجَى
 بِمَانِيَّةٍ لَوْ أَنْجَدَتْ حِينَ أَنْجَدَتْ
 لِأَصْحَمَةٍ فِي نَصْحِهَا قَدَمِ نَبِيٍّ
 أَلِمَتْ فُحِطَتْ رَحْلُهَا نَمَّ لَمْ يَكُنْ
 فَلَوْ تَمَحَّحَتْ لِي بِالتَّيْفَاتِ وَحُلَّ مِنْ
 وَلَسَكُنْهَا هَمَّتْ بِنَا فَنَدَكَّرْتُ
 أَجَلْتُ خِيَالًا إِنِّي لَا أَجِلُّهُ
 عَلَى أَنِّي كُلِّي وَبَعْضِي حَقِيقُهُ
 وَجِنْدِي وَفَضْلِي وَالْعَوَارِضُ كُلُّهَا
 وَجِسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ
 وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مَبِيلٌ لِمَسْمِي
 وَدَهْرِي بِهِ عَيْدٌ لِيَوْمِ عَرُوبَةٍ
 وَوَقْتُ شُهُودٍ فِي فَنَاءِ شَهِيدَتِهِ
 أَرَاهُ مَعِيَ حِسًّا وَوَهْمًا وَأَنَّهُ
 وَأَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ كَأَنَّهُ
 مَلَأْتُ بِأَنْوَارِ الْحُبِّ بَاطِنِي
 وَجَلَّلْتُ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءَ ظَاهِرِي
 فَأَنْتَ الَّذِي أَخْفَيْتَهُ عِنْدَ تَسْتَرِي
 فَتِهِ أَحْتَمِلْ وَأَقْطَعْ أَصْلَ وَأَعْلِ اسْتَفْلِ
 قَلْبِي إِنْ عَاتَبْتَهُ فَيْكَ لَمْ أَجِدْ
 وَنَفْسِي تَنْبِؤُ عَنْ سِوَاكَ نَفَاسَةً
 تَعَلَّقْتُ الْأَمَالَ مِنْكَ بِفَوْقِ مَا

وحامت حواشيها وما وافقت رحي
فلو فاتني منك الرضى ولحقتني
ولو كنت في أهل اليمين منعاً
وكم من مقام قت عنك مسائل
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم
ولم يدر ما قولي ابن سيناء سائلاً
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى
لقد ضاع لولا أن تدار كنى رحي
فقيض لي نهجاً إلى الحق سالكاً
فخصنت أنظار الجند جنيدها
وكسرت عن رجل ابن آدم أذهماً
وعدت على حلاج سكرى بصلبه
فقولي مشكور ورأي ناجح
رضيت بعرفاني فاعليت للعلا
فمشت ولا ضيراً أخاف ولا قلى
فها أنا ذا أمسى وأصبح بينهم

وأشدني قوله في حال قبض وقيدتها عنه :

إليك بسات الكف استنزل الفضلا
ومنا قبضت الطرف استشر الذلا
وها أنا ذا قد قدمت يقدمني الرجا
ويحجمني (٢) الخوف الذي خامر العقلا

(١) وإلى هنا انتهى ما نقلته عن نفح الطيب من شعر جد المقرئ الذي ورد في «الإحطة» وأغفله المخطوطان .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» وفي «رييود» (حجبي) وفي نفح الطيب (ويحجم بي) .

أَقْدَمُ رَجُلًا إِنْ يَفِيءُ^(١) بَرَقُ مَطْمَعٍ^(٢) وَتَظَلُّمٌ أَرْجَائِي فَلَا أُنْقِلُ الرَّجُلَا
وَلِي عَثَرَاتٌ لَسْتُ أَمَلُ أَنْ هَوَتْ بِنَفْسِي إِلَّا أَسْتَقِلُّ وَأَنْ أُصَلِّي^(٣)
[فَإِنْ تُذَرِكْنِي رَحْمَةً أُنْتَمِشَ بِهَا وَإِنْ تَسْكُنُ الْآخِرَى فَأُوَلِّى بِي الْأُوَلَّى]^(٤)
قَالَ ، وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ مِنَ الشَّعْرِ :

وَجَدْتُ^(٥) تَسْعَرُهُ الضُّلُوعُ عَ وَمَا تُبَرِّدُهُ الْمِدَامِعُ
هُمْ تَحْرُكُهُ الصَّبْرُ بَةِ وَالْمُهَابَةُ لَا تُطَاوِعُ^(٦)
أَمَلِي إِذَا وَصَلَ الرَّجَا أَسْبَابُهُ فَلَمُوتُ^(٧) قَاطِعُ
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْمَهْمُ مَا أَنْتَ بِالْعُشَّاقِ صَانِعُ

قَالَ وَمِمَّا كَتَبْتُ بِهِ لِمَنْ بَلَغَنِي عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ :

نَحْنُ إِنْ تَسَأَلَ بَنَاسٌ مَعْشَرُ أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَّتْهُ الْمَهْمُ
عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ وَمِنْ السُّمْرِ الْبَطْوَالُ الْخَلِيمُ
عَرَضَتْ أَحْسَابُهُمْ أَرْوَاحُهُمْ دُونَ نَيْلِ الْعَرِضِ وَهِيَ الْكُرْمُ
أُورِثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى أَنْتَا تَرْتَفِي الْمَوْتَ وَلَا تَزْدَحْمُ
مَا لَنَا فِي النَّاسِ مِنْ ذَنْبٍ سِوَى أَنْتَا نَلَوِي إِذَا مَا اقْتَحَمُوا^(٨)

قَالَ ، وَمِمَّا قَلَنَهُ مَذِيلاً بِهِ قَوْلَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ :

-
- (١) وردت في المخطوطين (يقضى) والتصويب من النسخ .
 - (٢) وردت في المخطوطين (مظهر) والتصويب من النسخ .
 - (٣) وردت في المخطوطين (أصلاً) والتصويب من النسخ .
 - (٤) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في المخطوطين .
 - (٥) وردت في «ج» (وحوث) . وفي «الزيتونة» (وحرة) . والتصويب من النسخ .
 - (٦) وردت في «ج» (تطلع) وفي «الزيتونة» (تطامع) . والتصويب من النسخ .
 - (٧) وردت في «ج» (خوف) . والتصويب من النسخ .
 - (٨) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

أما والمسجدُ الأقصى وما يتلى به نصًّا
لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحي رقصا

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحا عزمه قصًا
أقل القلب واستمدى على الجنان فاستعصى
فقمْتُ أجول بينهما فلا أدنى ولا أقصى^(١)

قال ، ومما قلته في التورية بشأن راوى المدونة :

لا تعجبين لظي^(٢) قد دها أسداً فقد دها أسداً من قبل سُحنون

قال ، ومما قلته من الشعر :

أُنبِتُ عوداً بنماء بدأتُ بها فضلاً والبستُها بعد اللحي الورقا
فظلُّ مُستشعراً مُستدثراً أوجاً وبتان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تُشَنِّه بمكروه الجنى فليكم عودته من جميل من لدن خلقا
وأنف القذى عنه وأثر الدهر منبته وغدّه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء وما طرّقا^(٣)

ومما قيدتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بفرناطة ، وقد أجرى ذكر أبي زيد
ابن الإمام ، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن
ابن أبي حمو ، ذكر فيه أبو زيد المذكور ، أن ابن القاسم مُقَيَّد بالنظر
بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي ، وادّعى أنه
مُطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه

(١) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي النسخ . وفي «الزيتونة» (أصبي) .

(٣) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن الإحاطة . وهي ساقطة في المخطوطين .

لما ليس من قوله ، وآتى من ذلك بنظائر كثيرة . قال فلو تقيّد بمذهبه ، لم يخالفه لغيره . فاستظهر أبو زيد بنص^١ لشرف الدين بن التلساني . ومثّل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم ، بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي . فقال أبو موسى عمران ، هذا مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح به أبو زيد [ابن الإمام]^(١) وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر تسكلم [فقال]^(٢) لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم [أنه]^(٣) لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي مُحقق ، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السن ، ما أنصفهما الرجل ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك يؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثمّ جاء ما قال هذا الشيخ ، أعنى ابن أبي عمران . وكيف لا وهذا سيئويه يقول ، وهذا مثال ولا يُتسكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً ، فلا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل [لفساده]^(٤) فهذان القولان من أصل واحد .

وقال ، شهدتُ مجلساً آخر عند هذا السلطان ، قرئ فيه على أبي زيد [ابن الإمام]^(٥) حديث : لقننوا موتاكم لا إله إلا الله ، من صحيح مسلم . فقال له الأستاذ أبو إسحاق [بن حكم السّلو]^(٦) هذا الملقّن مُحْتَضِر حَقِيقَة ، ميّت مجازاً فما وجه [ترك]^(٧) مُحْتَضِرِكم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه . وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت

(١) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هذا واردة في «ج». وساقط في «الزيتونة» .

(٦) هذا واردة في «ج». وساقط في الزيتونة .

(٧) الزيادة من النسخ .

زعم القرافي أن المشتق [إنما] ^(١) يكون حقيقة في الحال . مجازاً في الاستقبال .
 مختلفاً فيه في الماضي . إذا كان محكوماً به . وأما إذا كان متعلق الحكم
 كما هنا ، فهو حقيقة مُطلقاً إجماعاً . وعلى هذا التقرير ، لا مجاز ولا سؤال .
 ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول إنه نقل الإجماع ،
 وهو أحد الأربعة ، التي لا يُطالب عنها ^(٢) بالدليل ، كما ذكر أيضاً . بل نقول
 إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج
 على وجوب الطهارة ونحوها . بل هذا أشنع لسكونه مما علم كونه من الدين
 ضرورة . ثم إننا لو سلمنا نفي الإجماع ، فلما أن نقول إن ذلك [إشارة إلى] ^(٣)
 ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك ، إن لم يدهش ، فقد
 يُوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقنوا [من] ^(٤) تحكون بأنه ميت .
 أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإيهام ^(٥) . ألا ترى اختلافهم فيه ،
 هل هو أخذ من حضور الملايكة [أو حضور الأجل ، أو حضور الجلّاس] ^(٦) .
 ولا شك أن هذه حالة خفيفة ^(٧) يُحتاج [في نصها إلى دلائل الحكمة] ^(٨) أو ^(٩)
 إلى وصفٍ ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو

(١) وردت في المخطوطين (لا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (مدعيها) .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (الأنهام) .

(٦) ما بين الخاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٧) وردت في «ج» (خفيفة) . وفي «الزيتونة» (حقيقة) والتصويب من النسخ .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مقابلها في النسخ ما يأتي (في نصها

دليلاً على الحكم) .

(٩) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

[أيضاً]^(١) مما لا يُعرَّف بنفسه ، بل بالعلامات . فلما وجب اعتبارها^(٢) . وجب كون تلك التسمية إشارة إليها . والله أعلم .

وقال ، وكان أبو زيد يقول^(٣) . فيما جاء من الأحاديث : ما معنى قول ، ابن أبي زيد . وإذا سلم الإمام^(٤) ، فلا يلبث بعد سلامه ولينصرف ، وذلك بعد أن ينتظر من يُسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد . وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة .

وقلت ، وهذا من مُلحِ الققيه^(٥) . وقال كان أبو زيد يعنى الإمام ، يُصحِّف قول الخوئجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها ، فيقول ، والمفارقات^(٦) ، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

وغررتني وزعمت أنك لابن في الصَّيف تأمر

فقال :

وغررتني وزعمت أنك لا تني بالصَّيف تأمر

فقال ، أنت في تصحيفك أشهر من الخطيئة ، أو كما يحكى عن الشافعي أنه لما صلى في رمضان بالخليفة ، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف ، وقرأ الآية « صنعة الله أصيب بها من أساء . إنما المشركون نجس .

(١) ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) وردت في المخطوطين (اعتبارها) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (الفقه) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (والمقارنات) والتصويب من النسخ .

(٧) وردت في المخطوطين (وعورتني) . وعورتني والتصويب من النسخ .

وعدها إياه ؛ تقية لكم خير لكم . هذا أن دعوا للرحمان ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وقال ، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً ، أنه سُئل بالمشرق عن هاتين الشريعتين : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون» فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتولّوا وهم معرضون» [وهو] ^(١) محال . ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم ^(٢) ؛ قال الخونجى ، والإهمال بإطلاق لفظه . لو وأن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهمة في قوة الجزئية ^(٣) ، ولا قياس على جزئيتين . فلما اجتمعت بيجاية بأبي على حسين بن حسين ، أخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزمخشري وغيره ، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار ^(٤) الوسط . [فقال لي الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط] ^(٥) . وأخبرت بذلك [شيخنا] ^(٦) أبا عبد الله الآبلى ، فقال إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن [لا] ^(٧) يكون من جزئيتين ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط . فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبئ عليه الوسط وغيره] ، وإلا فلا مانع ^(٨) لما قاله ابن حسين . قال الآبلى ؛ وأجبتُ بجواب السّوى ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس ،

-
- (١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .
 - (٢) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الزيتونة (ابن الحكم) .
 - (٣) وردت في «ج» (الخيرية) وفي «الزيتونة» (الخيرية) . والتصويب من النسخ .
 - (٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تكرير) . والأولى أفضل .
 - (٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» والنسخ . وساقط في الزيتونة .
 - (٦) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» والنسخ .
 - (٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .
 - (٨) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» والنسخ . وساقط في «الزيتونة» .

لوجوب كون مُهمات القرآن كَلِيَّة ، لأن الشرطية لا تنتج جزئية . فقلت هذا فيما يُساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . أما في مثل هذا فلا قلت . وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولى سبب تأخر ، حسبما تبين في مسألة ، لو لم يطع الله ، فليُنظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله .

وقال ، لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون ، نزيل طيبة ، على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

رأت قر السماء فأذكرتني ليالى وصلينا بالرقمتين
كلانا ناظره قرأ ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

[ففسر ثم قال] (١) لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهي تنظر إلى قر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة . فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة . وأيضاً وهو ينظر إلى قر مجازاً ، وهو لإفراطه استحسانها (٢) يرى أن قر السماء هو المجاز ، فقد رأت بعينه لأنها ناظرة المجاز . قلت ، ومن هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى « فأذكروني أذكركم » والفاء فأذكرتني [بمشابهة قولك أذكركتني] (٣) ، فتأمل ، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ، ينشده « وأذكرتني » . فالفاء في البيت الأول ، مُنبِهة على الثانى ، وهذا النحو يسمى « الإيذان في علم البيان »

وقال ، سألتني ابن حكم عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :
ومنهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل الحب حرام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في المخطوطين (فقال) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» . وفي «الزيتونة» (استحسانه إياها) .

(٣) ما بين الحاضرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

ففكرت ثم قلت له ، أراه تميمياً لإلفائه « ما » النافية . فاستحسنه مني [لصغرسني يؤمئذ]^(١) . وسأل [ابن فرحون]^(٢) ابن حكيم يوماً ، هل تجدد في التنزيل ست فاعات مرتبة ترتيبها في هذا البيت :

رأى^(٣) فحب فرام الوصل فامتنعت فسأم صبراً فأعيا نيله فقضى
ففكر ابن حكيم ، ثم قال نعم قوله عز وجل « فغاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فاصبحت كالضريم ، فتنادوا إلى آخرها » ، فمنعت له البناء في [فتنادوا] . فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره ، فقال نعم ، قوله عز وجل « فقال لهم رسول الله ، ناقة الله وسقياها إلى آخرها » ، فنع لهم بناء الآخرة لقراءة الواو . فقلت له امنع [ولا تُسند]^(٤) ، فيقال إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع [الكلام]^(٥) عليه . وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ، كقول نوح عليه السلام « فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم » . وكقول امرئ القيس « غشيت ديار الحى بالبكرات ، البيتين » لا يقال قوله ، فالحب سابع ، لأننا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة أنها أول الأعداد الثامة ، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها . وشأن اللسان عجيب .

(١) هذه الإضافة من النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفع .

(٣) وردت في « ج » (واني) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه العبارة واردة في « ج » وساقطة في « الزيتونة » .

(٥) الزيادة من النفع .

وقال ، سمعت ابن حكيم يقول ، كتب^(١) [بعض]^(٢) أدباء [فاس]^(٣) إلى صاحب له :

إبعث إلى بشيء مدار فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشيرُ إليه

فبعث [إليه]^(٤) ببطّة من مَرَى شُرْب [يشير بذلك إلى]^(٥) الرّياء
وحدث أن قاضيها^(٦) أبا محمد عبد الله [بن أحمد بن الملقوم دعى]^(٧)
إلى وليمة ، وكان كثير البَلْغَم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر
غُضاراً من اللّوز المطبوخ بالمَرَى ، لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عَرَّضَ له
بالرياء . وكان ابن الأشقر يُذكر بالوقوع في الناس ، فقدم له القاضي غُضاراً المقرّوض ،
فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاضى [دخلت
عليه بالعتيقه أبي عبد الله السطى في أيام عيد . فقدم لنا طعاماً ، فقالت لو أكلت
معنا ، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث . « من أكل مع مغفور له ، غُفِرَ له »
فتبسّم ، وقال لى ، دخلت على سيدى أبي عبد الله الفاضى بالأسكندرية . فقدم لنا
طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث ، فقال وقع في نفسى شيء ، فرأيت النّبي صلى الله
عليه وسلم في المنام ، فسألته عنه . فقال لم أقله ، وأرجو أن يكون كذلك ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (بعث) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) وردت في المخطوطين (قاصيد والتصويبات النسخ) .

(٧) ما بين الحاصرتين وردت في النسخ . وسقطت في المخطوطات .

وصالحته بمصالحته الشيخ أبا عبد الله زيان . بمصالحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي ، بمصالحته أبا العباس أحمد الملقب ، بمصالحته المَعْمَر . بمصالحته رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدَّلاصى ، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان يخصه لدينه وعقله ، بالنداء باسمه ، وإنما كان يَنْعَقُ بماليكه [ياساق] (٢) ، يا طَبَّاح ، يا مُزَيْن . فناداه ذات يوم ، يا قَرَّاش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه . فلم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة . فسأله عن مخالفته لعادته ، فقال له لا عليك ، كنت يومئذ جُنُبًا ، فكرهت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الحالة . وقال أنشدني المجاصى ، قال أنشدنى [الإمام] (٣) نجم الدين الواسطى ، قال أنشدنى شرف الدين الدمياطى ، قال أنشدنى تاج الدين الأمدى ، مؤلف الحاصل ، قال أنشدنى الإمام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام العقول عِقال وأكثُرُ سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وَحْشة من جِسمنا وحاصلُ دُنيانا أذى ودبال
ولم استفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيلُ وقال
وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكم من جبال قد عملت سُرفاتها (٤) رجالٌ فماتوا والجبال جبال

وقال ، وقد مرَّ من ذكر الشريف القاضى أبى على حسين بن يوسف [بن يحيى] (٤)
الحسنى فى عِدَاد شيوخه [وقال] (٥) حدثنى أبو العباس الرُّندى ، عن القاضى أبى العباس

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الخاضرتين كلها ساقطة فى المخطوطين . وواردة فى نفح الطيب .

(٢) الزيادة من النفح . (٣) الزيادة من « الزيتونة » .

(٤) هكذا وردت فى « الزيتونة » و « نفح » . وفى « ج » (سروفاها) .

(٤) الزيادة من النفح . (٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

ابن الغمّاز - [قال لما قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية ، نزل بجاية ،
فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً ، وعليه بُرّنس
أبيض ، وقد حُكّت شارته ، وكُثّ هيئته ، فلما نظر إليه ابن الغمّاز أنشده :

لبس البرّنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها
لو زليخا رأته حين تبدّى لتمنّته أن يكون فتاه

وقال أيضاً [إن ابن الغمّاز] ^(١) جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ^(٢) ، فنزل
الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهّلوه . وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهله ،
فردهم معه ، فأراهم إياه ، فقال ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع بن سالم ^(٣) ، فأنشدنا فيه :

تواري هلال الأفق عن أعين الوَرَى وأزخى حجاب الغيم دون محيّا
فلما تصدّى لارتقاب شقيقه تبدّى له دون الأنام فحيّا

وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار ، الشيخ التعلّمي ^(٤) من أهل تلمسان ،
فقال ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يُحرّم من النساء بالقرابة ، وهي [أصول

(١) ما بين الحاصرتين كله ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ.

(٢) جامع الزيتونة ، هو جامع تونس الأعظم ، ومن أقدم الجوامع في العالم الإسلامي . أنشأه
حسان بن النعمان في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وأعيد بناؤه مراراً . وما زالت توجد به أجزاء
من بناء القرنين الثالث والرابع .

(٣) هو الخافظ أبو الربيع سلمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي من أهل
بلنسية . ولد سنة ٥٦٥ هـ . وكان عمدة المحدثين والرواة في عصره . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب
«الإكتشاف» في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء ، وكتاب في تاريخ الصحابة والتابعين . وقد
توفي مجاهداً شهيداً في موقعة أنيشة التي نشبت بين المسلمين والنصارى على مقربة من بلنسية في
شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (التعلّمي) .

وفصول [١] . أول أصوله ، وأول فصل من كل [أصل] (٢) وإن علا ، فقال إن تركب لفظ التسمية العرفية (٣) من الطرفين حلت وإلا حرمت . فتأملته . فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة . التركيب من الطرفين . كابن العم [وابنة العم] (٤) . مقابلته كالآب والبنت . والتركيب من قبيل الرجل . كابنة الأخ والعلم مقابلته كابن الأخت والخالة .

وذكر الشيخ الرئيس أبا محمد [عبد المهيمن بن محمد] الحضرمي . وقال . كان يُنكر إضافة الحول إلى الله [عز وجل] (٥) ، فلا يجوز أن يقال «بحول الله وقوته» ، قال ، لأنه لم يُرد إطلاقه ، والمعنى يقتضى امتناعه لأن الحول كالحيلة ، أو قريب منها .

وحكى عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي . عن القاضي أبي زيد [عبد الرحمن بن علي] (٦) الدكالي ، أنه اختصم عنده رجلان في شاة . ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه [فأوجب البين على المودع أنها ضاعت] (٧) من غير تضييع . فقال كيف أضيع . وقد شملتني . حراستها عن الصلاة . حتى خرج وقتها ، فحكم عليه بالغرم . فقيل له في ذلك ، فقال تأولت قول عمر [ومن ضيها] (٨) فهو لما سواها أضيع .

وحكى عن الشيخ الفقيه رحلة الوقت أبي عبد الله الآبلي . حكاية في باب الضرب ،

(١) وردت في المخطوطين (أصوله وفسوره) وتصويب من النسخ .

(٢) وردت في المخطوطين (فصل) وتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (العربية) وهو تحريف .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٨) ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

وقوة الإدراك ، قال . كنت [يوماً^(١)] مع القاسم بن محمد الصنهاجي . فوردت عليه . طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويه مبدولةٌ ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لي ما مطلقه ، فقلت « نارج » . ودخل عليه وأنا عنده بتمسان الشيخ الطيب أبو عبد الله الدبّاع الملقب ، فأخبرنا أن أديباً استجدي وزيراً بهذا الشطر : « نتم حبيب قلماً ينصف » فأخذته وكتبته ، ثم قلبته وصحفته فإذا به قصبتنا مِلَفٌ شحمي .

وقال ، قال شيخنا الأبلّ ، لما نزلت تازة^(٢) مع أبي الحسن بن برّي ، وأبي عبد الله التّرجالي^(٣) ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قناتهما إلى الكلام ، فاستكشفتُ منهما عن [معنى]^(٤) هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم
فجملنا يفكران فيه ، فنمتُ حتى أصبحا ولم يجدها ، وسألوني عنه ، فقلت
معناه « أقول لعبد الله لما ، وهي سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم
لنا برقا » .

قلت ، [وفيه نظر]^(٥) ، وإن استقصينا مثل هذا ، خرجنا عن الغرض .

(١) هذه الكلمة واردة في المخطوط بعد عبارة (فوردت عليه) . وهذا مكانها وفقاً للنسخ ، وهو أنسب .

(٢) وردت في المخطوطين (تازا - تاز) . والأصح أنها تازة أو تازي ، وهي من مدن المغرب الأوسط .

(٣) نسبة إلى «ترجاله» وبالإسبانية Trujillo . وهي مدينة أندلسية تقع على مقربة من جنوبي نهر التاجه ، وشمال شرقي بطليوس .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في النسخ كالأتي (وفي جواز مثل هذا نظر) .

مولده

نقلت من خطه ، كان مولدى بتهسان ، أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن
يغبراسين بن زيان . وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ورأيت الصفح عنه ، لأن
أبا الحسن بن موسى ، سأل أبا الطاهر السلفى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
فإني سألت أبا الفتح بن زيان بن مسعدة عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني
سألت محمد بن على بن محمد اللبان عن سنه فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت
[حمزة بن يوسف السهمى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا بكر
محمد بن على الشفري عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك]^(١) ، فإني سألت بعض
أصحاب الشافعى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا إسماعيل
الترمذى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت الشافعى عن سنه ، فقال
أقبل على شأنك ، فإني سألت مالك^(٢) بن أنس عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
ليس من الروعة إخبار الرجل عن سنه .

وفاته

توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة وخسين وسبعمائة^(٣) وأراه
توفى فى ذى حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تهسان حرسها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
من أهل سبته ، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل [عياض]^(٤) ، يكنى أبا عبد الله .

(١) هذا كله ساقط فى الزيتونة .

(٢) وردت فى «ج» (السايب) وهو تحريف ، وحكمة التصويب واضحة .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الزيتونة (عام تسعة وسبعمائة) وهو تحريف .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . كان من عُدُول القضاة . وجَلَّة سرائرهم . وأهل النزاهة فيهم . شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط . صابراً على الضعيف فيهم والمملوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوى السُّطوة . فاضلاً . وقوراً . حسن السمَّة ^(١) . يُعْرِفُهُ كلامه أبداً . ويزينه ذلك لكثرة وقاره ، محبباً في العلم وأهله ، مُقَرَّباً لأصاغر الطلبة ، ومكرماً لهم ، ومُعْتَنِياً بهم ، مُعْمِلاً جَهْدَهُ في الدَّفْع عنهم ، لما عسى أن يسوءهم . لِيُجَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعِلْمَ [وأهله] ^(٢) . ما رأينا بعده [في هذا مثله] ^(٣) . سكن مالمقة مع أبيه ، عند انتقال أبيه إليها ، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستماية .

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب . [وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه] ^(٤) . قال دخلت على القاضي المذكور ، فسأل أحدنا عن أبيه ، فقال ابن فلان ؛ وذكر معرفةً مشتركة بين تجَّار فاس . فقال أيهما الذي ينحت في الخشب ، والذي يعمل في السلاح ، فما فطن لقصده لسداجته . وحدثني عن ذكر جَزَالته . أنها كانت تقع له مع السلطان مُسْتَقْضِيه . مع كونه مرهوباً ، شديد السُّطوة ، وقايع تُنْثِي عن تصميمه ، وبُعْده عن الهوادة . منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس ، كان قد سجنه . فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسَّجَّان [بحبسه] ^(٥) ، وتوعَّده إن أطلقه . ومنها إذاعة ثبوت العيد ، في أخريات يوم ، كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه ، فنزل عن القلعة ينادي ، عبد الله ياميمون ، إخبار الناس عن عيدهم اليوم ، وأمثال ذلك .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (السمة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة وردت في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) من الخاصرتين . ووردت في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

مشيخته

قرأ بسبته ، وأسندَ بها . فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره ، ورحل إلى الجزيرة الخضراء . فأخذ بها كتاب سيديويه وغيره تفقيهاً^(١) على النحوى الجليل أبي القاسم عبد الرحمن ، ابن القاسم القاضي المتقن . وأخذ بها أيضاً [كتاب]^(٢) «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مفرور ، وأخذ بإشبيلية وغيرها عن آخرين . وقرأ على القاضي أبي القاسم بن بقي بن نافعة . وأجاز له . وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة ، منهم أبو جعفر محمد ابن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني ، وأجاز له بإصبهان^(٣) ، وهو سبط حسن ابن مئدة ، أجاز له في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وتحمل عن أبي علي الحداد ، شيخ السلّفى الحافظ عن محمود الصيرفى ونظائرها ، وجماعة من إصبهان كثيرة كتبوا [له]^(٤) بالإجازة . وكتب له من غيرها من البلاد [نيف^(٥) وثمانون] رجلا ، منهم أحد وستون رجلا كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس الغربى ، والقاضى أبى عبد الله الأزدي ، [وقد نصح على جميعهم فى برنامجيهما ، واستوفى أبو العباس الغربى نصوص الإستراعات ، وفيها اسم القاضى أبو عبد الله بن عياض]^(٦) .

من روى عنه

قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله ، أجاز لى مرتين اثنين . وقال حدثنى

(١) هكذا وردت فى المخطوطين . وربما كانت (تفقيها) .

(٢) أضيفت هذه الكلمة إيضاحاً للسياق .

(٣) وردت فى المخطوطين (أصبهان) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٤) أضيفت هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (ما ينيف على الثمانين) والمزودى واحد .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» .

أبو عبد الله مشافهة بالإذن ، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابةً من دمشق ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الخطاب بالحاء المهمل ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط ، أخبرنا موسى ابن محمد بن عرفة السمسار ببغداد ، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل الثقفزي ، أخبرنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا^(١) عمر بن شاكر عن ألس بن مالك ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ : الصَّابِرُ^(٢) مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجُمْرِ .

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا ، ممن مولده بعد الستمائة ، وإسماعيل بن موسى من شيوخ الترمذي ، قد خَرَجَ عَنْهُ الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ ، لم يقع له في مُصَنَّفِهِ ثَلَاثِي غَيْرِهِ .

مولده

بسبب سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته

توفي بفرة ناطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة .

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر

ابن موسى بن عياض اليحصبي

من أهل سببنة ولد الإمام أبي الفضل ، يكنى أبا عبد الله .

(١) واردة في المخطوطين (نا) فقط .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي نص (القابض) .

حاله

كان فقيهاً جليلاً ، أديباً ، كاملاً . دخل الأندلس ، وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلوة ، وولى قضاء غرناطة ، قال ابن الزبير ، وقفت على جزء ألفه [في شيء] ^(١) من أخبار أبيه ، وحاله في أخذه وعلمه ، وما يرجع إلى هذا ، أوقفني عليه خفدته بمالقة .

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير [بن محمد] ^(٢) بن سعيد
ابن جبير بن محمد [بن مروان] ^(٣) بن عبد السلام [بن مروان
ابن عبد السلام بن جبير] ^(٣) الكِنَانِي
الواصل إلى الأندلس .

أوليته

دخل جدّه عبد السلام بن جبير في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم ثلاث وعشرين ومائة . وكان نزوله بكورة شدونة . وهو من ولد ضمرة

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٣) هذه الزيادات في النسبة من كتاب «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك (السفر الرابع -

مخطوط المتحف البريطاني لوحة ١٣٠) .

ابن كِنانة بن بكر بن عبدمناف بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرُكة بن إلياس [بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]^(١) . بَلَدْنَسَى الْأَصْل ، ثُمَّ غَرَّ نَاطِلِي الْأَسْطِيطَان . شَرْقٌ ، وَغَرْبٌ ، وَعَادَ إِلَى غَرْنَاطَةِ .

حاله

كان أديباً بارعاً^(٢) ، شاعراً مجيداً ، سَنِيّاً فاضلاً ، نَزِيهَ الْمُهِيْمَةِ ، سَرِيَّ النَّفْسِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، أُنِيقَ الطَّرِيقَةِ [فِي الْخَطِّ]^(٣) . كَتَبَ بِسَبْتَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ عَثْمَانَ ابْنَ عَبْدِ الْمُؤْمَنِ ، وَبَغَرْنَاطَةَ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَمْدَاحٌ كَثِيرَةٌ . ثُمَّ نَزَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ أَدْبَاءِ عَصْرِهِ ، مَخَاطِبَاتٌ ظَهَرَتْ فِيهَا بَرَاعَتُهُ وَإِجَادَتُهُ . وَنَظَّمَهُ فَايِقٌ ، وَنَثَرَهُ بَدِيعٌ . وَكَلَامُهُ الْمُرْسَلُ ، سَهْلٌ حَسَنٌ ، وَأَغْرَاضُهُ جَلِيلَةٌ ، وَمَحَاسِنُهُ ضَخْمَةٌ ، وَذِكْرُهُ شَهِيرٌ ، وَرَحْلَتُهُ نَسِيجَةٌ وَحَدِيدَةٌ ، طَارَتْ كُلُّ مَطَارٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

رحلته

قال من عُنِيَ بِخَبْرِهِ ، رَحَلَ ثَلَاثًا مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَحَجَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا . فَصَلَّ [عَنْ غَرْنَاطَةِ]^(٤) أَوَّلَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ لَثْمَانَ خُلُونٍ مِنْ شَوَّالٍ ، ثَمَانَ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً ، صَحْبَةَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ حَسَّانٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ غَرْنَاطَةَ لَثْمَانَ بَقِيْنَ مِنْ مُحَرَّمٍ وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ . وَلَقِيَ فِيهَا أَعْلَامًا يَأْتِي التَّعْرِيفُ^(٥) بِهِمْ فِي مَشِيخَتِهِ ، وَصَنَّفَ الرِّحْلَةَ الْمَشْهُودَةَ ، وَذَكَرَ [مَنَاقِلَهُ]^(٦) فِيهَا [وَمَا شَاهَدَهُ]^(٧)

(١) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة» — المخطوط السابق الذكر .

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الذيل والتكملة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (الشعر) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «ج» وفي «الذيل والتكملة» . وفي الزيتونة (ما نقله) .

(٧) وردت في «ج» (مشاهده) والتصويب من الزيتونة والذيل والتكملة .

من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدايع الصنائع، وهو كتاب مؤنس ممتع،
 مُثير سواكن النفوس إلى [الرُفادة على] ^(١) تلك المعالم [المكرمة والمشاهد العظيمة] ^(٢)
 ولما شاع الخبرُ المبهج [بفتح] بيت ^(٣) المقدس على يد السلطان الناصر
 صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ^(٤)، قَوِيَ عزْمُهُ على عمل ^(٥) الرحلة
 الثانية، فنحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من
 سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت
 من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس، منقطعا
 إلى إجماع الحديث والتصوف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، وورعه يتحقق،
 وأعماله الصالحة تزكو ^(٦). ثم وحل الثالثة من سبتة، بعد موت زوجته عاتكة
 أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي، وكان كلفا بها، فعظم وجدُّه عليها. فوصل
 مكة، وجاور بها طويلا، ثم بيت المقدس، ثم تجول بمصر والإسكندرية، فأقام
 يُحدث، ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته

روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي
 عبد الله بن أحمد بن غروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن
 يسعون. وبسببته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبقي. وأجاز له أبو الوليد
 ابن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التولسي، وأبو حفص عمر بن

(١) الزيادة من «الذيل والتكملة».

(٢) أضفنا هذه الكلمة تكملة لاسم المدينة.

(٣) وردت (ابن بوري) في «ج»، وفي «الذيل والتكملة». ووردت في «الزيتونة»
 (ابن بوري).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (إعمال).

(٥) وردت في المخطوطين (تذكر). والتصويب من «الذيل والتكملة».

عبد المجيد بن عمر القرشي الميمني^(١) ، نزيلا مكة ، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنسكي ، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي ، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بإصبهان .
 ويبيغداد العالم الحافظ^(٢) المتبحر [نادرة الفلك]^(٣) أبو الفرج ، وكناه أبو الفضل ابن الجوزي . وحضر بعض مجالسه الوعظية [وقال فيه]^(٤) « فشهدنا رجلا ليس بعمر ولا زيد^(٥) . وفي جوف الفراكل الصيد » . وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوارى . وأبو سعيد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون ، وأبو الطاهر بركات الخشوعي . وسمع عليه ، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني من أئمة الكتاب ، وأخذ عنه بعض كلامه ، وغيره ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر ، وسمع عليه ، وأبو الوليد إسماعيل [بن علي]^(٦) بن إبراهيم [والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرقي . وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ، وأجازوا له ، وبجران الصوفي العارف أبو البركات حيان بن عبد العزيز ، وابنه الحاذي حذوه]^(٧) .

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك ، أخذ عنه أبو إسحاق بن مهيبي ، وابن الواعظ ، وأبو تمام

(١) وردت في «ج» (المبايحي) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (الواعظ) . والأولى أرجح حسبما يبدو بعد في السياق .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الذيل والتكلمة» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ليس من عمرو ولا زيد) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط كله في «الزيتونة» .

ابن إسماعيل، وأبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن [بن علي] ^(١) الشاذي. وأبو سليمان بن حَوْط الله. وأبو زكريا. وأبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغُصْن ^(٢)، وأبو عبد الله بن حسن بن مجير. وأبو العباس بن عبد المؤمن البغاني، وأبو محمد بن حسن اللواتي ^(٣) وابن تاميت، وابن محمد المؤزوري، وأبو عمر بن سالم، وعثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التونسي.

ومن [أخذ عنه] ^(٤) بالإسكندرية، رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله، وبمصر رشيد الدين بن العطار ^(٥). ونفخر القضاة بن الجياب، وابنه جمال القضاة.

تصانيفه

منها نظمُه. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد [متوسط] ^(٦) يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. ومنه جزء سماه «تليجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» في مرأى زوجه أم المجد. ومنه جزء سماه «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان». وله ترسيل بديع، وحِكْمُ مُسْتَجَادَة ^(٧)، وكتابُ رحلته. «وكان أبو الحسن الشاذي، يقول إنها ليست من تصانيفه، وإنما قيّد معاني ما تضمنته، فتولى ترتيبها، وتضييد معانيها بعض الآخذين عنه، على ما تلقاه منه» ^(٧). والله أعلم.

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في المخطوطين.

(٣) وردت في المخطوطين (اللوحي). والتصويب من «الذيل والتكملة».

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (روى عنه).

(٥) وردت في المخطوطين (عطار). والتصويب أرجح.

(٦) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة».

(٧) هاتان الفقرتان نقلهما ابن الخطيب عن «الذيل والتكملة» مع تغييرات يسيرة.

شـمـره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها ، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة ،
على ساكنها من الله أفضل الصلوات ، وأزكى التسليم :

اقول وآتستُ بالليل نارا	لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بالُ أفق الدجى	كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حنـدس	فما باله قد تجلّ نهارا
وهذا النسيم شذا المسك قد	أعير أم المسك منه استعارا
وكانت رواجلنا تشتكى	وجاها فقد سابتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء الشرى	فعدنا نبادى سراع المهـارا
أظن النفوس قد استشعرت	بلوغ هوى تحذته شـمارا
بشائر صبح الشرى آذنت	بأن الحبيب تدانى مزارا
جـرى ذكر طيبة ما بيننا	فلا قلب في الركب إلا وطارا
حينئذ إلى أحمد المصطفى	وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أحدٌ مُشرقاً	بنور من الشهداء استعارا
فن أجل ذلك ظلّ الدجى	يحل عقود النجوم انتثارا
ومن طرب الركب بحث ^(١) الخطا	إليها ونادى الميـدار البدارا
ولما حللنا فيـداء الرسول	نزلنا بأكرم مجد جوارا
وحين دنونا لفرض السلام	قصرنا الخطا ولزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ إلا اختلاساً	ولا نرجع الطرف إلا انكساراً
ولا نظهر الوجد إلا اكتنماً	ولا نلفظ القول إلا سـرادا

(١) وردت في المخطوطين (حط) . والتصويب من الدليل والتكملة .

سوى أنسالم نطق أعيننا بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نُعيد السلام عليها مراد
[ولولا مهابته] ^(١) في النفوس لثنا الثرى والثرنا الجدارا
قضينا بزورته حجبنا وبالعمرتين ختمنا اعتمارا
إليك إليك نبي الهدى ركب البحار وجبت القفارا
وفارقت أهلى ولا منة ورب كلام يجر اعتدارا
وكيف نمن على من به نُؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني إليك هوى كامن أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديتك لبيك داعى الهوى وما كنت عنك أطيع اصطبارا
[ووطنت نفسى بحكم الهوى على وقلت رضى اختيارا] ^(٢)
أخوض الدجى وأروض السرى ولا أطمع ^(٣) النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرت ولو لم أصادف مطارا
[وأجدُر من نال منك الرضى بحب أراك على البعد زارا] ^(٤)
عسى لحظة منك لى فى غد تمهد لى فى الجنان القرارا
فاضل من بمرآك ^(٥) اهتدى ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من من الله عليه لحج بيته ، وزيارة قبره صلى الله عليه

وسلم يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها

(١) هكذا فى «ج» و«الذيل والتكملة» . وفى الزيتونة (ومن إيمانه) .

(٢) فى «الزيتونة» أدمج هذا البيت والذى قبله فى بيت واحد :

فناديت لبيك داعى الهوى على وقلت رضى اختيارا

(٣) هكذا وردت فى «ج» و«الذيل والتكملة» . وفى «الزيتونة» (أطمع) .

(٤) هذا البيت ساقط فى «الزيتونة» . (٥) فى «الذيل والتكملة» (بهذاك) .

وإن السعادة مضمونة لمن حجَّ طيبة أوزارها
وفي مثل ذلك يقول :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمَّله
وإن زار قبر نبيِّ الهدى فقد أكل الله ما أمَّله
وفي تفضيل المشرق :

لا يستوى شرقُ البلاد وغربُها الشرقُ حاز الفضل باستحقاق
أنظر [إلى جمال الشمس] ^(١) عند طلوعها زهراء تُعجب بهجة الإشراف
وانظر إليها عند الغروب كثيفة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم ^(٢) فراق
وقال في الوصايا :

عليك بكمائن المصائب واضطرب عليها فما أبقى الزمان شفيقا
كفناك بالشكوى إلى الناس أنها تسرُّ عدواً أو تُسيء صديقا
وقال :

وصانع ^(٣) المعروف فلتة عاقل إن لم تضعها في محلٍّ عاقل
كالنفس في شهواتها إن لم تكن وفقاً لها عادت بضرٍّ عاجل

نثره

من حكمه قوله : إن شرف الإنسان ، فشرف ^(٤) وإحسان . وإن فاق

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي نص (تري الشمس) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بشوك) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فصائع) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «الذيل والتكملة» (فضل) .

فمفضلٌ وإِرْفَاقٌ^(١) . ينبغي أن يحفظَ الإنسانُ لسانه . كما يحفظُ الجفنُ إنسانه .
 فربُّ كلمةٍ تقال . تُحدثُ عثرةً لا تُقال . كم كُتبتْ فَلَنتاتُ الألسنة الحِداد ،
 من ورائها ملابس حِداد^(٢) . نحن في زمن لا يَحْظَى^(٣) فيه بنفاقٍ إلا من عامل
 بنفاق . شغلُ الناس عن | طريق الآخرة^(٤) | بزخارف الأغراض . | فلجؤا في^(٥)
 الصدود عنها والإعراض . آثروا دنيا هي أضغاث أحلام ، وكم هَفَّت في حبها من
 أحلام ، أطلوا فيها آمالهم^(٦) ، وقصّروا أعمالهم . ما بالهم ، لم يتفرغ لغيرها بالهم ،
 ما لهم في غير ميدانها استِباق ، ولا (يسوى هواها)^(٧) اشتياق . تالله
 لو كُشِفَت الأسرار ، لما كان هذا الإضرار ، ولَسَهَرَت العيون^(٨) ، وتفجّرت من
 شئونها الجفون^(٩) . فلو أن عينَ البصيرة من سننّها هابّةٌ ، لرأت جميع ما في الدنيا
 ريحاً هابّةً [ولكن استولى العمى على البصائر]^(١٠) ولا يعلم الإنسان ما إليه
 صاير . أسأل الله هدايةً سبيله ، ورحمةً تورّد نسيم الفردوس وسلّ سبيله ،
 إنه الحنان المنان لا ربّ سواه^(١١) .

ومنها : فَلَنتاتُ الهِبات ، أشبه شيء بفَلَنتاتِ الشهوات . منها نافعٌ لا يعقُبُ
 ندماً ، ومنها ضارٌّ يبقّى في النفس ألماً . فضرّرُ الهبة وقوعُها عند من لا يعتقد

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وإِرْفَاق) . وفي «التكلمة» (واتفاق) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «التكلمة» (الحداد) .

(٣) وردت في المخطوطين (يخصي) . والتصويب من «التكلمة» .

(٤) وردت في المخطوطين (الطريق) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فمجوا) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(٦) وردت في المخطوطين (للمالهم) . والتصويب من «التكلمة» .

(٧) وردت في «ج» (سوى هداها) والتصويب من «التكلمة» .

(٨) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» (العين الجفن) .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت محذوفة في «ج» كالأتي : (ولكن

استولى على العمى ربيع البصائر) وكلمة ربيع هنا حشو لا معنى له .

(١٠) رجعتنا إلى نص «التكلمة» في تصويب كثير من عبارات هذه نفقرة .

لحقها أداء ، وربما أثرت عنده اعتداء . وضرر الشهوة أن لا توافق ابتداء ، فتصير لتبعتها^(١) داء ، مثابها كمثل السكر يلتذ صاحبه^(٢) بحلاوة جنائمه ، فإذا صحا يعرف قدوم ما جنأه . عكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

مولده

يكنى سنة تسع وثلاثين [وخمسمائة]^(٣) وقيل بشاطبة [سنة أربعين وخمسمائة]^(٤)

وفاته

توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستماية

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين^(٥)

يكنى أبا بكر ، شيخنا الفقيه القاضى المؤرخ الكاتب البارع رحمه الله عليه

أولته

أصله من إشبيلية ، من حصن شاب من كورة باجة ، من غربي ضقمها ، يعرفون فيها ببني شبرين^(٥) ، معرفة قديمة . ولّى جدّه القضاء بإشبيلية ، وكان من

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لمستمها) . وفي الذيل والتكملة (لمستمها) .

(٢) وردت في المخطوطين (صاحبها) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت مكان هذا التاريخ في «الزيتونة» (في هذا التاريخ) .

(٥) وردت في «ج» في الموضعين (ابن شبرين) . والتصويب في الموضعين من «الزيتونة» .

كبار أهل العلم (تشهد بذلك الصلاة)^(١) . وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وستمائة ، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة ، ثم انتقل إلى سَكْنَى سَبْتَة ، وبها ولد شيخنا أبو بكر ، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة ، فارتسم بالكتابة السلطانية ، وولى القضاء بعدة جهات ، وتأثر مالا وشهرة ، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها .

حاله

كان فريد دهره ، ولسيخ وحده في حُسْن السَمْتِ^(٢) والرَّوَاء ، وكَمال الظَّرْف ، وجهال الشَّارَة ، وبراعة الخط ، وطيب المجالسة . خاصِّيا ، وقورا ، تام الخُلُق ، عظيم الأبهة ، عذب الثَّلاوة لكتاب الله ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، تاريخيًّا ، مقيِّدا ، طُلعة اختيار [أصحابه]^(٣) محققا لما ينقله ، فكها مع وقاره ، غزلا ، لوذعيًّا ، على شأن الكتابة ، جميل العشرة ، أشد الناس على الشعر ، ثم على المحافظة ، ما يحفظه من الآيات من غير اعتيाम ولا تنقيح ، يُناغى للملكين في إثباتها ، مَرَّة التواريخ ، حتى عظم حجم ديوانه ، [تفرَّدت أشعاره بما أبرَّ على الكثيرين]^(٤) مليح الكتابة ، سهلها ، صانعا ، سابقا في ميدانها ، راجعا كفة المنشور . وكانت له رحلة إلى تونس ، اتسع بها نطاق روايته . وتقلَّب بين الكتابة والقضاء ، منحوس الحظ في الاستعمال ، مُضيِّقا فيه ، وإن كان وافر الجَدِّ ، مُوسعا عليه .

سرهو الاسم الصحيح . وابن شبرين ، بن شيوخ ابن الخطيب الأثيرين ، وقد ذكره فضلا عن هذه الترجمة في مواضع كثيرة من الإحاطة ، راجع المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٩٧ ، و ٤٤٣ ، و ٥٤١ ، ٥٤٩ .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» دون حكمة واضحة من إيرادها في هذا المكان .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (السمة) .

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في «ج» .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى»^(١) بما نصه :

خاتمة المحسنين ، وبقية الفُصحاء اللّسنين ، ملأ العيون هدياً ومثمناً ، وسلك من الوقار طريقة ؛ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ماشئت من فضل ذات ، وبراعة أدوات . إن خطاً ، نزل ابن مُقلّة عن دَرَجَتِهِ [وإن خطاً]^(٢) . وإن نظم أو نثر ، تَبِعَتِ البِغَاءُ ذلك الأثر . وإن تكلم أنصتَ الحفلُ لاسماعه ، وشرع^(٣) لذرره النفيسة صِدْقُ اسماعه . وفد على الأندلس عند كائنة سَبْتة ، وقد طرحت النوى برحاله ، وظعن عن ربّعه بتوالى إِمحاله ، [ومُعَرِّفُ بلادهِ]^(٤) ، والمستولى على طارِفِها وتالِدِها ، أبو عبد الله بن الحكيم ، قدّس الله صدادَه ، وسقى مُنْتداه ، فاهتزّ لقدمه اهتزاز الصّارم ؛ وتلقاه تلقى الأكروم ، وانهمّض إلى لقاءه آماله ، وألقى^(٥) له قبل الوسادة ماله ، ونظّمه في مخط السّكتاب ، وأسلاه عن أعمال الاقتاد ، ونزل ذمامه تأكّداً في هذه الدول ، وقوفى له الآتية منها على الأول ، فتصرّف في القضاء بجهاتها ، ونادته السيادة هالك وهاتها ، فجَدّد عهد حُكّامه العدول من سلفه وقضاتها . وله الأدب الذى تحلّت بقلائده اللّبات والنّحور ، وقصّرت عن جواهره البُحور . وسيمر من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرّعه ، ويخبر بكرم عُنصره ، وطيب نبعه^(٦) .

(١) هو كتاب «التاج المحلى فى مساجلة القندج المملّى» ، وهو أحد كتب ابن الخطيب التاريخية ، ويتضمن مختصراً لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها فى القرن الثامن الهجرى . وقد سبق التعريف به فى مقدمة المجلد الأول .

(٢) واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وسمى) والأولى أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وأمى) .

(٦) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (نعمه) والأولى أرجح .

مشيخته

قرأ على جدّه لأُمّه الأستاذ الإمام ، أبي بكر بن عُبَيْدة الإشبيلي ، وسمع على الرئيس أبي حاتم ، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الفافقي ، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، وعلى الإمام أبي عبد الله بن حُرَيْث . وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري . وسمع بمحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، [وعلى العدل أبي الحسن بن مستقور]^(١) وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد . وبمائلة على الخطيب ولي الله تعالى ، أبي عبد الله الطنجالي ، وعلى الوزير الصدر أبي عبد الله ابن ربيع ، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن بُرطال . وببجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي العباس الغبريني . وبتونس على أبي علي بن علوان ، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّفيع ، وسمع على الخطيب الصوفي ولي الله تعالى ، أبي جعفر الزيات ، والصوفي أبي عبد الله بن بُرطال ، وعلى الصدر أبي القاسم محمد بن قايد الكلاعي . [وأجازوه عالم]^(٢) كثير من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره متعدّد الأسفار ، كثير الأغراض . وفي الإكثار مجال الاختيار ، [فنه قوله]^(٣) :

(١) هذا الاسم ساقط في «الزيتونة» . وقد ورد اللقب محرفاً في «ج» (مغمسوز) . والتصويب من كتاب قضاة الأندلس للنباهي .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (وأجازوه علماء) .

(٣) أضفنا هذه العبارة تكملة للسياق .

أَخَذَتْ بِكَلِمِ الرُّوحِ يَا مَسَاعَةَ النُّوَى
فَمَنْ نُخْبِرِي يَا لَيْتَ شَعْرِي مَتَى اللِّقَا
سَلَا كُلُّ مُشْتَاقٍ وَأَكْثَرُ وَجْدُهُ
وَلِي نِيَّةٌ مَا عَشْتُ فِي حِفْظِ عَهْدِهِمْ
وَقَالَ :

بَانُوا فَمَنْ كَانَ بَاكِئًا يَبْكُ
[فَمِنْ ظُهُورِ الرُّكَّابِ مَعْمَلَةٌ
تَصْدَعُ الشَّمْلُ مِثْلَمَا انْحَدَرَتْ
كُنْ بِالَّذِي حَدَّثُوا عَلَى ثِقَةٍ
مِنَ النَّوَى قَبْلُ لَمْ أَزَلْ حَذِرًا
وَقَالَ :

يَا أَيُّهَا الْمُعْرِضُ اللَّاهِي
[فِيَا لَيْتَ شَعْرِي كَمْ أَرَى فِيكَ
وَيَحْيِي مَعِيرِي إِلَى بَاخِلٍ وَاهٍ
مَنْ يُرِدُ اللَّهَ فِيهِ فِتْنَةً
يَا غَصْنَ الْبَانِ أَلَا عَطْفَةً
أَوْسَعَنِي بِعَدِكَ ذُلًّا وَقَدْرًا
يَسُوءُنِي هَجْرُكَ وَاللَّهِ
لَا أَقْفَكَ عَنْ وَبِهِ وَعِزَاهُ
مَنْ ذَا الَّذِي رَأَاهُ ^(١)
يُشْفِلُهُ فِي الدُّنْيَا بَتِّيَاهُ
عَلَى مُعْنَى جِسْمِهِ وَاهٍ
يُثْنِي عَنْكَ ذَا جَاهٍ ^(٢)

(١) أكملنا هذه المقطوعة بهذين البيتين . وقد أوردها ابن الخطيب ضمن خطاب الوداع الذي وجهه إلى مليكه الغنى بالله حينما غادر الأندلس إلى المغرب لآخر مرة (راجع المجلد الأول من «الإحاطة» ص ٣٣) .

(٢) أوردها كل من المخطوطين نصوصاً مضطربة لهذين البيتين . وقد حاولنا جهد الاستطاعة أن نخرج من هذه النصوص المضطربة أفضل صيغة ممكنة . بيد أن هذه الصيغة ليست واضحة كل الوضوح .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

ذِكْرُكَ لَا يَنْفَكُ عَنْ خَاطِرِي وَأَنْتَ عَنِّي غَافِلٌ سَاهٍ
يَكْفِيكَ يَا عَثْمَانُ مِنْ جَفَوْنِي لَوْ كَانَ ذَنْبِي ذَنْبَ جِبْجَاهٍ
هِيَهَاتَ لَا مُعْتَرِضٌ ^(١) لِي عَلَى حُكْمِكَ أَنْتَ الْأَمْرُ النَّاهِ

قُلْتُ جِبْجَاهُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ غُفَّارٍ [قَبِيلٌ] ^(٢) إِنَّهُ تَنَاوَلَ عَصَا الْخُطْبَةِ مِنْ
يَدِ عَثْمَانَ وَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ ، فَوَقَعَتْ فِيهَا الْأَكْلَةُ فَهَلَكَ .
وَقَالَ :

يَا مَنْ أَعَادَ صَبَاحِي فَقَدْ هَلَسَ كَا قَتَلْتَ ^(٣) عَبْدَكَ لَكِنْ لَمْ تَخَفْ دَرَكَا
مَصِيبِي لَيْسَتْ كَالْمَصَائِبِ لَا وَلَا بُكَائِي عَلَيْهَا مِثْلَ كُلِّ بُكََا
فَمَنْ أَطَالَبُ فِي شَرْعِ الْمَوَى بَدَمِي لَحْظِي وَلَحْظُكَ فِي قَتْلِي قَدْ اشْتَرَكَا

وَقَالَ ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ الرُّصَافِيُّ ، وَهُوَ ظَرِيفٌ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَرَطَ بِلْبَالِي وَلَوْعَةً لَا تَزَالُ تَذْكِي لِي
بِمَهْجَتِي حَايَكَ تَغْلَتُ بِهِ حُلُوُ الْمَعَانِي طِرَازُهُ عَالِي
سَأَلْتُهُ لَنْهُمْ خَالَهُ فَأَبَى وَمَنْ ذَا نَحْوَةِ وَإِذْلالِ
وَقَالَ حَالِي يَصُونُ خَالِي يَدُنِي فَوَيْحِي بِالْحَالِ وَالْحَالِ
يَقْرُبُنِي الْأَلْ مِنْ مَوَاعِدِهِ وَأَتَقَى مِنْهُ سَطْوَةَ الْأَلِ
لَسَكُنَ عَلَى ظُلْمِهِ وَقَسْوَتِهِ فَلَمَسْتُ عَنْهُ الزَّمانَ بِالسَّالِي

وَقَالَ أَيْضًا مَضْمُونًا :

لِي هِمَّةٌ كَلَّمَا حَاوَلْتُ أُمْسِكُهَا عَلَى الْمَدَلَّةِ فِي أَرْجَاءِ ^(٤) أَرْضِهَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (متمعرض) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (أملت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أرجال) .

قالت ألم تكن أرض الله واسعة حتى يهاجر عبده مؤمن فيها
وقال مُسترجعاً من ذنبه ، ومُستوحشاً من شَيْبِهِ :

قد كان عيبي من قبل في غَيْبٍ فمذ بدا شَيْبِي بدا عَيْبِي
لا عُذر اليوم ولا حُجَّة فضَحَّتَنِي والله يا شَيْبِي

وقال :

أثْقَلَتْنِي الذنوب ويحى وَيُوسَى ليتنى كنت زاهداً كأويس

وَجَرَّتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ ثَالِثُ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ ^(١) ، بعد خلعِهِ مِنْ
مُلْكِهِ ، وَانْتِشَارِ سُلْكِهِ ، وَاسْتِقْرَاضِهِ بِقَصْبَةِ الْمُنْكَبِ ، غَرِيباً مِنْ قَوْمِهِ ، مُعَوَّضاً
بِالسَّهَادِ مِنْ نَوْمِهِ ، قَدْ فَلَّ الدَّهْرُ سَبَاتَهُ ، وَتَرَكَ يَنْدُبَ مَافَاتِهِ ، وَالْقَاضِي الْمُنْزَجِمَ بِهِ
يَوْمُهُ ، مُدَبِّرُ أَحْكَامِهَا ، وَعَلَمُ أَعْلَامِهَا ، وَمُتَوَلَّى نَقْضِهَا وَإِيرَامِهَا ، فَارْتَاخَ يَوْمًا إِلَى
إِنْسَانِيهِ ، وَاجْتَلَابَ أَدَبَهُ وَالتَّمِاسَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ حَالِهِ بِبَيَانِهِ ، وَيُنِيبَ
فِي بَشْتِهِ عَنْ لِسَانِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَفَا نَفْسًا فَالْخُذْ بِيهَا يَمِينُونَ وَلَا تَعْجَلَا إِنْ الْحَدِيثُ شَعُونَ
عَلِمْنَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ صَرَفِ دَهْرِنَا وَاسْنَا [عَلَى] ^(٢) عِلْمٍ بِمَا سَيَكُونُ
ذَكَرْنَا نَعِيمًا قَدْ تَقْضَى نَعِيمُهُ فَأَقْلَقْنَا شَوْقًا لَهُ وَحَنِينَ
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا كَيْفَ شِئْنَا وَاللَّهُ شَا ^(٣) حِرَاكُهُ عَلَى أَحْكَامِنَا وَسُكُونِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المخلوع ، محمد بن محمد بن الأحمر ، وقد حكم مملكة غرناطة من سنة ٧٠١
لى سنة ٧٠٨ هـ . ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر ، واضطربت ضده الثورة فى عيد الفطر سنة
٧٠٨ هـ ، وأرغم على التنازل عن العرش ، ثم اعتقل بحضن المنكب ، ولبث فيه حتى توفى فى سنة
٧١٢ هـ .

(٢) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة الوزن والمعنى . وهكذا وردت هذه الشطر فى «ج» . وفى
لزيثونة» (ولا تعلموا هذا الذى سيكون) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (واللنيا) .

وإذا بأبنا مثنوى الفؤاد ونحونا
فَنَغْصُ من ذاك السرور مهنأ
ونبا عن الأوطان بين ضرورة
أيا معهد الإسعاد ^(٢) حُيِّيت معهداً
تريد الليالى أن تُهين مكاننا
فإن تكن الأيام قد لعيت بنا
فمن عادة الأيام ذل كرامها
لئن خانتا الدهر الذى كان عبيدنا
وما غص منا مخبرى غير أنه
نمده رقاب أو تُشير عيون
وكدر من ذاك النعيم معين
وقد يقرب ^(١) الإنسان ثم يبين
وجادك من سكب الغمام هتون
رؤيدك إن الخير ليس يهون
ودارت علينا للخطوب فنون
ولكن سبيل الصابرين مبين
فلا عجب إن العبيد تخون
تضاعف إيمان وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود ، وهو شاهد المواريث بهذه الدعابة التى
تستغث الوقور ، وتلج السمع الموقور :

أطال الله بقاء أخى وسيدى ، لأهل الفرائض ، يُحسن الاحتيال فى مداراتهم ،
وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط فى أمواتهم ، ودامت أفلامه مُشرعة
لصَرم الأجل المُتسأ . مُعدة لتحليل هذا الصنف المُتسأ من الصلصال والحمأ . فمن
ميت يغسل وآخر يُقبر ، ومن أجل يطوى ، وكفن يُنشر ، ومن رُمس يُفتح ،
وباب يُغلق . ومن عاصب يُحبس ، ونعش يُطلق . فكما خربت ساحة ، نشأت
فى الحانوت راحة . وكما قامت فى شعبٍ مناخة ، اتسعت للرزق مساحة . فبما كر
سيدى الحانوت ، وقد اختفى مرقته ، وسهل عنقفته ، فبرى الصعبة بالمناصب
شطراً . فيلاحظ هذا برفق ، وينظر إلى هذا شزراً . ويأمر بشق الجيوب تارة ،
والبَحْث عن الأوساط أخرى . ثم يأخذ القلم أخذاً رقيقاً . ويقول وقد خامرته

(١) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (يفرب) .

(٢) هكذا دت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (الإسعاد) وهو تحريف .

السُرور، رَحِمَ اللهُ فلانا، لقد كان لنا صديقاً، وربما أذْبَرَهُ^(١) بالانزعاج الحديث، وقال مستريحٌ منه كما جاء في الحديث. وتختلف عتد ذلك المراتب، وتنبين الأصدقاء والأجانب، فيتنصرف هذا، وحظه التهميب، والنظر الجديد، وينفصل هذا، وبين يديه المنذر الصييت، والنعش الجديد. ثم يغشى دار الميت ويسلُ عن الكيِّت والسكيت، ويقول على بما في البَيْت. أين دماء الثاغية والراغية. أين عقود الأملاك بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذُكر في الأسماء^(٢) الخمسة [فقيل]^(٣) ذو مال. وعيون الأعوان ترنو من علي^(٤)، وأعناقهم تشرب إلى خلف السكِلل، وأرجلهم تدب إلى الأسفاط ديب الصقور^(٥) إلى الحجل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر الموروث والمكسوب. وقيد المطعوم والمشروب. وعدت الصحاح. ووُزنت^(٦) الأرطال، وكيلت الأقداح. والشهود يملظون على الورثة في الألية [ويصونهم بالبنات]^(٧) في النشأة الأولى. والروائح حين تُفعم الأرض طيباً، وتهدى الأرواح شداً يفعل في إزعاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدلائل يقول هذا مفتاح الباب. والسَّمسار يصيح قام النداء فما تنتظرون بالنبات. والشاهد يصيح فتعلمو صيخته، والمُشرف يشرب فنسقط سيجته. والمحتضر يهس ألا حي فلا تسمعون [ويباهي لون العباء عليه]^(٨) الجواب رب أرجعون. ما هذا النشيج والضجيج. مُتٌ كلاً لم أمت.

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (أدره).

(٢) وردت في «ج» (أسماء) والتصويب من الزيتونة.

(٣) وردت في المخطوطين (فقال). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) وردت في «ج» (من خل). والتصويب أرجح.

(٥) وردت هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (الصقر).

(٦) وردت محرفة في «ج». و «الزيتونة» (وزيت. وزينت).

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين. وهي بحالها لا تدل بمعنى واضح.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

ومن حجج له الحجيج . فترتفع له الأصوات ، كي لا يفسح فيه الملمات . ويُبقر بطنه برغمة ، ويُحفر له بمجانب أبيه وبمخدا أمه . ثم يشرع في نفسه الفرض ، ولو أكتفيت السموات على الأرض . ويقال لأهل السهام ، أحسنوا ، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام . وقد نصّ ابن القاسم على أجرة القسام . وسوغه أصبغ وسُحنون ، ولم يختلف فيه مطرف وابن الماجشون . إن قيل إيصال الحقائق إلى أرجائها ، حسن فجزاء الإحسان إحسان . وقيل إخراج النسب والكسور كبقائه ، [فللكاهنين حلوان]^(١) . اللهم غفراً ، ونستقل الله من انبساط يجر غدراً ، ونسل الله حمداً يوجب المزيد من نعمائه وشكراً . ولولا أن أغفل^(٢) عن الخصم ، وأثقل رَحْلَ الفقيه أبي النجم ، لأستغلن المجلس شرحاً^(٣) ، ولكان لنا في بحر المباشطة سنج ، ولأفضنا في ذكر الوارث والوراث^(٤) . وبيننا العلة في أقسام الشهود ، مع المشتغل بنسبة الذكور مع الأنثى . والله يصل عز أخى ومجده ، ويهب له قوة تخصه بالفايدة ، وجده^(٥) ، ويزيده بصيرة يتبع بها الحقوق إلى أقصاها ، وبصراً لا يُنادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ودام يحصى الخرايب والفلوس والأطمار ، ويأمل الطوامر بأقلامه البديعة الصنعة ، [ويصل]^(٦) الطوامر بالطوامر والسلام .

والشيء بالشيء يذكر ، قلت ، ومن أظرف ما وقعت عليه في هذا المعنى .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» . ولم تنصح لنا حكمة إيرادها على هذا النحو .

(٢) وردت في «ج» (المحفل) . وقد آثرنا نص «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (شرح) .

(٤) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

قال بعض كتاب الدولة الحكمية^(١) منورقة ، وقد ولاه خطة المواريث ، وكتب إليه راغباً في الإعفاء :

وما نلتُ من شغل المواريث رُقعة [سوى شرح]^(٢) نَعشِ كلمات ميت
وأكتب للأموات صكاً كأنهم يُخاف عليهم في الجباب التفلت
كأنى لعزرائيل صرت مُناقضاً بما هو منحو كل يوم وأثبت^(٣)
وقال ، فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم^(٤) وأعفاه .
مولده : في أواخر أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

قال في العايد^(٥) ، ومضى لسبيله ، شهاباً من شهب هذا الأفق ، وبقية من بقايا حلبة السبق ، رحمه الله ، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعماية ، وتخلّف وقرأ لم يشتمل على شيء من الكتب ، لإيثاره اقتناء النّقدين ، وعين جراية لمن يتاوى كتاب الله على قبره [على حدّ من التّعزّة والمحافظة على الإتيان]^(٦) . ودفن بباب البيرة^(٧) في دار اتخذها لذلك .

(١) الدولة الحكمية هي دولة سعيد بن حكم الأموي حاكم منورقة . وسيجرى التعريف به أدناه .

(٢) ورد مكان هاتين الكلمتين في «ج» (غير أن أشرح) . وفي «الزيتونة» (سوى أن أشرح) فلزم التصويب لاستقامة الشعر .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي ، وقد حكم جزيرة «منورقة» ثانية الجزائر الشرقية وقتاً ، بعد سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الأرجونيين . واستمر على حكمها حتى توفي سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وخلفه في حكمها لبضعة أعوام أخرى ، ولده أبو عمر حكم بن سعيد (راجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) ص ٤٠٨ و ٤٠٩) .

(٥) المرجح أنه يشير إلى كتاب «عايد الصلة» الذي سبق التعريف به .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) باب البيرة هو أحد الأبواب الباقية من أبواب غرناطة الإسلامية . وهو يقع شمال غربى المدينة على مقربة من ساحة الشيران الحديثة . وما يزال يحتفظ بهيكله الإسلامى كاملاً . وإلى جانبه قطعة من سور غرناطة القديم .

محمد بن أحمد بن قُطبة الدَّوسى

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

مجموع خلال بارعة ، وأوصاف كاملة ، حسن الخط ، ذا كُرُ لتاريخ والأخبار ، مستول على خصال حميدة من (١) [حُسن رواء] (٢) وسلامة صدر ، إلى نزاهة الهمة ، وإرسال السَّجِّية ، والبُعد عن المُصانعة ، والتحلّى بالوقار والحِشمة ، شاعر ، كاتب . ومناقِبُه يَقْصُرُ عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفرُوسِيَّة ، والتجند (٣) ، والبسالة (٤) ، والرُّمائية ، والسُّباحة ، والشطرنج ، [متحمّد بِحَمَلِ القَنَا] (٥) ، مع البراعة ، مديم (٦) على المروعة ، مُواس للمحاويج من معارفه . ارتسم في الديوان فظهر غِنَاؤُه ، وانتقل إلى الكتابة ، معزّزة بالخطّ التَّبيهة العِلْمية ، وحاله الموصوفة متّصلة إلى هذا العهد ، وهو معدود من حَسَنات قطره .

وثبت في « التاج المحلى » بما نصه : « سابقُ رَ كُض المَحَلّى ، آتى من أدواته بالعجائب ، وأصبح صدراً في السُّكُتاب ، وشهياً في الكُتّاب . وكان أبوه رحمه الله ، بهذه البلدة ، قُطِبَ أفلاكها ، وواسطة أسلاكها ، ومؤتمن رواسيها وأملأها ، وصدّر وجالها ، وولّى أرباب مجالها ، قد نثّل ابنه (٧) »

(١) هذه الكلمة واردة في « الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

(٢) هذه العبارة ساقطة في « الزيتونة » .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها الانحراط في سلك الجنديّة .

(٤) هكذا وردت في « الزيتونة » . ومكانها في « ج » (الثقافة) ، والأولى أرجح وأكثر اتِّفاناً مع السياق .

(٥) هذه العبارة ساقطة في « الزيتونة » .

(٦) وردت في « ج » (مدح) والتصويب من « الزيتونة » .

(٧) وردت في « ج » (بينه) والتصويب من « الزيتونة » .

سهامها ، فخير عدالة وبراعة وفهماً ، وألقاه^(١) بينهم قاضياً شهماً ، فظهر منه
نجيباً ، ودعاه إلى الجهاد سميماً مجيباً^(٢) . فصحب السرايا الغربية المغيرة ،
وخضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وعلى مصاحبة البعوث ،
وجوب السهول والوعوث ، فما رفض البراعة الباتر ، ولا ترك الدفاتر
للزمان الفاتر .

شعره

وله أدب باوع المقاصد قاعد للإجادة بالمرصد ، وقال من الرؤضيات
وما في معناها :

دعيني ومطلول الرياض فإني أنادم في بطحاياها^(٣) والآس والورد
أعلل هذا بخضرة شارب وأحكي بهذا في تورده الخلد
وأزهر غض البان رايد لسة ذكرت به لين المعاطف والقدا
وقال :

وليل أدوناها سلافاً كأنها على كف ساقياها تُضرم ناراً
غنيننا^(٤) عن المصباح في جنح ليلها بخد مدير لا بكأس عقار
وقال :

يومنا يوم سرور فلتقم تصدع الهم بكاسات المدام
إنما الدنيا منام فلتسكن مغرماً فيها بأحلى المنام

(١) وردت في المخطوطين (وألغام) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين (بطحايا) . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وغنيننا) .

وقال :

وبى منك ما لو كان للشرب ماصحاً وبالهمم ما روت صداها المناهلُ
أحبك ما هبت من الروض نسمة وما اهتز غصنٌ في الحديقة مايل
فإن شئت أن تهجر وإن شئت فلتقبل فإني لما حملتني اليوم حامل

وقال :

كم قلتُ للبدر المنير إذا بدا هيات وجهُ فلانة تحكى لنا
فأجاني بلسان حال واعتنى لا الشمس تحكيها فأحكيها أنا
وصرفت وجهي نحو غصن أمدّ قد رام يشبه قدّها لما اثنتا
فضحكت هزءاً عند هزّ قوامها إذا رام أن يحكى قواماً كالقنا (١)

وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات :

جوانحنا نحو اللقاء جوانحُ ومقدار ما بين الديار قريب
وتمضى الليالى والتراور معوز على الرغم منا وإن ذا لغريب
فديتك عجلها لعيني زيارة ولو مثل ما ورد اللحاظ مريب
وإن لقائي جلّ عن ضرب موعد لأكرم ما يهدى الأريب أريب
فراجعني بقوله ، والنجني شيمة :

لعمرك ما يومى إذا كنت حاضراً سوى [يوم صب] (٢) من عداه يغيب
أزور فلا ألقى لديك بشاشة فيبعد منى (٣) الخطو وهو قريب
فلا ذنب للأيام في البعد بيننا فإني لداعى القرب منك مجيب
وإن لقاء جاء من غير موعد ليحسن لا كن مرةً ويطيب

(١) وردت في المخطوطين (كالقنا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت مكانها في المخطوطين (منه) .

(٣) وردت مكانها في «ج» (منه) .

وإجسانة كثير . وفيما ثبت كفاية ليلا نخرج [عن غرض الاختصار]^(١).

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

يكنى محمد أبا بكر ، أخو الذي قبله .

حاله

تلوه في الفضل والسراوة ، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف]^(٢) مرب عليه بمزيد من البشاشة والتزل ، وبذل التودد . والتبريز في ميدان الانقطاع متأخر عنه في بعض خلال غير هذا . ذكي الذهن ، مليح الكتابة . سهلها ، جيد العبارة [متأني اليراع]^(٣) ، مقلق اليد ، حسن الخط ، سريع بديهة المنثور ، مغم ، مخول في التخصص والعدالة . كتب الشروط بين يدي أبيه ، ونسخ كثيرا من أمهات الفقه ، واستظهر كتباً ، من ذلك « المقامات الحريية » . وكتب بالدار السلطانية ، واختص بالمراجعة عن بها ، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها . حميد السيرة ، حسن الوساطة ، نجدي الجاه ، مشكور التصرف ، خفيف انوطاة . وولي الخطابة العلنية . مع الاستمسك بالكتابة . ولم يؤثر عنه الشعر ، ولا عول عليه .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدوسي

يكنى أبا بكر ، وقد ذكرنا أباه وعمه ، ويأتي ذكر جدّه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ومكانها في «الزيتونة» (عن الغرض) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي ، مشغول به ، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر
مطبوع مُسَكَّر]^(١) انقاد له مَرَّ كِبِ النظم ، في سن المراهقة ، واشتهر بالإجادة ،
وأشد السلطان ، وأخذ الصلة ، وارتسم لهذا العهد في الكتابة . وشرع في تأليف
يشتمل على أدباء عصره .

شعره

ومما خاطب به أحد^(٢) أصحابه :
إذا شئتُ من نحو الحمى في الدجا بَرِّقا
ومهما تذكرتُ الزمان الذي مضى
خليلى لا تجزع لمحل فادممسى
وما ضررُ من أصبحتُ ملك يمينه
فنيتُ به عشقا وإن قال حاسدٌ
تلهب قلبي من تلهب خـدّه
ومنها
وكم من صديق كنت أحسبُ أنه إذا كذبت أوهامنا رفع الصداقا

[محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي]

ابن عم المذكورين قبله ، يكنى أبا القاسم .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (شاعرا مطبوعا مكسرا) .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بمض) .

(٣) وردت في المخطوطين (راق) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٤) وردت في «ج» (فتم) . والتصويب من «الزيتونة» .

حاله

حسن الصورة ، لازم القراءة على شيوخ بلده ، ونظم الشعر على الحدائث ،
وترشح للسكرتير بالدار السلطانية مع الجماعة ، ممن هو في نظمه .
ومن شعره . كتب إلى بما نصه :

أحسب وحده يوم رأسك ربما تهطل السلامة في الصراع سلماً^(١)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور

حاله

شاب حسن فاضل ، دمث ، متخلق ، جميل الصورة ، حسن الشكل ، أحمر
الوجنتين^(٢) . حفظ كتباً من المبادئ النحوية ، وكتب خطاً حسناً ، وارتسم
في ديوان الجند مثل والده ، وهو الآن بحاله الموصوفة .

شعره

قيد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه ، قوله :
حلفت بمن^(٣) زاد عني الكرى وأسهر جفني ليلاً طويلاً
وألبس جسمي ثياب النحول وعذب بالهجر قلبي العليلاً
ما^(٤) حلت عن ودّه ساعة ولا اعتضت منه سواه بديلاً

(١) هذه الترجمة الموجزة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الوجنة) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (لن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (لأ) . وحكمة التصويب واضحة .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكَلْبِي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يكنى أبا عبد الله .

أولَّيته

تُنظر^(١) في اسم أبيه في ترجمة المؤرِّين والعلماء .

حاله

من أعلام الشهرة على الفتاوة^(٢) . وانتشار الذكر على الحداثة . تبريزاً في
الأدب ، واضطلاحاً بمعاينة الشعر ، وإتقان الخط ، وإيضاحاً للأحاجي والمُلغزات .
نشأ بغرناطة في كنف والده رحمه الله . مقصود التدريب عليه ، مشاوراً إليه
في ثُوب الذهن ، وسمة الحفظ ، ينطوى على نبيل لا يظهر أثره [على التفاتة ،
وإدراك ، تغطى شملته مخيلة خير صادقة ، من تغافله . ثم جاش طبعه ، وفهق حوضه ،
وتفجرت ينابيعه ، وتوقد إحسانه]^(٣) .

ولما فقد والده ، رحمه الله ، ارتسم في الكتابة . فبذلَّ جَلَّة الشعراء ، إكشاراً
واقْتداراً ، ووفور مادة ، بحيداً في الأمداح . عجيباً في الأوضاح ، صديقاً^(٤) ،
في النسيب ، مطبوعاً في المقامات . معتدلاً في الكتابة ، نشيط البنان ، جليلاً
على العمل ، سيَّال المجاز^(٥) ، جمَّوح عِنان الدُّابة ، غزلاً ، مؤثراً للفكاهة ،

(١) وردت في المخطوطين (تنظيم) ، فلزم التصويب .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفتاوى) وهو تحريف ، والمقصود بها هنا (الفتوة) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المزاج) . والأولى أرجح .

انتقل إلى المغرب لشُفوف خصله ، على ما قد قسم^(١) المخطوط . سبحانه من رزقه
بهذه البلاد . فاستقرَّ بباب ملكه . مرعى الجناح ، أثير الرتبة . مطلق الجراية ،
مقرر^(٢) السَّهام . مُعتبا وطنه | راضيا عن جبرته . دَيْدَنُ من يستند إلى قديم ،
ويتحيزُ إلى أصالة^(٣) .

توالياً

أخبرني عند لقائه أيى بمدينة فاس في غرض الرسالة ، عام خمس وخمسين
وسبعمائة ، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ، ذاهبا هذا المذهب ، الذي انتدبت
إليه ، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاله ، وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة^(٤) ،
والفوائد والأشعار ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد . وجرى ذكره في « الناج » ،
بما نصه :

« شمسٌ في البلاغة بازغة^(٥) ، وحجةٌ على بقاء الفطرة الغريزية^(٦) في هذه
البلاد المغربية بالغة ، وفريدةٌ وقت أصاب من فيها نادرةٌ أو نابغةٌ ، من جذع
ابن على القادح ، وجزى من المعرفة كل بارح ، لو تعلقت الغوامض بالثرى
لناها ، وقال أنا لها . وربما غلبت^(٧) الغفلة على ظاهره ، وتنطق أكامها
على أزاهره ، حتى إذا قدح في الأدب زنده ، تقدم المواكب بنده ، إلى خط^(٨) »

(١) وردت في المخطوطين (قاسم) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطين هكذا (مقدر مقرر) . وقد آثرنا الكلمة الثانية .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها فيما يبدو ، الحديثة وقت كتابة هذا التاريخ .

(٥) وردت في المخطوطين (بارعة) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أنسب لصفة الفطرة .

(٧) وردت في «ج» (وبلغت) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (خط) . والتصويب أرجح .

بارع^(١) ، يَعْنُو^(٢) طَوَالَ الطَوِيلِ مِنْهُ [إِلَى سِرٍّ وَبِرَاعَةٍ ، كَمَا تَرْضَى الْمِسْكُ
وَالْكَافُورَ عَنْ طَرَسٍ وَحَبَرٍ]^(٣) .

شعره

فمن غرامياته وما في معناها [قوله]^(٤)

متى يتلاقى شايق ومشقوق	ويُصبح غيرُ الحبِّ وهو طليق
أما أنها أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نِيَاهُهَا	ومَرَمَى لِعَمْرَى فِي الرَّجَا سَحِيقُ
ولكني خدعتُ قلبي تَعَلَّةٌ	أخافُ انصداعَ القلبِ فهو رقيق
وقد يُرزق الإنسان من بعد يأسه	وروضُ الربِّ بعد الذبول يروق
تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً	أهل فؤادي من جَوَاهِ يَفِيقُ
ورمتُ شفاءَ الداءِ بالداءِ مِثْلَهُ	وإني بالآءِ أَشْتَفِي لِحَقِيقُ
وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحةٌ	على كلِّ حالٍ إنه لَمَشُوقُ
وياربُّ قد ضاقت عليَّ مَسَالِكِي	فها أنا في بَحْرِ الغرامِ غريقُ
ولا سلوةٌ تُرجى ولا صبرٌ ممكن	وليس إلى وصلِ الحبيبِ طريقُ
ولا الحبُّ عن تعذيبِ قلبي يَنْذَنِي	ولا القلبُ لِلتَّعْذِيبِ ^(٥) مِنْهُ يُطِيقُ
شجونٌ يَضِيقُ الصَّدْرَ عَنْ زَفَرَاتِهَا	وشوقٌ لِنَاطِقِ الصَّبْرِ عَنْهُ يَضِيقُ
نثرتُ عقودَ الدَّمْعِ ثم أنظمتُها	[قَرِيباً فَنَدَا دُرَّةً وَذَاكَ عَقِيقُ] ^(٦)

(١) وردت في «ج» (براعة) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (يرنو) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بالتعذيب) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالأتي : (قريب فصار

لون ذاك عقيق) .

بكيتُ أَسَى^(١) حتى بكى حاسدٌ [ى معى]^(٢) كأنَّ عَذُولِي عاد وهو صديق
ولو أن عند الناس بعض محبِّي
أيا عين كفى الدمع ما بقى السكرى
لما^(٣) كان يُلقي في الأنام مُفبِق
ويانايمًا عن ناظرى أما ترى
إذا منعوك النوم سوف تذوق
رويدك رِفْقًا بالفؤاد فإنه
لشمسك من^(٤) بعد الغروب شروق
تقضتْ عهودى ظالما بعد عقدها
عليك وإن عاديتَه لشفيق
كتمتْك حُبى يعلم الله مدَّة
إلا إن عهدى كيف كنتُ وثيق
فمازلتْ بى حتى فُضحت فإن أكن
وبين ضلوعى من هواك حريق
صبرتُ بعد اليوم لستُ أُطيق

وقال :

ومورَّد الوجنات معسول اللهى
فذاك بلحظ العين فى عشاقه
الحمر بين لثاته والزهر فى
وجناته والسحر فى أحداقه
ينادى غصنُ البان فى أثوابه
ويلوحُ بدرُ اللم فى أطواقه
من للهلاك بنقره أو خدّه
هَبْ أنه يُحكىه فى إشراقه
ولقد تشبَّهت الطلُبا بشُبُهه
من خلقه وعَجَزَن عن أخلاقه
نادمته وسِنًا محيًّا الشمس قد
ألقى على الآفاق فضل رواقه
فى روضة ضحكت ثغورُ أفاحها
وأمال فيها المزن من آماقه
أسقيه كأس سُلَافه كالملك فى
نَفحاته والشهد عند مذاقه
صفراء لم يُدرِ القى أكواسها
إلا تداعى همُّ لفراقه

(١) هذه الكلمة ساقطة فى «الزيتونة» .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط فى «ج» ووراد فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (ما) .

(٤) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

ولقد تَلَيْن الصَّخْرَ^(١) من سَطَوَاتِهِ
وأظْلُ أُرْشَف من سُلَافَةٍ^(٢) تُغْرِه
ولربما عَطَفَتْهُ عَنْدِي نَشْوَةٌ
أرجو نِدَاه إِذَا تَبَسَّم ضَاحِكًا
أشكو القساوة من هَوَاي وقلبه
ياهل لَهْدٍ قد مضى من عودة
ياليت شعري لو كانت لذلك حيلةٌ
فلقد يروق الغُصْن بعد ذُبُوله
وما اشتهر عنه في هذا الغرض :

ذهبتُ حشاشةٌ قلبي الصَّدُوع
ما أنصف الأجابُ يوم وداعهم
أنجِد بغيثك يا غمام فإني
من كان يبكي الظَّاعنين بأدمع
إيه وبين الصدر منى والحشا
هات الحديث عن الذين تحمَّلوا
عندي شجون في التي جَنَّت النوى
من وَصَلَى الموقوف أو من سَهْدَى الموصول^(٤) أو من نَوْمَى المقطوع
ليت الذي بينى وبين صَبَابِي بعد الذي بينى وبين هُجُوع

(١) وردت في المخطوطين (الهمز) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطين (أفاح) . وبهذا التعديل يستقيم المعنى والسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (فعل) . وبالتصريب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» الموصوف . والأولى أنسب للمعنى

يا قلب لا تجزع لما فعل النوى
أبعد ما غودرت في أشراكه
ومفهمتها مها هبت ربح الصبا
جمع المحاسن وهو منفرد بها
والشمس لولا إذنه ما آذنت
ما زلت أسقى خبده من أدمعي
إن كان يرنو عن^(١) نواظر شادين
عجبا لذلك الشعر زاد بقرقه
منع الكرمي ظلهما وقد منع الضنا
جردت ثوب العز عن طائما
لم أنتفع لبسا من الملبوس في
بجماله استشفعت في إجماله
يا خادعي عن سلوتي وتصبري
أوسعتني بعد الوصال تفرقا
أسرعت فيما ترتضي^(٢) فجزيتني
أشرعت رُحما من قوامك دايلا
خذ من حديث تولعي وتولهي
يرويه^(٣) خدي مسندا عن أدمعي

فالحر ليس لحادث يجزوع
تبغى التزوع ولات حين نزوع
أبدت له عطفاه عطف مطيع
فاعجب لحسن مفرد مجموع
خجلا وإجلالا له مطلوع
حتى تفتح عن رياض ربيع
قلرب ضرغام بهن صريع
حسنا كحسن الشعر بالتصريع
فشقيت بالمنوح والمنوع
[أترأه يعطفه على خضوع]^(٤)
حبي ولا ينادي المخالوع
ليحوز أجر منعم^(٥) وشفيع
لولا الهوى ما كنت بالخضوع
وأثبتني سوءا لحسن ضفيع
بطويل هجران إلى سريع
فمنعت من ماء الرضاب شروعي
خبرا صحيحا ليس بالمصنوع
عن مقلتي عن قلبي المصدوع

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (على).

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطين. وفي نص آخر: (أترأه يولي عطفه لمضوع).

(٣) هكذا في المخطوطين. وفي نص (مشفع).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (برؤ) وهو تحريف.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (برؤ) وهو تحريف.

كم من ليالٍ في هواك قطعتها
لا والذي طبع السكرام على الهوى
ما غيرتني الحادثات ولم أكن
لا خير في الدنيا وساكنها معا
وأنا لذكره في تقطيع
وبر^(١) سوا أن الهوى المطبوع
بمذيع سر^(٢) للعهد — ود مضيع
إن كان قلبي منك غير جميع
وقال في غير ذلك [في غرض]^(٣) يظهر من الأبيات :

وقالوا عداك البخت والحزم عندما
ألم يعلموا أن اغترابي حُرمة
نعم لست أرضى عن زمانى أو أرى
لقد مسيت^(٤) نفسى المقام ببلدة بها العيشة الكراء^(٥) والمكسب الشحت
يُذل بها الحر^(٦) الشريف لعبد
إذا اصطافها المرء اشتكى من سموها
ولست كقوم في تعصبهم عتوا
رغبت بنفسى أن أساكن معشراً
يدبون في لين الكلام دواهيأ
فلا دُرُّ دُرِّ القوم إلا عصبية
وآثرت أقواماً حمدت جوارهم
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت
فما ألفوا لها ولا عرفوا خي^(٧)
به كل مُرتاح إلى الضيف والوغي
غدوت غريب الدار منزلك الفنت
وأن ارتحالى عن دارهم هو البخت
تهادى السفن المواخر والبخت
ويجفوه بين السم^(٨) من سنة ست^(٩)
أذى ويرى فيه أذا يبت^(١٠)
يقولون بغداد لغرناطة أخت
مقالهم زور^(١١) ووُدُّهم مَقَّتْ
هى السم^(١٢) بالآل المشود لها لَت^(١٣)
إلى^(١٤) بإخلاص المودة قد متوا
مقالهم صدق^(١٥) ووُدُّهم بَحَّتْ
تمام^(١٦) وعن ما ليس يعينهم صَمَّتْ
ولا علموا أن الكروم لها ينث^(١٧)
إذا ما أتاه منهما النبأ البغت^(١٨)

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ومن).

(٢) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (النكداء).

(٤) وردت في «ج» (الستين). والتصويب من «الزيتونة».

وأشعثُ ذى طمرين أغناه زُهدُه
صبورٌ على الإيذاء بغيضٌ على العدا
ولى صاحبٌ مثلى يمانٍ جعلته
وأجرَدُ جرَّارٍ الأعنة فارِح
تسامت به الأعراق ^(١) فى آل أعوج
وحسبى لعضات النوائب مُنجدا
قطعتُ زمانى خبرةً وبلوته
ومارستُ أبناءَ الزمان مُباحثا
وذى صلفٍ يمشى الهوينى ترفقا
إذا غبتُ فهو المروة القوم عندهم
وإن ضمَّننى يوما وإياه مشهد
فحسبى عُداتى أن طويتُ مآربى
وقلتُ لدينام إذا شئتُ فاعربى
وأغضيتُ عن زلاتهم غير عاجز
وقال :

لا تُعد ضيفك إن ذهبت لصاحب
أوما ترى الأشجار مهمارُ كُبت
ومنه فى المقطوعات :

وشادن تيمنى حبسه
ورَّد الحدين حلو اللامسى
حظى منه الدهر هجرانه
أحمر مضى الطرف وسنانه

(١) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (الأعذار).

(٢) وردت فى «ج» (وأنفق) ، والتصويب أرجح .

لم تنطَوِ الأغصان في الروض بل
يا أيها الطَّيِّبُ الذي قلبُه
هل عَطْفَةٌ تُرجى لصبِّ شبح
يود أن لو زُرَّتْه في الكَرْي
قد رام أن يكتبَ ما نابَه
فأفضيتُ أسراده واستوى
وقال :

نهار وَجَهٌ وليلُ شِعْر
قد طَلَبَا بالهوى فؤادى
وكيف يُبغى النجاة شيء
وقال في الدُّويِّت :

زارَتْ لَيْلًا وأَطْلَمَتْ فُجْرَهَا
لَمَّا بَصُرَتْ بِالشَّمْسِ قَالَتْ يافَى
وقال في غرض التَّوْدِيَةِ :

أَرِجْ لِي [فِي] ^(١) رِيَاضِ الْحَاسَنِ نَظْرَةً
وَبِاللَّهِ لَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِعَطْفَةٍ
وقال :

إلى ورد ذلك الخلدُ أَرَوَى بِهِ الصَّدى
فإني رأيت الروض يوصف بالنداء

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (قلبي).

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «-». ووردت في «الزيتونة» (الجمع بين الأختين).

(٣) الزيادة من «الزيتونة».

وعاشقٌ صلى ومحـرابه
قالوا تعبداً فقلت ^(١) نعم
وقال وهو مليح جداً :

وصديقٌ شكى بما حـملوه
قلتُ فاردُدْ ما حـملوكَ عليهم
لسانانٌ هجياً ^(٢) من خاصاه
[إذا لم تحزْ واحداً منهما
وقال :

تلك الذؤابة ذُبت من شوقى لها
يا قلبُ فانهج لا إخالك ناجياً ^(٣)
[وإحسانه كثير . ويدل بعضُ الشيء على كـ . ويحجزُ ظلُّ الغيث على
وبله] ^(٤) .

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً في أوائل ثمانية وخمسين وسبعماية . ثم
تحققتُ [أن ذلك] ^(٥) [في آخر شوال من العام قبله] ^(٦)

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قلنا) .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قضى) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (هجياً) .
- (٤) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ناجياً) . والأولى أرجح لاستقامة المعنى .
- (٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٧) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم السياق .
- (٨) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وورد مكانها في «الزيتونة» العبارة الآتية (ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام) . والكلام عليه علامة الشطط ابتداءً من كلمة (في أوائل) .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم
ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي

يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : فرع دوحة الأصالة والخصوصية ، والعلم والدين ،
والمسكاة والجلالة ، [مُجلى بينه] ^(١) . ومجدد مآثره [براً ، ومجاملة ، وخيرية] ^(٢) .
نشأ بأطراف تجلته من الفنون ، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة ، إلى
خط حسن ، وأدب تكلفه ^(٣) ، حتى انقاد له أو كاد . أعبط ^(٤) في وقية الطاعون
قاضياً ببعض الجهات . وكاتباً للدار السلطانية ، فكانت فيه الفجيرة عظيمة .

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه : « من فروع مجد وجلالة ، ورث
الفضل لآعن كلاله . أشرف ^(٥) ، مجيد ، معظّم ، يُخَوّل في العشرة ^(٥) ، وصل
لباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة ، وأصبح طرفاً ^(٦) في الخير والعفاف ، واتّصف
من العدالة بأحسن اتّصاف ، وسلك من سُنن سلفه ، أثر هذا ، لا يزال يُرشده
ويُدله ، ويسدّدُه فيما يعقده أو يُحله ، واتّسم بميسم الحيا ، والحيا خير كله ، إلى
نزاهة لا ترضى بالدون ، ونجاسة تهالك في صون ^(٧) الفنون . وطمح في هذا العهد

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلفه) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت شحرة في «ج» (اغبط) . وأعبط أى هلك .

(٤) وردت في «ج» (يشرب) . وبالتصويب من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العشرة) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . والطرف . أى القوى .

(٧) وردت في المخطوطين (هون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

إلى تَمَطُّ في البلاغة رفيع، وَجَنَحَ إلى مساجلة [ما يستحسنه ^(١) من مُخْتَرَعٍ وبديع،
وصدوت منه طُرْفٌ تُسْتَمَلَحُ، وتُسْتَحَلَى إذا استحلى . ونحن نورد ما أمكن
من آياته، ونجلى بعض غُرَرِهِ وشيئاته .

شعره

ومن مقطوعات آياته :

وهبّت فهزّت عند ما رأت به الطّلا مثل الطفل يرضع في المهد
والرّوض حياه المزن خالعة برقة وباتت رُباه من حِناه على وعد
يحدثناعن كرمها ^(٢) ما من مُزْنِها ^(٣) فتبدى ابتسام الزهر في لثمة الخلد
عجينا لما رأينا من برّها بدور حُباب الكأس تلعب بالنرد

وقال :

شربنا وزنجي الدياجي مُوقدٌ مصابيح من زهر النجوم الطوالع
عقاوا وأنه حين أقبل حالكا فجاءت بمُصَفّر من اللون فاقع
عجبت ^(٤) لها ترتاع منه وإنها لفي الفرق قد قرّت لِدَم المدامع ^(٥)

وقال :

لاح في الدرّ العقيق فخيّا أم مزاج ^(٥) أذاه صرف الحيا

(١) وردت في «الزيتونة» (من يستحسنه) . ووردت في «ج» (من يقتبسه) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردتا في «الزيتونة» (كرمه . قرية) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (عجبا) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراضع) ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (زجاج) . والتصويب من «الزيتونة» .

من بنات الكروم والروم بكرا
خلتها والحباب يطفو عليها
قهوة كالعروس في الكأس تجلى
صاغ من لؤلئها المزج حليا

وقال :

ويوم أنس صقيل الجوؤ ذى نظر
مازلت فيه لشمس الطست^(٢) مضطجبا
صفراء كالعشجد المسبوك إن
كذلك الشمس في أخرى عشيتها

كأنه من وميض البرق^(١) قد خلقا
وبالنجوم وبالأكواس مغتبقا
شربت تبدى احمرأعلى الخدين مؤلقا
إذا توارت أثارت بعدها شققا^(٣)

وقال :

بنفسى حبيب صال^(٤) عامل قدّه
ويا عجباً منه متى صار ذابلا
وأعجب من ذا أن سيف لحاظه

على ولما ينمطف وهو كالغصن
ونضرت له تئار عن حوطة اللدن
يمزق أفلاذ الحشى وهو فى الجفن

وقال :

يأبى وغير أبى غزال نافر
قر تلاً واستنار حبيبّه
لم يرض غير القلب منزلة فهل

بين الجوانح يفتدى ويروح
غارت^(٥) به بين الكواكب بوح
يالىت شعرى بالذراع يلوح

ومما نسب لنفسه وأنشديه :

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (الروض) والأول أنسب للمعنى .

(٢) وردت فى «ج» (الطلب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذا البيت وارد فى «الزيتونة» وساقط فى «ج» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (حال) والأولى أنسب للمعنى .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (عادت) .

ليلُ الشَّبابِ انْجَابَ أَوَّلُ وَهْلَةٍ عَنْ صُبْحِ شَيْبٍ لَسْتُ عَنْهُ بِرَاضٍ
 إِنْ سَرَّني يَوْمًا سِوَا ذُ خِضَابِهِ فَتُصُولُهُ عَنْ سَاقِ بِيضِاضٍ
 هَلَّا اخْتَفَى فَهُوَ الَّذِي سَرَقَ الصُّبَا وَالْقَطْعُ فِي السَّرَقَاتِ [أَمْرَاضٍ] ^(١)
 فَعَلِيهِ مَا اسْتَطَاعَ الظُّهُورَ بَلَّغْتَنِي وَعَلَى أَنْ أَلْقَاهُ بِالْمِقْرَاضِ

وفاته

توفي رحمه الله بغرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة ،
 في وقعة الطاعون ، ودفن بباب البيرة [رحمة الله عليه] ^(٢) .

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي] ^(٣)

ابن محمد اللوشي اليحصبي

يكنى أبا عبد الله ويعرف باللوشي

أوليته

من لوشة . وقرأ العلم بها ، وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير
 الملك [له] ^(٤) وتقدم عنده . تضمن ذكره الكتاب المسمى د بطرقة العصر

(١) وردت في المخطوطين (أرماض) . وهو تعريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» ١٠ .

في أخبار بني نصر»^(١) ، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشي ، كاتب الدولة النصرية رحمه الله .

حاله

من كتاب « عايد الصلة » . كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة ، شاعراً ، مداحاً . نشأ مُدَلِّلاً في حُجُور الدولة النصرية ، خفيفاً على أبوابها ، مُفَضَّلاً على مُدَّاحها . ثم تَجَنَّى بآخرة ، ولزم طَوْراً من الخمول في غير تَشَكُّ ، أَعْرَضَ به عن أرباب الدنيا ، وأَعْرِضَ عنه ، واقتصر على تبُلُّغ من علالة مُؤَمِّل كان له خارج [غرناطة]^(٢) غير مُسَاد من ثَلَمه ، ولا مُصْلِح في خَلَّه ، أخذ نفسه بالتَّشَفُّ ، وسوء المسكن ، والتهاون بالملبس ، حملاً عليها في غير أبواب الرياضة ، مجانباً أرباب الخُطَط ، وفيألمن لحقته من السلطان مَوْجِدَة ، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرّات ، من إعراض عنه ، وقَبُول عليه ، ولصوق به ، كل ذلك عن سلامة ، رتْهيب نفس . مليح الدُّعابة ، ذا كرا لفنون من الأناشيد ، حسن الجِدِّ ، متجافياً عن الأعراض .

وجرى ذكْرُه في « التاج » بما نصه : « شاعر مُفَلِّق ، وشهابٌ في أفق البلاغة متألِّق ، طبَّق مفاصل الكلام بحُسام لسانه ، وقلَّد نُحُور السكلام ، ما يُزْدِي بجواهر الملوك من إحسانه . ونشأ في حُجُور الدولة النصرية مُدَلِّلاً بمتاته ، متقلِّباً من العزِّ في أفانينه وأشتاته ، إذ لسَلَفَه الدُّمام الذي صَفَّت (٣) منه الحياض

(١) هو مؤلف وضعه ابن الخطيب في تاريخ الدولة النصرية منذ قيامها حتى عصره ، وهو غير كتاب «اللمحة البدرية» الذي يتناول نفس الموضوع . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الخطيب التاريخية (راجع كتابنا لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٠ ، والجلد الأول من الإحاطة (الطبعة الثانية - ص ٥٨) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (بعث) . والتصويب من «الزيتونة» .

والحام، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد . والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أَرْجُونَةُ^(١) وجيَّان ، محيَّز ثمرة الطيب . وله همَّة [عالية] ^(٢) ، بعيدة المرمى ، كريمة المنتمى ، كملت به آخرة على الانتقباض والازدراء ، والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاقتصار، فعطف على انتجاع غلته، والتزام محلته ، ومباشرة فلاحه صان بها وجهه ، ووفاه الدهر حقه ونجمه ، واحتجبت عقايلُ بيانه لهذا العهد وتغنَّتْ وراودتها النفس فتغنَّتْ ، وله فسكاهة، وأنس الزمان ، مناجاة التينيات ، عند البيات ، وأعذبُ من معاطاة ^(٣) الراح في الأقداح .

شعره

قال ، [وله أدبٌ بلغ في الإجادة الغاية] ^(٤) ، ورفع للجبين من السنن
الرأية . ومن مقطوعاته يودع ^(٥) شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجاج :

رأوني وقد أغرقت في عَبراتي وأحرقت في نارى لدى زَفَرائى
فقالوا سلوه تعلموا كنه حاله فقلت سلوا عنى أبا البركات
فمن قال إني بالرحيل مُحدث روت عنه أجفانى غريب ثبات
ونادى فؤادى رَكْبَه فأجابه ترحل وكن في القوم بعض عُدات

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية :

سيخطب قس العزم في منبر السرى وهل في الدنيا ^(٦) يوم المسير أطيق

(١) هي موطن بنى نصر ملوك غرناطة، وقد سبق التعريف بها . (٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (معاطب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالآتي : (وله أدب بليغ

في الإجادة بلغ الغاية) .

(٥) وردت في المخطوطين (يردد) والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الدنيا) . والتصويب يستقيم الوزن .

وأقطع زَند الهَجَر والقَطْع حقّه فمزال طيبُ العمر عني يَستَرِقْ

مولده : في حدود ثمانية وسبعين وستمائة

وفاته

في الموفى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعماية

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
يكنى أبابكر

أوليته

[مرت] ^(١) في اسم ذى الوزادتين .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : «كان صدر أبناء أصحاب النعم ، وبقية
أعلام البيوت ، ترفاً نشأة ، وعزاً تربية ، وكراً نفس ، وطيباً مجالسة ،
وإمتاع محاضرة ، وصحة وفاء ، وشياع مشاركة في جملة فاضلة ، محدثاً تاريخياً ،
كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، مليح الدعاة ، ظريف التوقيع ، متقدم الحيلة ^(٢)
في باب التحسين والتنقيح ، يقرض الشعر ، ويفك المعنى ، ويقوم على مجمل
الكتاب العزيز . حفظاً وتجويداً . وإتقاناً ، ويسرُ دِنتَ التاريخ . وعيون
الأخبار ، إلى حسن الخلق ، وكال الأبهة . وحلاوة البساطة ، واحتمال المناشئة .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الحيلة) . وفي «الزيتونة» (الحيلة) . ودلتصوب يستقيم المعنى .

والمشاركة على حفظ المودة. والاستقامة من المنة. والتمسك بالاستعانة والمندرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عمره. وتصدّر بعد في قيادة المواضع النبوية، [محارباً ذا قدرة في ذلك] ^(١). ومع ذلك فشاع المعروف، ذابح المشاركة. قيّد الكثير. ودون وصنّف، وحمل عن الجلالة ممن يشق إحصاؤهم، وكان غرة من غرر هذا القطر، وموكبا من مواكب هذا الأفق، لم يتخلف بعده مثله.

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه: «ماجد أقام رسم المجد بعد عفايه، فوفى الفضل حق وفايه. بيته في رُندة، أشهر في الأصالة من بيت امرئ الفيس، وأرسى في بحبوحة الفخر ^(٢)، من قواعد الرضوى وأبي قيس. استولى على الجود [البديع] ^(٣) البعيد المدا، وحجّت إليه من كل فج طلاب الندا، وعشت إلى ضوء ناره، فوجدت على النار الثقي والهدى. ولى الوزارة النصيرية، التي اعتصر منها طريقاً بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد ^(٤). ولما أدار عليها الدهر كأس النوايب، وخلّص إليها سهمه [الصايب] ^(٥) بين صحايف الكتّيب وصفائح الكتايب، تطاعت من خلالها الراية لباب الوجود، وبكتنها بسيل أجفانها عين الباس والجود، وطلّع على أعقاب هذه الفضائل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة». ووردت في «ج» كالآتي: (محارباً مقدوراً عليه). والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى والسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (الفضل).

(٣) الزيادة من «الزيتونة».

(٤) هو يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد. وأحد أعلام أسرة البرمكية الشهيرة، التي أسست على السلطة في الدولة العباسية، واضطر الرشيد إلى نكبتها (سنة ١٨٧ هـ) حرصاً على سلطانه، وتحرراً من قبضتها.

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

[مُحَلَّى مِنْ صَفَحَاتِهَا] ^(١)، وَأَعَادَ لَوْ سَاعَدَهُ الدَّهْرُ مِنْ لَمَحَاتِهَا ، وَارْتَقَى مِنَ السَّكَنَاتِ إِلَى
الْمَحَلِّ النَّبِيَّةِ ، وَاسْتَحَقَّهَا مِنْ بَعْضِ مِيرَاثِ أَبِيهِ ، [وَبَنَى] ^(٢) وَشَيْدَ ، وَدَوَّنَ فِيهَا وَقَيْدَ
وَشَهْرُ فِي كَتِّبِ الْحَدِيثِ وَرَوَايَتِهِ ، وَجَفَى ثَمَرَةَ رَحْلَةِ أَبِيهِ ، وَهُوَ فِي حَبْرٍ ذُوَابَتِهِ ^(٣) .
وَأَنشَأَ الْفَهَارِسَ ، وَأَحْيَى الْأَثَرَ الدَّارِسَ ، وَأَلَّفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى «بِالْمَوَارِدِ الْمُسْتَعَذَّةِ
وَالْمَقَاصِدِ الْمُنْتَخَبَةِ» فَسَرَّحَ ^(٤) الطَّرْفَ ، وَرَوَّضَهُ طَيْبَ الْجَنَى وَالْعُرْفَ ، وَلَهُ شَعْرٌ
أَنِيقُ الْحَلْيَةِ ، حَازَ فِي نَمَطِ الْعِلْيَةِ . وَبَيْنَى وَبَيْنَ هَذَا الْفَاضِلِ وَدَادِ صَافِي الْحِيَاضِ ^(٥) ،
وَفَسَاكَةِ كَعْدَمِ الرِّيَاضِ ، وَدُعَابَةِ سَحَبَتِ الدَّالَةِ أَذْيَالُهَا ، وَأَدَارَتِ الثَّقَةَ وَالْمَقَّةَ
جَرِيَالُهَا . وَسِيمَرُ فِي هَذَا الدِّيْوَانِ كُلِّ رَاقٍ الْحَيَا ، عَاطِرُ الرِّيَا .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ عَلَى [الْأَسْتَاذِ] ^(١) أَبِي جَعْفَرِ الْحَرِيرِيِّ ، وَالْأَسْتَاذِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيَجَامِيِّ ،
وَالْأَسْتَاذِ إِسْحَاقَ بْنَ أَبِي الْعَاصِيِّ . وَأَخَذَ عَنِ الطَّمِّ وَالرَّمِّ ، مِنْ مَشَائِخِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَتَنَّهُمُ الْوَلِيُّ الصَّالِحُ فَضْلُ بْنُ فَضِيلَةَ الْمَعَاوَرِيِّ ، إِلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنْ
أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، كَأَطْلُبَاءِ الصَّلَاحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِيِّ ، وَأَبِي جَعْفَرِ الزِّيَّاتِيِّ ،
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَّادِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّنْدِيِّينَ وَالْمَالَقِيِّينَ وَالْعَرْنَاطِيِّينَ ، حَسْبَمَا
تَضَمَّنَهُ بَرْنَامُجُهُ .

تَوَالِيْفُهُ

أَلَّفَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى «الْفَوَائِدِ الْمُنْتَخَبَةِ وَالْمَوَارِدِ الْمُسْتَعَذَّةِ» ^(٧) . وَكُلُّ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي «الزَيْتُونَةِ» . وَوَرَدَتْ بِحَرْفَةِ «ج» كَالْآتِي : (يَحْلُ مِنْ صِبَايَاهَا) .

(٢) أَضْفَيْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيَسْتَقِيمَ السِّيَاقُ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» (دَابَتُهُ) . وَالنَّصْرُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَوَرَدَتْ فِي «الزَيْتُونَةِ» (فَسَمِعَ) وَهُوَ خَرِيفٌ .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (الْحَيَاطَةُ) .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .

(٧) سَبَقَ أَنْ وَرَدَ عُنْوَانُ هَذَا الْكِتَابِ فِيمَا تَقْدُمُ كَالْآتِي : «الْمَوَارِدِ الْمُسْتَعَذَّةِ وَالْمَقَاصِدِ الْمُنْتَخَبَةِ» .

التاريخ المسعى « بميزان العمل » لابن رَشِيق . ودوّن كتاباً في عبارة الرؤيا سماه « بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب » و « الأخبار المذهّبة » و « الإشارة الصوفية ، والنسك الأدبية » . والهُودج في الكتب . والإشارة في ألف إنشاده .

شعره وكتابه

قال في التاريخ مانصه : « وتهادته إلى هذا العهد رُتِب السيادة ، واستعمل في نبهات القيادة ، فوجّه إلى معقل قرطمة ^(١) من كورة ريه وهو واليه ، وبطلحه في مجرى جياده وصحر عواليه . وقد حلت مالقة صُحبة الركب ^(٢) السلطاني في بعض التوجّهات ، إلى تلك الجهات ، في بعض ما اتحف [من مقعده] ^(٣) ، المتصل المستمر ، بهدية مشتملة على ضروب من البر . فخطبته مقيما لسوق ^(٤) الانبساط ، وغير حايدٍ عن الوداد والاعتباط ، على ما عول [عليه] ^(٥) من حمل الإفراط ، والانتظام في هذا المعنى والانخراط :

أَلَا أَمْ عَلَى أَخَذِ الْقَلِيلِ وَإِنَّمَا أُعَامِلُ أَقْوَامًا أَقَلَّ مِنَ الذَّرِّ
فَإِن أَنَا لَمْ أَخِذْهُ مِنْهُمْ فَقَدْتُهُ وَلَا بَدَ مِنْ شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ
سَيِّدِي أَطْلُقَ اللَّهُ يَدَكَ بِمَا تَمَّاكَ ، وَفَتَرَ عَنْ مَنْحِكَ الْبُخْلَ لِيَلَّا تَهْلِكَ .

(١) وردت في المجلداتين (قرطبة) وهو تحريف ظاهر ، لأن قرطبة كانت قد سقطت في أيدي النصارى قبل ذلك بنحو قرن ، ولأنها من جهة أخرى ليست واقعة في كورة ريه أو كورة مالقة . والصواب هو «معقل قرطمة» Cartama . وقرطمة هي بلدة حصينة تقع غربي ثغر مالقة وسط كورة ريه .

(٢) هكذا وردت في «ج» ، وفي «الزيتونة» (الركاب) .

(٣) وردت في «ج» (ما تفقده) ، والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (سوق) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

كنت قد هومت^(١)، وحذرني القلق فتلو^(٢)مت . ولو^(٣)مى كما علمت سيء
الخصال ، عزيز الوصال . يهطل دَئِي ، ويعاف طيره ورْد عيني . فإذا الباب يدقُّ
بحجر ، فأنبأني عن ضَجَر ، وجارُ الجنب يؤخذ بالذنب . فقامت مُبادراً وجَزَعَت .
وإن كان الجزع منى نادراً . واستفهمت من وراء^(٤) الغلق ، عن سبب هذا
القلق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابعة الفؤاد يا قوم ، رسول خير ،
وناعق طائر ، وقرع إذلال لا فرع إذلال . حُطوا شعار الحرب والحرب ، فقد
ظفرتم ببلوغ الأرب ، فتأخرت عن الإقدام ، وأنهدت إليه ، فخن^(٥) عمر بن أبي
ربيعة عن كان بالدار من الخدام . فاستفرت الواقعة عن سلام وسلم ، ولم يكن
أحد منا بكلم . ونظرت إلى رجل قرطبي الطلعة والأخلاق ، خاوع على الإطلاق .
تنهد قبل أن يسلم ، وادتمض^(٦) لما ذهب من الشبهة وتألّم . شنشنة معروفة .
وعين^(٧) تلك الجهات معاذ الله مضروفة . وقد حملته سيادتكم من المبرة ضروباً
شقى . وتجاوزت في السررات غاية حتى . ولم تضع عضواً من جسده ، فضلاً عن
منسكبه ويده ، إلاّ علّقته وعاء ثقيلاً ، وناطت به زنبيلاً . واستلقى كالمني
إذا ترك المعتك . وعالت حوله تلك الأثقال . وتعاورها الانتقال^(٨) [وكرر بالزقاق
القليل والقال . فلما تخلصت إلى الدار^(٩) ، وسرت مرقها بالجدار ، وتناولها

(١) وردت في «ج» (هرمت) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (قوى) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٣) وردت في «ج» (دار) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (بن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (وارطمط) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (وعن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) ما ساقى منذ بداية هذه الحاضرة حتى نهايته عند الحاضرة الختامية -- كـله ساقط في «ج» .

ورارد في «الزيتونة» وقد اعتمدنا في نقله على مخطوط «الزيتونة» دون سواء .

(٨) وردت في «الزيتونة» (بالدار) والتصويب أنسب للسياق .

الاختبار الفاضح ، وبأن قصورها الواضح ، فتلاشت ، بعد ما جاشت ، ونظرت
إلى قعب من اللبن الممزوق الذى لا يستعمل فى البيوت ، ولا يباع فى السوق ،
فأذ كرني قول الشاعر :

فى تلك المسكوم لأقعبان من لبن شيبَت بماء فمادت بعدُ أبوالا
أما رُبده فرُفع ، وأما جُبْنه فاقْتِيت به وانتفع . وأما من بعثه من فضلاء
الخدم فدُفع ، وكأنى به قد ألح وصُنع ، والتفت إلى قُفَّة فد خِيَلات ، وبعنق
ذلك البائس قد نِيَّبات ، رَمَس^(١) فيها أفراخ الحمام . وقُلِّدت بجيده^(٢) كما يُتقلد
بالتمايم ، وشُدَّ حبْلها بمخنقه ، وألزم منها فى العاجل طائرُه فى عنقه ، هذا بعد
ما ذُبَحَتْ ، وأما حشوها فرُبِحَتْ . ولو سلسكتكم الطريقة المُثلى ، لحَفِظتم جُثَّتْها من
العَفَن ، كما تحفظ جُثَّة القتلى ، وأظنكم لم تغفلوا هذا الغرض الأدنى ، ولا أهملتم
هذه الهمم الذى غريزة فى المبنى . فإنى رميتُ منها اللّهُو رعى المختبر ، فكُلِّح من
مرارة الصبر ، ولما أخرجتها من كَفَن القفّة ، واستدعيت لمواراتها أهل الثَّغفة ،
تمثلت تمثل اللبيب بقول أبى تمام حبيب :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةَ مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَام

ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مُحْيِلَةٌ يسر . لسكانت من بقايا مواطني
ديوك بنى مُرّ ، وبعث بها حلالك حلاله . وأهدى منها اجتهاد من أحسن . ولم يكن
بالهدية ما يذكر ، ولا كانت مما يُنكر ، أستغفر الله ، فلو لم تكن الشُّحفة ،
إلا تلك الفكاهة العاطرة والغامة الماطرة . التى أحسبُها الأمل الأقصى ، وتجاوزت
إلا من التى لا تُمد ولا تُحصى ، للزم الشكر ووجب ، وبرز من حر المدح ما تيسر

(١) وردت فى «الزيتونة» (ومس) ، وهو تحريف اقضى التصريب .

(٢) وردت فى «الزيتونة» (بلبسه) . وبالتصريب يستقيم المعنى والحيال .

واحتجب . فلم كلوم وإن تغيّرت أنسابها ، وجُهل انتسابها . وادّعى إرثها
 واكتسابها . إليكم تَنشُر يدُها ، وتَسعى لأقدامها ، وابيئتكم تميل بهواديها ،
 وبساحتكم يسيل واديها . وعلى أرضكم تسحُ غواديها . ومثلى أعزكم الله ، لا يُغضى
 من قدر مُحفكم الحافلة ، ولا يَقدر من شكرها على فريضة ولا نافلة ، ولكنها
 دُعابة معنّدة ، وفكاهة أصدوتها ودادة . ولا شك أنكم بما جُبلتم عليه قديماً
 وحديثاً ، تغتفرون^(١) جفائى ، الذى سَيرتموه مُكرّاً وحديثاً ، فى جنب وفائى ،
 وتُغضون وتُحملون ، وبقول الشاعر تتمثلون ، وأسمع من الألفاظ اللغوية التى
 يُسر بها سَمعى ، وإن ضمنت شتى ووصفى :

بعثت بشيء كالجفاء وإنما	بعثت بمذرى كالدُّل إلى غدر
وقلت لنفسى لا تردعى ^(٢) فإنه	كما قيل شيء قد يُمين على الدهر
وما كان قدر الودّ والمجد مثله	لخذه على قدر الحوادث أو قدرى
وإن كنت لم أحسن صنيعى فأنتى	سأحسن فى حُسن القبول له شكرى
وقد ترك قدر النيل عندى وإننى	لدى قدرك العالى أدق من الذر
قنعت وحظى من زمانى وودى كم	هباء ومثلى ليس يقنع بالنزر
أتانى كتاب منك بآء مبارك	لقيت به الآمال باهتة ^(٣) الشجر
جلا من بقات الفكر بكرة وزفها	إلى ناظرى تختال فى حبر الخبر
فالفاظها كالزهر والزهر يانع	وقدّر المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معانٍ فى سماء صحيفة	ولكنها تُسرى النجوم ولا تُسرى
تضمن من نوع الدعابة ما به	رجوت الذى قد قيل فى نشوة الحر

(١) وردت فى «الزيتونة» (تعدون) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

دعى الله مَسْرَاهَا السَّكْرِيمَ فُجِّلَ مَا
 لِعَمْرِي لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي دَوْلَةَ الصَّبَا
 وَلَمَّا أَتَتْ تِلْكَ الْفَسَاةَ غَدَوَةٌ
 وَلَا سِيَا إِنْ كَانَ مُلْحَمٌ بُرْدَهَا
 نَشَرْتُ بِهَا مَاقِدَ طَوَيْتُ بِسَاطَهُ
 وَنَعَمَ خَلِيلُ الْخَيْرِ أَنْتَ مُحَافِظًا
 وَدُونَكُمْ تَلْهَوُ بِهَا وَتُدِيرُهَا
 جَلَنَهُ مِنَ الْبُشْرَى وَأَبْدَتْ مِنَ الْبُشْرِ
 وَأَهْدَيْتَ لِي نَوْعَ الْجَلَالِ مِنَ السَّحْرِ
 وَجَدْتُ نَشَاطًا سَائِرَ الْيَوْمِ فِي بُشْرَى
 عَمِيدُ أُولَى الْأَلْبَابِ نَادِرَةُ الْعَصْرِ
 زَمَانًا وَبِي طَيِّبُ الْأُمُورِ مَعَ الذَّشْرِ
 عَلَى سُنَنِ الْإِخْلَاصِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 سُحَيْرِيَّةُ الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ الذَّشْرِ (١)

فراجعني بقوله :

وقد منَّ سيدى الجواب ، محتويًا على العجب العُجَاب ، فيالك من فسَاة
 كَوَثَرِيَّةِ الْمَنَاهِل ، عَنَبَرِيَّةِ الْمَسَائِل ، ولو لم يكن إِلَّا وَصْفُ الْقَرْطُوبِ الْمُسْتَوَى (٢)
 الطَّلَعَةِ ، الشَّرَطَى الصَّنْعَةِ . وَأَمَّا وَصْفُ اللَّبَنِ وَفَرَاخِ الْحَمَامِ ، فَقَدْ بَسَطْتُمْ فِي الْمَزَاحِ
 الْقَوْلَ . وَامْتَنَعْتُمْ فِي الْكَلَامِ الْفَضْلَ . وَذَلِكَ شَيْءٌ يَعْمُزُ عَنْ مُسَاجَلَتِكُمْ فِيهِ
 فِيهِ أَرْبَابُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ، فَكَيْفَ يَمْثُلِي مِمَّنْ لَهُ الْقَوْلُ الْمُهْلِكُ النَّسِيجُ ، الْوَاهِي
 الْبَيَانُ . وَلَا بَدَّ مِنْ عَرَضَ ذَلِكَ عَلَى سِيدِي (٣) الْقُطْبِ الْكَبِيرِ الْإِمَامِ ، وَأُسْتَاذِنَا
 عِلْمَ الْأَعْلَامِ ، وَكَبِيرَ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ . فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا بِحُكْمِ الْفَضْلِ . وَيُنْصِفُ بِمَا لَدَيْهِ
 مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ . وَقَدْ كُنْتُ أَحِيدُ نَعْنِ مُرَاجَعَتِكُمْ حَيِّدَةَ الْجَبَانِ . وَأَمِيلُ عَنْ
 ذَلِكَ مِيلَةَ السَّكْوَدَنِ (٤) عَنْ مَجَارَاةِ السُّمْرِ الْمَهْجَانِ . وَأَعْدِلُ عَنْ مَسَاجِلَةِ أَدْبِكُمْ
 الْمَتَّانِ . عَدُولُ الْأَعْزَلِ عَنْ مِبَارَاةِ جَيْدِ السُّنَانِ . إِلَى أَنْ وَثَقْتُ بِالصَّفْحِ .

(١) إِلَى هُنَا انْتَهَى مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْخَاصِرَةِ الْفَاتِحَةِ مِنْ مَخْطُوطِ «الزَيْتُونَةِ» . وَهُوَ سَاقِطُ كُلِّهِ فِي «ج» .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» (الْمَشْوَى) . وَالتَّصْوِيبُ أَرْجَحُ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» (سَبِيلٌ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .

(٤) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَالسَّكْوَدُنُ . هُوَ الْبَطْلُ الْمُنْتَاقِلُ فِي مَشْيِهِ .

وعوّلت على ما لديكم من الإغضاء والسّمح ، ووجهتُ حاملَةَ السّر والظروف ،
 كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . وأستقيل من انبساط يجزّ عذراً . وأسأله
 سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً . دام سيدي وآاله مساعدة .
 والسكامة على فضله واحدة .

ومن شعره في النّسك والأجأ إلى الله تعالى :

أيا من له الحكم في خلقه ومن يكربني له أشتكى
 تولّ أموري ولا تسلمني وإن أنت أسلمتني أهلك
 تعاليت من مفضل (١) منعم ونزّهت من طالب مدرك
 ومن ذلك وتقلنه من خطّه :

تصبر إذا ما أدركتك مُلّة فصنّع إله العالمين عجيب
 وما يدرك الإنسان عارٌ بنكبة يُنكب فيها صاحب وجيب
 ففي من مضى للمرء ذى العقل أسوة وعيش كرام الناس ليس يطيب
 ويوشك أن تهمل سحائب نعمة فيخصب [من] (٢) ربيع السّرور جديب
 إلهك يا هذا مجيب لمن دعا وكلّ الذي عند القريب قريب
 مولده : عام خمسة وستين وستماية .

وفاته

من « عائد الصلة » . قال ، وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتهدج ،
 والتزام الورد ، وإن كان مُستصحب الخيرية . وحلّ ببلد ولاينهم رُنْدَة ، فسكّات
 بها تربته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعماية .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فاصل) والأولى أرجح .

(٢) أصلت هذه الكلمة لاستقابة الشعر والمعنى .

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
ولد المذكور بعد ، الكاتب بالدار السلطانية .

حاله

من كتاب طُرُقَة العصر وغيره ، قال ، [كان] ^(١) كاتباً مشهوراً ، بليغاً ،
ذا معرفة ، باوع الخط ، أُوْحِدَ زمانه في ذلك ، وقوراً ، مُعَذَّب ^(٢) اللفظ ، منجداً
في هوى نفسه ، مُحَارَفاً ^(٣) بحرفة الأدب على جلالة قدره . وكتابه نقيّة ، جانحة
إلى الاختصار .

شعره

وثيق ثقلٌ فيه أرواح المعاني ، كشعر أبيه ، وتوشيعه فائق . تولى كتابة
الإِشَاء لِثَانِي الْمُلُوكِ النَصْرِيِّينَ ^(٤) ، واستمر قيامه ^(٥) بها على حَجَرٍ شديد من
السلطان وتَحْمِل ، لِمَلازِمته المُعَاوَرَة وانهما كفي البُعْالَة ، واستعمل الحر ، حتى زعوا
أنه قام يوماً بين يديه ، فأخّره عنها ، وقدم الوزير أبا عبد الله بن الحَكِيم .
وفي ذلك يقول :

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أجفاً ^(٦) لأن زعموا أني تحسّيتها حِرْفاً
وأقام بقية عمره تحت رِفْدٍ وبرٍّ .

(١) سابقة في المخطوطين . وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، والمقصود بها (عذب) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين والمقصود بها (محرّفاً) .

(٤) ثانی ملوک بنی نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم ملكة

غمرناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى سنة ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٥) وردت في «ج» (قبامة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (جلداً) . والتصويب بتعليم السیال .

وفاته

توفي في حدود التسعين وسبائة . وكان شيخنا ابن الجيّاب [قد آثره ^(١)] بكتُبِهِ . وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله .

محمد بن مالك المُرِّي الطُّغْنَرِي ^(٢)

من أهل غرناطة ، من ذوى البيتية ^(٣) والحسب فيها . ذكره الأستاذ ^(٤) ، في الكتاب المسمى بالصلة ، والغافقي ^(٥) ، وغيرهما .

حاله

أديب نبيل ، شاعر ، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة . ثم إنه استيقظ من غفلته ، وأقلع عن راحته ، وأجَبَّ في توبته . وكان من أهل الفضل والخير والعلم .

من تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة ، وهو بديع ، سماه « زهرة البستان ، ونزْهة الأذهان » ، عبرة في الظرف . قال ، وجرى له مع سَمَاجَة ^(٦) ، خليفة

(١) وردت في المخطوطين (فآثره) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) ورد هذا الاسم محرفاً كله في «ج» كالأق : (محمد بن ملك الميرى الصعري) . وكذا في الزيتونة . (محمد بن ملك المرى الصعري) والإسم الصحيح هو ما أثبتناه . والطغْنَرِي نسبة إلى (طغْنَر) . هي قرية من قرى غرناطة ، وقد سبق التعريف بها .

(٣) وردت في «ج» (البيتية) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) الأستاذ هنا يقصد بها الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (صلة الصلة) . وقد سبق التعريف به .

(٥) الغافقي يقصد بها هنا ، محمد بن عبد الواحد الغافقي الشهير بالملاحى . وقد سبق التعريف به .

(٦) هو من شيوخ قبيلة صنهاجة البربرية . وقد تولى الوزارة لعبد الله بن بلقين أمير غرناطة . وكان وزيراً حازماً قوى العزم ، شديد السطوة ، فبرم به عبد الله ، وصرفه بالحسنى ، فسار في أهله وأمواله إلى المرية ، وعاش في كتف صاحبها ابن صَماج .

عبد الله بن بلةّين قصة . إذ فاجأه سمّاجة مع إخوان له ، ولم يشعروا به ، فأنشده ابن مالك أوتجّالا ، وقد أخذ بلجام دابته :

بينما نحن في المصلى لساق^(١) وجناح العثى فيه جُنوح
إذا أتانا سمّاجة يتلألأ رَدَى الشمس من تجليله يوح
فطقةننا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبّوح

قال ، فتكلم الوزير سمّاجة [باللسان البربرى]^(٢) مع عبيده ، فرجموا مسرعين ، ووقف سمّاجة مع الوزير ابن مالك ، إلى أن أتاها عبيده ، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم ، تضيف على الثلاثمائة دينار . فقال ادفعوها إليه ، وانصرف . وأتاهم العبيد مع الدراهم ، بطعام وشراب . قال ابن مالك ، وذلك^(٣) أوّل مال^(٤) تأثّلته^(٥) .

شعره

[ومنه]^(٦)

صبّ على قلبى هوى لاعج ودبّ في جسمى ضنا دارج
في شادنٍ أحمر مُستأنس لسانُ تذكّارى^(٧) به لاهج
قدرُ نُهْمَانٍ إذا ما مشى وما عسى ينفله عالج

(١) وردت في المخطوطين (نسق) . وبالتصويب يستقيم الوزن والسياق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (باللسان النربى) .

(٣) وردت في «ج» (بذلك) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (ما) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (تأثله) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) هذه الكلمة وارادة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تذاكرى) .

فقدته من رقبة مايس^(١) وردفه من ثقله مايج^(٢)
 عنوان ما في ثوبه وجهه^(٣) تشابه الداخل والخارج
 فلا تقيسوه بيدري الدجى ذا معلّم الوجه وذا ساذج
 وقد لسبها بعض الناس لغيره

وفاته

قال الأستاذ ، كان حيّاً [سنة] ثمانين وأربعمائة . وأمر أن يكتب
 على قبره :

يا خليلي عرج على قبري تجد من أكلة الثرب بين جنبي ضريح
 خافت الصوت إن أنقت ولسكن أى نطق إن اعتبرت فصيح
 أبصرت عيني العجايب لسكن لما فرق الموت بين جسمي وروح^(٤)

محمد بن علي بن محمد [بن عبد الله]^(٥) بن عبد الملك الأوسى^(٦)
 المدعو بالعتّرب ، من إقليم الآش^(٧)

حاله

كان حسن النظم والنثر ، ذكياً من أهل المعرفة بالعربية والأدب . موصوفاً
 بجودة القريحة ، والنبيل والفطنة .

(١) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (مارج) والأولى أنسب «سمياق» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» ((جسمه)) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الروح) .

(٤) الزيادة في النسبة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأسدى) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (لاش) . ولا يوجد في الجغرافية الأندلسية

إقليم بهذا الاسم . ولعل المقصود هنا هو إقليم وادي آش . وقد أورد اسمه على سبيل الإحصاء .

أدبه وشعره

ذكره الملاحى، وقال حدثني قاضى الأحكام بفرنطة، أبو القاسم الحسن بن قاسم، الهلالى صاحبنا. قال، كان الأسناذ أبو عبد الله العترب جازنا، قد وقع بينه وبين زوجه، زهرة بنت صاحب الأحكام أبي الحسن على بن محمد تنازع؛ فرفعته إلى القاضى بفرنطة، أبي عبد الله بن السماك العاملى، وكنت يومئذ كاتباً له، فرأى القاضى قوته وقدرته على الكلام وضعفها، وإخفاق^(١) نظمها، وشفق لحالها. وكان يرى أن النساء ضعاف، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمين. وكان كثيراً ما يقول فى مجلسه: رويدك، رفقا بالقوادير. وحين رأى، [ما صدر عن القاضى من الجمل]^(٢)، فقلت له وأين حلاوة شعرك، والقاضى أديب، يهتز إليه ويرتاح، فطلب منى قرطاساً، وجلس غير بعيد، ثم كتب على البديهة بما نصه:

لله حى يا أميم حواك وحمائم فوق الفصوص حواك
غذبن حتى خيلتهن عنفنينى بغنائهن فنمحت [فى]^(٣) مغناك
ذكرتني ما كنت قد أنسيت بخطوب هذا الدهر من ذكراك
أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى صرف الزمان إلى الزمان فشاكى
يا ابن السماك المستظل^(٤) برمحه والعزل ترهب ذال السلاح الشاكى
راع الجوار فبيننا فى جونا حق السرى والسيرى الأفلاك

(١) وردت فى الخطوط (اتفاق). وبالصواب يستقيم المعنى.

(٢) هكذا وردت هذه الجملة فى «الزيتونة». ووردت محرفة فى «ج» كالاتى: (إن القاضى من الحمل).

(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة».

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» (المستقل). والأولى أرجح.

وابسط إلى الخلق المنوب ببسطة ظرف السكرام بعقة الشاك
 وأنا ذا كرا إن لم يفت من لم يمت فدارك ثم دارك ثم (١) ذاك
 ثم دفعها إلى القاضي ، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة : لبيك ، لبيك .
 [ثم أرسلني] (٢) أصاح بين العقر ب وزوجه ، فإن وصل صاحبهما إلى خمسين
 ديناراً ، فأنا أؤديها عنه من مالي ، فجمعت بينهما ، وأصلحت بينهما عن تراض
 منهما ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي (٣)

من أهل غرناطة

حاله

كان فقي حسن السميت ، ظاهر السكون ، بادي التصون والعفة ، دمث
 الأخلاق ، قليل الكلام ، كثير الحياء ، مليح الخط ، ظريفه ، بادي النجابة .
 أبوه وجدّه من تجار سوق العطار ، نهباء السوق . نظم الشعر ، فجا من بهج ،
 استرسالا وسهولة ، واقتداراً ، ونفوذاً في المطولات ، فأنفت (٤) له من الإغفال ،
 وجذبتّه إلى الدار السلطانية ، واشتدت براعته ، فسكاد يستولى على الأمر .
 لولا أن المنية انترمته شاباً ، فسكل منه الشعر ، قريع إجابة ، وبارع ثنية
 شهرة ، لو انفسح له الأمد .

(١) هذه الكلمة ساقطة في «الر» و«ن» .

(٢) وردت في «ج» (ثم أرسل عني) . وبالصواب : يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وقد تكون من عرد عرودا أي قوى واشتد .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

مولده : في ذى الحجة عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي مبهلونا على أيام قريبة من إسرعه بغرناطة ، عن سن قريبة من العشرين ،
في عام خمسة وخمسين وسبعمائة . وأبوه أمين المطارين .

محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة فاس .

حاله

من خط القاضى أبى جعفر بن مسعدة ، علم كتاب دار الإمارة النصرية
الغالبية ، الذى بنوده يستصحبون ، وسراجهم الذى بإشرافه وبهجه ، ونهج
تحدثه يهتدون . رفع لواء الحمد ، وارتدى ^(١) بالفهم والعلم والحلم . كان رحمه الله
إماماً فى الكتابة ، والأدب ، واللغة ، والإعراب ، والتاريخ والفرائض والحساب ،
والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق] ^(٢) أربى على الموثقين من الفحول ،
المبرزين فى حفظ الشعر ونظمه ، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً . درس الحديث ،
وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبلى ، ونسخ الدواوين السكار ، وضبط كتب
اللغة . وقيد على كتب الحديث ، واختصر التفسير للزمخشري ، وأزال عنه
الاعتزال ، لم يفتّر ^(٣) قط من قراءة أو درس أو نسخ أو معالجة ، ليلة ونهاره .

(١) وردت فى المخطوطين (واردا) . وبالصواب يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» . وقد وردت فى «ج» بحرفة
كالآتى (عارف والسجلات والتوثيق) .

(٣) وردت فى «ج» (يفتن) . والتصويب من «الزيتونة» .

لم يكن في وقته ^(١) مثله .

مشيخته

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي ، وأبي عبد الله بن البيوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالي ، وغيرهم .

شعره

ومنه قوله :

طرقت تتيه على الصباح الأبلج حسناء تختل اختيال تبرج
في ليلة قد ألست بظلامها [فضفاض بُردٍ بالنجوم مدبج] ^(٢)
وشعره مدون كثير .

وفاته

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة [في ذى القعدة منه] ^(٣) .

محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأردزي الإلبيري الغرناطي
من أهل قرية سُكون ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالأندلسي ، وكانها
تفرقة بينه وبين الحسكي أبي نواس .

(١) وردت في «ج» (وقته) ، والنصوب من «الزبونة»

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الريثونة» كالآتي : (فضفاض البجوم مدبج) .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «ر» و«د» .

أُولَئِكَ

قال غير واحد من المؤرخين ، هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة^(١) بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد [أخيه]^(٢) رُوح بن حاتم .

حاله

كان من فحول الشعراء ، وأمثال^(٣) النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يُدرك شأوه ، ولا يُشَقُّ غُبَاهُ ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فك المعنى . خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة ، فلقى جوهرًا [المعروف بالكاتب مولى المعز بن المنصور العبّيدى صاحب المغرب]^(٤) وامتدحه ، وكان لثيا ، فأعانه مائتي درهم ، فوجد لذلك ، وقال أها هنا كريم يُقصد ، فقبل بلى ، جعفر بن يحيى بن علي بن فلاح بن أبي مروان ، وأبو علي بن حمدون ، فامتدحهما^(٥) ، ثم اختصَّ بجعفر بن يحيى وأبي علي ، فبالغا^(٦) في إكرامه ، وأفاض عليه من [النعم و]^(٧) الإحسان ما لم يمرّ بباله ، وسارت أشعاره فيهما ، حتى أنشدت للمعز العبّيدى ، فوجهه جعفر بن علي إليه في جملة طرف وتُحف بعث بها إليه ، كان أبو القاسم أفضلها عنده ، فامتدح [المعز لدين الله]^(٨) ، وبلغ المعز من من إكرامه الغاية . ثم عاد إلى إفريقية ، ثم توجه إلى مصر ، فتوفي ببرقة .

(١) وردت محرفة في المخطوطين (فيضة . قبطة) . والصواب ما أثبتناه (عن الوفيات) .

(٢) الزيادة من (الوفيات) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا جمع (مثيل) . ومعناها الفاضل .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فامتدحهم) ، فاقضى التصويب .

(٦) وردت في «ج» (فبالغا) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) الزيادة من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (المعز بالله) . والصواب ما أثبتناه .

وجرى ذكره في «تخليص الذهب»^(١) من تأليفنا بما نصه : «العقاب
الكاسرة ، والصمصامة الباترة ، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي
أعجز عنها»^(٢) السباق .

«وصيته» : وذكره ابن شرف في مقاماته ، قال : وأما ابن هاني محمد ، فهو
تجدي الكلام ، سردي النظام ، إلا أنه إذا ظهرت معانيه ، في جزالة مبانيه ،
رمى عن^(٣) منجنيق لا يؤثر في التفيق . وله غزل معري^(٤) ، لا عذري ،
لا يقنع بالطيف ، ولا يصفع بغير السيف [وقد قدّه به الذات ، وعظم شأنه
فاحتمل الثواب]^(٥) ، وكان يقف دولته في أعلى منزلته [ناهيك]^(٦) من رجل
يستعين على صلاح دنياه ، بفساد أخراه^(٧) ، لرداءة دينه ، وضعف يقينه .
ولو عقل ما ضاقت عليه معاني الشعر ، حتى يستعين عليه بالكفر .

شعره

كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله :

أحببت بقياك القيساب قبابا لا بالخداء ولا الركب ركابا
فيها قلوب العاشقين تحالها عنما بأيدي البيض والعتابا

وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وجفاً وبانت لنا الجوزاء في أذننا شنفاً

(١) هو كتاب «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات» . وهو من مؤلفات
ابن الخطيب التي لم تصل إلينا .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (عندها) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (على) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (آخرته) .

وبات لنا ساقٌ يقوم على الدجى
أغنُ غضيضٌ جَفَّفَ اللين قدَّه
ولم يُبقِ إرعاش المدام له يداً
نزينُ قضاه السكر إلا ارتجاعه
يقولون حَقَّفَ (٣) فوق خَيْرُ رانة
جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا
فمن كبدي تُدني إلى كبدي هوى
بِمَيْشِك نَبِهَ كأسه وجفونه
وقد فكت الظلماء بعض قيودنا
وولت نجوم للثريا كأنها
ومرَّ على آثارها دُبرانها
وأقبلت الشَّعْرى العبور مُلَمَّة (٧)
وقد قبَّلَها أخْتَهَا من ورائها
تخاف (٩) زفير الليث قدَّم نثره
كأن مُعَلَّاً قُطِبَها قاروس له

بشمعة صُبْح لا تَقَطُّ (١) ولا تُطْفَأ
وأثقلت الصَّهباء أجفانه الوطفا
ولم يُبقِ إعنات (٢) التَّنَتَّى له عطفاً
إذا كلَّ عنها الخصر حَمَلها الرِّدفا
أما يعرفون الخيزُرانة والحَقفا
وقدَّت لنا الظَّلماء من جِلْدِها الحفا
ومن شَفَةِ تَوْحَى (٤) إلى شَفَةِ رَشفا
فقد نَبِهَ الإبريق من بعد ما أغفا
وقد قام جيش الليل للصبح فاصدِّمًا
خواتيم (٥) تبدو في بَدَنان يدي تخفا
كصاحب ودي كُتِّمَتْ (٦) خيلُه خلفًا
بمرزَمها (٨) اليَعْسُوب تجنَّبُه طرفًا
لتخرق من ثَمِيًّا بَجَرَّتْها سِجفا
وبربر في الظَّلماء يَنسُفها نسفا
لواءان مرَّ كوزان قد كره الزُّحفا

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تقط). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أعبات) وهو تعريف.

(٣) وردت في المخطوطين (خفف). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ترى) والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (خواتم).

(٦) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أكت).

(٧) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ميلة).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (بمرزماها).

(٩) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تخال).

كأن السَّما كين اللذين تظاهرا
 فذا رايح يُهوى إليه سينانه
 [كأن قدامي النَّسر والنَّسر واقع
 كأن أخاه حين دَوَّم طائرا
 كأن رقيب الليل أجدل مرقب
 كأن بنى نعش ونعش مطافل
 كأن سُهاها عاشق بين عُود
 كأن سَمَيْلا في مطالع [ألقه]^(١)
 كأن الهزيع الأبنوسى مؤهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميسلة
 كأن نجوم الصبح خاقان مَعشر^(٢)
 كأن لواء الشمس غرّة جعفر
 [وقد جاشت الظلماء بيضا صورا ما]^(٣)
 وجاءت عِناق الخيل تردى كأنها
 هنالك تلقي جعفرا خير جعفر
 فكأن^(٤) تراه في الكريهة عاجلا
 على لُبَّتِيه ضامنان له الختفا
 وذا أعزل قد عضَّ أنمله لَهفا
 قصصن فلم تُسم الخوافى له ضَعفا^(٥)
 أتي دون يَصِف البدر فاخطف النصفنا
 يُقلِّب تحت الليل في ريشه طرفا
 بوجرة قد أضلَّان في مُهمِّه قشفا
 فآونة يبدو وآونة يخفا
 مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
 سرى بالنسيج الخسروانى مُلتفا
 صريع مُدام بات يشر بها صرفا
 من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
 رأى القرن فازدادت طلاقته ضِعفا
 ومركوزة سحرا وفِضاضة زَعفا
 تخطُّ لنا أقلام آذانها صُحفا
 وقد بدلت يُمناه من لينها عنفا
 عزيزته برقا وصولته خُطفا

(١) هذا البيت ساقط في «ج». ووارد في «الزيتونة»، وفي شطرته الثانية بعض التحريف والنقص كالآتي (قصص فلم يستطع ضعفا).

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة». وساقطة في «ج».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (مشر) وهو تحريف.

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة». وقد وردت في «ج» كالآتي (وقد جاشت الدنيا بيضا صوارما).

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كأين).

وشعره كثير مدون ، ومقامه شهير . وفيما أوردناه كفاية . وهو من
إلبيرة (١) الأصيلة (٢) .

وفاته

قالوا ، لما توجه إلى مصر ، شرب بيرة وسكر ونام عريانا ، وكان البرد
شدیدا فأفلج (٣) ، وتوفي في سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وهو [ابن] (٤) اثنين
وأربعين سنة . ولما بلغت المعز وفاته ، تأسف عليه وقال ، هذا رجل كنا
نطمع (٥) أن نفاخر به أهل المشرق .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن إبراهيم [بن على] (٦)
الغسانی البرجي [الغرناطي] (٦)

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة .

حاله

فاضل يجمع على فضله ، صالح الأبوة ، طاهر النشأة ، بادي الصيانة والعفة ،

(١) إن رواية ابن الخطيب عن كون ابن هاني من «إلبيرة الأصيلة» (وكان موقعها بجوار
غرناطة) تخالف الرواية الجارية من كونه قد ولد ، وفقا لابن خلكان ، بمدينة إشبيلية (الوفايات ج ٢
ص ٥) . ويلوح لنا أن رواية ابن خلكان هي الأرجح . لأنها أقدم بكثير من رواية ابن الخطيب ،
وأقرب لعصر الشاعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأصيلة) والمؤدبي واحد .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ففلج) . والاولى أفضل .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نريد) .

(٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» . ووردت في هامش «ج» عبارة (ابن يحيى

البرجي) .

طُرِف في الخير والحشمة ، صدر في الأدب . جمُّ المشاركة ، ثاقب الذهن . جميل العشرة (١) ، مُتَمَتِع المجالسة . حسن الخطِّ والشعر والكتابة . فدَّ في الانطباع . صنيع (٢) اليدين ، يحكم على الكثير من الآلات العلامية . ويجيد تفسير الكتاب . رحل إلى العُدوة ، [وتوسَّل إلى ملكها] (٣) ، مُجَدِّد الرسم ، ومقام الجَلَّة . وعلم دَسَّت الشعر والكتابة [أمير المسلمين] (٤) أبي عنان فارس ، فاشتمل عليه ، وتَّوَّه به ، وملاً بالخير يَدَه ، فاقتنى جِدَّةً وحَظوةً وشُهرةً ، وذِكرًا ؛ وانقبض مع استرسال الملك ، وآثر الراحة ، وجَهَّد في التماس الرِّحْلة (٥) الحجازية ، ونَبَذَ الكلَّ ، وسلا الخطَّة ، فأسعفه سلطانه بغرضه ، وجعل حَبْلَه على غاربه . وأصحبه رسالة إلى النبيِّ الكريم من إنشائه ، متصلة بقصيدة من نظمهِ ، وكلاهما تُعْلَن (٦) في الخلفاء بَعْدَ شَأوهِ ، ورسوخ قدمِ علمهِ ، وعِراقة البلاغة ، في نَسَب خَصْلِهِ ، حسبما تضمَّنه الكتاب المسمى « بِمُساجلة البَيان » . ولما هلك ووُلِّي ابنه ، قدَّمه قاضياً بمدينة مُلْكِهِ (٧) ، وضاعف التَّنويه به ، فأجرى الخطَّة ، على سبيل من السَّداد والنزاهة . ثمَّ لما وُلِّي السلطان أبوسالم عُمهُ ، أجزاد على الرسم المذكور . وهو الآن بحاله الموصوفة ، مَفْخَر من مفاخر [ذلك الباب السلطاني على تَمْدِيدِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المعاشرة) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (صنيع) وهو تحريف . وصنيع أى ماهر في الصنعة .

(٣) وردت مكانها في المخطوطين هذه العبارة المحرفة (وترسل إلى الملحف) . والتصويب من نفع الطيب .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) وردت في المخطوطين (الراحة) وهو تحريف . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (تعل) .

(٧) مدينة ملكة ، أى المدينة التى بها مقر ملكه ، وهى مدينة فاس .

مفاخره ^(١) [يحظى] ^(٢) بكل اعتبار .

شعره

[^(٣) ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا ، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر من أنشد ليلثند من الشعراء مانصه :

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي ، جملة السداجة ، وكرم الخلق ، وطيب النفس ، وخدّن العافية ، وابن الصّلاح والعبادة ، ونشأة القرآن ، المتهيز إلى حزب السلامة ، المنقبض عن الغمار ، العزوف عن فضول القول والعمل ، جامع المحاسن ، من عقل رصين ، وطلمب ممتع ، وأدب نقّادة ، ويد صنّاع ، أبو القاسم ابن أبي زكريا البرّجى ، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

أصغى إلى الوجد لما جدّ عائبه	صبّ له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق بدا	فضل من ظلّ إرشاداً يخاطبه
لولا النوى لم يبت حيران مكتئباً	يقالب الوجد كتباً وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما	نمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقٍ ألمحى ستمحت	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودّعوا إذ ودّعوا حرّقا	يُصلى بها من صميم القلب ذائبه

(١) بين الخاضعين منقول من نفح الطيب . وقد ورد مكانه في المخطوطين (ذلك السلطان) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) أوردنا المقرئ في « نفح الطيب » ترجمة أبي القاسم البرّجى نقلاً عن كتاب « الإحاطة » . وقد وردت بها بعد كلمة « شعره » النبهة المسطورة . ثم القصيدة الكبيرة التي نظمها البرّجى في مديح الرسول . وهي تحتوي على ثمانين بيتاً . وهذا كله ساقط في المخطوطين . ومن ثم فقد اعتمدنا في عملهم على « نفح الطيب » (ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٥) .

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا
ويا أهمل ودادى والنوى قنف
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه
ويا ربوع الحى لازلت ناعمة
يا من لقلب مع الأهواء منعطف
يسمو إلى طلب الباقي بهمة
وفتنة المرء بالملوف مفضلة
أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بي
ولن ترى كاهوى أشجاء سالفه
وهمة المرء تغليه وترخصه
ما هان كسب المعالى أو تناولها
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت
فى ذمة الله ركب للعلا ركبا
يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض
كانهم فى فؤاد الليل سر هوى
شدوا على لب الرضاء وطأنهم
وكلفوا الليل من طول السرى شططا
حتى إذا أبصروا الأعلام مائلة
بحيث يأمن من مولاه خائفه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل
لم أنس لا أنس أياما بظلمها
شوق إليها وإن شط المزار بها

كمهدنا أو يرد القلب ساكبه
والقرب قد أبهمت دونى مذاهبه
وصادع الشعل يوم الشعب شاعبه
يبكى عهدك مضي الجسم شاعبه
فى كل أوب له شوق يجاذبه
والنفس بالليل للفانى تطالبه
والأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه
ياللرجال سبت جدى ملاعبه
ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
من عز نفسا لقد عزت مطالبه
بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه
آثاره ولما لاحت كواكب
ظهر السرى فأجابتهم نبائيه
طلى السجل إذا ما جد كاتبه
لولا الضرام لما خفت جوائبه
فخاص فى لجة الظلماء راسيه
فخلفوه وقد شابت ذوائبه
بجانب الحرم المحى جانبيه
من ذنبه وينال القصد راغبه
يصاحب القلب منه ما يصاحبه
سقى نراه عميم الغيث ساكبه
شوق المقيم وقد سارت جبابه

في الشَّمْل منّا يداه لا نعاتبه
 من فضله شرفٌ تعلو مراتبه
 ربُّ العباد أمين الوحي عاقبه
 أعلامهم كرمًا جلّت مناقبه
 زكّت حُلاه كما طابت مناسبه
 من أجلها كان آتية وذاهبه
 كالصبح تبدو تباشيراً كواكبه
 يدير تيماء ما أبداه واهبته
 وطبق الأرض أعلاماً تجاوبه
 والجنُّ تقذف إحراقاً ثوابه
 حتى انجلي الحق وانزاحت شوائبه
 والنجم لا يهتدي في الأفق ساربه
 عن الأنام وجبرائيل صاحبه
 وامتاز قُرباً فلا خلق يُقاربه
 نفسٌ بمقدار ما أولاه واهبه
 في الخلق والأمر بادية وغائبه
 والصبح لما يؤب للشرق آيبه
 سبل النجاة بما أبدت مذهبه
 وأدبر الغي فأنجابت غياهبه
 يهدي بها من صراط الله لاجبه
 يحتر من العلم لا تقني عجائبه
 في موقف الحشر إذ نابت نوابه

إن ردها الدهر يوماً بعد ما عبثت
 معاهدُ شرفت بالمصطفى فلمسا
 محمد المجتبي الهادي الشفيع إلى
 أوفى الوري ذمماً أسماهم همماً
 هو المُسكَّم في خلق وفي خلق
 عناية قبل بدء الخلق سابقة
 جاءت تبشّرنا الرُّسلُ السَّكرام به
 أخباره سرُّ علم الأولين وسَل
 تطابق الكون في البشري بمولده
 فالجنُّ تهتف إعلاناً هو اتفه
 ولم نزل عصمة التأييد تكفنه
 سرى وجنح ظلام الليل مُنسدل
 يسو لسل سماء منه منفرد
 لمنتهى وقف الروح الأمين به
 لقاب قوسين أو أدنى فما علمت
 أواه أسرار ما قد كان أو دعه
 وآب والبدر في بحر الدجى غرق
 فأشرقت بسناه الأرض واتبع
 وأقبل الرشد والتأحت زواهره
 وجاء بالذكور آيات مفصلة
 نور من الحكم لا تخبو سوا طعه
 له مقام الرضا المحمود شاهده

والرسل تحت لواء الحمد يقدّمها محمدُ أحمد السامي مراتبه
 له الشفاعات مقبولا وسائلها إذا دهي الأمر واشتدت مصاعبه
 والخوض يروى الصدى من عذب مورده لا يشتكي غلّة الظمان شاربها
 محامد المصطفى لا ينتهي أبدا تعدادها هل يعد القطر حاسبه
 فضل تكفل بالدارين يوسعها نعمى ورّحى فلا فضل يناسبه
 حسبي التوسل منها بالذي سمحت به القوافي وجلّتها غرائبها
 حيّاه من صلوات الله صوب حيا تحدى إلى قبره الزاكي نجائبه
 وخلد الله ملك المستعين به مؤيد الأمر منصوراً كتائبه
 إمام عدل بتقوى الله مشتمل في الأمر والنهي يرضيه يراقبه
 مسدّد الحكم ميمون تقيته مظفر العزم صديق الرأي صائبه
 مشعر للتقى أذبال مجتمه جرّار أذبال سحب الجود ساحبه
 قد أوسعت أهل الرّاجي مكارمه وأحسبت رغبة العافي رغائبه
 وفاز بالأمن مجورا مسالمة وباء بالخزي مقهوراً محاربها
 كم وافد آمل معهود نائله أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
 ومستجير بمنز من مثابته عزّت مراميه وانتادات مآربه
 وجلاء الدهر يسترضيه معتذراً مستغفراً من وقوع الذنب تائبه
 لولا الخليفة إبراهيم لانبهت طرق الممالي ونال الملك غاصبه
 سمّت لنيل تراث المجد همته والملك ميراث مجدي وهو عاصبه
 ينميه لائز والعليا أبو حسن سمّح الخلائق محمود ضرائبها
 من آل يعقوب حسب الملك مفتخرآ بيباب عزهم السامي تعاقبه
 أطواد خلم رسا بالأرض محتده وزاحت منكب الجوزا مناكبه
 تحفها من مرين أبحر زخرت أمواجها وغمام ثار صائبه

بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب
أَكْفُهُمْ فِي دِيَاغِيهَا مَطَالِمُهُ
يَا خَيْرَ مَنْ خَلَصَتْ لَهُ نَيْتُهُ
جَرَدَتْ وَالْفِتْنَةُ الشَّعْوَاءُ مُلْبِسَةُ
وَحُضَّتْهَا غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ
صَبَّرَتْ نَفْسًا لِعُقُوبِي الصَّبْرَ حَامِدَةً
فَلْيَهْنُ دِينُ الْهَدَى إِذْ كُنْتُ نَاصِرُهُ
لَا زَالَ مَلِكُكَ وَالتَّائِيدُ يَخْدُمُهُ
وَدَمْتَ فِي نِعَمٍ تَضَفُّوا مَلَابِسُهَا
ثَمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَا
يَنْقَضُ وَسُطَا سَمَاءُ النَّفْعِ ثَاقِبُهُ
وَفِي نَحُورِ أَعَادِيهِمْ مَغَارِبُهُ
فِي الْمُلْكِ أَوْ خَطَبِ الْعُلِيَاءِ خَاطِبُهُ
سَيْفًا مِنَ الْعِزِّ لَا تَنْبُو مَضَارِبُهُ
وَقَلَمًا أَدْرَكَ الْمَطْلُوبَ هَائِبُهُ
وَالصَّبْرَ مَذْكَانَ مَحْمُودٍ عَوَاقِبُهُ
أَمِنْ يُوَالِيهِ أَوْ خَوْفٍ يُجَابِلُهُ
تَقْضَى بِخَفْضِ مُنَاوِيهِ قَوَاضِيهِ
فِي ظِلِّ عِزٍّ عَلَا تَصَفُّو مَشَارِبُهُ
سَاوَتْ إِلَيْهِ بِمَشْتَقِ رَكَائِبِهِ (١)

وَمِنْ شَعْرِهِ مَا قَيَّدَهُ لِي بِخَدِّهِ صَاحِبُ قَلَمِ الْإِنْشَاءِ بِالْحَضْرَةِ الْمَرْيَنِيَّةِ (٢)،
الْفَقِيهِ الرَّئِيسِ الصَّدْرِ الْمُتَّقِنِ [أَبُو زَيْدِ بْنِ خَلْدُونَ] (٣).

صَحَا الْقَلْبُ عَمَّا تَعْلَمِينَ فَأَقْلَمَا (٤)
وَأَصْبَحَ لَا يُلَوِّى عَلَى حَدٍّ مَنْزِلَ
وَأَضْحَى مِنَ السُّلُوفِ فِي حِرْزِ مَعْقِلِ
[يَرِدُ الْجَفَانُ الشُّجْلَ عَنْ شُرْفَاتِهِ
وَعَطَّلَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ أَرْبُعًا
وَلَا يَتَّبِعُ الطَّرْفَ الْخَلْقِيَّ الْمُودِعَا
بَعِيدًا عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ يَتَضَعَّضَا
وَلِنْ لَحِظْتَ عَنْ كُلِّ أَحْيَدٍ أَتْلَمَا] (٥)

(١) إِلَى هُنَا تَمَّ مَا نَقَلْنَاهُ عَنْ «نَفْحِ الطَّيِّبِ» مَا نَقَلَهُ بِدَوْرِهِ عَنْ «الْإِحَاطَةِ» فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَرْجِيِّ خَاصًّا بِشَعْرِهِ ، وَهُوَ كَذَلِكَ مَا دُونَهُ ابْنُ الْحَطَّابِ بِكِتَابِهِ «نَفَاضَةُ الْجَرَابِ» . وَكُلُّ ذَلِكَ حَسْبَمَا قَدَمْنَا سَاقِطَ فِي مَخْطُوطِي «ج» وَ«الزَيْتُونَةُ» . وَنَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ لِاسْتِثْنَاءِ النُّقْلِ عَنِ الْمَخْطُوطِينَ .

(٢) الْحَضْرَةُ الْمَرْيَنِيَّةُ أَوْ حَاضِرَةُ بَنِي مَرْيَنٍ ، هِيَ ضَحِيَّةُ مَدِينَةِ فَاسَ الْمُسَمَّاةِ «بِالْبَلَدِ الْحَدِيدِ» .

(٣) مَا بَيْنَ الْحَاضِرَتَيْنِ سَاقِطٌ فِي «ج» . وَوَرَدَ فِي «الزَيْتُونَةِ» وَالنَّفْحِ .

(٤) هَكَذَا فِي «ج» وَالنَّفْحِ وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (فَأَقْلَمَا)

(٥) هَكَذَا . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي «النَّفْحِ» . وَقَدْ وَرَدَ بِمُحَرَّفَاتٍ فِي الْمَخْطُوطِينَ عَلَى النُّعُو الْآتِيَةِ :

(يَرَى الْخَيْرَانَ الْخَلَّ مِنْ شُرْفَاتِهِ وَإِنْ لَحِظْتَ عَنْ كُلِّ أَحْيَدٍ أَمْلَمَا - مَلْعَمَا)

عزیز علی داعی الغرام انقیاده^(١) وكان إذا ناداه^(١) للوَجْدِ أَهْطَعَا
أهاب به للشَّيْبِ أَنْصَحَ واعْظِ أَصَاخَ له قلباً مُنِيباً وَمَسَمَعَا
وسافر في أفق التفكير والحِجَا زواهره لا تبرح^(٢) الدهر طُلُعَا
لعمري لقد انضَيْتُ^(٣) عَزَمِي تَطَالُباً وَقَضَيْتُ^(٤) عُمُرِي رُقِيَّةً وَتَطَلُعَا
وَحُضَّتْ عُبَابَ الْبَحْرِ أَخْضَرُ مُزْبِداً وَدُسْتُ أديم الأرض أَغْبَرَ أَسْفَعَا
ومن شعره حسبما قيده المذكور :

نَهاه النَّهْيَ بعد طول التجارب ولاح له منهج الرُّشْدِ لاجِبِ
وَخاطبه دهره ناصحاً بالسَّنة الوَعظ من كل جانب
فَأَضْحَى إلى نَصْحِهِ واعياً وَأَلْفَى حَدِيثَ الْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ
وَأَصْبَحَ لَا تَسْتَبِيهِ الْغَدَوَانِي وَلَا تَزْدَرِيهِ حَظُوظُ الْمَنَاصِبِ
وَإِحْسَانُهُ كَثِيرٌ فِي النِّظَمِ وَالنَّثْرِ ، وَالْقُصَارِ وَالْمَطُولَاتِ . واستعمل في السفارة
إلى ملك مصر [وملك]^(٥) قَشْتَالَةَ ، وهو الآن قاضي مدينة فاس ، نسيجٌ وحده ،
في السلامة والتخصيص ، واجتناب فضول القول والعمل ، كان الله له .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن يوسف [بن محمد]^(٦) الصَّرِيحِي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زَمْرَك . أصله من شرق الأندلس ، وسكن
سلفه رِبَاضَ الْبَيَازِينِ من غرناطة ، وبه^(٧) وَلَدَ وَنَشَأَ ، وهو من مفاخره^(٨) .

(١) وردت في «ج» أُنْدَاه . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٢) هكذا وردت في «ج» و «النفع» . وفي «الزيتونة» (يرتجى) .

(٣) هكذا في «الزيتونة» والنفع وفي «ج» أمضيت (٤) هكذا في «ج» و «النفع» وفي «الزيتونة» وقطعت

(٥) الزيادة من النفع : (٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٧) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (وبها) . . والظاهر أن الإحالة هنا على غرناطة .

(٨) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (مفاخرها) . والإحالة هنا على غرناطة .

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها، مختص، مقبول، هاشم، خلوب، عذب الفكاهة، حلوا المجالسة حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعارض، حاضر الجواب، شعله من شعل الذكاء، تسكاد تحتدم^(١) جوانبه، كثير الرقة، فكاهة، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفواً، طاهراً، كلفاً بالقراءة، عظيم الثؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أرجه^(٢)، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة^(٣) من الفنون، وأصبح [مُتَلَقِّفُ كُرَّة] ^(٤) البعث، وصارخ الحلقة^(٥) وسابق الحلبة، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] ^(٦) درج ^(٧) المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلماً فوق السكوى [المنصوب] ^(٨) وبين الحفل المجموع، مستظهراً بالفنون التي بُد فيها شأوه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقاً مع ذلك، إلى السلوك، مصاحباً للصوفية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، [ثم عانى الأدب، فكان أملاًك به، وأعمل الرحلة

(١) هكذا في «ج» والنفح. وفي «الزيتونة» (نحرم) وهو تحريف.

(٢) وردت في المخطوطين (رجله) والتصويب من النفح.

(٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي النفح (كثير).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النفح. وقد وردت محرفة في المخطوطين كالألق (مقلب

من كثرة).

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي النفح. ووردت في «الزيتونة» (الحلقة).

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» والنفح (درجة) والأولى أرجح.

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين. وواردة في النفح.

في طلب العلم^(١) والازدياد ، وترقى إلى الكتابة ، عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف [في] باب الإجابة . ولما جرت الحادثة على السلطان^(٢) صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس به ، وانقطع إليه ، وكرّ صحبة ركابه ، إلى استرجاع حقه ، فأطف منه محله ، وخصه بكتابة سرّه . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة^(٣) ، فأقرّه^(٤) على رسمه ، معروف الانقطاع والصّاعية ، كثير الدالة ، مضطلعا بالخطّة ، خطأ وإنشاءً ولسناً ونقداً ، فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته^(٥) ووسيع الناس تخلّقه ، وأرضى السلطان محله^(٦) . وامتد في ميدان النثر والنظم باعه ، فصدر عنه [من المنظوم]^(٧) في أمداحه ، قصائد [بعيدة الشّأو]^(٨) في مدى الإجابة ، حسبما يشهد بذلك : ما تضمّنه اسم السلطان أيّده الله في أول حرف الميم ، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات ، وغيرها . وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن]^(٩) . أعانه الله وسدده .

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رحلة الوقت^(١٠) في فنّه أبي عبد الله بن الفخار [نجم]^(١١)

(١) ما ورد بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في النسخ .

(٣) وردت في المخطوطين (طائفة) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «النسخ» . ووردت في «ج» (فأقر له) وهو تعريف .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . ووردت في «الزيتونة» (واسطته) .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» والنسخ . ووردت في «ج» (جملة) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ . وساقطة في المخطوطين .

(٨) هذه العبارة واردة في «ج» وفي النسخ . وساقطة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (إلى هذا العهد) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» . وفي النسخ (المغرب) .

(١١) الزيادة من النسخ .

على إمامها القاضي الشريف . إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني ، والفقه والعربية على الأستاذ المفتي ^(١) أبي سعيد بن لب ، واختص بالفقيه الخطيب الصّادر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق ، فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس وذاكره ، وقرأ الأصول [الفقهية] ^(٢) على أبي علي منصور الزّواوي ، وروى عن جملة ، منهم القاضي أبو البركات بن الحاج ، والمحدث أبو الحسن بن التماساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشى ، والمقرئ أبو عبد الله بن بيش . وقرأ بعض الفنون [العقلية] ^(٣) بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله [العلوي] ^(٤) التّلمساني [واختص به اختصاصاً لم يخلُ فيه من إفادة مران ، وحُسنكة في الصّناعة] ^(٥) .

شعره

وشعره مترام إلى نمط ^(٦) الإجادة ، خفاجي ^(٧) التّزعة ، كلّف بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصّعبة ، غزير المادة . فمنه في غرض النّسيب :

رضيتُ بما تقضى علىّ وتحكمُ أهان فأقصى أم أضافي فأكرم
إذا كان قلبي في يديك قياده فإلى عليك في الهوى أتحمكم
على أن رُوحى في يديك بقاؤه بوصلك يحى أو يهجرك يُعدم

(١) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وفي «النسخ» وساقط في «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «النسخ» (هدف) .

(٧) وردت في المخطوطين (خفاجيد) . والتصويب من النسخ .

وانت إلى المشتاق نارٌ وجنةٌ
ولي كبدٌ تغدى إذا ما ذُكرتم
ولو كان ما بي منك بالبرق ما سرى
أراعى نجوم الأفق في الليل ما دجى
وما زلت أخفى الحب عن كل عادل
كسأني الهوى ثوب السقام وإنه
فيأمن له العقل الجميل سجيّة
وعنه يروى الناس كل غريبة
إذا أنت لم ترحم خضوعي في الهوى
وحلمك حلمٌ لا يليق بمنذب
ووالله ما في الحى حىٌ ولم ينل
ومن قبل ما طوّقتنى كل نعمة
وفتحت لي باب القبول مع الرضى
ولو كان لي نفس تخونك في الهوى
وأترك أهلي في رضاك إلى الأبد
أما والذي أشقى فؤادي في الهوى

ببُعْدِكَ يَشْقَى أَوْ بِقُرْبِكَ يَنْعَمُ
وَقَلْبٌ بَنِيرَانِ الشَّوْقِ ^(١) يَتَضَرَّمُ
وَلَا اسْتَصْحَبَ الْأَنْوَاءَ تَبْكِي وَتَبْسُمُ
وَأَقْرَبُ [مَنْ عَيْنِي لِلنَّوْمِ] ^(٢) أَنْجَمُ
وَأَشْفَى دَمْعِ الصَّبِّ مَا هُوَ يَكْتُمُ
مَتَى صَحَّ حُبُّ الرَّءِ لَا شَيْءٌ يُسْقَمُ
وَمَنْ جُودَ يَمْنَاهُ الْحَيَا يُتَعَلَّمُ
تُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وَتُرْسَمُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْنِي ^(٣) عَلَى وَيَرْحَمُ
فَمَا بَالُ ذَنْبِي عِنْدَ حِلْمِكَ يَعْظُمُ
رِضَاكَ وَعَمَّتْهُ أَيْدٍ وَأَنْعَمُ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سِوَارٌ وَمِعْصَمُ
[يَغْضُضُ الْحَيُّ طَرْفِي كَأَنِّي مُجْرَمُ] ^(٤)
لِفَارَقَتِهَا طَوْعًا وَمَا كُنْتُ أَنْدَمُ
وَأَسْلَمُ نَفْسِي فِي يَدَيْكَ وَأَسْلَمُ
وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (التشوق).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (من نومي للعين). والأولى أنسب للوزن والسياق.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (يخنو).

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج». ووردت في «الزيتونة» كالأق: (فما بال ذاك الباب دوني مبهم).

لأنت من قلبي ونزهي^١ خاطري ومورد آمل^٢ وإن كنت أحر^١
 [ومن ذلك ما خاطبني به ، وهي من أول نظمه ، قصيدة مطامها : «أما وانصداع
 النور في مطلع الفجر» وهي طرية^(٢) . ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس
 قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتها^١ الزهد بأويس ، ولم يحل بحاربه ومباريه
 إلا بويج وويس ، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه المنوره بمكانه ، وهي
 من الكلام الذي عنيت الإجابة بتذهيبه وتهذيبه ، وناسب الحسن بين
 مديحه ونسيبه :

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا	وأن يشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعط ^١ الحب فضل مقادتي	ويقضى على ^٢ الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صهوة	رمت ^٣ بي في شعب الغرام المراميا
وقلب ^٤ إذا ما انبرق أومض موهنا	قدحت ^٥ به زندا ^٦ من الشوق واريأ
خليلي ^٧ إني يوم طاوقة النوى	شقيت ^٨ بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم النفر يأم ^٩ مالك	تخلقت قلبي في حبالك عانيا
وذى أشر عذب الثنايا مخصر	يسقى ^{١٠} به ماء النعيم الأفاحيا
أحوم عليه ما دجى الليل ساهرا	وأصبح دون لورد ظمان ضاريا
يضى ^{١١} ظلام الليل ما بين أضلعي	إذا البارق النجدي وهنا بداليا

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» ولم ترد في «نفع الطيب» . ومن جهة أخرى فإن ترجمة ابن زمرك التي ينقلها إلينا المقرئ في نفع «الطيب» من «الإحاطة» تتضمن عدة قصائد طويلة لم ترد في «المخطوطين» . وقد رأينا أن نتتبع نص الترجمة في «نفع الطيب» ، وأن نورد من هذه القصائد أجزاء فقط لأنها من المطولات . ثم نعود بعد ذلك فننتبع نص المخطوطين .

(٢) يقول في هذه القصيدة بعد أبيات :

لك الله فذ الجلالة أروحد تطاوعه الآمال في النهى والأمر

أجبرتنا بالرمل والرمل منزل
ولم أربعا منه أقضى لبانة
سقت طله الغر الغواذى ونظمت
أبشكم أنى على النأى حافظ
أناشدكم والحر أوفى بهمه
ومن يعتم الخير والأحسان جازيا^(١)

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الأحابيش
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة ، فأمر من
يعانى الشعر من الكتّاب بالنظم فى ذلك الغرض ، فبقال وهى من بدائعها :

لولا تألق بارق التذكار
لكنه مهما تعرض خافقا
وعلى المشوق إذا تذكر معهدا
أمدكرى غرناطة حلت بها
كيف التخلّص للحديث وبيننا
وغريبة قطعت إليك على الونى
تنسيه طيته التى قد أمها
يقتادها من كل مشتعل الدجى
خاضوا بها لجج الفلا فتخلّصت
سكمت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك ياملك الزمان غريبة
موشية الأعطاف رائقة الحلى

ما صاب واكف دعى المدرار
قدحت يد الأشواق زند أوارى
أن يعرى الأجنان باستعبار
أيدى السحاب أزرة النوار
عرض الفلاة وطافح زخار
بيداً تبيد بها هموم السارى
والزكب فيها ميت الأخبار
وكأنما عيناه جنوة نوار
منها خلوص البدر بعد سرار
وكفى بسعدك حامياً لذار
قيّد النواظر نزهة الأبصار
رقمت بدائعها يد الأقدار

(١) تقع هذه القصيدة فى أربعة وثمانين بيتاً . وقد وردت فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٧٥

راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار
 ما بين مبيض وأصفر فاقع سال اللجين به خلال أنصار
 يحكي حدائق نرجس في شاهق تنساب فيه أراقم الأنهار (١)
 وأنشد السلطان في ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيب ما فرغ من
 البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى .

تأمل أطلال الهوى فتألمنا وسيا الجوى والسقم منها تعلمنا
 أخو زفرة هاجت له منه ذكرة فأنجد في شعب العزام وأثمنا
 وأنشد السلطان في وجهة للصييد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك
 الطراد وأرسلها قوله :

حيّاك يا دار الهوى من دار نوء السماء بديمة مدار
 وأعاد وجهه ربك طلقاً مشرقاً متضاحكاً بمباسم النوار
 أمدكرى دار الصباية والهوى حيث الشباب يرف غصن أنصار
 عاطيتني عنها الحديث كأنما عاطيتني عنها كؤوس عصار
 إليه وإن أذكيت نار صبايق وقدحت زند الشوق بالتذكار
 يا زاجر الأظمان وهي مشوقة أشبهتها في زفرة وأوار
 حنت إلى نجد وليست دارها وصبت إلى هندية والقار
 شاقّت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بمزارها المزوار (٢)
 ومن شعره في غير المطولات :

(١) تقع هذه القصيدة في نحو تسعين بيتاً . وقد وردت مع الاختصار في نفح الطيب ج ٤

ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) تقع هذه القصيدة في أربعة وسبعين بيتاً . وقد وردت في نفح الطيب ج ٤ ص

٢٨٠ - ٢٨٣ . وإلى هنا ينتهي ما أورده نفح الطيب من مطولات ابن زمرك . ومن بعدها نستأنف
 تدوين نص المخطوطين .

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى
تُشير وراء الليل منه [بنازة] ^(١)
تلوح سناناً حين لا تنفج ^(٢) الصبا
تطمت به ليلاً يطارحنى الجوى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى
لك الله يا مصباح أشبهت مُهجتي
[ومما ثبت له في صدر رسالة :

أرور بقلبي معهد الأُنس والهوى
ومهما سألتُ البرق يهفون الحصى
فياليت شعري والأمانى تعال
وهل جِرتي الأولى كما قد عهدتهم
ومن أبياته الغراميات ^(٧) :

قيادى ^(٨) قد تملكه الغرام ووجدى لا يطساق ولا يُرام

(١) الزيادة من النفج .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» وفي النفج . وساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفج . ووردت في «الزيتونة» (تفق) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفج كالأق (لا يخفى

الضيء به كفا) .

(٥) هذا البيت وارد في «الزيتونة» وفي النفج . وساقط في «ج» .

(٦) لم يرد هذا الشعر في المخطوطين ، ونقلناه عن نفح الطيب .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» وفي النفج . ووردت في «الزيتونة» كالأق (ومنه

مثل ذلك) .

(٨) هكذا وردت في «ج» والنفج وفي «الزيتونة» (فؤادى) .

ودمى دونه صوب الفوادى وشجوى فوق ما يشدو الحمام
إذا ما الوجد^(١) لم يترح فزادى على الدنيا وساكنها السلام
وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومُشتمل بالحسن أحوى مهفف قضى رجع طرقي من محاسنه الوطر
فأبصرت^(٢) أشباه الرياض محاسناً وفى خدّه جرح^(٣) بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الخنجر إنما به وصّب من أسهم الغنيج والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه ومن شأنها تدمى من [الأمح بالبصر]^(٤)
تُخيل للعينين جرحاً وإنما بدا كلف منه على صفحة القمر

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق فى ذلك :

يا لايى^(٥) فى الجود والجود شيمتى جُبلت على آثارها يوم مولدى^(٦)
ذرىنى فلو أنى أخذ بالغنى لكنت ضنيناً بالذى ملكت يدى

ومن مقطوعاته :

لقد علم الله أنى امرؤ أجزر ثوب المغاف القشيب
فكم غمض الدهر أجهلـه وفازت قيداى بوصل الحبيب
وقيل وقبيلك فى غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب

-
- (١) وردت فى المخطوطين (المجد) . والتصويب من النفج .
(٢) وردت فى المخطوطين (فأبصر) والتصويب من النفج .
(٣) هكذا وردت فى «النفج» . ووردت فى المخطوطين (حسن) والأولى أرجح .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «النفج» ووردت فى المخطوطين (الاحفل والبصر) والأولى أرجح .
(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النفج» (ألائمة) .
(٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «النفج» . ووردت فى «ج» (مولود) وهذا تحريف .

[وفي مدح كتاب الشفاء^(١) طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع

في شرحه :

ومسرى ركاب للصبا قد وُنت به نجائبُ سحُبٍ للتراب نزوعها
تسلُّ سيوف البرق أيدي حُداتها فتنهل خوفاً من سطاها دهوعها
ومنها :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها
بمراة حُسن قد جَلَّتْها يد النهى فأوصافه يَلْتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يُجَنِّها وأسرار غيب واليراع تُذيعها
لقد حُزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصيح البرايا شفعها
ولله ممن قد تصدَّى لشرحه فلباه من غرُّ المعاني مطيعها
فكم يُجمل فضلت منه وحكمة إذا كتم الإدماج منه تشيعها
محاسن والإحسان يبدو خلاها كما افترَّ عن زهر البطح ربيعها
إذا ما أصول المرء طابت أرومة فلا عجب أن أشبهتها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تُنيلها هُدى ولأحداث الخطوب ترُوعها^(٢)

ومما امتزج فيه نثره ونظمه ، وظهر فيه أدبه وعلمه ، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد ، وهم مع مولانا أيده الله بالمنكب :

مالي بحمل الهوى يدان^(٣) من بعد ما أعوز التَّداني
أصبحت أشكو من زمان ما بتُّ منه على أمان

(١) هو كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» وهو أشهر كتب الحافظ الفقيه القاضي عياض بن موسى السبكي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

(٢) تقع هذه القصيدة في عشرين بيتاً . وهي غير واردة في المخطوطين ، وقد وردت في النسخ (ج ٤ ص ٣٨٤) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «ج» (يداني) .

ما بال عينيـك تسجـن والدمع يرفض كالجمان
ناداك والإلفُ عنك وإن والبعد من بعده كوان
يا شقة النفس من هوان كجج^(١) في أبجر الهوان
لم يُثن عن هـواك ثـان يا بُعْية القلوب قد كفان

يا جانحة الأصيل ، أين يذهب قرصك المذهب ، وقد ضاق بالشوق المذهب .
أُمتست شمس [الأنس] ^(٢) محجوبة عن عيني ، وقد ضرب البعد الحجاب بينها
وبيني ، وعلى كل حال . من إقامة وارتمال . فما حلك من قلبي محلا بينها . وما كنت
لأقع من وجهك تخيلا وشيها . ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه واتسقت ، ومن
بعض المواقع والشمس لو قطعت ^(٣) . صادك منذور ، وأنت تتجمل بثوب زور ،
وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزور ، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم ،
ومطالب تنقلب منه في كفه المطالب . ويا برق الغمام من أي حجاب تبسم ، وبأي
صبح ترسم ، وأي غفل من السحاب تسم . أليست مباسم الثغور لا تنجد بأفقي
ولا تنور . هذا وإن كانت مباسمك مساعدة ، والجو ملبس لها من الوجوم شعرا ،
فلطالما فحكت فأبكت الغوادي ، وعقت الريح والغادي . أعوذ بواشم البروق ،
بنواسم الطفل والشروق ، ذوات الزايرات المتعددة الطروق ، فهي التي قطعت وهادا
ونجادا ، واهتدت بسيف الصباح من السحاب قرايا . ومن البروق نجادا ، واهتدت
خبر الذين أحبهم مستظرفا مستنجادا ، فعالها ولعلها . والله يصل في أرض الوجود
نهلها وعلها ، وأن يُبل ظميين الشوق بنسيمها البليل ، وأن نعوضه من نار الغليل ،
بنار الخليل ، وخير طبيب يداوى الناس وهو عليل . فشكواي إلى الله لا أشكو

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، (يحج) وهو تحريف .

(٢) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نظقت) والأولى أن يح .

إلى أحد . هل هو إلا فرد تَسْطُو رياح الأشواق على ذُبالته ، وعُمر الشوق قد شبَّ على الطُّوق ، ووهب الجمع للفرق : ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذُّوق . وقلب تُقَسِّم أحشاؤه الوَجْد ، وقَسَمُ بالله الغُور والنَّجْد . وهووم متى وردت قُلَيْب القاب ، لم تَبْرَح ولم تُعَد ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

أستغفر الله ياسيدي الذي يوقد^(١) أفسكارى حلول لقائه ، وأنتسِم أرواح القبول من تلقايه . وأسأل الله أن يُديم لى آمالى^(٢) بدوام بقايه . إن بُعد مداه ، قربت منأيداه ، وإن أخطأنا رفدَه أَصَبْنَا نَدَاه . فثمرات آدابه الزُّهر تجىء إلينا ، وسحاب بَنانه الغُرُّ تُصَوِّب دوالينا أو علينا ، على شَحَط هواه ، وبُعد منتواه . ولا كرسالة سيدى الذى هَمَّت فضايله وخَصَّت ، وتلت على أولياء نعمته أبناء السَّكَّال وقَصَّت ، وآى^(٣) قفى كل منها عجبا ، ونال من التَّحاح غُرَّتْها واجْتَلَاء صفحتها أَرْبَا . فلقد [كُرِّمت عنه]^(٤) بالاشتراك فى بُنُوته الكريمة نَسَبًا ، ووصلت لى بالعناية [منه]^(٥) سببًا . تولى سيدى خيرك من يتولى خير المحسنين ، ويُجزل شكر المُتَنِّمين . أما ما تحدَّث به من الأغراض البعيدة العذبية ، وأخبر عنه من المعانى الفريدة العجيبة ، والأساليب المطيلة ، فيعجز عن وصفه ، وإحكام رَصْفه ، والقلم واللسان ، ويعترف لها بالإبداع المستولى على أمد الإحسان البديع وحسَّان . ولقد أجهدت جِيَاد الارتجال ، فى مجال الاستعجال ، فما سمحت القريحة إلا بتوقُّع الآجال ، وعادت من الإقدام إلى السَّكَّال . فعلمت أن تلك الرسالة السَّكرية ، من الحق الواجب على مَنْ قرأها وتأملها ، أن لا يجرى فى لُجَّة من

(١) وردت فى «ج» (ترقدن) . وفى «الزيتونة» (توقدون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت فى المخطوطين (مالى) . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت فى «ج» (وألوان) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (لايت عني) .

(٥) إضافة يقضيها السياق .

ميادينها ، ويديم يراع سيدى الإحسان كرينها . لا كن على أن يفسح الرياض
 للقصى مدى ويقندى بأخلاق سيدى التى هى نور وهدى . فإنه والله يتيه ، وقيه
 مما يتقيه ، بعد ما أعاد فى شكوى البين وأبدى ، وتظلم من البعد واستعدى^(١) ،
 ورفع حكم العتاب عن ذوات التسميم والاعتياب ، ورعى وسيلة ذكرها فى مُحكم
 الكتاب . وولى فضله ما تولى ، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور^(٢)
 السعادة على رأيه ، أيده الله تَجَلَّى ، ونمرة فكره المقدس ، أيده الله تَحَلَّى . شكر الله
 له عن جميع نعمه التى أولى ، وحفظ عليه مراتب الكمال التى هو الأحق بها
 والأولى . وقد طال الكلام ، وَجَمَحَتِ الأقلام . ولسيدى وبركتى الفضل ، أبقي
 الله بركته ، وأعلى فى الدارين درجته ، والسلام الكريم يخلصكم ، من مملوككم
 ابن زمرك ، ورحمة الله وبركاته ، فى الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة
 وستين^(٣) .

وخاطبني كذلك ، وهو من الكلام المرسل : أبو معارفى . وولى نعمتى ، ومعيد
 جاهى ، ومقوم كمالى ، ومورد آمالى ، ممن توالى نعمه على ، ويتوفر قسمه لدى ؛
 وأبوء له بالعجز ، عن شكر أياديه . التى أحيت الأمل ، وملأت أ كُفَّ الرغبة ،
 وأنطقت الحدايق ، فضلا عن اللسان ، وأياديه البيض وإن تعددت . ومنَّه العميمة ،
 وإن تجددت ، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس فى الروض المطور بيانه .
 فماذا أقول ، فيمن صار مؤثراً إلى بالتقديم ، [جالياً صورة]^(٤) تشريفى ،

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (استدعا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (سور) .

(٣) وردت فى المخطوطين (وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، متى ذكرنا أن ابن الخطيب
 قد توفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت محرفة فى «الزيتونة» (جانبا سورة) .

بالانتساب إليه في أحسن التقويم . . . (١) وإني ثالث اثنين أشرف بخدمتها ،
وأسحب في أذيل نعمتها .

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمشى إليه عبيد
اللهم أوزعنى شكر هذا المنعم ، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر ، وأنهضت
كمال (٢) الحمد ، اللهم أدم بجميع حياته ، وأمتع بدوام بقاياه الإسلام والعباد ، وأمسك
بئمن آرائه رَمَق ثغر الجهاد . يا أكرم مسئول ، وأعز ناصر . تفضل سيدى ،
والفضل عادته ، بالتعريف بما يقر عين المتطلع (٣) ويقنع غلة التشوُّف . ولقد كان
المالِك لما مثلنا بين يدي مولانا ، أيده الله ، لم يقدم عملاً عن السؤال [ولا] (٤) عن الحال ،
إقامة لرسم الزيارة ، وعملاً بالواجب ، فإني أرى الديار بطرفى ، فعلى أن أرى الديار
بعينى ، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله . وإن سألت سيدى شكر الله احتفائه ،
وأبقى اهتمامه ، عن حال المالِك ، من تعب السفر ، وكد الطريق ، فهى بحمد الله دون
ما يظن . فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلاءة ، مُحَرِّزِينَ شرف المساواة ،
لمواكب (٥) المولى ، يمين الله وجوبته . وكتب عِصْمَتِهِ ، واستقرَّ جميعنا بمحل
القَصْبَةِ ، وتاج أهدبها ، ومهب رِيَّاح أجرايها ، تحت النعم الثرة ، والأُنس الكامل
الشامل . قَرَّبَ اللهُ أمد لقايكم ، وطلع على ما يسرُّ من تلقايكم . ولما بلغنا هذه
الطَّيَّة ، وأنحنا المطيَّة ، قمنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار ، ورفعنا مخاطبة
المالك على الابتداء . والسلام .

مولده : فى الرابع عشر من شوال ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

[انتهى السفر السادس هنا . والحمد لله رب العالمين]

(١) كلمة غير مقروءة . (٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (كامل) .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المتطلع) . والأولى أرجح وأكثر تمشيًا مع السياق .

(٤) ساقطة فى «ج» . وورادة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا فى «ج» . و«الزيتونة» (لمراكب) . والأولى أرجح .

ومن السفر السابع المفتتح بقوله
 ومن الطّائرين منهم في هذا الباب *
 محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبّائي
 سكن غرناطة يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، متقدماً في الكتابة والفصاحة،
 جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش،
 وأبي علي الغساني وغيرهم. وصحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

توالياه

صنّف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيداً.
 توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
 من أهل مالقة، وأصله من إستجة^(١)، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى
 أبا عبد الله.

(*) هنا يبدأ مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور.

(١) هي بلدة أندلسية متوسطة تقع على ضفة نهر شنيل فرع الوادي الكبير، جنوب لجرى غربى

قرطبة وبالإسبانية Eciña.

حاله

كان من جملة^(١) حَمَلَة العلم ، والغالب عليه الأدب ، وكان من أهل الجلالة ، [ومن بيت علم ودين]^(٢) . أقرأ ببلده ، وقعد بالجامع الكبير منه ، يتكلم على صحيح البخارى ، وانتقل فى آخر عمره إلى غرناطة .

وقال الأستاذ^(٣) ، كان من أبرع أهل زمانه فى الأدب [نظما ونثرا]^(٤) .

شعره

منقولاً من خط الوزير الراوية أبى محمد عبد المنعم بن سَماك ، وقد ذكر أشياخه فقال : الشيخ المتفنن الأديب ، البارع ، الشاعر المُتَنَاق ، قرأ على أشياخها ، وأقرأ وهو دون^(٥) العشرين سنة . وكانت بينه وبين الأستاذ المقرئ الشهير أبى العباس الملقب بالوزعى قرابة ، وله قصيدة أولها :

« ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً »

ومنها :

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلعوا عليه رقةً ونُحولا
[وكان يقول : كان الأستاذ أبو العباس ، يستعيدنى هذا البيت ، ويقول نعم أنت قريبى ، وقَدِّم على غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة]^(٦) .

(١) هذه الكلمة واردة فى مخطوط الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ووردت فى المخطوطين (من بيت أهل العلم والدين) .
والأولى أرجح .

(٣) يقصد بها الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صاحب كتاب «صلة الصلة» ، المتوفى سنة ٥٧٠ هـ .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وفى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بن) .

(٦) الفترة الواردة بين الخاصرتين مطبوسة ومموجة فى الإسكوريال ، وقد نزلناها عن «ج» .

محتـه

قال الأستاذ جرى له قصة ، نُقل بعض كلامه فيها ، على بعض أحاديث
الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها ؛ غالب أدبه . فأطلق عِنان الكلام ،
[وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه ، إدراكات] (١) تلك الأفهام . ولكل مقام مقال .
ومن الذي يسلم من قيل وقال . وكان ذلك سبب الانقطاع ، ولم يؤت من قصر
باع ، وانتقل إلى غرناطة ، فتوفي في أثر انقضاءه (٢) وانتقاله .

شعره

من ذلك قوله في غرض يظهر من الأبيات :

قضوا في رُبِّي نَجْد [ففي القلب مرساه] (٣) وَغُثُّوا إِنْ أَبْصَرْتُمْ نَمِّ مَعْنَاهُ
أما هذه نَجْد أما ذلك الحِمَى فَمِلْ نَحْمِيَتْ عَيْنَاهُ أَمْ صُمْتُ (٤) أَذْنَاهُ
دَعُوهُ يُوفِي ذِكْرَهُ بِاتِّشَامِهِ دِيُونُ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَاهُ
وَلَا تَسْأَلُوهُ سَأْلَةَ مَنْ الْعَنَاهُ رِيَاةٌ مِنْ قَدْ شَابَ فِي الْحُبِّ فَوْدَاهُ
أَيَحْسَبُ مِنْ أَصْلَى (٥) فَوَادِي بَحْبِهِ أَنْيَ أَسْأَلُوهُ عَنْهُ حَاشَاهُ حَاشَاهُ
مَتَى غَدَرُ الصَّبِّ الْكَرِيمِ (٦) وَفِي لَهُ وَإِنْ أَتَلَفَ الْقَلْبَ الْحَزِينَ تَلَا فَاهُ
وَلَمْ يَبْقَ عَيْسُ الْغَرَامِ سِوَهُ فَإِنْ مَعْنَاهُ أَحَقُّ بِمَعْنَاهُ
وَأَرْحَاهُ فَقَدْ ذَابَتْ مِنَ الْوَجْدِ وَالشَّرَى وَكُلُّهُ إِذَا يَخْشَاهُ فِي الْحُبِّ يَخْشَاهُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَظْمُهَا أَوْ بَقَايَاهُ

(١) ما بين الخاصرتين مكانه بياض في الإسكوريال .

(٢) واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وفي الحى مرباه) . والأولى أبلغ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال و«ج» (صم) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (أبل) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الكثيب) .

ويا صاحبي عَجَّ بي على الخليف من مَنَى
وعرَّج على وادي العقيق لعَلَّني (١)
وقل ليالي قد سَلَفَن بَعْدَ شِسْه
هل العود أوجوه أم العُر ينقضي
[ومن شعره أيضاً ، قوله ، رحمه الله :

سَرَّت من رُبِّي نجد مُعْطَرَة الرِّيا
تمسح أعطاف الأراك بليـلة
ومرتد في حِجَر الرِّياض مريضـة
وبُشِرت بأنفاس الأحبَّة سحرة
سَقَنِي الله دَهْرًا ذَكَرَهُ بنعيمه
ملني مُحَيَّاه الأنيق وحُسْنُه
وبِ رَشَأ من أهل غرناطة غدا
رمانى فأصابني بأول نظيرة
وبَدَّد جسمي نوره وكأنه
تصوّر لي من عالم الحُسن خالصاً
وهم بأن يرقى إلى الحور جسمه
إذا ما انتنى أولاح أوجاح أوردنا
دعى الله دَهْرًا كان ينشر وصله

يموت لها قلبي وآونة يحيا
وتنثر كافوراً على التربة اللّميا
فتحي بطيب العُرف من لم يكن يحيا (٢)
فيسرع دمع العين في إثرها جريا
فكم لطفوني عند ذِكره من سُقيا
ومن خلُق قد كنت لأحمل النأيا
يجود بتعديبي ويبخل باللقيا
فيا عجباً من علم الرشأ الرّميا
أشعة شمس قابلت جسدي ملياً
فمن عجب أن كان من عالم الدنيا
فَنَقَلْتَه كُتُباً وحملته حَلِيا
سبأ القُصْب والأقار والمِسْك والضيا
برود طواها البين في صدره طيلاً (٣)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي المخطوطين (فإنني) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (سكناه) .

(٣) وردت في المخطوط (فنجيا) وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هذا الشعر المخصوص بين الحاصرتين وارد فقط في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

مشيخته

ومما يشتمل على أسماء شيوخه ، ويدل على تبعثره في الأدب ورسوخه ، إجازته
أبا الوليد إسماعيل بن تير الأيادي ، وعندها يقال ، آتى الوادي .

إن لي عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين
نظرة والتفاتة أتتني أن تكوني حملت فيما تليينا
ما هذه الأنوار اللامحة ، والنوار الفايحة ، إني لأجد ريح الحكمة ،
ولا مُقنَّد ، وأرد مورد النعمة ولا مُنكد^(١) ، أميسك دارين يُنهب ، أم المنذل
الرطب في الغرام الملهب ، أم نفحت أبواب الجنة ففاح نسيمها ، وتوضحت
أسباب المنَّة ، فلاح وسيمها .

مُحيّاك أم نور الصباح تبسما وريّاك أم نور الأفاق تنسما
فن شم من ذا نفحة رق شيمة ومن شام من ذا لحة واق مبسما
أجل خلق الإنسان من عَجَل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتفهموا
أسرار الحكم وتعموا ، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، يعني مجالس الذكر ،
ومأنس النظر والفكر ، ومطالع المناظرة ، ومواضع المحاضرة ، فهذه بتلك ،
وقد انتظمت الجواهر النبوية في ربّك ، ولما نَحَمَى للعطارة^(٢) وطيس ، بين
مِسْك المداد ، وكافور القراطيس . فيا أيها المعلم^(٣) الأُوحد ، والعالم الذي لا تنسك
أمامته ولا تُجحد ، حوّمت على علم الملوك ، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلوك ،
فلم تعد أملّ الحكماء ، ولم تعد إلا بعمل العلماء ، وقد قال حكيمهم الفاضل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يكنذ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (المعاطرة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (العلم) والأولى أرجح .

وعظيمهم [الذى لا مُناظر له ولا مُفاضل] (١) ، إذا خدمت الأُمراء ، فكن
 بين [استلطاف واستعطاف] (٢) ، تَجَنّ المعارف والعوارف ، دانية القُطاف .
 فتعلّمهم وكأنك تتعلّم منهم ، وتُرويه (٣) ، وكأنك تروى عنهم ، فأجريت
 الباب ، وامترّيت من العلم اللُّباب ، ثم لم تُبعد ، فقد فعل النحويون ذلك
 في يَكْرُم ، ويَعِد ، وَيَعِزُّ (٤) ، ولا غرو أن تقرأ على من هو دونك . وتُسْتَجِيز
 الإجازة [عن القوم العظام] (٥) ، يقصدونك . فهذا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، قد أمره الله بأن يقرأ على أبي [بن كعب] (٦) ، [فهل في حى الخواطر
 الذكية من حى] (٧) ، فقال له رضى الله عنه ، [الله أمرك] (٨) أن تقرأ على ،
 والعناية الربانية ، تُنادى إليّ إليّ ، وإذا قال لى من أحبُّ مولاي ، واستعار
 لزيّنته حُلّاي :

فما على الحبيب من اعتراض وللطبيب نصرفُ في المراض
 قد يَرُحلُ المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الرّاحل

عجت متواضعاً ، فما أبرمت في معاجك ، ولا ظلمت في السؤال ، نعبته
 إلى نعاك ، فإنه سرُّ الله ، لا يحلُّ فيه الإفشاء ، وحكمةُ الله البالغة ، والله يؤتى

(١) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين (ج ، والزيتونة) . ووردت في الإسكوريال
 كالألف (الذى لا يناظر ولا يفاضل) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (استعطاف واستلطاف) .
 والأولى أرجح .

(٣) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٤) ساقطة في الإسكوريال . وواردة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال مكانها (للاعلام) .

(٦) الزيادة عن المخطوطين .

(٧) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال وفي «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (أمرك) . والأولى أرجح .

الحكمة من يشاء ، وإن لبست من التواضع شعاراً ، ولبست عن الترفع تنبيهاً^(١) على السر المكتوم وإشعاراً . فهذه الثريّا من المعجائب إذا ارتفعت في أعلى صعودها ، وأسمى راياتها الخافقه وبنودها . نهاية وجودها الحسنى عدم ، وغاية وصفها الشبهي ، أن تشبهه بقدم ، فإذا همت بالركوع ، وشمّت في المغرب ريح الوقوع ، كان لها من السمو القندح المعلنى ، وعادت قرطاً تنزين به الآذان وتتحلّى .

وفي الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي وسط السماء قدم
هذه آثار التواضع متلوة الشور ، مجلوة الشور ، وكان بعضهم إذا أعلّى الصدقة ، يعطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا تفهم المايل . فإنه لما مئج النبوة تقول ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أراد أن يؤثر المقام^(٢) الأعلى . ولما أعلّى أبو بكر ، رضى الله عنه . ماله كاه ، أعطى عمر رضى الله عنه النصف [من المال]^(٣) لا احتياطاً على ماله ؛ ولكن ليوقف لأبي بكر في مقام القصور عن كاله ، تقوى بضاً وتسليماً ، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعلماً . وروى الدارقطني^(٤) [راحة الله عليه]^(٥) يحبس أباه^(٦) بركابه ، فلا يشكر عليه ، فقليل له في ذلك ، فقال رأيته يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفته .

فوق السماء وفوق الزهر ما طلبوا وإذا ما أرادوا غايّة نزلوا
وإلى هذا وصل الله حفظك ، وأجزل من الخيرات حظك ، فإنه وصلنى
السكّاسة المباركة ، الدّالة على التفنن في العلوم والمشاركة ، فبينما أنا أتلو الإجازة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (شبهها) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بالمقام) . والتصويب من «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «ج» .

(٤) هو الحافظ الإمام أبو الحسن على الدارقطني ، نسبة إلى دارالقطن أو دارقطن وهى مجلة كانت ببغداد ، وكان من أقطاب الفقه الشافعى ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٥) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (أبوه) ، وبالتصريب يستقيم السياق .

وأريق صدور البيان وإعجازه ، ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من أبي الوليد ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فخرت ، ووقفت كأني سُحرت ، وقلت ساحران
تظاهرا معاً ، وأحدهما قاتلي ، فكيف إذا اجتماعا .

فلو كان رُحماً واحداً لا تقيته^(١) ولا كنه رُحاً وثان وثالث

[ومن لم يبت بشيمته المشاني فأخرى أن تطير به المثال^(٢)]

وطار بي الشوق كل مطار ، وقرأت سماء فسكتي سورة الانفطار ، وكذت
أصعد إلى السماء توقداً ، واختلط بالهواء تودداً .

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان^(٣) فالآن صارت بالتحول ثوان^(٤)

وُجِدَت وواء الحسن وهي كثيفة فوجودهن^(٥) الآن في الأذهان

ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب ، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب ،
وبالحري لذلك النثر البديع ، الحريري أو البديع ، ولذلك النظم المعجيب ، المتنبي
أو حبيب ، ولذلك النصوص الرقيق ، الحارث بن أسد ذي التحقيق . وأما
الحديث ، فمالك تقطع تلك المسالك ، إلا أن العربية^(٦) ليس لأحد معه فيها دليل ،
أستغفر الله إلا للخليل ، لا كن أصول الدين مجرية ، تركت تلك الميادين . هناك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لاستقيته) . وفي «الزيتونة»
(لما التقيته) .

(٢) هذا البيت وارد بمكانه في «ج» و«الزيتونة» . ولكنه وارد في الإسكوريال بمذكورة
(الإنفطار) الواردة في الجملة التالية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (تبيدان) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (فوجودها) .

(٦) هذه الكلمة وارد في الإسكوريال ، وساطلة في المخطوطين .

الله يجمع كل منقبة جليلة ، فترى الفضيلة لا ترد فضيلة ، فمر الرديف وقد ركب
 غضنفرا ، أو المدعى صفة فضل ، وكل الصيد في جوف الفراء . من يزحم^(١) البحر
 يغرق ، ومن يطعم الشجر يشرق . وهل يُبارى التوحيد بعمل ، أو يُجارى البراق
 بجمل . ذلك انتهى إلى سيرة المنتهى . وهل^(٢) انبرى ليلطم خدّه في الثرى .
 لا تقاس الملايكة^(٣) بالحدادين ، ولا حُكّاء يونان بالفدادين . أفى طريق
 الكواكب يسلك ، وعلى الفلك الأثير يستملك^(٤) . أين الغد من الأمس ، وظلمة
 الغسق من وضح الشمس . ولولا تفتى بغيام فضلك الصيّب لتمثلت لنفسى^(٥) بقول
 أبي الطيب :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أراه غبارى ثم قال له الحق
 فإن رضيت أيها العلم ، فما لجرح إذا أوضاكم ألم . [تر]^(٦) كيف أجارى
 أعوج بمغرب أهوج وأجارى ذا العقال بمحش في عقال . ظهر بهنه الظلمة ، ذلك
 الضياء ، وبضدّها تبين الأشياء . وما يزكو بياض العاج حتى يُضاف إلى سواد
 الأبنوس . ألفاظ تذب رقّة ، وأغراض تملك حبّ الكريم ورقّة الزهر ، والزهر
 بين بَنان وبيان ، والدرّ طَوّع^(٧) لسان وإحسان .

وقالوا ذاك سحرٌ بأهلى فقلت وفي مكان الماء باء

(١) وردت في الإسكوريال (يرسم) . ووردت في المخطوطين (يحزم) . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(٢) وردت في الإسكوريال (وهذا) . والتصويب من « ج » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال و « ج » . وفي « الزيتونة » (الملوك)

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (يستغلب) . والأول أنسب للسياق .

(٥) هذه الكلمة وإرادة فقط في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة وإرادة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بين) .

وأما محاسن أبي الوليد ، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد .

معان لبسن ثياب الجمال وهزّت لها الغانيات القدودا
كسّون عبيداً ثياب عبيد وأضحى لبيدٌ لديها بليداً
وكيف أعجب من إجرايك لهذه الجياد ، وأياديك^(١) من إياد . أورثت هذه
البراعة^(٢) المساعدة ، عن قسّ بن ساعدة . أجدك أنت الذي وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال ، كنأى أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أودق ،
وهو يقول أيها الناس : مطرٌ ونبات ، وآباء وأمهات ، إلى قوله :

في الزاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

إليه بغير تمويه . رجّع الحديث الأول إلى ما عليه المعول . سألتني أيها السيد
الذي يحب إسعافه ، أن أرغم^(٣) أذنّ القلم حتى يجري رُعافه ، وأن أكمّل جُفون
الأوراق بمداد الأقلام ، وأن أجمع الطروس والأمدّة ، بين إصباح وإظلام ، وأطرز
بياض الشوشن بخضرة الآس ، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بني العباس ، فقلت
مبادراً ممتثلًا ، وجلّت في ميدان الموافقة متمثلاً :

لبيك لبّيك أضعافاً مضاعفة إني أجبتُ ولكن داعي الكرم
آني من المجد أمرٌ لا مرَدَّ له أمشي على الرأس فيه لا على القدم^(٤)
دعاه والله مُجّاب ، ونداء ليس دونه حجاب

(١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (وإنه أيك -- وإذايك) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في الإسكوريال (ارهت) .

(٤) وردت في المخطوطين (أقم) . والتصويب من الإسكوريال .

| كُتِبَتْ وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ لِإِجْلَالِ قَسْدِكَ بَيْنَ الْبَشَرِ
قَدَدْتُ الْبِرَّاعَةَ مِنْ أُنْمَلَى وَكَأَنَّ الْمِدَادَ سَوَادَ الْبَصَرِ |^(١)

نعم أجزتُ سيدى الفقيه الأجل ، الخطيب الأكرم ، العالم العَلَم ، الأوحد
الأكل ، الحسيب الأَحْفَل الأطول ، أبا الوليد بن الفقيه الأجل ، المعظم^(٢) الموقر ،
المكرم المبارك الأظهر ، المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد^(٣) بن قترى الأيادى
القرموفى^(٤) ، وبنيه السَّادَات ، النجباء المباركين ، أبا القاسم أحمد ، وأبا إسحق
إبراهيم ، وأبا الحسين بتزيا^(٥) . ونعمت الأغصان والشجرة ، والأقنان والثمرة ، أقرَّ
الله بهم أعين المجد ، ولا زالوا بدورا فى مطالع السَّعد . ولا برحوا فى مكارم ،
يَجْنُونَ ثَوَارِها ، وَيَجْتَلُونَ أَنْوارها ، وتُفِيضُ عليهم [يد]^(٦) العناية الإلهية ،
نهرها السَّكُونِرى ونهارها ، جميع ما رويته ، قراءة وسماعا ، وإجازة ومناولة من
العلوم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، بأى وجه رويته ، وعلى أى وصف
تقلدته ودريته ، وكذلك أجزتهم جميع ما قلته وأقوله . من مَسْطور^(٧)
ومَرْسوم . ومنشور ومنظوم ، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم ، وقصايدى
المسبأة بالروحانيات ، ومُعْشَرَاتِى الحبيبات . وما نظمته من الوتريات ،
وشرحتى لشعر أبى الطيب المسمى^(٨) « بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز » ،

(١) هكذا ورد هذان البيتان فى الإسكوريال . ووردا فى المخطوطين مرسلين على صفة

المنشور .

(٢) واردة فقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (إسماعيل) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (القرموفى) وفى «ج» (القرموفى)

والأولى أرجح .

(٥) هكذا . وردت فى «ج» والإسكوريال . وهى ساقطة فى «الزيتونة» .

(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال ، و«الزيتونة» ، وساقطة فى «ج» .

وكتابه المسمى « شمس البيان في لمس البنان » ، والزهرة الفايحة في الزهرة
 اللابحة ، ونفح السكيمات في شرح المقامات ، واقتراح المتعلمين في اصطلاح
 المتكلمين ، وكتاب التصوّر والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ، ورقم الحلل
 في نظم الجمل^(١) ، [ومفتاح الإحسان في إصلاح اللسان]^(٢) . وما أنشأته من
 السلطانيات نظماً ونثراً ، وخطابة وشعراً . والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه
 بعمه وكرمه . فليقل الفقيه الأجل ، وبنوه الأكرمون^(٣) رضى الله عنهم ، [أنبأنا
 وأخبرنا وحدّثنا]^(٤) أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية ، بعد تحرى الشروط المرعية ،
 في الإجازات الشرعية ، وإن ذهبوا حفظ الله كلامهم ، وأراعهم في الدارين آمالهم ، إلى
 تسمية من لى من المشايخ قدس الله أرواحهم ، وزحزح عن النار أشباحهم :

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير ، العالم الفاضل الجليل ، البقية الصالحة ، آخر
 الأدبا ، وخاتمة الفضلاء ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبي
 الدار ، رضى الله عنه . قرأت عليه بقرطبة ، شعر أبي الطيب ، قراءة فهم لمعانيه ،
 وأعراب لألفاظه ، وتحقيق للفقه ، وتنقيح عن بديعه . وكذلك قرأت عليه أكثر
 شعر أبي تمام . وسمعتُ عليه كتاب الكامل لأبي العباس [المبرد]^(٥) ،
 ومقامات التميمي ، كان يرويها عن مُنْشِئِهَا ، وكانت عنده بخط أبي الطاهر . وتفقّهت
 عليه « تبصرة الضمى » . وكان على شياخته^(٦) رحمه الله ، ثابت الذهن ، مُقبِل
 الخاطر ، حافظاً المعيا .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (الدول) وهو تحريف لأن (رقم الحلل
 في نظم الدول) هو اسم كتاب لابن الخطيب .

(٢) هكذا ورد اسم هذا الكتاب في الإسكوريال ، وورد في «ج» (مفتاح الإحسان في
 اصطلاح الإحسان) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (المباركزين) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (أخ. نا أو أنبأنا) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة زيادة في الإيضاح .

يروع رَكَاةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فما تدرى أشيخ أم غلام
نأتيه بمقاطيع^(١) الشعر فيصلحها لنا ، ويقف على ما تستحسنه^(٢) منها ،
فنجده أثبت منا ، ولقد أنشدته يوماً ، في فتيٍّ مَقُود العين اليسرى :

لم تزو إحدى زهرتيه ولا اثنت عن نورها وبديع ما تحويه
لكنه قد رام يُغلق جَفْنَه ليصيب بالسهم الذي يرميه

فاستفادها وحفظها . ولم يزل رحمه الله ، يعيدها مستحسنًا لهما ، متى وقع
ذكرى . وكان يروى عن الإمام المازري بالإجازة ، وعن القاضي أبي مروان بن
مسرة ، وعن الأستاذ عباس ، وعن أبي عبد الله بن أبي الخصال .

ومنهام الفقيه الأجل ، العالم العدل^(٣) ، المحدث الأكل ، المتقن ، الخطيب ،
القاضي أبو محمد بن حوط الله ، سمعت عليه كتبًا كثيرة بمالقة ، بقراءة الفقيه
الأستاذ أبي العباس بن غالب ، ولقيته بقرطبة أيضًا ، وهو قاضيها . وحدثني عن
جدِّي ، وعن جملة^(٤) شيوخ ، وله برنامج كبير . وأخوه القاضي الفاضل ، أبو سليمان
أيضًا منهم .

ومنهام الفقيه الأجل ، العالم العلم ، الأوحد ، النحوي ، الأديب المتقن ، أبو علي عمر بن
عبد الحميد الأزدي ، قرأت عليه القرآن العزيز مفردات ، وكتاب الجمل ، والإيضاح
وسيبويه تفقهاً ، وكذلك الأشعار السَّنة تفقهاً ، وما زلت مواظبًا له إلى أن توفي
رحمه الله . وكان فريد عصره في الذكاء [والذكاء]^(٥) ، ولم يكن في حلبة الأستاذ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (بمقطعات) . وفي «ج» (بمقاطع

والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (نسخناه) وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة الواردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (جملة) ، الأولى أرجح .

(٥) وردت في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

أبي زيد الشَّهيلي أنجب منه [على كثرتهم] ^(١) . وقد قال الأستاذ أبو القاسم
الشَّهيلي للإمام المنصور رضى الله عنه ، هو أقعدُ لكتاب سيديوه منا . وقال لى يوما ،
وقد نظر إلى طالب يُصغى بكليته إلى ثان ، فقلت ماذا ، فقال إنَّ حُبَّ الشيء
يعمى ويصم ^(٢) ، فقلت له ، ويعيد الصَّبح [ليلا] ^(٣) مُدَّاهم ، فاستحسنته .

ومنهم الفقيه الأجل ، الأديب الأريب الكامل ، اللغوى الشهير ، أبو على
ابن كسرى المورى ، قريبي ومعلمي . وكان من طلبة أبي القاسم الشَّهيلي ، ومن
نبغ صغيراً . وهو الذى أنشد فى طفولته السيد أبا أسحق الكبير بإشبيلية :

قسما بمحمض وإنه لعظيم فهمى المقام وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة ^(٤) الأستاذ أبو القاسم الشَّهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ،
فقال لمثل هذا كنت أحسبك الحسا ، [ولمثل هذا] ^(٥) كنت أواصل فى تعليمك
الإصباح والإمسا . وقد أنشد هذا لأمير المؤمنين أبي يعقوب رضى الله عنه :

أمشراهل الأرض بالطول والعرض بهذا أنادى فى القيامة والعرض
قد قال الله فىك ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فىك بلا نقض
فإياك يُعنى ذو الجلال بقوله كذلك . مكنا ليوسف فى الأرض

ومنهم الفقيه الأجل ، العالم المحدث ، الحافظ الفاضل المؤثر ، السيد أبو محمد
القرطبي . قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات ، وتفقهت فى الجمل والأشعار ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ويصمى) .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بالحضرة) .

(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

وأجازني [جميع] ^(١) مارواه . وكذلك فعل كل واحد من تقدم ذكره . وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق ، وجمال سمّت [وأبهة] ^(٢) ووقار ، وإتقان وضبط ، وجودة وحفظ .

ومنهم الفقيه الأجل ، الحاج الفاضل ، الشهيد في كايّة العقاب ^(٣) ، المحدث الورع ، الزاهد الطاهر ، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصاري ، وعليه كان ابتدأ للقراءة ، وكان مبارك التعليم . حسن التفهيم ، شديد التواضع . ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع ، المحدث ، الحاج المُلهم ، المحجّب الدعوة ، الميمون النقيبة الأواب . أبو الحاج بن الشيخ . رضى الله عنه . وهذا الكتاب ^(٤) على الإطالة منى . ولكن القرطاس في ، والسلام الاتم عليكم ، ورحمة الله وبركاته . قال ذلك ، وكتبه ، العبد المعترف بذنبه ، الراجي رحمة ربه . محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستجى ، في أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستمائة .

وفاته

من خطّ الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك . قال ، قدّم غرناطة ، أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وشكى علة البطن مدة ثمانية أشهر يدار أبي [رحمه الله] ^(٥) ، مرضناه الثلاثة الأخوة ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بمدفنه ، معني الأدب ، بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك .

(١) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) كايّة العقاب هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش الموحدة بقيادة الخليفة الموحدي الناصر لدين الله ، والجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، في هضبة سانتا إيلينا شمال غربي مدينة ألبدة ، وهزم فيها الموحدون هزيمة ساحقة ، وذلك في سفر سنة ٦٠٩ هـ (٥٠٩ م) .

(٤) ١٢١٢ م . وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa .

(٥) وردت هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الكتب) . (٥) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن أحمد بن علي الهواري^(١)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر من أهل المرية .

حاله

رجل كفيف البصر ، مدلٌّ على الشعر ، عظيم الكفاية والمينة ، على زمانته .
 وحل إلى المشرق ، وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صاروا
 رَوْحِينَ في جسد ، ووقع الشعرُ منهما بين نخاعي أسد ، وشعرًا للسكنية ، فكان
 وظيف الكفيف النظم ، ووظيف البصير الكتُب ، وانقطع الآن خبرهما . وجري
 ذكره في الإكليل بما نصه : محسوبٌ ، من طلبتها الجلَّة ، ومعدود فيمن طلع
 بأفقه من الأهلَّة ، وحل إلى المشرق ، وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب
 الاستفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضُرِّه .

شعره

وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلوا مسرَّ ذاك الخال في صفحة الخلد متى رقوا بالمسك في ناعم الورد
 ومن هو غصن القدِّ منها لفنتقى وأودعه رُماني ذلك النهْد
 ومزمتي القُضْب اللدان بوصلها إلى أن أعز الحسَن من ذلك القد
 فتاة تفتُّ القلب مني بمقالة له رقة الغزلان في سَطوة الأسد
 تمنيت أن تُهدي إلى نهودها فقالت رأيتَ البدر يُهداه أو يُهد
 فقلت وللرَّمان بدُّ من الجنا فتـاهت وقالت باللَّوا حظ لا الأيد
 فقلت ليس للقلب عندك حاصلٌ وقالت قلوب الناس كلُّهم عندي

(١) لم ترد هذه الترجمة في «ج» ، ولا في «الزيتونة» . وقد رددت فقط في الإسكود بال .

فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحْسَنِي مِنْ عَبْدٍ
هَوَى وَلَا تَشْكِي وَاصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الصَّدِّ
لَأَجْلِ الَّذِي تَجْنِيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهَدِ
لَمَّا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الْحَمْدِ
كَرِيمُ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ

وَقُلْتُ أَجْمَلِيْنِي مِنْ عَيْبِكَ فِي الْهَوَى
إِذَا شِئْتُ أَنْ أَرْضَاكَ عَبْدًا فُتُّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّحْلَ يُحْمَلُ ضَرْهَا
كَذَلِكَ بِذَلِكَ النَّفِيسُ سَهْلٌ لَذَى النَّهَى
أَلَسْتَ تَرَى أَزْجَاتَهُ طَالَمَا أَضَاعَ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

وَأُنْشِدُ فَدَيْتَكَ إِنْ خَلَّ فَوَادِي
فَأُشْرَحُ هُنَاكَ لَوْعَتِي وَسُهَادِي
أَرْبُ الْأَحْبَةَ وَالْجَمِي وَالْوَادِي
فَانْزِلْ فَدَيْتَكَ قَدْ بَدَأَ إِسْعَادِي
بَانَ الْعُذَيْبُ وَنَوَّرَ حُسْنُهُ سَعَادِي
وَكَذَا الْهَلَالُ عِلَامَةُ الْأَعْيَادِ

عَرَّجَ عَلَى بَانَ الْعُذَيْبِ وَنَادَ
وَإِذَا مَرَدْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ بِالْجَمَا
إِيهِ فَدَيْتَكَ يَا نُسَيْمَةَ خَبْرِي
يَا سَعْدُ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبَانَهُ
خُذْ فِي الْبِشَارَةِ مَهْجَتِي يَوْمًا إِذَا
قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أَبْعِرَ حُسْنَهَا

وَمَا تَقْلَنَاهُ مِنْ خَبَرِ قَيْدِهِ لَصَاحِبَتِنَا الْفَقِيهَةِ الْأَسْتَاذَةِ أَبِي عَلِيٍّ مِنْضُورِ الزَّوَاوِي ،
وَمَا أَدْعَاهُ لِنَفْسِهِ :

وَلِي بِمَدَارِكِ الْمَجْدِ أَهْتَامُ
وَصَحْبَتِهِ مَعَشَرُ بِالْمَجْدِ هَامُ
عَلَى قِمَمِ النُّجُومِ لَهَا مَقَامُ
كَأَمَّا مَالَتْ بِشَارَتِهَا الْمَسْرَامُ
لَيْسَ مِنْ مَرَادِهِمُ الظُّلَامُ
فَدَعَزَمُوا الرَّحِيلَ فَقَدْ أَقَامُ

عَلَى لِكْلِ ذِي كَرَمٍ ذِمَامُ
وَأَحْسَنُ مَا لَدَى لِقَاءِ حُرٍّ
وَلِي حِينَ أَلَسْبَ مِنْ أَنْسَابِ
يَمِيلُ بِهِمْ إِلَى الْمَجْدِ أَوْتِيَا حِ
هُمْ لَبَسُوا أَدِيمَ الْقَيْسِلِ بُرْدًا
هُمْ جَعَلُوا مُتُونِ الْعَيْشِ أَرْضًا

فمن كلِّ البلاد لنا ارتحال
 وحول موارد العلياء منها
 تصيب سهامنا غرض المعالي
 وليس لنا من المجد اقتناع
 نتره عرضنا عن كلِّ لوم
 ونبذل لا نقول العام ماذا
 إذا ما الحلُّ عمَّ بلاد قوم
 وإن حضر الكرام في يدينا
 وفينا المُستشار بكلِّ علم
 فميدان الكلام لنا مداه
 كلا الأمرين ليس له يقوم
 يُريق دم المهاد بكلِّ طرس
 ونكتب بالثقة العوالي
 إذا عبست وجوه الدهر منا
 لقد علمت قلوب الرُّوم أنا
 وليس يُضيرنا أنسا قليل
 إذا ما الرّاية الحمراء هزّت
 وما أحرّت سدى بل من دما
 تُفلّل من بنى نصر ملوكا
 فكم قطعوا الدّجى في وصل مجد
 أبا الحجاج لم تأت الليالى
 ولا تحلت ظهور الخيل أمضى

وفي كلِّ البلاد لنا مقام
 لنا مع كلِّ ذى شرف زحام
 إذا ضلّت عن الفؤوس السّهام
 ولو أن النجوم لنا قيسام
 فليس يُشين سُوددنا ملام
 سواء كان خصب أو حطام
 أثبتها فجاد بنا الغمام
 ملاك أمورهم ولنا الكلام
 ومنا اللَّيث والبطل الهمام
 وميدان الحروب بنا يقام
 سوانا يوم نازلة تمام
 وليس سوى اليراع لنا سهام
 بحيث الطُّرس لبات وهام
 إليها فانتنت ولها انتقلم
 أناس ليس يُعوزنا مرام
 لعمرُ أباك ما كثر الكرام
 نعم فهناك للحرب ازدحام
 ليس على جوانبها انسجام
 حلال النّوم عندهم حرام
 وكم سهروا إذا ما الناس نام
 بأكرم منك إن عدّ الكرام
 وأشجع منه إن هزّ الحسام

وأنت جئت من شرق لغرب
وجرت الملوك وكل شخص
فلم أر مثلك يا آل نصر
ومنها:

لأنلس بكم شرف وذكركم
سعى صوب الغمام بلاد قوم
إليك بها مَهْدِيَّةُ المعاني
لها لجناب مجدكم انتظام
تود بلوغ أدناه الشَّام
هم في كل تجدية غمام
يرينها ابتسام وانتظام
طواف وفي أركان إلام
نجزت وما كادت ، وقد وطى الإيطاء صروحكم ، وأعيان الإكثار حارثها
وسروجها ، والله ولي التَّجَاوُز بفضلِهِ .

محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آثي

يكنى أبا عبد الله

حاله

شاعر مُفْلِق ، وأديب شهير ، مُشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها ،
في الموسيقى ، مضطلع بفنك المعنى . سكن المربة ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني
صَادِح . وقال ابن بسام ، كان أبو عبد الله هذا ، شمسُ ظهيرة ، وبحر خبر
وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ، وضُح في طريق المعارف ، وضوح الصبح
المتهلل ، وضرب فيها بمدح ابن مقبل ، إلى جلاله منقطع ، وأصاله منزع ، ترى
العلم ينم على أشعاره ، ويتبين في منازعه وآثاره .

تواليفه

ديوان شعر كبير معروف . وله في العروض تصنيف ، مزج فيه بين الأنحاء^(١) الموسيقية^(٢) . والآراء الجليلة .

بعض أخباره

حدث بعض المؤرخين ، مما يدل على ظرفه ، أنه فقد مسكناً^(٣) عزيزاً عليه ، وأحوجت^(٤) الحال إلى تسكُّف سلوة ، فلما حضر الندماء ، وكان قد رَصَد الخسوف بالقمر^(٥) ، فلما حقق أنه قد ابتداء ، أخذ العود وغنّى :

شقيقك غيَّب في لحدّه وتشرَّق يا بَدْرُ من بعده
فهلَّا خُسِفَتْ وكان الخسوف حداداً لَيْسَتْ على فُقدّه

وجعل يردُّدُها ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضه^(٦) الخسوف ، وعظَّم من الحاضرين التعجُّب . قال ، وكان مئى فى صباه بصبية من الرُّوم ، نعرانية ، ذهبت بلبُّه وهواه ، تسمى نُؤيرة ، افتضح^(٧) بها ، وكثر نسيبُه .

شعره

قال فى الغرض المذكور :

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفح (الألحان) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الذخيرة . وفى المخطوطين (الوصفية) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفح . وفى «ج» . وفى «الزيتونة» (مسكنا) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفح . ووردت فى المخطوطين (واحتاج) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . ووردت فى الإسكوريال (القمري) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (واستعرضه) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (فنعم) .

حديثك ما أحلى [فزيدي وحدتي] ^(١) عن الرثا الفرد الجمال المنشأ
 [ولا تسمى] ^(٢) ذكر أذالذ كرمؤلى
 وبالله فاروق خبل نفسى بقوله
 أحقاً وقد صرحت ما بى أنه
 وأقسم بالإنجيل أنى شابق ^(٥)
 ولا بد من قصى على التس قصى
 ولم ياتهم عيسى بدين قساوة
 وقلبي من حلى التجلّد طال
 سيصبح ^(٧) سرى كالصبح مشهوراً
 ويغرى بذكرى بين كأس وروضة
 ومن شعره فى الأمداح الصّادحة :

لعلك بالوادی المقدس شاطىء
 وإنى فى ربّك واجد عرف ريمهم
 ولى فى السرى من ناهم ومثارهم
 وكالعنبر الهندى ما أنت واطىء
 فروح الجوى بين الجوانح ناشىء
 هداة حداة والنجوم طوافىء

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين وفى الذخيرة . وفى الإسكوريال (فزيدي وحدت) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت محرقة فى المخطوطين (ولا تسمى من) .

(٣) الزيادة من الذخيرة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة ومكانها بياض فى «ج» . وهذا البيت ساقط

فى « الزينة » .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين وفى الإسكوريال . وفى الذخيرة (لما ن) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت فى المخطوطين (دى) والأولى أرجح .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والذخيرة . وفى المخطوطين (فيصبح) والأولى أكثر تمشياً مع السياق .

(٨) هكذا فى المخطوطين والذخيرة . وفى الإسكوريال (للتحدث) .

لذلك ما حنّتك وكايبي وحمّحت
فهل هاجها ما هاجني أو لعلها
رُويداً فذا وادي لُبَيّني وإنه
ميادين تَهَيّمي ومسرح ناظري
ولا تحسبوا غيِّداً حمّتها مقاصر
عِرابي وأوحى سيرها المتباطيء
إلى الوَخذ من نيران وَجْدِي لواحي
لَوْرْد لُبَاناتي وإني لظالم
فللشوق غايات لها ومبادئ
فتلك قلوب ضَمْنَتها جآجي

ومنها :

محا مِلّة الشَّلوان مبعثُ حسنه
فكيف أرفي كَلَمُ طرفك في الحشا
ومالي لا أَسْمُو مراداً وهمّة
وما أخرتني عن تناء مبادئ
ولسكنه الدَّهر المناقض فعله
كأنّ زماني إذ رآني جُذيله
فداويتُ إعتاباً ودارأتُ عاتباً
فألقيت أعباء الزمان وأهله
ولازمتُ سَمْت الصمت لا عن مذامه
ولولا علا الملك ابن مَعْن محمد
لآلء إلا أن فسكى غائص
تجاوز حدّ الوهم والخط والمنى
فكلُّ إلى دين الصَّبابة صابي
وليس لتمرّيق المهتد رافي
وقد كرمت نفس وطابت ضاقت
ولا قصرت بي عن تناء^(١) مناشي
فدو الفضل منحط وذو النقص نامي
[يلا بسني منه]^(٢) عدو ممالئي
ولم يغنيّني أتى مُداري مداري
فما أنا إلا بالحقائق عابي
فلي منطق للسمع والقلب صابي
لما برّحت أصدافهنّ الآلئ
وعلمي [ذوماء]^(٣) ونطقي شاطئي
وأعشى الحجا لألاؤه المتلائي

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (تناء) مرة أخرى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذخيرة (قلاني فل) والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذخيرة (داماء) .

فتنعكسُ الأبصار وهي حَوَاسِرُ^(١) وتنقلب الأفسكار^(٢) وهي خواصِي^(٣) .
وقال من أخرى :

أقبلن في الخبرات يقصرن الخطا ويؤين حُلل الوارشرين القطا
سربُ الجوى لا الجوى عودُ حسنه أن يرَتعى حَبُّ القلوب ويلقُطا
مالت معاطِفهن من سكر الصبّا ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وبمَسَقِطِ العَلَمين أوضح معلّم لمُفَهِّفِ سَكَنِ الحسا والمُسَقِطا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال وألحوظ النضير إذا خطا
ومنها في المدح .

يا وافدى شرق البلاد وغربها أكرمنا خَيل الوفاة فاربطا
ورأيتنا مَلِكَ البرية فاهنّا ووردتْنا أرض المربة فاحططّا
يدمى نُحُور الدّارعين إذا ارتأى ويُنْذِلُ عزّ العالمين إذا سطّا^(٤)
وإحسانه كثير . دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه^(٥) رحمه الله .

محمد بن إبراهيم بن خيرة^(٥)

يكفى أبا القاسم . ويعرف بابن الموعاني ، حرفة أبيه ، من أهل قرطبة .

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (الأبصار) مرة أخرى .

(٢) لم ترد من هذه القصيدة ، التي وردت كلها في الإسكوريال وفي الذخيرة ، في «ج» وفي «الزيتونة» سوى البيتين الأولين .

(٣) ورد هذا الشعر في الإسكوريال . و«يرد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٤) يقصد به مدينة وادي آش ، وهي من أعمال ولاية غرناطة .

(٥) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

واستدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة إليه ، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، استكتبه أبو حفص ابن عبد المؤمن ، وحظي عنده حظوة عظيمة ، لصهر كان بينهما بوجه ما ، ونال فيه جاهاً عظيماً ، وثروة واسعة . وكان حسن الخط ، وابقه ، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتقن أبى بكر بن خيرة .

مشيخته

روى عن أبى بكر بن عبد العزيز ، وابن العربى ، وأبى الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وأبى عبد الله حفيد مكى ، وابن أبى الخصال ، وابن بقر .

تواليفه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها « ريجان الآداب ، ورعيان الشباب » لانظير له . والوشاح المفضل . وكتاب فى الأمثال السائرة . وكتاب فى الأدب ، نحافيه منحى أبى عمر بن عبد البر فى « بهجة المجالس » .
توفى بمراكش سنة أربع وستين وخمسمائة .

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى^(١)

مُرسى الأصل ، غرناطى النشأة ، ما اتى الإسكان ، يكنى أبا عبد الله .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . وه تردد فى « ج » ولا « الزيتونة » .

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله ، كاتباً أديباً ذكياً ، لَوْذَعِيَا ، يجيد الخط ، ويرسل النادرة ، ويقوم على العمل ، ويشارك في الفريضة . وبذ السباق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس . عَمَرَ زمانا من عُمره ، محارفاً للفاقة ، يعالج بالأدب الكُدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكته البسخت من امتطاء غاربه ، فأُنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر ، فأتى ونما ماله ، وعظمت حاله ، وعهد عند ما شاور الرحيل ، بجملته تناهز الألف من العين ، لتُصرف في وجوه من البر ، فتوهم أنها [كانت] ^(١) زكاة امتسك بها .

وجرى ذكره في التاج بما نصه : مديرٌ أكواس البيان المعثوق ، ولعوبٌ بأطراف الكلام المُشقق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز دُرَّ معانيه من أصدافه ، وجنى ثمرة الإبداع حين قطافه . ثم تجاوزه إلى المُعرب وتخطاه ، فأدار كأسه المترع وعاطاه ، فأصبح لفنِّيه جامعاً ، وفي فلكيه شهاباً لامعاً ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تتبلى عُره ، وذهن يكشف الغوامض ، ويتسبق البارق الواض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الضمانة بشعره . مُغْلٍ لسفره .

شعره

أخبرني السكاتب أبو عبد الله بن سلامة ، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله ، في رويته :

أُخْرَزَ أَخْلَصُ مَنْ بَنَى سَلْمَةً كَاتِبٌ تَخْدُمُ الظُّبَا قَلَمَهُ
يَحْمِلُ الطَّرْسَ عَنْ أَنْامِلِهِ إِثْرُ الطَّرْسِ ^(٢) كُلَّمَا رَقَهُ

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحسن) والأولى أرجح .

ويعدُّ البيان بفكرته مُرسلاً حيث يمتد ديمه
 خَصَّى مُتَحَفّاً بِخَمْسٍ إِذَا بَسَمَ الرُّوضَ فَقَنَّ مُبْتَسِماً
 قَلَّتْ أَهْدَى زَهْرَ الرُّبَا خَضِلاً فَإِذَا كُلُّ زَهْرَةٍ كَلِمَةٍ
 أَقْسَمَ الْحُسْنَ لَا يَفَارِقُهَا فَأَبْرَ انْتَقَاوْهَا قَسَمَ
 خَطَّ أُسْطَارَهَا وَنَمَقَهَا فَأَتَتْ كَالْعُقُودِ مُنْتَظِمَةً
 كَأَسِيّاً مِنْ حَالِهِ لِي حُلَلاً رَسَمَهَا مِنْ بَدِيعِ مَا رَسَمَهُ
 طَالِباً عِنْدَ عَاطِشٍ نَهَلَا وَلَدِيهِ الْغُيُوثُ مُنْجِمَةٌ
 يَتَنَغَّى الشُّعْرَ مِنْ أَخِي بَلَا أُخْرَسَ الْعَيْ وَالْقُصُورُ فَمَهْ
 أَيْهَا الْفَاضِلِ الَّذِي حَمِدَتْ (١) أَلْسُنُ الْمَدْحِ وَالشَّنَا شِيمَهُ
 لَا تُكَلِّفْ أَخَاكَ مَقْتَرَحاً نَشْرَ عَارٍ لَدِيهِ قَدْ كَتَمَهُ
 وَابْقَ فِي عِزَّةٍ وَفِي دَعَا صَافِي الْعَيْشِ وَارْدَا شَبَمَهُ
 مَا ثَى الْغَصْنَ عَطْفَهُ طَرَباً وَشَدَا الطَّيْرَ فَوْقَ نَغْمِهِ

مُشَيِّخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي جعفر الزبير ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى .
 توفي بمائة في اليوم الثامن والعشرين لمُحَرَّم عام اثنين وخمسين وستائة ،
 وأوصى بعد أن حُفِرَ قَبْرُهُ ، بين شَيْخِيهِ الْخَطَّابِيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِي ،
 وَأَبِي عُثْمَانَ بْنِ عِيْسَى ، أَنْ يَدْفَنَ ، وَأَنْ يَكْتُبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

تَرْحَمُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحِيَّهُ فَمَنْ حَقَّ مَيِّتُ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حِيَّهُ
 وَقَلَّ آمَنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَائِفَ لَتَفْرِيطُهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغِيَّهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (حفظت) .

قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً من الله تخفيفاً بقرب^(١) وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره ويشمل بالمعروف أهل نديه
وإني بفضل الله أوثق واثق وحسبي وإن أذنبْتُ حُبَّ نبيه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة الماعري^(٢)

من أهل ألمرية يدعى بالبيو، ويكنى أبا عبد الله

حاله

من الإكليل الزاهر^(٣)، شيخٌ أخلاقه لينة، ونفسه كما قيل هيئة، ينظم الشعر سهلاً مساقه، مُحْكماً اتِّساقه، على فاقة ما لها من إفاقة. أنشد السلطان بظاهر بلده قوله :

سَرَّ تَوَيْجَ تَجْدٍ مِنْ رَبِّي أَوْضَ بَابِلَ فَهَاجَتْ إِلَى مَسْرَى سَرَاهَا بِلَالِ
وَذَكَّرَنِي عَرَفُ النَّسِيمِ الَّذِي سَرَى مَعَاهِدَ أَحْبَابِ سُرَاةِ أَفْضَلِ
فَأَصْبَحْتُ مَشْغُوقاً بِذِكْرِ مَنَازِلَ أَلْفَتْ فَوَاشِقَ لَتَلِكِ الْمَنَازِلِ
فِيَارِيحِ هُمِّي بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْحُمَائِلِ
وَسِيرِي بِجَسَمِي لَلْقَى الرُّوحَ عِنْدَهَا فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ
وَقَوْلِي لَهَا عَنِّي مُعَنَّاءَ بِالْمَوَى^(٤) لَهُ شَوْقٌ مَعُودٍ وَعَبْرَةٌ ثَائِلِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (يقدر).

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة».

(٣) وعنوانه الكامل «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الخواهر» من كتب ابن الخطيب الصغيرة. وفيه يترجم لبعض أعلام معاصرة. وذلك بإيجاز وبأسلوب مسجع. وقد سبق التعريف به عند استعراض كتب ابن الخطيب ومقدمة المجلد الأول من الإحاطة.

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (بالوى).

فيا بأبي هيفاء كالغصن تَدْنَى بَقْدُ يَقْدُ كَادَ يَنْقَدُ مَايل
 فتاة براها الله من فِتْنَةٍ فمن رآها ولم يُفْتَنَ فليس بعاقِل
 لها مَنْظَرٌ كالشمس في رَوْنَقِ الضُّحَا ولحظٌ كَحَيْلٍ سَاحِرِ الطَّارِفِ بَابِل
 بطيب شذآها عَطَّرَتْ كُلَّ عَاطِر كما بِحُلَاهَا زَيَّنَتْ كُلَّ عَاطِل
 رَمَتْني بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامٍ جُفُونَهَا فصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمُ مِنِّي مِقَاتِل
 فَظَلِمْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارٍ مِنَ الْهَوَى وما الْحُبُّ إِلَّا بَلْجَةٌ دُونَ سَاحِل
 فَيَا مَنْ سَبَّكَ عَقْلِي وَأَفْنَيْتَ تَجَلُّدِي صِلَيْتَنِي فَإِنَّ الْبُعْدَ لَا شَكَّ قَاتِل
 فلي كَبِدٍ شَوْقِي إِلَىكَ تَقَطَّرَتْ وقلب بنيرانِ الْجَوَى فِي مِشَاعِل
 وَلِي أَدْمَعٌ تُحْكِي نَدَاكَ يَوْسُفُ أَمِيرَ الْعَالِي الْأَرْضِي الْجَمِيلِ الْفَضَائِل
 إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَامِلَ لَمْ تَزَلْ بِحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَامِل
 ومن شعره قوله من قصيدة :

بَهَرَتْ كَشْمَسٌ فِي غُلَّالَةِ عَسَجِدٍ وَكَبَدٌ رِيَمٌ فِي قَضِيبِ زَبَرَجِدٍ
 ثُمَّ انْتَنَتْ كَالْغَصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا طَرِبًا قَتَزَرِي بِالْغَصُونِ الْمَيْدِ
 حَوْدَاءُ بَارِعَةِ الْجَمَالِ غَرِيْدَةٌ تَزْمِي قَتَزَرِي بِالْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
 إِنْ أَذْبَرْتَ لَمْ تُبْقِ عَقْلٌ مَدْبَرٌ أَوْ أَقْبَلْتَ قَتَلْتَ وَلَكِنْ لَا تَدْرِ

تواليفه

قال شيخنا أبو البركات ، وأبُتلى باختصار كُتُبِ النَّاسِ ، فمن ذلك مختصره
 المسمى « بالدُرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجاء المرسومة » ، وكتاب
 في حكايات تسمى روضة الجنان ، وغير ذلك .

توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، ودخل غرناطة
 غير مرة .

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
من أهل جزيرة شُقْر^(١) ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن مَرَج الكُحْل

حاله

كان شاعراً مُفلقاً غزلاً^(٢) ، باوع التّوليد ، رقيق الغزل . وقال الأستاذ
أبو جعفر : كان شاعراً مطبوعاً ، حسن الكفاية ، ذا كراً للأدب ، متصرفاً
فيه . قال ابن عبد الملك : وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ،
ظهرت فيها إجادته . وكان مُبتذلاً اللباس ، على هيئة^(٣) أهل البادية ، ويقال
إنه كان أمياً .

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الورّاد ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله بن
الآبار ، وابن عسكر ، وابن أبي البقاء ، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برّطلة ،
وأبر الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّةِ نهر الغنّداق ، خارج بلدنا لَوْشَة بنت الحضرة ، والمحسوب

(١) هي بلدة من أعمال شرق الأندلس « تقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية ، على نهر شقر El Jucar ، وعلى مقربة من مصبه في بقعة في منتهى الحصب والنضرة ، وقد كان إلى جانبها داخل مصب النهر الجزيرة الشهيرة في الشعر الأندلسي - جزيرة شقر - وهي التي اشتهرت بإجهاها رهطاً كبيراً من العلماء . وبالاسبانية Alcira »

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» والإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ . وفي الإسكوريال (أهل) وهو سهو ظاهر في

تكرار نفس الكلمة .

من دخلها فقد دخل البيرة ، وقد قيل إن هذا النهر من أحواز بَرْجَة ، وهذا الخلاف داع إلى ذكره .

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ السَّكَّابِ الْأَعْفَرِ بين الفُرات وبين شَطِّ السَّكَّابِ
وَلَنَعْتَبِقَهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً من وَاحَتَى أَحْوَى المَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وَعُشْيَةٌ قَدْ^(١) كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتُهَا سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
[نَلْنَا بِهَا آمَالِنَا]^(٢) فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لَنَا بِشَقِّهَا شَمِيمَ الْعَنْبَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ نَدَمٍ يَسْفَعُهُ رَأْيُهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِغَيْرِ تَسْكُدَرِ
وَالْوَرَقُ تَسْدُو وَالْأَرَاكُ تُتَشَنَّى وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَيْصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ [مُنْفَضِّ وَمُذْهَب]^(٣) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَمٍ وَمُدَنْرِ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى بِمُصْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْصَفَرِ
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خَضِرَةَ شَطِّهِ سَيْفٌ يَسِلُ عَلَى رِبَاسِ أَخْضَرِ
وَكَأَنَّمَا^(٤) ذَاكَ الْكِبَابُ فَرْنَدُهُ مَهْمَا طَفَا فِي صَفْحَةٍ كَالْجَوْهَرِ^(٥)
وَكَأَنَّهُ وَجْهَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْأَسِّ وَالنُّعْمَانِ خُذُّهُ مُعَذَّرِ
نَهْرٍ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَمْ وَيُجِيدُ فِيهِ الشُّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا أَصْفَرُ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لِفُرْقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ

ولا خفاء ببراعة هذا النظم . وقال أيضا :

-
- (١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال والنفع (كم) والأولى أنسب السياق .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . ووردت في النفع (قلنا بهذا مالنا) ، وهو تحريف .
(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي المخطوطين (مذهب ومففض) .
(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» (وكأن من) .
(٥) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» .

أرأت جفونك مثله من منظر^(١) ظلّ وشمس مثل خدّ ممدّد
وهذا تميم عجيب لم يسبق إليه . ثم قال منها :

وقراءة^(٢) كالعشر بين خيلة سالت مذانبها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمضندل من يانع الأزهار أو بمضفر
أمل بلغناه بهضب حديقة قد طرّزته يد الغمام المطر
فسكانه والزهر تاج فوقه ملك تجلّى في بساط أخضر^(٣)
راق المناظر منه رايق منظر يصف النضارة عن حنان الكوثر
كم قاد [خاطر خاطر]^(٤) مستوفز وك استغزّ جماله من مبصر
[لولا ح لي]^(٥) فيما تقدّم لم أقل عرج بمنعرج الكتيب الأعفر

قال أبو الحسن الرّعيني ، واثدني لنفسه :

وعشيّة كانت قنيصة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوراً
شملتهم آدابهم فتجسّدوا سرّ السرور محدّثاً ومهيّجاً
والورق تقرأ سيرة الطرب التي ينسبك منها ناسخاً منسوخاً
والنهر قد صفحت به نارنجة فتيّمت من كان فيه منيخاً
فتخالهم حُلل السماء كواكباً قد قارنت بسعودها المريخاً

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنسخ . وفي المخطوطين (إذا أجفانك مثله

منظر) . وهو تحريف

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ، وفي المخطوطين (وقراءة) .

(٣) هذا البيت ساقط في المخطوطين ، «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» و «الزيتونة» (كم قاد خاصر مستوفر) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و «الزيتونة» والنسخ . وفي «ج» (لولا ذلتي) .

خرق العوائد في الشرور نهارهم فجعلت أبياتي لهم^(١) تاريخاً^(٢)
ومن أبياته في البديهة :

وعندي من مرآشفها حديث يُخبر أن ريقتهما مُـدام
وفي أجفانها السكرى دليل وما ذُقنا ولا زعم الهُمام
تعالى الله ما أجرى دموعي إذا غنت لملقني الخيام
وأشجاني إذا لاحت يروق وأطربني إذا غنت كحمام
ومن قصيدة .

[عذيري من الآمال خابت قصودها^(٣) ونالت جزيل الحظ منها الأخاب
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبهم خولاً وما ذكر مع البخل ما كـ
يهون علينا أن يبيد أثاثنا وتبقى علينا المكرمات الأثابت
وما ضراً أصلاً طيباً عدم الغنى إذا لم يغيره من الدهر حادث]^(٤)
وله يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث :

أبا عمرو متى تُقضى الليالي بقلبيكم وهن قصصن ريشي
أبت نفسي هوى إلا شريشاً وما بعد الجزيرة من شريش
وله من قصيدة :

طفّل المساء وللنسيم تضرع والأنس ينظّم^(٥) شملنا ويجمع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح (له) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال والنفح ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النفح . ووردت في الإسكوريال (قصورها) .

(٤) هذه الأبيات واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووردت في النفح (يجمع) .

والزهر يضحك من بكاء غمامة
والنهر من طرب يصفق موجه
فانعم أبا عمران وآله بروضة
يا شادن البان الذي دون النقا
[الشمس يغرب نورها ولربما
إن غاب نور الشمس بتنا^(٢) ننقى
أفلت فذاب سنالك عن إشراقها
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل
وقال :

ألا يثروا بالصبح منى باكياً
ففي الصبح للصب المتيم راحة
ولا عجب أن يسك الصبح عبرتي
ومن بديع مقطوعاته قوله :

مئل الرزق الذي تطلبه
مئل الظل الذي يمشى معك
أنت لا تدركه متبهما
وقال :

دخلتم فأفسدتم قلوباً بملككم^(٥)
فأتم على ما جاء في سورة النمل

- (١) هذا البيت ساقط في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووارد في النفح .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال والنفح (لسنا) . والأولى أرجح وأكثر تمشياً مع السياق .
(٣) هذه الكلمة واردة في المخطوطين وفي النفح ، وساقطة في الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . ووردت في المخطوطين (بكاء) .
(٥) هكذا وردت في المخطوطين والإسكوريال . وفي النفح (بملكها) .

وبالعدل^(١) والإحسان لم تتخلّوا فأنتم على ما جاء في سورة النحل
وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور : رأيت لابن مرج السكحل مرّجاً أحمر
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُنْجِب ، فقلت :

يا مرّج كُحلّ ومن هذى المروج له ما كان أحوج هذا المريج للسكحل
يا سُحرة الأرض من طيب ومن كرم فلا تسكن طمعاً في رزقها العجّل
فإن من شأنها إخلاف آملها^(٢) فما تفارقها كيفيّة الخجل
فقال مجيباً بما نصه :

يا قائلاً إذ رأى مرّجى ومُحرته ما كان أحوج هذا المريج للسكحل
هو احمرارُ دماء الرّوم سيّلها بالبيض من مرّ من آبائى الأول
أحبته إن من فتنت به في سُحرة الخلد أو إخلافه أُملى

وفاته

توفى ببلده يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وسماية ، ودفن في اليوم بعده .

محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى

من أهل مرسية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الجنان

حاله

كان محدثاً راوية ، ضابطاً ، كاتباً بليغاً ، شاعراً بارعاً ، رايق الخط ،

(١) هكذا في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (وبالحدود) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وريال والنسخ . وفي المخطوطين (آملها) .

ديثنا فاضلا ، خيرًا ، ز كَيًّا . اسْتَكْتَبَهُ بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرّم من ذلك ، وَيَقْلَقُ^(١) منه . ثم خَلَّصَهُ الله منه . وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القِئامة^(٢) ، حتى يَظُن رائيهِ إذا استَدْبَرَهُ ، أنه طفلٌ لبَن ثمانية أعوام أو نحوها . متناسب الخلقة ؛ لطيف الشمايل ، وقورا . خرج من بلده ، حين تمكّن العدو من بيضته عام أربعين وستمائة ، فاستقرّ بأورُيولة^(٣) ، إلى أن استدعاه إلى سبّته ، الرئيس بها ، أبو علي بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل إفادته ، وحظي عنده حظوة تامة . ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقرّ ببجاية . وكانت بينه وبين كُتّاب عصره مكاتبات ، ظهرت فيها براعته .

مشيخته

روى ببلده وغيرها عن أبي بكر عزيز بن خطّاب^(٤) ، وأبي الحسن بن سهل ابن مالك ، وابن قطّال ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي علي الشلوبين ، وغيرهم .

من روى عنه

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل ، وأبو الحسن محمد بن رزّيق .

شعره

[قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وكان له في الزّهد ، ومدح النّبي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . وفي «الزيتونة» (يفسيق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القائمة) وهو تحريف .

(٣) أوريو له وبالإسبانية Orihuela من بلاد شرق الأندلس . تقع على نهر شقورة شمال شرق مرسية . وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دورا هاما ، وسقطت في أيدي الأراجونيين في سنة ١٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (ابن خايط) وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم بدايع ، ونظم في المواعظ له مذكرين كثيرًا^(١). فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر :

مضى رمضان وكأن بك قد مضى	وغاب سنه بعد ما كان أو مضى
فيا عمده ما كان أكرم معهدا	ويا عصره أغرز على أن انقضا
ألم بنا كالطيف في الصيف زائرا	فخيم فينا ساعة ثم قوضا
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى	أيا السخط هنا قد تولى أم الرضا
قضى الحق فينا بالفضيلة جاهدا	فأى فتى فينا له الحق قد قضا ^(٢)
وكم من يد بيضاء أمدى لدى تقي	بتوبته فيه الصحيف بيضا
وكم حسن قد زاده حسنا وسنى	محاه وبالإحسان والحسن غوضا
فله من شهر كريم تعرضت	مكارمه إلا أن كان أعرضا
نفى بينه وبين شجونك معلما	وفى إثره أرسل جفونك فيضا
وقف بثنيات ^(٣) الوداع فإنها	تخص مشتاقا إليها وتخصضا
وإن قضيت قبل التفريق وقفة	فمقضيها من ليلة القدر ما قضا
فيا حسنها من ليلة جل قدرها	وحض عليها الهاشمي وحرضا
أهل بقايا الشهر وهي كريمة	تبين سرا للأواخر ^(٤) أغضا
وقد كان أضفى وردة كي يفيضه	ولا كن تلاحى [من تلاحى] ^(٥) فقضيضا
وقال اطلبوها تسعدوا بطلائها	فحرك أبواب القلوب وأنهدا
جزى الله عنا أحمد الجزا على	كرم أضفاه برداً وفضفضا

(١) وردت هذه الفقرة التي بين الخاصرتين في المخطوطين . ولم ترد في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (مضى) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بشنيات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (في الاواخر) .

(٥) هكذا وردت الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (لأبث فيها) . وهي ساقطة في «ج»

وصلّى عليه من نبيٍّ مباركٍ
له عِزَّةٌ أعلَى من الشمس منزلاً
له الذِّكر يهجي فضَّ مسك ختامه
عليه سلام الله ما انهل ساكِبٌ
وؤوفٍ رحيمٍ للرسالة مُرتضاً
وعزَّمتُه^(١) أوفى من السَّيف مُنْتَضاً
تأرَّج من رِيّاً فضايله الفضا
وذهب مُوشِيّ الرِّياض وفَضّاً

ومن ذلك قصيدة في الحج :

[تذاكر الذِّكر وتهيج اللّواعجا
ركاباً سرّت بين العذيت وبارق
تيمّنين من وادي الأراك منازل
لهن من الأشواق حادٍ فإن
ألاباً بي تلك الركب إذا سرت
براهم سواح أو مُراهم فأصبحوا
لهم في مُني أسنى المنا ولدى الصفا
سماءهم طوف بيت طامح
فأبدوا من اللّوعات ما كان كامناً
ولما دنوا نودوا هنيئاً وأقبلوا
وقضوا بتقبيل الجدار ولثمه
إذا اعتنقوا تلك المعالم خلتهم
فلله ركبٌ يمموا نحو مكة لقد
أناخوا بأرجاء الرّجاء وعرسوا
فبشروا لهم كم خوّلوا من كرامة

فعالجن أشجاناً يُكاثرن عالجاً
نواييج في تلك الشّعاب نواعجاً
يطرنها إلا في الأراك سجاجاً
ونّت حُدها يُرجعن الحزين أهزاجاً
هوادى يملأن الغلاة هوداجاً
رسوماً على تلك الرسوم عوّالجا
يرجون من أهل الصّفا المناجها
أراهم قبائلاً للعلى ومعارجا
وأذروا دموعاً بل قلوباً مناضجا
إلى الرُّكن من كل النّجاج أدارجا
حقوقاً تُقَفّي للنفوس حواججا
أساور في إيمانها وجهالجا
كرّموا قصداً وحلّوا مناسجا
فأصبح كلُّ ما برز القدح فالجا
فكانت لما قدّموه نتائجا

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وعزمتها) والأول أنسب للسياق .

بفتح باب للقبول والرضا
 تميز أهل السبق لا كن غيرهم
 أيلحق جلس للبيوت مداهم
 ألا ليت شمرى للضرورة هل أرى
 له الله من ذى كربة ليس يُرتجى
 قد أسمع شقى المسالك دونه
 يخوض بحار الذنب ليس يهابها
 جبان إذاعن الهدى وإذا الهوى
 يتيه ضلالا فى غيابة همه
 فواحربا لاح الصباح لمبصر
 لعل شفيعي أن يكون معاجلا
 فينشقني بيت الإله نواخا
 فالى إيماني سوى حب أحمد
 عليه سلام الله من ذى صباية
 ولو أنصفت أجفانه حق وجده

ووفدُهم أضحى على الباب والجا
 غدا همجا بين الخليقة هاججا
 ولم يلعب فى تلك المدارج دارجا
 إلى الله والبيت المحجب خارجا
 لمرتبها يوما سوى الله فارجا
 فلا نهج يلتقى فيه الله ناهجا
 ويضعق دُعرا إن يرى البحر هاججا
 يعم له كان الجرى المهارجا
 فلا حجر تهديه لرشد ولا حجا
 وقلبي لم يبصر سوى الليل إذ سجا
 لداء ذنوب بالشفاء معاجلا
 ويعبق لى قبر النبي نواخا
 وصلت له من قرب قاي وشايجا
 حليف شجا يكفى من البعد ناشجا
 سفكت دما للدموع موازجا^(١)

كتابته

وكتابته شهيرة ، تُضرب بذكره فيها الأمثال ، وتطوى عليه الخناصر .
 قالوا ، لما عظم^(٢) أمير المسلمين : أبو عبد الله محمد بن يوسف [بن هود]^(٣)
 البسمة لابنه الوائق بالإمامة من بعده ، تولى إنشائها . وجعل الحاء المهملة

(١) وردت هذه القصيدة فى الإسكوريال فقط ؛ ولم ترد فى المخطوطين «ح» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (جعل) .

(٣) الزيادة من الاسكوريال .

سَجَّعَهَا مُرْدَفًا إِيَّاهَا بِالْأَلْفِ ، نَحْوُ صَبَاحًا وَصَلَاحًا^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . طَالَ
مَجْمُوعُهَا فَنَاهَزَتْ الْأَرْبَعِينَ . وَطَابَ مَسَمْعُهَا^(٢) ، فَأَحْرَزَتْ بَغْيَةَ الْمُسْتَعْمَلِينَ :
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَمِيرَةَ ، رِسَالَتَهُ الشَّهِيرَةَ ، يَدَاعِبُهُ فِي ذَلِكَ . وَهِيَ
الَّتِي أَوَّلُهَا :

« تَحْيِيكَ الْأَقْلَامَ تَحْيِيَّةَ كَيْسَرِي ، وَتَقِفُ دُونَ مَدَاكِ حَسَرِي » . وَمِنْهَا
فِي الْغَرَضِ : « وَمَالِكَ أَمِنْتَ تَغْيِيرَ الْحَالَاتِ^(٣) ، فَشَدَنْتَ غَارَتِكَ عَلَى الْحَامَاتِ ،
وَنَفَضْتَ عَنْهَا الْمَهَارِقَ ، وَبَعَثْتَ فِي طَلِبِهَا السَّوَابِقَ ، وَلَفَظْتَهَا مِنَ الْأَفْوَاهِ ، وَطَلَبْتَهَا
بَيْنَ الشَّمَاهِ ، حَتَّى شَهِدَ أَهْلُ اللِّسَانِ^(٤) ، بِتَرْحُزِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَتَوَارَتْ
بِالْحُلُوقِ . وَلَوْ تَغْلَغَلْتَ إِلَى الْعُرُوقِ ، لَأَثَرْتَهَا جِيَادُكَ ، وَاقْتَنَصَهَا قَلَمُكَ وَمِدَادُكَ »
[وَهِيَ طَوِيلَةٌ]^(٥)

فَرَاغَهُ^(٦) بِقَوْلِهِ : « مَا هَذِهِ التَّحْيِيَّةُ الْكَيْسَرَوِيَّةُ ، وَمَا هَذَا الرَّأْيُ ، وَمَا هَذِهِ
الرُّوْيَةُ ، [أَتُنَكِّيتُ مِنَ الْأَقْلَامِ ، أَمْ تَبْسُكِيْتُ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَمْ كَلَا الْأَمْرَيْنِ
تُوجِّهُ الْقَصْدَ إِلَيْهِ]^(٧) وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْأَفْعَادُ بِالْقَلَمِ ،
يَتَسَامَى عَنْ عَكْسِهِ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ بِنَفْسِهِ ، فَتَى لَأَنْتَ أَنْيَابِيهِ لِلْعَاجِمِ ،
وَدَانَتْ أَعَارِبُهُ^(٨) بِدِينِ الْأَعَاجِمِ . وَاعْجَبَا لَقَدْ اسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ ، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ

(١) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَفَلَاحًا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (مَسْوَعَهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْحَارَاتِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطِينَ (الشَّانِ) .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَالِ .

(٦) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (فَأَجَابَهُ) .

(٧) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارْدٌ فِي «ج» وَالْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقَطَ فِي «الزِّيْتُونَةِ» .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي «ج» . وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (إِعْرَابُهُ) .

والعمل . لأمر ما جَدَعَ أَنْفَهُ قَصِيرٌ ، وارتد على عقبه الأعمى ^(١) أبو بصير . أمْسُ
 اسْتَسْقَى من سحابه ، فَلَا يُسْقِيَنِي ، واسْتَشْفَى بِأَسْمَاهِ فَلَا يُشْفِيَنِي . واليوم يُحِلُّنِي
 محلُّ أَنُو شروان ، ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان ، ويزعم أني
 أَبْطَلْتُ سحره ، كما أَبْطَلُ سِحْرُ بردوران ، ويخفي في نفسه ما الله مُبْدِيه ،
 ويستجدي بالأثر ^(٢) ما عند مُسْتَجْدِيه . فمن أين جاءت هذه الطريقة المُتَّبِعَة ،
 والطريقة المُبْتَدَعَة ، أَيْظَنُ أَنَّ مَعْمَاهُ لَا يَفُكُّ ، وأنه لَا يَتَجَلَّى هَذَا الشَّكُّ . هل
 هَذَا ^(٣) مِنْهُ إِلَّا إِحْضَاضُ النِّيَّةِ ، وَإِحْضَاضُ تَقْنِيَّةِ ، وَنَشْوَءٌ مِنْ خُمْرَةِ الْهَزْلِ ، وَنَخْوَةٌ
 مِنْ ذِي وَلَايَةِ آمِنِ الْعَزْلِ . تَاللَّهِ لَوْلَا مَحَلُّهُ مِنَ الْقَسَمِ ، وَفَضْلُهُ فِي تَعْلِيمِ النَّسَمِ ،
 لَأَسْمَعْتَهُ مَا يَنْقَطِعُ بِهِ صَلْفُهُ ، وَأُودِعْتَهُ مَا يَنْصَدِعُ بِهِ صَدْفُهُ ، وَأَشْدَّتْ بِشَرَفِ
 الْمَشْرِقِ وَمَجْدِهِ ، وَأَشْرَتْ إِلَى تَعَالِيهِ عَنِ اللَّعِبِ بِجَدِّهِ . وَلَكِنْ هُوَ الْقَلَمُ الْأَوَّلُ ،
 فَقَوْلُهُ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ يَتَأَوَّلُ ^(٤) ، وَمَعْدُودٌ فِي تَهْذِيبِهِ ، كُلُّ مَا لِسَانُهُ يَهْدِي بِهِ .
 وَمَا أَنْسَانِيهِ ^(٥) إِلَّا الشَّيْطَانُ أَيْادِيهِ أَنْ أَذْكَرَهَا ^(٦) ، وَأَمَّا أَقُولُ لَيْتَ التَّحِيَّةِ
 كَانَتْ لِي فَأَشْكُرَهَا ، وَلَا عَتَبَ إِلَّا عَلَى الْحَاءِ ، الْمُبْرِجَةِ بِالْبَرْحَاءِ ، فَهِيَ الَّتِي
 قِيِّمَتْ قِيَامَتِي فِي الْأَنْدِيَّةِ ، وَقَامَتْ عَلَى قِيَامِ الْمُعْتَدِيَّةِ ، يَتَظَلَّمُ وَهُوَ عَيْنُ الظَّالِمِ ،
 وَيُلْبِنُ الْقَوْلَ ، وَتَحْتَهُ سُمُّ الْأَرَاقِمِ ، وَلَعَمْرُ الْبِرَاعَةِ وَمَا لَصَعَتْ ، وَالْبِرَاعَةُ وَمَا
 صَنَعَتْ ، مَا خَاخِرَنِي هَوَاهَا ، وَلَا كَلَفَتْ بَهَا دُونُ سَوَاهَا . وَلَقَدْ عَرَّضَتْ نَفْسَهَا
 عَلَى مَرَادَا ، فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا أَزْوَارًا ، وَدَفَعَتْهَا عَنِّي بِكُلِّ وَجْهِ ، تَارَةً بِلُطْفٍ ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وسانعة في المخطوطين .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بالأسد) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذلك) .

(٤) وردت في المخطوطين (يتأمل) والتصويب من الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنساني) .

(٦) وردت في المخطوطين (أذكره) والتصويب من الإسكوريال .

وأخرى بنجته، وخفتُ منها السامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبي جهنم وسوء سلكته، وابن أبي سفيان وصعلكته، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة، وأسمع من سجاح في استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عثرتها، واستنقال الاجتماع من عثرتها^(١). وأرى من الغبن والسفاه^(٢) [أخذها، وترك بنات الأفواه والشفاه]^(٣) إذ هي أيسر مؤنة: وأكثر معونة. فغلطي فيها، أن كانت بمنزل تتوارى صَوْنًا عن الشمس، ومن نِسوة خَفَرَات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للكف، والعنان للوكف، والمعنى للإسم، والمعنى للرسم، والظل للشخص، والمستبدل للنص. فما عرفت منها إلا خبرا^(٤) أرضاه [حتى حسبتها]^(٥) من الحافظات للغيب بما حفظ الله، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشزت فذشرت ما استسكنتها بعلمها، واضطربت [في رأيها]^(٦) اضطراب المختار أبي عبيد، وضربت في الأرض تسعى على بكل مكر وكيد، وزعمت أن حرف الجيم خدعها، والآن أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور، فقد جاءت إفكاً وزورا، وكثرت من أمرها شزورا، وكانت كالثورس أرنت وقد أصمّت القنيص والمرادة، قالت ما جزاء، وهي التي قدت القميص، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب

(١) هكذا ورد ترتيب هاتين الكلمتين في المخطوطين. وفي الإسكوريال (عشرتها ... عثرتها).

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (والسافة). وفي الإسكوريال (السفه) والأولى أكثر تمشياً مع السياق.

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال. وساقط في المخطوطين.

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال (خيبر). والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (وحسبتها).

(٦) هذه العبارة وردة في المخطوطين. وساقطة في الإسكوريال.

ترجيم ، ويقال [لقد خُفِضَت الحاء . بالمجاورة لهذا الأمر الجسم]^(١) ، وتنتصر لها أختها^(٢) التي خيَّمت بين النرجسة والرَّيحانة ، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم [نبيُّ على الله سبحانه]^(٣) ، فإن امتعَّضت لهذه المنظَّمة ، تلك التي سبقت بكلماتها بشاردة المتكلمة ، فأنا ألوذ بعلمها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها ، وتعمل بمقتضى : فابغثوا حَكماً من أهله ، وحكماً من أهلها . على أن هذه التي قد أبدت مِثْلَهَا ، ونَسِيت الفضل بيني وبينها ، أن قال الحكماء أنها كان النشور ، عادت حرورية المعجوز ، وقالت التحكم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك يُخصِّص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ، من دعوة سعيدة حين الدعوى ، ويأويها أن أرادت [أن تجنى على فجنت لي ، وأناخت]^(٤) لي مرَّ كَب^(٥) السعادة ، وما ابتغيت إلا ختلي ، فأتى شرها بالخير ، وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بما يشيرُه اعوجاجُها ، ويتجلى عنه عجاجُها . فقد أفادت عظيم الفوائد ، ونظيم الفرايد ، ونفس الفخر ، ونفيس الذخر^(٦) ، وهي لا تنكر^(٧) أن كانت من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب . وإنما يستوجب الشكر جسيماً ، والثناء الذي يتزوع نسيماً ، الذي شرف إذ أهدى أشرف السحائم^(٨) ، وعرف بما كان من انتحاء تلك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في «الزيتونة» (لقد حفظت الحوار بالحوار) . وفي الإسكوريال (لقد خففت بالحوار هذا الجيم) .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . و«نظمت» في «ج» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (موكب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و «الزيتونة» . وفي «ج» (الدر) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (تشكر) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (السجلات) .

الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن لم بالفكاهة ، فما أُملي من البداهة ،
وسُمي باسم السابق الشكيت ، وكان من أمر مداعبته كَيْت وكَيْت ،
[وتلاعب بالصفات] ^(١) ، تلاعب السَّيل ^(٢) بالصفة ، والصَّبا بالبانة ، والصَّبا
بالعاشق ذى اللبانة ، فقد أغرَب بفنونه ، وأغرى القلوب ^(٣) بفُتُونه ،
ونفث بِجَفْنِه ^(٤) الأطراف ، وعَبَث من الكلام المُشَقَّق الأطراف ، وعلم
كيف يُلَخِّص البيان ، ويُخَلِّص العقيان . فمن الحق أن أشكره على أياديهِ
البيض ، وأن آخذ لفظه من معناه في طَرَف النقيض . تالله أيها الإمام الأكبر ،
والغمام المُسْتَمَطَر ، والخبر الذى يُشْفى سايله ، والبحر الذى لا يُرى ساحله ،
ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حَصَلَ النور لهذا الحلك ، وصحَّ أن
يُقاس ، بين الحداد والملك . إنه لتواضع الأعرزة : [وما يكون للأكلوم عند
المكلام من العِزَّة] ^(٥) ^(٦) ، وتحريض الشيخ للتلميذ ؛ في إجازة الوضوء
بالتَّيْد . ولو حضر الذى قُضى له بجانب الغربى أمرُ البلاغة ، وارتضى
ماله في هذه الصناعة ، من حُسْن السَّبِك لخليتها والصِّيَاغة ، وأطاعته فيما أطلعت
طاعة القوافى الحسان ، وأتبعته فيما جمعت لَكِن بغير إحسان لأذعن كما أذعنت ،
وظعن عن محل دعوى ^(٧) الإجادة ، كما ظعننت . وأنى يُضاهى الفُرات المَعِين ^(٨)
بالنُّعْبَة ، ويُباهى بالفُلس من أوتى من السكَنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعُصبة ، وأى

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وتلاعبت الصفات) .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القلب) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بغفيه) .

(٥) وردت في الإسكوريال «ج» (الهزة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . «الزيتونة» . وفي «ج» (وما يكون عند

الكرام من الهزة)

(٧) واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٨) واردة في الإسكوريال . وساقطة في «ج» .

حفظاً للكلالة في النّشب ، وقد اتصل للورثة عمود النّسب . هيهات والله بُعد^(١)
المطلب : وشتان الدّر والخشب ، وقد سيم القلب ، ورجع إلى قيادة السلب ،
وإن كنا ممن تقدم لشدة الظمأ إلى المنهل ، وكن أقدم إلى عين تبوك بعد النهى
للعل والنهل^(٢) . فقد ظهرت بذلك المعجزة عياناً ، وملئ ما هناك جناناً ، وما
تعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشراب ساقى القوم ، وإن
أسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن أغرقنا فهو لنا في الحجاز ، فلم
قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا
من الفقر في فقر^(٣) وذلة . ومن لنا بواحدة يُشرق ضياؤها ، ويخفى للنجوم خجلها
منها وحيائها ، إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كليلة الوصل .
فلوسطع^(٤) نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت
النيران ليوسف ذلك الجمال ، ووجدت نفحات رباها في أعطاف الجنوب والشمال ،
وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجاج يوم النفر ، وسار خبرها^(٥) وسرى ، فصار
حديث المقيمين والسفر . وما أظن تلك السّخرة في تدليها ، إلا السّخرة بتجسيها ،
إذ كانت ربيبتها ، بل ربيتها ، هذه التي سبقتنى لما سبقتنى بسينها ، ووجدت
ريحها ، لما فصلت من مصرها غيرها . وحين وصلت ، لم يداني على سابقها^(٦)
إلا عبيرها ، وكما امت أن تستتر عني بليل خبرها في هذه المعاني . فأغرائي
بهاؤها^(٧) ، وكل مغرم مغري ببياض صبح الألفاظ والمعاني . وهل كان ينفعها

(١) واردة في «الزيتونة» . وساقطة في الإسكوريال و«ج» .

(٢) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (قطع) والأولى أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (حديثها) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (سارها) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (ها) . وساقطة في «الزيتونة» .

تلفحها بمرطها وتلفعها ، إذ نادتها المودة ، فقد عرفناك يا سودة . فأقبلت على شمسٍ نشرها ، وعرفها ولثم سطرها وحرّفها ، وقرّيتها^(١) الثناء الحافل ، وقرأتها فزُيّنت بها المحاضر والمحافل . ورُمتُ أمر الجواب ، فغرّثني في الخطاب ، لكن رسمتُ هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزى واشية ، وإليكم مني على استحياء ماشية ، وإن رقت وجهها فما رقت لها حاشية ، فمنوا بقبولها على علائها^(٢) ، وانقعوا بماء سماحتكم حرّ غلّيلها ، فإنها وافدة من استقرّ قلبه عندكم وثوى ، وأقرّ بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يُلقى للمساكين من النوى . بقيتم ، سيدي الأعلى للفضل والإغضاء ، ودمتم غرة في جبين السمحة البيضاء ، واقتضيت السعادة المتصلة مدّة الاقتضاء ، يمين الله سبحانه . انتهى .

ومحاسنه عديدة ، وآماده بعيدة .

دخوله غرناطة

دخلها مع المتوكل مخدومه ، أو وجده بها .

من روى عنه : روى عن أبي الحسن سهل بن مالك .

وفاته

قال الأستاذ في الصلة : انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عشر [الحسين]^(٣)

وسمائه .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وزودتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (علاها) .

(٣) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي^(١)

من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله . من وجوه بلده وأعيانه ، نشأ نبيه البيت ،
ساحباً بنفسه وبماله ذيل الخطوة ، متحلياً بنخصل من خط وأدب . وزيراً ، متجنذاً ،
ظريفاً ، درباً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل . ثم انحط في هواه انحطاطاً ،
أضاع مروءته ، واستهلك عقاره ، وهدّ بيته ، وأجأه أخيراً إلى اللحاق بالعدوة
فهلك بها .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : مجموع شعر وخط ، وذكاء عن درجة
الظرفاء ، غير منحط إلى مجادة أثيلة البيت ، شهيرة الحى والميت . نشأ في حجر
الترف والنعمة ، محفوقاً بالمالية الجمّة ، فلما غفل عن ذاته ، وترعرع بين لذاته ،
أجرى خيول لذاته ، فلم يدع منها ربماً إلا أفقره ، ولا عقاراً إلا عقّره ، حتى حطّ
بساحلها ، واستولى بسيف^(٢) الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنه خلّص بنفس
طيّبة ، وسراوة سماؤها صنيّة ، وتمتع ما شاء من زير وبم ، وتأنّس لا يعطى
القياد لهم . وفي عفو الله سعة ، وليس مع التوكل على الله ضعة .

شعره

من شعره [قوله]^(٣) يمدح السلطان ، وأنشدها إياه بالمضارب من وادى
الغيران عند قدومه من المرية

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ، ولا «الزيتونة» . ويبدو
من لقب هذا الشاعر وهو شلبطور - وبالإسبانية Salvador - أنه ينتمى إلى أصل من المولدين ،
أعنى الإسبان الذين دخلوا في الإسلام ، منذ فتح الأندلس . وينتمى إلى هؤلاء المولدين كثر من أعلام
الأدب والتفكير الأندلسي .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي نصح الطيب (بسنه) .

(٣) الزيادة من النصح .

أُفْرِكْ أَمْ سَمَطٌ مِنَ الدَّرِّ يُنْظَمُ
وَوَجْهُكَ أَمْ بَادٍ مِنَ الصُّبْحِ نَيْرٍ
[أَعْلَلُ مِنْكَ النَّفْسَ وَالْوَجْدُ مُتَلَفٍ] (١)
وَأَفْنَعُ مِنْ طَائِفِ الْخِيَالِ يَزُورُنِي (٢)
كَحَلَّتْهُمُ الْهَوَى حِينًا فَلَمَّا عَلِمَتْهُ
وَلِي فِي أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّةٌ
بَلَغَتْ الْمُنَى لَمَّا لَكُمْتُ يَمِينَهُ
يَصُوغُ قَوْمِي الشُّعْرَ فِي طَيْبِ ذِكْرِهِ
فَاسْتَمْسَكَ الدِّينَ الْخَنيفَ زَمَانَهُ
لَهُ نَظَرٌ فِي الْمَشْكَالَاتِ مُؤَيِّدٌ
وَيَسْتَفْرِقُ طَارِحًا فِيهِ وَابِلَ جُودِهِ
فَلَوْ أَنَّ أَمْلَاكَ الْبَسِيطَةَ أَنْصَفُوا
وَفِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَفِي الْبَأْسِ وَالنَّدَى
وَمِنْهَا:

إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ اقْتَضَيْتُهَا
تَمُّ بَعْرِفِ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا
فَبِأَسْمِكَ سِيرْتُ فِي الْمَسَامِعِ ذِكْرُهَا
وَلَوْ أَنَّ فِي الْمَدْحِ سَحَابَانِ وَائِلِ
لَمَّا كُنْتُ إِلَّا عَنْ عُلاكَ مُقَصِّرٌ
حَمَائِلِ شُكْرِ طَيْرُهَا مُتَرْتِمٌ
إِذَا يَفُوه لِرَاوٍ فِي النَّدَى بِهَا فَمُ
وَيَغْزَى فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَيُشْمُ
وَأَتَجِدُنِي فِيهِ حَبِيبٌ وَمُسْلِمٌ
وَمِنْ بَعْضِ مَا نَشَدْتُ وَتَوَلَّى وَتَنَمُّ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأتي (اعلل منك الوجد والليل ملتق) .

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال . وفي النسخ (مؤلم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بضرورة) .

بِهِيتَ مَلَاذًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً
وَمِنْ شَعْرِهِ مَذِيلًا عَلَى الْبَيْتِ الْآخِرِ حَسْبَ نُسْبِ إِلَيْهِ :

نَامَتْ جَفَوْنُكَ يَا سُوْلَى وَلَمْ أَنْمِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ
إِنْ كَانَ مَتْنُكَ دُمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ
وَمَا نُسْبِ إِلَيْهِ كَذَلِكَ :

قِفْ بِي وَنَادِ بَيْنَ تِلْكَ الطُّلُولِ
أَيْنَ لِيَا لَيْنَا بِهِمْ وَالْمُنَى
لَا تَحْمَلُوا بَعْضَ الَّذِي حَمَلُوا
إِنْ غِثْتُمْ يَا أَهْلَ تَجْدٍ فَنِي
وَمَا خَاطَبَنِي بِهِ :

تَاللَّهِ مَا أَوْزَى زِنَادَ الْقَلْقِ
أَيَقَنْتَ بِالْحَيْنِ فَلَوْلَا نَفْحَةُ
لَكُنْتُ أَقْصَى بِنَلْظِي زَفْرَةٍ
فَأَهْ مِنْ هَوْلِ النَّوَى وَمَا جَنَى
يَا حَاكِيَ الْغُصْنِ انْتَنَى مُتَوَجًّا
اللَّهُ فِي نَفْسٍ مُعْنَى أَقْصَدَتْ
سَوَى رِيحٍ^(١) لَاحَ لِي بِالْأَبْرِقِ
تَجْدِيَّةً مِنْكُمْ تَلَاَفَتْ رَمَقٌ^(٢)
وَحَسْرَةً بَيْنَ الدَّمُوعِ تَلْتَقُ^(٣)
عَلَى الْقُلُوبِ مَوْقِفَ التَّفَرُّقِ
بِالْبَدْرِ تَحْتَ لَمَّةٍ مِنْ غَسَقِ
مَنْ لَاعَجَ الشُّوقُ بِمَا لَمْ تُطَقِ^(٤)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (والسقم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رمق ، نلتق) .

أتى على أكثرها بَرَحُ الأسي
 ولو بالسام خيال في السكرى
 فَرُبَّ زورٍ من خيالٍ زائرٍ
 شُفيت من بَرَحِ الأسي لو أن مَنْ
 ففي مُعَايَاةِ الليالي عائقٍ
 وفي ضمان ما يعانى المرء من
 هذا العَمْرَى مع أتى لم أبت
 فقد أخذت من خُطوب غَدَرها^(٢)
 فخر الزاوة الذى ما مثله
 ومنذ أرائيه زمانو لم أبل
 لاسيا مذ حَطَطْتُ في حِما
 أيقنت أتى في رجائي^(٣) لم أخب
 نُدب له في كل حُسْن آية
 في وجهه مَسْحَة بِشْرِ إن بدت
 تُعتبر الأبصار في لآلئها^(٤)
 كالدهر في استينائه وبطشه
 إن بخل الغيث استهلَّت يده
 وإن وشت صفحة طُرس انجلا
 دَع ما مضى منها وأدرك ما بق^(١)
 إن ساعد الجفن رقيب الأرق
 أقر عيني وإن لم يَصْدُق
 أصبح رقي في يديه مُعْتَق^(١)
 عن النَّصَابِي وفنون القَلَق
 نوايب الدهر مشيب المَفَرَق
 منها بشكوى رَوْعة أو فَرَق
 بابن الخطيب إلا من ممَّا اتَّق^(١)
 بدر عَلا في مغرب أو مشرق
 من صَرَفه من مُرْعَد أو مُبَرَق
 جواره^(٣) الأَمْنَع رَحْلُ أَيْتَق
 وأن مسمى بُغْيَق لم يَخْفَق
 تناسبت في اتَّخَلَق أو اتَّخَلَق
 تبهرجت أنوار شمس الأفق
 عليه من نور السَّماح المَشْرِق
 كالسيف في حُدِّ الطَّبَا والرواق
 بوابل من غيث جود غَدِق
 ليل دُجَاها عن سَنَى مُؤْتَلَق

(١) هكذا وردت كلها في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأق (بق ، معتي ، اتق ، أيتق) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . ووردت في الإسكوريال (دهرها) والأولى أنسب للمعنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (مقامه) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (رجا) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (اللام ما) .

يمثلها من حَبَرَات أُخْجِلَتْ حواشي الرُّوضِ خُدود المَهْرَقِ
 ما راق في الآذان أَشْنافُ سِوَى ملتَقِطَات لَفْظِهِ الْمُفْتَرَقِ
 تود أَجِيَادُ الْغَوَانِي أَنْ يُرَى حَلْيُهَا مِنْ دُرٍّ ذَاكَ الْمُنْطَقِ
 فَسَلِّ بِهِ هَلْ آدَهُ الْأَمْرُ الَّذِي كَحَلٍّ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ الْمَوْثِقِ
 إِذَا رَأَى الرَّأْيَ فَلَا يَخْطِئُهُ يُبَيِّنُ اخْتِيَارَ الطَّرِيقِ الْأَوْفَقِ
 أَيُّهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ هَا كَمَا عِندَ رَأْيِهِ تَحْشُو فِي وَجْهِهِ السَّبَقِ
 خَذَهَا إِلَيْكَ بِكَرٍّ فِكْرٌ يَزْدَرَى لَدَيْكَ بِالْأَعْشَى لَدَى الْخُلُقِ
 لَا زِلْتُ مَرْهُوبَ الْجَنَابِ مُرْتَجِيٍّ مَوْصُولِ عِزٍّ فِي سُعُودِ تَرْتَقِ
 مُبْلَغُ الْأَمَالِ فِيهَا تَبْنَعِي مُؤَمِّنُ الْأَغْرَاضِ فِيهَا تَتَّقِ
 نَابُ فِي الْقِيَادَةِ الْبَحْرِيَّةِ عَنْ خَالِهِ الْقَائِدِ أَبِي عَلِيٍّ الرَّثْدَاحِيِّ ، وَوُلَى أَسْطُولَ
 الْمُنْكَبِ بِرَهْمَةٍ . تُوُفِيَ بِمَرَاكَشَ فِي عَامِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمِلِ الْأَسْلَمِيِّ (١)

من أهل المُرِّيَّةِ ، يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِالْبَلْبِيَانِيِّ .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، نَابُ عَنِي فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ بِالْمُرِّيَّةِ ، وَخَطَبَ بِسُجَّاسٍ
 مِنْ غُرَيْبِهَا ، ثُمَّ خَطَبَ بِحِجَّةٍ مُرْشَانَةٍ ، وَهُوَ الْآنَ بِهَا ، وَعَقَدَ الشَّرُوطَ قَبْلَ بِالْمُرِّيَّةِ .
 عَفِيفٌ طَاهِرُ الذَّلِيلِ ، نَبِيلُ الْأَغْرَاضِ ، مَهْدَبُ الْأَخْلَاقِ ، قِيمٌ عَلَى الْقَرَاءَاتِ ،

(١) وَرَدَّتْ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ فَقَطْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَلَمْ تَرُدَّ فِي «ج» وَلَا فِي «ب» .

والنحو والأدب ، جيّد الشعر والكتابة (١) من الضبط ، وإجادة
العبارة عن المعنى المراد .

تواليفه

قال ، له رَجَزٌ في علم الكلام جيد ، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب ، عرى
عن الحشو ، على تّعير فيه يُغتفر لما جمع من اقتصاره ، وله تأليف في الوبا سماه
بإصلاح النّية في المسئلة الطاعونية .

مشيخته

قال ، أخذ عنى وعن أبيه جملة من الدواوين ، وعن غيرى من أهل بلده .

شعره

قال ، ومما أنشدنى من شعره قوله :

هَفا بى من بين المغانى عقيقها	ومن بينه انقضت لعين عقيقها
ومالت ليد قبايه وأشرقت	فى بالدمع منها شروقها
يهيج أنفاسى غراما لسيمها	وتقدح نار الشوق عندى بروقها
ومن دون واديهما ظبا خوادل	حكى لحظها ماضى الشقاد رقيقها
فلوبرزت الشمس منهن فى الضحى	مُخدّرة أضحت كمالا تفوقها
نسيم الصبا أن سّيرت نحو الحى	فقل تحي الديار النازحات تشوقها
غريب كينب مستهام مشيم	جريح الجفون الساهرات عريقها
فزل عطفة تُرجى وهل أمل يرى	بعودة أيام تقضى أنيقها
سقى وتعلم من أدمع الصب جودها	من ديم الغيث الملتات ريقها

(١) مكانها بالخطوط كلمات مشوهة ومعاة .

قال وأُشْدِنِي أَيْضاً ، وقال كَلِيفُ إِجَازَةُ هَذَا الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ،
إِذْ لَيْسَ لِي :

مَنْ عَادَى وَمَنْ نَاصَرِي وَمَنْصُفِي	هَذَا دَمْعِي مَفْكُكْتُهُ بَنَتْ الْمُنْصَفُ
أَوْ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَقَدْ أَوْهَى صَحِيحُ	الْجِسْمِ مِنْ لِحْظُ طَرَفٍ مُدْنَفُ
جَفْنُ تَحْيَرٍ وَالْهَوَى يُهْدِيهِ	لِفَزَادِ كُلِّ مَنْ الْهَوَى لَمْ يَأْلَفُ
مُتَنَاعَسُ يُهْدِي الشَّهَادَ وَيَصْرَعُ	الْبَطْلَ السَّكْمِيَّ بِلِحْظِهِ الْمُتَضَعِّفُ
تَبْدُو وَتَشْدُو لِلْعَيُونِ وَلِلْمَسَامِعِ	فَهِيَ بَيْنَ مُكْحَلٍّ وَمُشَنَّفِ
مَلَكَتْ بِصَنْعَتِهَا عَنَانَ عِنَانِهَا	وَعَدَّتْ عَلَيْهَا كَأَنَّ لَمْ تُعْرِفُ
تُغْنِي إِذَا غَنَّتْ بِطِيبِ صَوْتِهَا	عَنْ أَنْ يَزُودَ لَحْنُهَا بِالْمِعْزَفِ
أَمَا تَغَنَّتْ أَوْ تَذَنَّتْ تَهْتَفُ	قُورَى نَعَمَتِهَا وَغَضُّ الْمِعْطَفِ
يَأْتِي عَلَى تَكَرُّرِ مَا عَنَّتْ بِهِ صَدَقًا	بِكُلِّ غَرِيبٍ أَوْ مُسْتَطَرَفِ
تُهْدِي لِلنَّفُوسِ عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعِهَا	مَنْ نُبِّلَهَا مَا تَشْتَهِي بِتَلَافِ
كُنَّا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عَنَا نَاعِسُ	خَلْفَ سِتْرِ الْأَمَانِ مُسَجَّفِ
حَتَّى وَشَى بِالسَّرِّ دَهْرُ حَاسِدِ	كَلِيفُ بُتْنَفِيصِ الْكَرِيمِ الْأَشْرَفِ
وَإِخْجَلْنَا إِنْ لَمْ أُمْتُ يَوْمَ النَّوَى	لَهْفًا وَمَا إِنْ كُنْتُ بَعْدُ بِمَنْصَفِ
لَسَكُنِي مِمَّا نَحَلْتُ وَذُبْتُ لَمْ	يَرْنِي الْحِمَامُ فَكُنْتُ عَنْهُ أُخْتَفِ
كَمْ ذَا أَيْتُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مُسْعِدِ	فِي حَالَتِي غَيْرِ الدَّمُوعِ الذَّرْفِ
يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانَ وَصَرَفُهُ	هَلْ يَسْمَحَانِ بِعُودَةٍ وَتَأَلَّفِ
صَبْرًا أَبَا يَعْقُوبَهُمْ فَهِيَ النَّوَى	لَوْلَا هَمَّتْ شَوْقًا لِلْقِيَا يَوْسُفِ

قال وأُشْدِنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ ، وَالْبَيْتِ الْآخِرِ لغيره :

مَالِ الْأُحْيَةِ فِي أَحْكَامِهِمْ جَارُوا نَاوَا جَمِيعًا فَلَا خِلَّ وَلَا جَارَ

كيف البقا وقد بانث قبايهم
 حُداة تمسهم بالقلب قد رحلوا
 جار الزمان علينا في فراقهم
 ساروا فخيئت الأشواق بعدهم
 تراك ياربهم ترجو رجوعهم
 ودعت منهم شمساً ما مطالعها
 أستودع الله من فاز الفراق بهم
 قلت ، ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة ، والله يقبض ويبسط ،
 وشافِعنا عرضُ الإكثار .

توفي في آخر أربعة وستين وسبع مائة .

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه .

حاله

دُمْتُ ، متخلق ، سهل الجانب ، كثير الدُّعابة ، خفيف الروح ، له خطٌ حسن
 ووراقة بديعة ، وإحكام لبعض العملية ، واقتدار على النظم . اتصل بباب السلطان
 ملك المغرب ، وأرْتسم كاتباً مع الجملة ، فارتاش ، وحسنت حاله .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر^(١) بما نصه : واقم واشي ، رقيق الجواب
 والحواشي ، تزهى بخيئه المهارق والطروس ، وتنجلي في حُلل بدايعه ، كما تنجلي

(١) هو من كتب ابن الخطيب الصغرى . وقد سبق التعريف به .

العُرُوس ، إلى خُلُق كثير التَّجَمُّل ، ونفس عظيمة التَّحُشُّل . ودود^(١) سهل الجانب ، عذب المَنَازِب . لما قُضِيَت الوقيعة بطريف^(٢) ، أقال الله عثاها ، وعَجَّل ثاها ، قذف به موج ذلك البحر ، وتفلَّت إفلات الهَدَى المقرب إلى النحر ، ورمى به إلى رُنْدَة^(٣) القرار ، وقد عرى من أثوابه ، كما عرى الغرار ، فتعرَّف للحين بأديبها المُفْلِق ، وبارقها المتألق أبي الحجاج المُنتَشَا فرى ، فراقه ببشر لقايه ، ونَهَلَ على الظمأ في سِقَاتِه ، وكانت بينهما مخاطبات ، أنشدنيها بعد إِيَابِه ، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده ، وسَلَب ثِيَابِه .

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه : ولما دخلتُ رُنْدَة الأنيقة البطاح ، المحتوية على الأدب والسَّماح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المَعْمُرَ رئيس الأدباء ، وقُدْوَةَ الفقهاء ، أبا الحجاج المُنتَشَا فرى ، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سَمَح لي بلقاية صرفُ الزمان ، ولم أزل أكَفُّ بِمَقْطُوطَاتِه العجيبة ، وأولع بضرايبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تُزْرَى بالعقود بهجة ، وتطير لها العقود لهجة . نَظَّمُ كما تنفَسُ الصَّبَح عن تَسْنِيمِه ، ونثر كما تأسس الدُّر بتنظيمِه ، فأحاطني منه محلُّ الروح من الجسد ، وشهد لي أني أعزُّ مَنْ عليه وَرَد ، ورائي قد ظهرت على مَضَاضِ الاكْتِيَاب ، لكوني قريبُ عهدٍ بالإِيَاب ، مهزوماً انهزام الأحزاب ، خالي الوطاب ، نَزَرُ النِيَاب ، فقال فيم الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأَمِنَ الفزع ، فأجبتُه عَجَلًا ، وقلت أخاطبه مرتبجلاً .

(١) وردت في المخطوط (وود) وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) سبق أن عرفنا بموقعة طريف ، وهي التي نشبت بين المسلمين والنصارى على ضفاف نهر سالادو على مقربة من طريف في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وهُزِمَ فيها المسلمون هزيمة فادحة (راجع ص ١٨٠) .

(٣) هي من قواعد الأندلس الخالدة ، وتقع في شمال المثلث الإسباني ، غربي مالقة ، وجنوبي نهر وادي لكه . وقد سقطت في أيدي النصارى في سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) .

لا تُجزعِ نفسى لفقْد معاشرى
ورُندةِها أنتِ خير بلادِ
سيرُيك حُسن فرايد من نظمه
فأجابنى مرتجلاً :

سُراى ياقلبي المشوق وناظرى
روضُ المعارف زهرها الزاهى
ولوادر آسٍ فخار لم يزل
وافى يُشرف رُندة بقدمه
من روضة الأدياء أبدى زهرة
جمع المآثر بالسَّنة والسَّنة
مازلت أسمع من ثناء مآثرآ
حتى رأى بصرى حقائق وصفه
لا زال محبواً بكل سريرة
ثم خاطبه القاضى المنتشافى بعد انصرافه إلى وطنه بقوله :

أبى الدمع بعدك إلا انفجاروا
أذاق اللقاء الحلو ولم يصل به
رعى الله لَمَح ذاك اللقاء وإن
قصاراى شكواى طول النوى
سَقَتْ القِداح من بعده
ألا يا صَباً هُبْ من أَرْبَعى
ألا خُصَّ من رُبْعها منزلاً
لدهر ييمدك فى الحُكم جارا
للنوى جَرعاتٍ مُرا را
بكُ أشواقنا قد أثاراً
وفقدى أناة وصل قِصاراً
فوادى القريح قد أذكت أوارا
إلى واد آسٍ تُحى الديارا
بأربابه الأكرمين استنارا

وهم إلى حزبِ إلاته الألى
فأجابه بأبيات منها :

تألّق برقُ العُلا واستنارا
وذكرني وقت أنسٍ مضاً برُندة
وكانت لنفسى سنّاً في حماها
فأجريت دمع العيون اشتياقاً
وقالت لى النفس من لم يجد
قطعتُ المنا عندها لمحّة
وضيّعت تلك المنا غفلة
ومنها :

أرقتُ لذلك السّنا ليلة
وجسّى أجلُّ الجسوم التهاباً
إلى أن تجمّعت كأس النوى
وصبّرتُ نفسى لفقدانها
وقال من قصيدة :

حلتُ لبرق لاح من سرّحتى نجد
وقلت لعل القلب تبرأ كلومه
إن شاركستني في المحبة فرقة
وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة .

تساموا كخاراً وطابوا نجاراً
فأجّج إذ لاح في القلب ناراً
حيث الجلال استشارا
طوالاً فأصبحت لديها قصاراً
ففاضت لأجل فراقى بحاراً
نصيراً سوى الدّمع قلّ انصاراً
وودّعته وامتطيت القفاراً
ووافيت أبغى نابس دياراً

وما نومها ذقتُ إلا غراراً
وقلبي أشدُّ القلوب انكساراً
وقلت زمانى على الشّمل جارا
هنالك بالرّغم ليس اختياراً

حين تيهامى تحنُّ إلى نجد
ومن ذا يصدّ النار عن شيمة الوقد
فها أنا فى وجدى وفى كفى وجد

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (١)
من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عيسى

حاله

كان أديباً ، حسن الخط ، جيد النظم ، متظرفاً ، لودعياً ، مطبوعاً ، منقطعاً
في هواه ، جاحماً في ميدان بطلته ، معاقراً للنبيذ ، على حفظ للرسم ، واضطلاع
بالخدمة ، وإيثار للمروءة ، ومعرفة بمقادير الأمور ، وتشبث بأذيال الخطوة .
كتب للرياسة السعيدية بمالقة ، ونظر على ألقاب جبايتها ، وانتفع الناس بجباهه
وماله ، ووقع الثناء على حسن ومباطنته . ثم سافر عنها ، وقد سميت بجادة
السلطان في غرض انتقالها إلى المدونة ، معوضة بمدينة سلا من مالقة . وكان
ما كان من معالجة الأمر ، والقبض على الرئيس ، وقيام ولده بالأمر ، فأنبئت المذكور
بالمدونة ، وكانت بها وفاته .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه : [عَلمٌ]^(٢) من أعلام هذا الفن ،
ومشمسي راح هذا الدن ، بمجموع أدوات ، وفارس يرّاعة ، ظريف المنزع ،
أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة ، وأدار فلك إمالاتها ، واتسم باسم
كتابتها ووزارتها ، ناهضاً بالأعباء ، راقياً^(٣) في درج التتريب والاجتباء ،
مُصانماً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخضيب ساحة ، كلما فرغ
من شأن خدمته ، وانصرف عن ربّ نعمته ، عقد شرباً^(٤) ، وأطلقاً من الاهتمام

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) الزريدة من نفح الطيب .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح صاعداً .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (تراباً) والأول أنسب للمعنى والسياق .

بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعيده ، وظرف يديه ويبيده . فلما تقلبت
بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرجال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريياً ،
ويلحظ الدنيا تبعه عليه وتثريباً ، وإن كان لم يعدم من أمرايها حظوة وتقريباً ،
وما برح ييوج بشجنة ، ويرتاح إلى عهد وطنه .

شعره وكتابه

مما كتبه ، وبين فيه أدبه قوله :

يا نازحين ولم أفارق منهم شوقاً تأجج في الضلوع ضرامه
غيبتم عن ناظري وشخصكم حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شلى فشتت نظمه^(١) والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فينا وجد مبالغا وجرت بحكم جوده أحكامه
أثرى الزمان مؤخرأ في مدني حتى أراه قد انقضت أيامه

تحميلها يا نسيم نجدية النفحات ، وجدية اللفحات ، يؤدي غنى نغمها^(٢) إلى
الأحبة سلاماً ، ويورد عليهم لفتحها برداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملني ناراً ،
وترسل على الأحبة مني إعصاراً . كلا إذا أهديتهم تحية إيناسي ، وأنسوا من
من جانب هبوبك^(٣) نار ضرام أنفاسي ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في
كف مسرى جنوبك ، وتعللوا بها^(٤) تعليلاً ، وأوسعوا آثار مهجك تقبيلاً ،
أوسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلاً . ألم تروني كيف جتكم
بما حملني عليلاً .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (شمله) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النفح .

(٣) هكذا وردت في النفح . وفي الإسكوريال (حقوقك) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح (بك) .

كذلك تركته مُلقًى بأرض له فيها التعلُّل بالرياح
إذا هبَّت إليه صبا إليها وإن جاءته من كل النواح
تساعده الحمايم حين يَبْكي فما ينفك موصول النِّياح
يخاطِبُن مَهما طِرُن شوقاً أما فيكنَّ واهيةُ الجَناس

ولولا تعلُّه بالأمانى ، وتحدُّث نفسه بزمان التَّدانى ، لكان قد قضى نَحْبَه ،
ولم آبلُغْكم إلا نَعْيَه أو نَذْبَه ، لا كنهه يتعلل من الآمال بالوعد المَطُول ،
ويَتَطارَح^(١) باقتراحاته على الزمن المجهول ، ويحدِّث نفسه ، وقد قنعت من برُوق^(٢)
الآمال بأنْخَلَب ، ووَثِّقت بمواعيد الدهر القُلَّب ؛ فينأجيهما بوحى ضميره ، وإيماء
تصويره ، كيف أجِدُّكَ يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلُّص من رِبْقَةِ الاغتراب ،
أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب . كأنَّنى بك وقد استغزك وله السرور ، فصرفت
عن مشاهدة الحضور ، وعاقنتك غشاوة الاستغبار للاستنبشار ، عن اجتلاء محيّا
ذلك النهار .

يوم يداوى زماناتى من أزمانى أزبر^(٣) تنفيس أحيانى فأحيانى
جعلتُ لله نذراً صومه أبداً أنى به وأوفى شرط إيمانى
إذا ارتفعنا وزال البُعد وانقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطانى
أعدده خير أعياد الزمان إذا أوطأنى السعد فيه تُربَّ أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى إلى التَّذكار ، واقتيادى إلى معاللات توهُمات الأفسكار ،
كأنَّ البُعد باستغراقها ، قد طُويت شُقَّتَه ، وذهبت عنى مشقَّتَه ، وكأنَّنى بالتَّخيل
بين تلك الخمايل أتَنَسَّم صباها ، وأتَنَسَّم رُبَّها ، وأجنى أزهارها ، وأجنى

(١) هكذا فى النسخ وفى الإسكوريال (يطارح) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (برق) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (أزال) .

أنوارها ، وأجول في خمايلها . وأتغنم ببسكرها وأصايلها ، وأطوف بمعلمها ،
 وأتشفق أزهار كالمها ، وأصيحج بإذن الشون إلى سنجع حمايمها ، وقد داخلتني
 الأفراح ، ونالت مني نشوة الارتياح . ودنا الشرور لتوشم^(١) ذهاب الأتراح .^(٢)
 فلما أفقت من غمرات سُكري ، ووثبت من هفوات فكري ، وجدت مرارة
 ما شابه لُبي في استغراق دهرى ، وكأني من حينئذ عالجت وقفة الفراق ، وابتدأت
 منازعة الأشواق ، وكأنا أغمضتني للنوم ، وسمح لي بتلك الفكرة الحلم :

ذَكَرَ الدِّيارُ^(٣) فهاجبه تذكارُهُ وسَرَّتْ به من حينه أفكارُهُ
 فاحتلَّ منها حيث كان حُلُولُهُ بالوهم فيها واستقرَّ قرارُهُ
 يالِقُربَ الآمالِ من هفواته لو أنه قضتَ بها ، أوطاره

فإذا جئتها أيها القادم ، والأصيل قد خلع عليها بُرداً مُورساً ، والربيع قد
 مدَّ على القنعان منها سُندساً ، اثَّخِذْها فديتك مُعرساً . واجرر ذيولك فيها
 تَبَخُّثراً ، وبثَّ فيها من طيب نَفحاتك عذبرا ، وافقتْ عليها من نوافح أنفاسك
 مُسكاً أذفرا ، واعطف بماطف بانها ، وارقص قُصْبَ ريجانها ، وصافح صفحات
 نهرها ، ونافح نَفحات زهرها . هذه كلها أمارات ، وعن أسرار مقاصدى عبارات ،
 هنالك تنتعش بها صُبابات ، تعالج صُبابات ، تتعالى بإقبالك ، وتكشف على أكنم
 أذيالك ، وتبدولك في صِفَةِ الغاني المُتهالك ، لاطفها بلطافة اعتلاك ، وترفق
 بها ترفق أمثالك ، فإذا أملت بهم إلى هواك الأشواق ، ولَوَّوا إليك الأروُس
 والأعناق ، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق . وتقليبي بين الأشام والأعراق ، فقل
 لهم عَرَضَ له^(٤) في أسفاره ، ما يعرض للبدر في سَرَّاره ، من سِرِّ السَّرار ، وطاق

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لتوهم) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الانزاج) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (يعقبو) والأول أنس للمعنى .

(٤) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (لم) .

الْحَقَّ ، وَقَدْ تَرَكْتَهُ وَهُوَ يُسَامِرُ الْفَرَقْدِينَ . وَيُسَايِرُ النَّيِّرِينَ ، وَيَنْشُدُ إِذَا رَآهُ
الْبَيْنُ :

وَقَدْ نَسَكُونَ وَمَا يُخْشَى ^(١) تَفَرُّقُنَا وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا
لَمْ يَفَارِقْ وَعَثَاءُ الْأَسْفَارِ ، وَلَا أَلْقَى مِنْ ^(٢) يَدِهِ عَصَا التَّسْيَارِ ، يَتَهَادَاهُ لِلْفَوْرِ
وَالنَّجْدِ . وَيَتَدَاوِلُهُ الْأَرْقَالُ وَالْوَحْدُ ، وَقَدْ لَفَحَتْهُ الرَّمْضَاءُ ، وَسَيَّجَهُ الْإِنْضَاءُ . فَالْجَهَاتُ
تَلْفُظُهُ ، وَالْأَكَامُ تُبْهِظُهُ ، تَحْمِلُ هَوْمَهُ الرُّوَاسِمُ ، [وَتَحْنِي بِهِ النَّوَاسِمُ] ^(٣) .
لَا يَسْتَقِرُّ بِأَرْضٍ حِينَ يَبْلُغُهَا وَلَا لَهُ غَيْرُ حَدِّو الْعَيْسِ إِيْنَاسِ
ثُمَّ إِذَا اسْتَوْفَوْا سَوَالِكَ عَنْ حَالِي ، وَتَقَلَّبِي بَيْنَ حَالِي ^(٤) حِلِّي وَتَرَحُّلِي ،
وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ مِنْهُمْ الْخَنَاجِرَ ، وَمَلَأْتَ الدَّمُوعَ الْحَاجِرَ ، وَابْتَلَّتْ ذُبُولَكَ بِمَائِهَا ،
لَا بَلَّ تَضَرَّجَتْ بِدُمَائِهَا ، فَحَيْثُ عَنِي نَحْيَةٌ مُنْفَصِلُ ، وَوَدَّعَهُمْ وَدَاعٌ مُرْتَحِلُ . ثُمَّ
اعْطَفَ عَلَيْهِمْ رِكَابَكَ ، وَمَهَّدَ لَهُمْ جَنَابَكَ ، [وَقُلْ لَهُمْ] ^(٥) إِذَا سَأَلَنِي عَنِ الْمَنَازِلِ
بَعْدَ سُكَّانِهَا ، وَالرُّبُوعَ بَعْدَ ظُلْمِ أَنْطَاعِهَا ، بِمَاذَا أُجِيبُهُ ، وَبِمَاذَا ^(٦) يَسْكُنُ
وَجِيبُهُ ، فَسَيَقُولُونَ لَكَ هِيَ الْبَلَاقِعُ الْمُقْفَرَاتُ الَّتِي أَصْبَحَتْ نَسَكِرَاتُ .
صُمٌّ صَدَاهَا وَعَقَى رَسْمُهَا وَاسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنَاطِقِ السَّائِلِ
قُلْ لَهُمْ كَيْفَ الرُّوْضِ وَآسُهُ ، وَعَمَّاذَا ^(٧) تَتَأَرَّجُ أَنْفَاسُهُ ، عَهْدِي بِهِ وَالْحَمَامُ يَرُدُّ

(١) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (ولا) والأولى أنسب السياق .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (عن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في النسخ (وتحياؤه البواسم) .
والأولى أكثر تشبيها مع المعنى والسياق .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٥) هذه الزيادة من النسخ .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ولماذا) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ورما) . والأولى أنسب للمعنى .

أَسْجَاعِهِ ، وَالذُّبَابُ يَغْنَى بِهِ هَزِجًا ، فَيَحْكُ بِذِرَاعِهِ ذِرَاعَهُ ، وَغُصُونُهُ تَعْنَقُ ، وَأَحْشَاءُ
 جَدَاوِلِهِ تَصْطَفِقُ ، وَأَسْحَارُهُ تَتَنَسَّمُ ، وَأَصَالُهُ تَغْتَبِقُ ^(١) : كَمَا كَانَتْ يَقِيَّةُ نَضْرَتِهِ ،
 وَكَمَا عَهْدَتُهَا أُنِيَّةُ خُضْرَتِهِ ، وَكَيْفَ التَّفَاتَةُ عَنْ أَرْزَقِ نَهْرِهِ ، وَتَأْنُثُهُ فِي تَسْكِيلِ
 أَكْلِيلِهِ بِيَانِ زَهْرِهِ . وَهَلْ رَقَّ نَسِيمُ آصَالِهِ ، وَصَفَتْ مَوَارِدُ جَدَاوِلِهِ ، وَكَيْفَ
 انْفِسَاحُ سَاحَاتِهِ ، وَالتَّفَافُ دَوَّحَاتِهِ ، وَهَلْ تَمْتَدُّ كَمَا كَانَتْ مَعَ الْعَرَشِيِّ فَيَمْنَانَةُ
 سَرَّحَاتِهِ . عَهْدِي بِهَا ، الْمَدِيدَةُ الظَّلَالِ ، الْمَرْعَفَةُ السَّرْبَالِ ، لَمْ تُحْدَقِ الْآنَ بِهِ
 عُيُونُ تَرْجِسِهِ ، وَلَا مُدَّةٌ بِسَاطِ سُندُسِهِ . وَأَيْنَ مِنْهُ بِجَالِسٍ لَذَاتِي ، وَمِمَاهِدُ غَدَاوَاتِي
 وَرَوْحَاتِي ، إِذَا أَبَارَى فِي الْجُحُونِ لِمَنْ أَبَارَى ، وَأَسَابِقُ إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ مَنْ يُجَارَى .
 فَسَيَقُولُونَ لَكَ ذَوْتَ أَفْنَانِهِ ، وَانْقَصَصْتَ أَغْصَانَهُ ، وَتَسَكَّدَرْتَ عُذْرَانَهُ ، وَتَغَيَّرَ
 رِيحُهُ وَرِيحَانُهُ ، وَأَقْفَرْتَ مَعَالِهِ ، وَأَخْرِسْتَ كَحَائِمِهِ ، وَاسْتَحَالَتْ بِهِ حُلُلُ خَمَائِلِهِ ،
 وَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُ بُسْكُرِهِ وَأَصَالِيهِ . فَإِنْ صَلَّصَلْ حَنِينُ رَعْدِي ، فَعَنْ قَلْبِي لِفِرَاقِهِ خَفَقُ ،
 وَإِنْ تَلَّأَلَ بَرْقِي ، فَعَنْ حَرِّ حَشَايَ ائْتَلَقُ ، وَإِنْ سَحَّتِ السُّحُبُ فَمُسَاعَدَةُ جَلْفَتِي ،
 وَإِنْ طَالَ بِكَأُوثِهَا فَعَنِّي ، حَيَاهَا اللَّهُ مَنَازِلُ لَمْ تَزَلْ بِمَنْظُومِ الشَّمْلِ أَوَاهِلُ . وَحِينَ
 انْتَثَرَتْ ثُبُوتُ أَزْهَارِهَا أَسْفًا ، وَلَمْ تُنْثِنِ الرِّيحُ مِنْ أَغْصَانِهَا مِعْطَفًا ، أَعَادَ اللَّهُ الشَّمْلَ
 فِيهَا إِلَى مُحْكَمِ نِظَامِهِ ، وَجَمَلَ الدَّهْرَ الَّذِي فَرَّقَهُ يَتَأَنَّقُ فِي أَحْكَامِهِ . وَهُوَ سَبِيحَانُهُ
 يَجْبُرُ الصَّدْعَ ، وَيُعْجِلُ الْجَمْعَ ، إِنَّهُ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ . إِلَيْهِ بَنِيَّ
 كَيْفَ حَالُ مَنْ اسْتَوْدَعَتْهُمْ أَمَانَتُكَ ، وَالزَّمَنُ لَهُمْ صَوْنُكَ وَصِيَانَتُكَ ، وَالْبَيْسُ لَهُمْ
 نَسَبُكَ ، وَمَهَّدَتْ لَهُمْ حَسَبُكَ ، اللَّهُ فِي حِفْظِهِمْ ، فَهُوَ اللَّاتِقُ بِفَعَالِكَ ، وَالْمُنَاسِبُ
 لَشَرَفِ خِلَالِكَ ، إِرْعَ لَهُمُ الْاِغْتِرَابَ لَدَيْكَ ، وَالْاِتْقَاعَ إِلَيْكَ ، فَهُمْ أَمَانَةُ اللَّهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفج (تنويع) . والاول أكثر تمشيئاً مع

[تعالى] ^(١) في يديك ، وهو سبحانه يحفظك بحفظهم : ويوالى بلحظك أسباب لحظهم ، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال ، فنعم الله ممتدة الظلال ، وخيراته ^(٢) ضافية ^(٣) السربال ، لولا الشوق الملائم ، والوجد الذي سكن الحيازم .

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة ، أثبتها وهي :

اللبق يبدو تسطير الجوانح	وللورق تشدو وتسهل السواح
وقلبي للبرق الخفوق مساعده	ووجدى للورق الشكالى مطاوح
إذا البرق أوزى في الظلام زنادى	فلما وجد في زند الصبابة قادح
وكم وقفة لي حيث مال بي الهوى	أغاد بها شكوى الجوى وأراوح
تنازعني منها للشجون فأشتكى	ويكثر بئي عندها فأسامح
أبت شجونى والحمام يصيخ لي	ويسعدني فيما تبيح التباح
وتطرب أغصان الأراك فتغنني	إلى صفحة النهر الثقيل تصافح
فتبتسم الأزهار منها تعجباً	فتهدى إليها عرفها وتنافح
كذلك حتى ماد عطف شغفي	وطرفني أبدى هزة وهو مارح
فلما التظى وجدى ترنم صاهلاً	فقلت أمثلي يشتكى الوجد نابج
صرفت عدو البید أروحو عنيانه	وقلت له شمر فإنني سابج
تهياً لقطع البید واعتسف الشرى	سيلقاك غيظان بها وممايح
فحجم لو يستطيع نطقاً لقال له	بعثلى تلقى هذه وتكافح
وحملت عزمًا تمود مثله	فقام به مستقبلاً من يناطح
ويمت يبدأ لم أصحاب الجوها	سوى جلد لا يتقى منه فاضح

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (وخيرد) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وارفة) .

وماضى الغرايين استجدت مضاه

ومندج صدق الأنايب نافذ به

وميرت فلا ألقى سوى الوحش نافرأ

تحدث نحوى أعيننا لم يلح لها

وقد زارت أسد تقحمت غيلها

وكم طاف بي للخبر من طائف بها

ويعرض لى وجهها دميأ ومنظراً

فما راعنى منه تلون حاله

فلما اكسست شمس العشى شحوبها

تسرّبت للإدلاج جنح دجنة

فخضت ظلام الليل والنجم شاخص

يرده شزراً إلى كأنما

وراقب من شكلى السماء نظيره

يخط وميض البرق لى منه أسطراً

إذا خطها ما بين عيني لم أزل

ومازلت سرأ فى حشى النبل كامناً

وهب نسيم الصبح فانمطفت له

تجاذب ذى كرى أحاديث لم أزل

وملت إلى التعريس لما انقضى الشرى

ومال الكرى بي ميلة سكنت لها

كم أخذت منه الشمول بشارها

وقربت الأحلام لى كل مكم

إذا جرّدت يوم الجلال الصفايح

عند كرى فى الحروب أفايح

وقد شرّدت فى الظلّبا السواح

سنأ لك أسنى ولا هو لايح

فقلت تماوت إنها لنوايح

فلم أصيغ سمماً نحوها وهو صايح

شنيماً له تبدو عليه القبايح

بل أيقظ عزى فانشى وهو كالح

ومالت إلى أفق الغروب تنازح

فها أنذا غرسى إلى القصد جانح

إلى باخط طرفة لى لايح

على له حقد به لا يساح

خلا لزمكلى أعزل وهو راح

على صفحة الظلماء فهى لوايح

أكلف دمي نحوها فهو طامح

إلى أن بدا من نسيم الصبح فاتح

قدود غصون قد رقتها صواح

يردّها منى بجهد ومازح

أروض له نفسى وعزى جامع

على نصب الوعشاء منى الجوارح

فبات يشقى وهو ريان طافح

فأدنته منى وهو فى الحق نازح

أرتنى وجوهاً لو بذلتُ لقربها
 لقل لها عمرى وما ملكت يدي
 وما زلتُ أشكو بيننا غصص النوى
 فمنها تغور للشُرور بواسم
 تقربها الأحلام منى ودونها
 وبجر طمت أمواجه وشآبيب
 قضيتُ حقوق الشوق في زوارة
 يقربن آملاً تباعد بينها
 فلما تولى عن النوم أعقبته
 وعدت إلى شكوى البلاء ولم أزل
 وما بلغت عنى مشافهة السكرى
 وحسبك قلب في أسار اشتياقة
 حياتى لمن بالقرب منه يساح
 وحدثت نفسى أن تجرى راجح
 وما طوّحت بي في الزمان الطوايح
 لقربه ومنها للفراق نوايح
 مهامه فيها للهجير لوافح
 وقفر به للسالكين جواح
 للكرى فإن زيادات السكرى لموانح
 وتمت فيها للنفوس الطوايح
 هموم أثارتها الشجون فوادح
 أرددها والمذر منى واضح
 تبلفها عنى الرياح اللوافح
 وقد أسلمته في يديه الجوانح

وفاته

قال شيخنا أبو بكر بن شبرين ، توفى بسجلماسة في صفر عام
 ستة عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة ، يكنى أبا بكر .

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

حاله

من كتاب الإكليل : نابغة مالقية ، وخلف بقية ، ومغربى الوطن أخلاقه
مشرقية . أزمع الرحيل إلى المشرق ، مع اخضرار العود ، وسواد المفرق ، فلما
توسّطت السفينة اللجج ، وقارعت الشبج ، مال عليها البحر ، فسقاها كأس الحمام ،
وأولدها قبل التمام ، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على نوره
سوادها ، جملة من الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحسباء ، أصبح كل منهم
مطيعاً لداعى الردى وسميعاً ، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً ، فأجروا الدموع حزناً ،
وأرسلوا العبرات عليهم مژناً . وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدّها ،
وأحال هضبة سفينتهم وهدّها ، غار على نفوسهم النفيسة واستردها . والفقير
أبو بكر ، مع إكثاره ، وانقياد نظامه ، ونثاره ، لم أظفر من أدبه إلا بالقليل التافه ،
بعد وداعه وانصرافه .

فن ذلك قوله وقد أبصر ففى عاتراً :

ومُهْهَف هافى المعاطف أحورُ فضّحت أشعة نوره الأبقار
زلّت له قدم فأصبح عاتراً بين الأنام لما لِدَاك عثارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشتُ فى ذاك المكان الخدّ والأشفا
وقال متغزلاً :

أيابنى الرّفاء تُنفى ^(١) ظباؤهم ^(٢) جُفون ظباهم والفؤاد كليم
لقد قطع الأحشاء منهم مهْهَفٌ له الثّبر خدّ والأجين أديم
يسدّد إذ يرمى قسىّ حواجب وأسبها من مقلتيه تسوم
وتُسَقَمنى عيناه وهى سقيمة ومن عجبٍ سقمّ جناه سقيم

(١) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (تمنى) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (ظباهم) .

ويندبل جسمى فى هواه صَبَابَةً وفى وَصْله للعاشقين نعيم
توفى فى حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعماية غريقاً بأحواز الغبطة
من ساحل المربة .

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسى (١)

ولد الشيخ أبى الطاهر ، من أهل مالقة .

من كتاب الإكليل : نبيلٌ فنانٌ ، متحرك ذهن ، كان أبوه رحمه الله ،
يتبرم بمجداله ، ويخشى مواقع رَشَقِ رِيباله ، ويُسِّم بأرقِّ الاعتراض فى سؤاله ،
فيُشفق من اختلال خلاله ، إذ طريقه إنما هى أذواق لا تشرح ، وأسرار لا تفضح .
وكان ممن اخترم ، وجُدَّ حبلُ أمله وصُرم ، فأقلَّ عقب أبيه ، وكان له أدب
يخوض فيه .

فمن ذلك ، وقد أبصر فى وسما على ربحانه :

يدُرُّ تجلّى على غصن من الآس يُبْرِى وَيُسْتَمُّ فهو الممرض الآس
عادى المنازل إلا القلب منزلة فماله وجميع الناس من ناس

وقال :

يا عالمًا بالسُّرِّ والجَهْرِ وما جأى فى العُسرِّ واليُسْرِ
جُدْ لى بما أَمِلْتَهُ منك يا مولاي واجبرُ بالرضا كُسْرِي
وفاته : فى عام خمسة وسبعماية .

(١) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال فقط . ولم ترد فى «ج» ولا «الزيتونة» .

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى^(١)
 من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه ، وقد مر ذكر أبيه
 في العمال .

حاله

هذا الرجل من أبناء النعم ، وذوى البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل
 به ذلك أخيراً للوثة ، لم يستفق منها لطف الله به . حسن الخط ، مطبوع الأدب ،
 سيال الطبع ، معينه . وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر ، يتمنى
 أهله وفاته ، والله ولي المعافاة ، بفضلله .

وجرى ذكره في الإكمال بما نصه : من أولى الخلال البارعة والخصال ،
 خطأ رايقا ، ونظما بمثله لايقا ، ودعابة يسترها بحجهم ، وسكوتا في طيئه إدراك
 وتمثهم . عُنى بالرواية والتقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة ثبتت
 في السرو عروقا ، وتألقت في سما المجادة بروقا ، وتصرف بين النيابة في الأحكام
 الشرعية ، وبين الشهادات العملية المرعية .

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به ، مهنثا في إعدار أولادى أسعدهم الله ، افتتح ذلك
 بأن قال .

قال ، يعتنوا عن خدمة الإعدار ، ويصل المدح والثنا على بُعد الدار ، وذلك^(٢)
 بتأخير الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعمائة :

(١) هذه الترجمة واردة فقط في الاسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) ورد في المخطوط (ولان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

لا عذر لي عن خدمة الإغدار وإن نأى وطنى وشطّ مزارى
 أو عاقى عنه الزمان وصرفه نقض الأمان عادة الأعصار
 قد كنت أرغب أن أفوت بخدمتي وأخطر حليّ عند باب الدار
 باب المسرة بالضبع وأهله متشمرّاً فيه بفضل إزار
 من شاء أن يلقي الزمان وأهله ويرى جلال الإشعاع^(١) في الأفكار
 فليأت حىّ ابن الخطيب ملبياً فيفوز بالإعظام والإكبار
 كم ضمّ من جيد كرام فضلهم يسمو ويعلو في ذوى الأقدار
 إذ حيث ناديه فقف عني وقل نلتُ المنى بتلطّف ووقار
 يا من له الشرف القديم ومن له الحسب الصميم العبد يوم فخار
 يهنئك ما قد نلت من أمل به في الفرقدين النيرين يسار
 تجلّك قطبا كل تجرّ باذخ أملان مرجوآن في الاعتبار
 عبد الإله وصنوه قر العلا فرعان من أصل زكا وبجار
 ناهيك من قرين في أفق العلا يسميهما نور من الأنوار
 زاكى الأرومة مفرق في مجده جم الفضائل طيب الأخبار
 رقت طبايعه وراق جماله فكأنما خلّقا من الأزهار
 وجلّت شمائل حسنه فكأنما خلعت عليه رقة الأسحار
 فإذا تكلم قلت ظلّ ساقط أو وقع درّ من نحوود جواد
 أوفت مسك الخبر في قرطاسه بالروض غبّ الواكف المدرار
 تتسم الأفلام بين بسانه فيريك نظم الدرّ في الأسطار
 فتخال من تلك البنان كأنما نهلت تفتح ناضر النور

(١) وردت في المخطوط (الإشعاع)، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

تلقاه فيأض الندى مُتهللاً
بحر البلاغة قسبها وأياؤها
إن ناظر العلماء فهو أمامهم
أزبى على العلماء بالصيت الذي
ماضره إن لم يجيء متقدماً
إن كان أخره الزمان لحكمة
الشمس تُحجب وهي أعظم تبر
يا ابن الخطيب خطبها لعلاكم
جاءتك من خجل على قدم الحيا
وأنت تؤدي بعض حق واجب
مدت يد التأميل نحو علاكم
فابذل لها في النقد صفحك إنها
لازلت في دعة وعز دائم

يلقاك باليدش والاستبشار
سحباتها خبر من الأخبار
شرف المعارف واحد النظر
قد كان في الآفاق كل مطار
السبق يعرف آخر المضار
ظهرت وما خفيت كضوء نهار
وترى من الآفاق إثر دوار
بكراً ترف لكم من الأفكار
قد طيبت بئنايك المقطار
عن نازح الإمكان والأفكار
فتوحشت من جودكم بنصار
شكوى التقصير في الأشعار
ومسرة تثرى مع الأعصار

ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها :

تبسم ثغر الدهر في القضب الملد
ونبه وقع الطل الحاظ نرجس
ونم سبر الروض في مسكة الدجا
وغطى ظلام الليل حمرة أفته
وياست قلوب الشهب تخفق رقة
وأهمى عليه الغيم أجنان مُشفق

فأذكي الحيا خجلة وجنة الورد
فمال الوثمان وعاد إلى الشهد
نسيم شذا الخير كالمسك والند
كما دار مسود العذار على الخد
لما حل بالمشتاق من لوعة الوجد
بذكره فاستمطر الدمع للغد

ومنها

غداة افترقنا والنوى رُندها يُمدُّ
اعلى أبثك وجدى إن تمر على نجمد
سوى الملك المنصور فى الرفق والرُّند

كأنى لم أقيف فى الحى وقفة عاشق
وناديت حادى العيس عرج
فقال أتيد يا صاح مالك ما جأ
ومما خاطبني به قوله :

وحلوني ولو بطيف خيال
لست أنفك إلا عن عقال
وفؤادى من سحر كم فى اشتغال
حبي بما قد جرّ . . . (١) ال
حلل الهجر بعد طيب الوصال
طال منه الجوى بطول الليال
ورماه من غنجه بنبال
قصده فى النوى بذاك النحال
مذ روى فى الغرام باب اشتغال
غير تاج العلا وقطب السكال
المجد بذر أفق الجلال
هو شمس الهدى فريد المعال
صفحة الطرس خلّيت بالآل
راية الصبح فى ظلال الضلال
صادق العزم ضيق المجال
جلّ فى الدهر يا أخى عن مثال
لا يلدوى ولا لنيل نوال

علموني ولو بوعد محال
واعلموا أننى أسير هواكم
فدموعى من بينكم فى انسكاب
يا أهيل الحى كفانى غرامى
من بحيرى من لحظ ريم ظلوم
ناعس الطرف أسمر الجفن منى
بابلى اللحاظ أضى فؤاده
وكسا الجسم من هواه نمحولا
ما ابتدا فى الوصال يوماً يعطف
ليس لى منه فى الهوى من تحير
علم الدين عزه وسناء ذرّوة
هو غيث النداء وبحر العطايا
إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب
أوينا العضب فهو فى الأمن ماض
لست تلقى مثاله فى زمان
قد نأى حبي له عن ديارى

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال يتخللها البياض .

لكن اشتقت أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنور الهلال
وكما هممت فيه ألتهم كفاً قد أتت بالنوال قبل السؤال
سألها ابن الخطيب هذراً أجابت تلثم النعل قبل شنع النعال
وتوفى حق الوزارة عن هو ملك لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشَّديد^(١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه : شاعر مجيد ، حَوَّك الكلام ، ولا يَقْصُر فيه
عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول أمره ، فطال بالبلاد المشرقية ثَوَاهُ .
وعُيِّت أنبأؤه ، وعلى هذا العهد وقفتُ [له] على قصيدة بخطه غرضها نبيل ،
ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفس ونَفَس ، وإضاءة قَبَس . وهي :

لنا في كل مَكْرَمَة مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
روينا من مياه المجد لما وردناها وقد كثر الزحام
ومنها :

فنحن همُّ وقل لي مَنْ سوانا لنا التَّقديم قُدُماً والكلام
لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهزُّ به لدى الروح الحسام
ونحن اللابسون لكل درع يصيبُ الشمس منهنَّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب موافقهن في الدنيا عظام

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . وقد نقل المقرئ عن الإحاطة نبذة في ترجمة المذكور جاء فيها أنه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجبالي الأصل ثم المالقي . ثم نقل عنه بعد ذلك ما أورده ابن الخطيب في الإكليل (النسخ ج ٤ ص ٤٢٤) .

ثوى منها قلوب الرُّوم خوفاً
 تحمينا جانب الدين احتساباً
 وتحت الراية الحمراء منّا
 بنو نصرٍ وما أدراك^(١) ما هم
 لهم في حربهم فتكات عمرو
 يقول عدائهم مهما أُلوا
 إذا شرعوا الأسنة يوم حرب
 كأن رماحهم فيها نجوم
 أناس تخلف الأيام مينةً
 رأينا من أبي الحجاج شخصاً
 مؤثى العرض محمود السجايا
 يجول بذهنه في كل شيء
 قويم الرأى في نوب الليالي
 له في كل معضلة مضاء
 رؤوف قادر يغضى ويعفو
 تطوف بييت سؤدده القوافي
 وتسجد في مقام غلاه شكراً
 أفارسمها إذا ما الحرب أختت
 ومطرها إذا ما السحب كفت

يُخَوِّف منه في المهّد الغلام
 فيها هو لا يُهان ولا يُضام
 كتيابُ لا تعلق ولا ترام
 أسود الحرب والقوم الكرام
 فلا أعمار عندهم انصرام
 أتونا ما من الموت اعتصام
 فحقّق أنّ ذاك هو الحام
 إذا ما أشبه الليل الغمام^(٢)
 بجيٍّ منهم فلهم دوام
 على تلك الصفات له قيام
 كريم الكفّ مقدم همام
 فيدركه وإن عزّ المرام
 إذا ما الرأى فارقه القوام
 مضاء الكفّ ساعده الحسام
 وإن عظم اجتناء واجترام
 كما قد طاف بالبيت الأنام
 ونعم الرّكن ذلك والمقام
 على أبطالها ودنا الحام
 وكفّ أخى الندى أبداً غمام

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات (ما أدريك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القتام) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بيحيا) .

لك الذكر الجليل بكل قطر لك الشرف الأصيل المُستدام
لقد جِئنا^(١) البلاد فحيث سِرنا رأينا أن مُلكك لا يرام
فضلت ملوكها شرقاً وغرباً وبتّ لملكها يقظاً ونام
فأنت لكل معلّوة مدار وأنت لكل مكرّمة إمام
جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصر والشام
مكان أنت فيه مكان عزّ وأوطان حَلَّت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر يكرّأ لها من حُسن لقياك ابتسام
فتزّه طرف مجدك في حُلاها فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن مسمود بن خالصة^(٢) بن فرج بن مجاهد

ابن أبي الخصال الغافقي

الإمام البليغ ، المحدث الحجّة ، يكنى أبا عبد الله . أصله من قرغليط من
شُقورة ، من كورة جيّان ، وسكن قرطبة وغرناطة .

حاله

قال ابن الزبير عند ذكره : ذُو الوزارتين ، أبو عبد الله بن أبي الخصال .
كان من أهل المعارف الجمّة ، والإتقان لصناعة الحديث ، والمعرفة برجاله ،
والتقييد لغريبه ، وإتقان ضبطه ، والمعرفة بالعربية واللغة^(٣) والأدب ، والنسب

(١) وردت في الإسكوريال (جنت) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا وردت في «ج» ، وفي «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (خلصة) .

(٣) وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

والتاريخ ، متقدماً في ذلك كله . وأما الكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحكما فيهما إليه .

ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن في عصره مثله ، مع دين وفضل وورع .

قال أبو عمرو بن الإمام الإِسْتِجْى في سِمَطِ الْجَمَان ، لما ذكره : البحر الذى لا يُمَاتِح ولا يُشَاطِر ، والغيث الذى لا يُسَاجِل ولا يُقَاطِر ^(١) ، والروض الذى لا يُفَاح ولا يُعَاطِر ، والطَّود الذى لا يزاحم ولا يَخَاطِر ، الذى جمع أشْثات المحاسن ، على [ماء غير ملح] ^(٢) ولا آمِن ، وكثُرَتْ فواضله ، فأَمِنَتْ المُمَاطِل والمحاسن ، الذى قُصِرَتْ البلاغة [على تحته] ^(٣) ، وأَلْقِيَتْ أُرْزَمَةُ الفصاحة فى يده ، وتشَرَّفَتْ الخطابة والكتابة باعترائهما إليه ، فنشَل كِنَانَتها ، وأَوْدَلَ كَلَامِهَا ، وأَوْضَح أسرارها ودفاينها ، فحَسِبُ الماهر التَّحْوِير ، [والجَهْدُ العلامة البصير] ^(٤) إذا أَبْدَعَ فى كلامه ، وأَيْنَعَ فى رَوْضِ الإِجَادَةِ نِشَارَهُ ونِظَامَهُ ، [وطالَتْ قَتْنُ الخَطِيئَةِ الذُّبُل أَقْلَامُهُ] ^(٥) ، أن يستنير بأنواره ، [ويَقْتَضَى بعض مناهجه وآثاره] ^(٦) وينثر على أثوابه مِسْكَ غُبَارِهِ ، وليعلم كيف يتفاضل الخَبَرُ والإِنْشَاء ، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء .

[وَعِضَةُ الْعَقُورِ أَبُو نَصْر] ^(٧) فى قَلَائِدِهِ . حيث قال ، « هو وإن كان خامل المَدَشَأ نازِلَه ، لم يُنْزَلْهُ المَجْدُ مَنَازِلَهُ ، ولا فَرَّغَ للعَلَاء هِضَابُهَا . ولا ارتشف للسَّنَا رِضَابُهَا ،

(١) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (يخاطر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال (على غير طوق) . والأولى متشبهة مع المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال (عليه) . والأولى أنسب للسياق ومقتضيات السجع .

(٤) وهـ ٦٠ هذه العبارات الثلاثة المحصورة بين الخواصر واردة فى الإسكوريال . والأولى منها

ساقطة فى المخطوطين . والثانية والثالثة ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى المخطوطين (وذكره الفتح

فى قلائده) وأبو نصر هو كنية الفتح بن عماد بن صاحب القلائد .

فقد تميّز بنفسه ، وتميّز من [أبناء] ^(١) نفسه ، وظهر بذاته ، ونفّر بأدواته .

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، في الصلة ، روى عن الغساني ، والصدفي ^(٢) وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي عمران بن تليد ، وأبي بحر الأسدي ، وأبي عبد الله الثفري ، وجماعة غيرهم .

توالياه

قال الأستاذ ، وأما كتبه وشعره ^(٣) وتوالياه الأدبية ، فكل ذلك مشهور ، متداول بأيدي الناس ، وقل من يُعلم بعده ، أن يجتمع له مثله ، رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال ، وابن حبّيش ، وابن مضاع وغيرهم ، وكل ذلك ذكره في رحاله ، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

شعره ^(٤)

وله شعر كثير . فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق بن خفاجة :
هَبْ النسيم هبوب ذى إشفاق يُذهبن الهوى بجناحه الخفاق

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفي القلائد

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الصدقي) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٤) لم يرد في «ج» و «الزيتونة» من شعر ابن أبي الفصاح سوى عشرة أبيات ، في حين أن شعره في مخطوط الإسكوريال يملأ عدة صفحات من لوحة ٢٢ إلى لوحة ٢٨ ، ويورد ضمن ذلك الأبيات العشرة التي وردت في المخطوطين . ومن ثم فقد رأينا أن تتبع مخطوط الإسكوريال في إيراد شعره .

باحت لها سراير العشاق
 لعب الغرام بمهجة المشتاق
 لم يبق من تلك الصباية باق
 أنا قد أذنتك مفارق بفراق
 والموت في نظري وفي استنشاق
 قرْبته هَدْيًا إلى أشواق
 والأمن ظِلِّي والشباب رواق
 ضيزى لأن السكر من أخلاق
 ولذلك قام السكر باستحقاق
 بها من بعدما انبسطت عين الساق
 هامت بها الوُسطى من الأعلاق
 أنى أدين الله دين نفاق
 سدكت يد الملسوع منه براق
 نور تجسيم من ندى الأحداق
 فأنارها وسرى عن الأحداق
 فتانة الأوصاف والأعراق
 وهى السرير ترمى هواها الباق
 لو شعثت برضا أبى إسحاق

وكأنا صبح الغصون بنشوة
 وإذا تلاعبت الرياح ببيانه
 مة يانسيم فقد كبرت عن الصبا
 إن كنت ذاك فلست ذاك ولا
 ولقد عهدت سراك من عهد الهوى
 أيام لو عن السلو نلطا طرى
 الهوى إلفي والبطالة مر كبي
 فى حيث قُسمت المدامة قسمة
 لا ذنب للصبياء أنى غاصب
 ولقد صددت الكأس فانقبضت
 وتركت فى وسط الندامى خلة
 فاستسرفوني مذكرين وعندهم
 وحبايها نفث الحجاب وربما
 وكأنه لما توقر من فوقها
 لو بارح نفث النوى فى روضة
 ولقد جلوا والله يدرأ كيدهم
 أغوى بها إبليس قدما أداما
 تالله أصرف نحوها وجد الرضا

ومن نسيبه :

رويت فيها السرور من طرقت
 ناراً من الراح بردت حرق

وليله عنبرية الأفق
 وكنت حران فاقندحت بها

وافت بها طائلا وقد لبست
فأجابها الدهر من بنيه دُجا
قامت لنا في المقام أوجهُهم
وأطلع البدر من ذرى غصن
من عبد شمس بداسناه
مدَّ بجمراء من مُدامته
فخلتها وردة مُنعمّة
نشرت في الراح حين نشرتها
وقال :

[يا حبذا ليلى لنا سلفت
دارت بظلماتها المُدام فكم
وقال [في مُغنّ زار ، بعده أغبّ وشطّ المزار] (٢) .
[وإني وقد عظمت على ذنوبه
فجاء إسـاءته لنا إحسانه
وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم
يخبّركم عنى بمُضجره بعدى

(٢) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وقد ورد مكانها في المخطوطين (في غائب
آب بعد ما غب المزار) . ويلوح لنا أن عبارة الإسكوريال هي الأرجح . حيث وردت في البيب
الثاني كلمة (أو تاره) ، وهي لما يقترن بذكر المعنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (حظيت) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أنواره) . وفي الزيتونة (أماره) .

(٥) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

فلو قلبتني الحادثات مكانكم
لم تعلموا أني وأهلي وواحد
لأنهبتُها وفري وأو دلائها خدي
فدا ولا أروى بتفديتي وخدي

ومن قوله في غرض المدح يخاطب تاشفين بن علي^(١) ويذكر الواقعة
بكركي ، يقول فيها :

الله أعطاك فتحاً غير مشترك
أرسل عنان جواد أنت راكمه
حتى يصير إلى الحسنى على ثقة
قد كان بعدك للأعداء تملكه
سارت بك الجردا وطار القضا بها
فما تركت كميناً غير منفعر
ناموا وما نام موتور على حنق
فصبتهم جنود الله باطشة
من كل مبيتدو كالنجم منكدر
فطاعنوك بأرماع وما طعنت
تعجل النحر فيهم قبل مواسمه
فالطير عاكفة والوحش واقفة
عدت على كل عاد منهم أسر
كلي هنيئاً مريئاً واشكري ميسكا

ورث عزمك عن فوت إلى درك
واضمم يديك ودعه في يد الملك
يهدى سبيلك هاد غير مؤتمك
حتى استدرت عليهم كورة الفلك
والحين قد قيد الأعداء في شرك
ولا تركت نجيعاً غير منسفك
أسدى إذا فرصة من السلك
والصبح من عبرات الفجر في مسك
تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
وضاربوكم بأسياف ولم تحرك
وقدم الهدى منهم كل ذى نسك
فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
بعشه في حنجر رخب وفي حنك
قرنك أسيافه في كل معترك

(١) هو الأمير تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي ، أمير المسلمين بالمغرب والأندلس
(٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) . وقد ولاه أبوه شئون الأندلس سنة ٥٢٢ هـ . وقد خاص تاشفين عدة معارك
ظاهرة ضد القشتاليين ، كانت منها معركة كركي في سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) . وكركي بلدة
حصينة تقع على مقربة من قلعة رباح جنوب نهر وادي بانه .

فلو كُنْضَتْ الهامات إذ نشرت
 أبحر وطالب بباقي الدهر ماضيه
 وكم مضى لك من يوم بُنِتَ له
 بالنقع مرّتكم بالموت مُلتيم
 فخص القباب إلى فخص الصعاب
 وكم على حَبْر محمود وجارته
 وفيت للصفر حتى قيل قد غدروا
 فأسلمتهم إلى الإسلام غدوتهم
 يا أيها الملك السامي بهمته
 ما زلت تسمعه بشرى وتعلمه
 بيّض وجه أمير المؤمنين بها
 فاستشعر النضر واهتزت منابره
 فأخلدك ولن والاك طاعته
 وافيت والفيت زاهر قد بكا طرباً
 وتمم الله ما أنشأت من حسن
 وعن قريب تباهى الأرض من زهير سماها بها غصّة الحبيب
 فعُدْ وقُدْ واعتمد وأحد وسُدْ وأبد

وقل وصل واستطل واستول وانتك
 وحسبك الله فرداً لا نظير له
 تغنيك نصرته عن كل مشترك
 ومن قوله في غرض الرثاء ، يرثي الفقيد أبا الحسن بن مغيث :
 الدهر ليس على حرٍّ يمتوئمن وأى حلق نخطته يد الزمن

يَأْتِي الْعَمَّا عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
يَا بَا كَيْفَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ عَنْ شَحَطِ
نُورِ تَقْيِيدٍ فِي طِينٍ إِلَى أَجْلِ
كَالطَّيْرِ فِي شَرْكَ يَسْمُو إِلَى دَرَكِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رِضَى اللَّهِ التَّقَا وَهَمَا
يَا شَدَّ مَا افْتَرَقَا مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَنَقَا
وَرَبِّ سَارٍ إِلَى وَجْهِ يَسْرُ بِهِ
أَتَى إِلَى اللَّهِ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرَاقٍ لَا بَقَاءَ لَهُ
أَعْيَا أَبَا حَسَنٍ فَقَدْ الَّذِينَ مَضَوْا
كَأَنَّ الْبَقِيَّةَ فِي قَوْمٍ قَدْ انْقَرَضُوا
يُعَدُّ فِدَاءً وَفِي أَثْوَابِهِ رِمَزٌ مِنْ
وَأَنَّ مِنْ أَوْجَدَتْنَا كُلَّ مُفْتَقِدٍ
مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا خَفَّتْ حُلُومُهُمْ
وَمِنْهَا :

يَا يُوَاسَ لَا تَسِرْ أَصْبَحْنَا لَوْحَشْتَنَا
وَيَا مُطَاعَا مُطِيعًا لَا عِنَادَ لَهُ
كَمْ خَطَّتْ كَارِ تَجَاجِ الْبَحْرِ مُبْهِمَةً
طُودَ الْمَهَابَةِ فِي الْجَلَا وَإِنْ جَذَبَتْ
أَكْرَمَ بِهِ سَبِيًّا تَلَقَّى الرَّسُولَ بِهِ
نَاهِيكَ مِنْ مَنَهِجِ سَمِّ الْقَصُودِ بِهِ
نَشْكُو اغْتِرَابًا وَمَا بِنَا عَنْ الْوَطَنِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى الْإِسْلَامِ مُؤْتَمِنٍ
فَرَجَّتْهَا بِجَسَامِ سُلٍّ مِنْ لَسَنِ
عِزَانِهِ خَلْوَةٌ هَزَّتْ ذُرَى وَآرَ
لِحَسَنِ وَارِدَةٍ فِي الْفَرَضِ وَالشَّنَنِ
هَوَى فَن قَدَّرَ عَالٍ إِلَى قَدَرِنَ

من كل وادى التقي يسقى الغمام به
تجملت بك فى أحسابها مضر
من دولة حورها الأنصار حاشدة
من الذين هم رووا وهم نصروا
إن يبدؤ مطلع منهم ومستمع
ما بعد منطقته وشئ ولا زهر
أقول وفيها فضل سودده
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
تقيلاً هديه فى كل صالحة
ما حل حبوته إلا وقد عدا حباً
غر الأجابة عند حسن عهدها
علماً وحلاً وترحيباً وتسكينة
يا وافر الغيث أوسع قبره نزلاً
وطبق الأرض وبلا فى شفاعته
وأنت يا أرض كوني مرةً بأبي
وإن تردت بترب فيك أعظمه

فيستهل شروق الضرع باللبن
وأصل مجدك فى جرثومة اليمن
فى طامح شامخ الأركان والقنن
من عيسة الدين لامن جدوة الفتن
فارغب بنفسك عن لخطوع عن أذن
ولا لأعلاق ذاك الدر من تمن
استغفر الله ملء السر والعلن
ها سلاله ذاك العارض الهتن
نصر السوابق عن طبع وعن مرين
بما اختار من أيد ومن ممن
وإن يونس فى الأتواب والجنان
للزائرين وإغضاء على زكن
وروماً حول ذاك الدميم من ثكن
فنعم رايد ذاك الریف واليمن
مشوى كريم ليوم البعث مرتين
فكم لها فى جنان الخلد من رذن

ومن شعره قوله مخساً [كتب بها] ^(١)، وقد أقام بمراكش يتشوق إلى

قرطبة :

بدت ^(٢) لهم بالعُور والشمل جامع بروق بأعلام المديب لوامع

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وردت فى المخطوطين (وكتبتا) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (سحت) والأولى أنسب للسياق .

فباحث بأسرار الضمير المدامع ورُبَّ غرام لم تنله المسماع

[أذاع بها] ^(١) من فيضها التصويب ^(٢) .

[ألا في سبيل الشوق قلبٌ مؤثّلٌ بركب إذا شاء والبروق تحمل

هو الموت إلا إنني أتحمّل إذا قلت هذا منهل عزّ منهل

وداية برقي نحوها القلب يحجب .

أبى الله إماما كل بُعد فسابت وإما دنوُّ الدار منهم ففايت

ولا يلفت البين المصمّ لافِت وياربّ حيّ البارق المتهافت

غرابٌ بتفريق الأحبة ينعب .

خذوا بدمي ذاك الوسيق المضرجا وروضا بغيض العاشقين تأرجا

عفى الله عنه قاتلا ما تحرّجا تمشى الردى في نشره وتدرجا

وفي كل شيء للمنيّة مذهب .

سقى الله عهدا قد تقلص ظله حيا قطرُه يحيى الرُّبا مستهله

وعى به شخصا كريما أجله يُصبحُ فؤادى تارة ويُعيله

ويُلمه بالذكر طورا ويُشعب

رمانى على قرّب بشرخ ذكائه فأعشت جفونى نظرة من ذكائه

وغصت بأدنى شعبة من سمايه شيعابى وجا البحر فى غلوائه

فكل قرب ودع خديّه يركب

ألم يأتته أننى ركنتُ قعودا وأجمعت عن وفز الكلام قعودا

ولم أعتصر للذكر بعدك عودا وأزهقنى هذا الزمان صُعودا

(١) هكذا وردت فى الإنسكوريال . وفى المخطوطين (ودام بها) .

(٢) هذه المقطوعة الحماسية واردة فى المخطوطين .

فَرَبَّعَ الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ سَبَسَبَ .

عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالِ دَعَوْتُ سَمِيعًا
وَتَمَلَّأُ الشَّعْبَ الْمَذْجَجِي جَمِيعًا
وَأَحْدَاقَ عَيْنٍ بِالْجَمَامِ تُقَلِّبُ

وَلَمْ أَنْسَ مِمَّ شَانَا إِلَى الْقَصْرِ ذِي النَّخْلِ
وَأَشْرَفُ لَا عَنْ عَظْمِ قَدَرٍ وَلَا فَضْلٍ
يَقِيهِ تَبَارِجَ الشَّمَالِ وَيَحْجُبُ .

فَكَمْ تَوَجَّعَ يَنْتَابُهُ بِرِيسِهِ
إِبْقِ أُمَّ عَمْرُو فِي بَقَايَا دَرِيسِهِ
فَوُتِعَتْهُ نُسْبَى الْقُلُوبِ وَتُعْجِبُ

وَبِضَاءٍ لِلْبَيْضِ الْبِهَائِلِ تَعْتَرِيهِ
سِوَى أَنَهَا بَعْدَ الصَّنِيعِ الْمُطَرَّزِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدِبُ .

وَكَمْ لَكَ بِالزَّهْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّدٍ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَلَا هِيَّةَ تُخَشِّي هُنَاكَ وَتُرْهَبُ .

لَنَعْمَ مَقَامُ الْخَاشِعِ الْمُتَنَفِّسِ
مَتَى يُورِدُ النَّفْسَ الْعَزِيزَةَ يَسْفِكُ
وَأَيَّ مَرَامٍ رَامَهُ يَتَصَعَّبُ

قُصُورٌ كَانَ الْمَاءُ يَعْشَقُ مَبْنَاهَا

وَذَكْرَتُ رَوْضًا بِالْعُقَابِ مَرِيحًا
وَسِرْبًا بِأَكْنَافِ الرُّصَافَةِ وَيَمَا

بِحَيْثُ تَجَانَى الطُّودُ عَنْ دَمِثٍ سَهْلٍ
وَلَسْكَنَدُ لِلْمَلِكِ قَامَ عَلَى رِجْلِ

وَيَرْتَحِلُ الْفَقَى بِأَرْجْلِ عَيْسِيهِ
كَسَحَقِ الْيَمَانِيِّ مُعْتَلِيهِ نَفْسِيهِ

وَتَعْتَرِئُ بِالْبَيَانِ جَلَالًا وَتَنْتَرِي
كَسَاهَا الْبَلَى وَالْثُّكُلُ أَثْوَابَ مُعْوِزِ

وَوَقْفَةُ مُنْشَقِ الْجَمَاعِ مُقْصِدِ
وَبِهَيْتِكَ حُجَبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ

وَكَانَتْ فِي مَحَلِّ الْعَبْشَمِينَ الْمُلْكِ
وَإِنْ يَسْمُ نَحْوُ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَمْلِكُ

فَطَوْرًا يَرَى تَابَجًا بِمَفْرِقِ أَعْلَاهَا

إِذَا زَلَّ وَهَنًا عَنْ ذَوَائِبِ يَهِوَاهَا

وَكُلُّ مُنِيفٍ لِلنَّجُومِ مُرَاهِقٌ
فَأَوْدَعَ فِي أَحْشَائِهَا وَالْمُفَارِقُ

تَنَاصَفَ أَقْصَاهَا جَمَالًا مَعَ الْأَدْنَى
تَوَافَقْنَ فِي الْإِتْقَانِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى

وَأَيْنَ الْغُصُونِ الْمَائِئَاتِ بِهَا مَيْلًا
وَأَيْنَ الثَّرَى رَجُلًا وَأَيْنَ الْحَصَاخِيلَا

وَكَمْ فَاوَحَتْ فِيهَا الرِّيَاضُ الْمَجَامِرَا
وَكَمْ قَدْ أَجَابَ الطَّيْرُ فِيهَا الْمَزَامِرَا

وَيُجْبَى إِلَى خَزَائِنِهَا الْبَرْقُ وَالْبَحْرُ
وَيُصْبِحُ مَخْتُومًا بِطِينَتِهَا الدَّهْرُ

وَنَاصِحَةٌ تُعْزَى قَدِيمًا لِنَاصِحِ
يُخْبِرُ عَنْ عَهْدٍ هُنَاكَ صَالِحِ

وَطُورًا يَرَى خُلُخَالَ أَسْوَقٍ سُقْلَاهَا

يَقُولُ هَوَىٰ بَدْرًا أَوْ انْقَضَىٰ كَوْكَبُ

أَتَاهَا عَلَى رَغَمِ الْجِبَالِ الشَّوَاهِقِ
وَكَمْ دَفَعَتْ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَعَانِقِ

حَسَابًا بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ يَذْرُبُ

هِيَ الْخُلُودُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمِ حُسْنًا

وَدَرَجٍ كَالْأَفْلَاقِ مَبْنَى عَلَى مَبْنَى

وَأَسْبَابِ هَذَا الْحُسْنِ قَدْ تَتَشَعَّبُ

فَأَيْنَ الشَّمُوسِ الْكَالِفَاتِ بِهَا لَيْلًا

وَأَيْنَ الظُّلُمَا السَّابِحَاتِ بِهَا ذَيْلًا

فَوَا عَجِبَا لَوْ أَنَّ مَنْ يَتَعَجَّبُ

كَمْ احْتَضَنْتَ فِيهَا الْقِيَانَ الْمَزَاهِرَا

وَكَمْ سَاهَرْتَ فِيهَا السُّكُورَا كَبِ السَّامِرَا

عَظِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا شِعَاعُ مُطَنَّبِ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يُقْضَىٰ بِهَا النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وَيُسْفَرُ مَخْفُورًا بِذِمَّتِهَا الْفَخْرُ

وَأَيَّامُهُ تُعْزَى إِلَيْهَا وَتُنْسَبُ

وَمَالِكٌ عَنِ ذَاتِ الْقِرْبَى النَّوَاضِجُ

وَذَى أَثَرٍ عَلَى الدَّهْرِ وَاضِحُ

وَيَعْمُرُ ذِكْرُ الذَّاهِبِينَ وَيَخْرُبُ

تصعد من سفلي وأقبل من علي
وما اتفقا إلا - إلى خير منزل
تلاقى عليه فيض نهر وجدول
فهنا جنوبي وذلك شمال
وإلا فإن الفضل منه مجرب
كأنهما في الطيب كانا تنافرا
ولما تلاقى السابقان تناظرا
فكلكما عذب المجاجة طيب
ألم يعلما أن اللجاج هو المقت
وما منكما إلا له عندنا وقت
تقشع من نور المودة غيب .
وإن لها بالعالمية لمظهرا
وروضنا على شطى خضارة أخضرا
له ترّة عند السكوا كب تطلب
غيره في عنفوان الموارد
وأبرزه للأريحي المجاهد
حفيظته في صدره تتلمب
تقدم عن قصر الخلافة فرسخا
فحالته أروض الشرك فيها منوخا
فردعته في القلب تسرى وترهب
أوليك قوم قد مضوا وتصدعوا
فهل لهم ركز يحس ويسمع
إلا أنهم في بطنها حيث غيب .

تصعد من سفلي وأقبل من علي
وما اتفقا إلا - إلى خير منزل

فسارا إلى وصل القضاء وسافرا
فقال ولك الحق مهلا تظافرا

وأر الذي لا يقبل النصف منبت
فلما استبان الحق واتجه السمات

ومستشرقاً يلهى العيون ومنظراً
وجوسق ملك قد علا وتجبّرا

وأثبتته في ملتقى كل وارد
وكل فتى عن حرمة الدين زايد

وأصحر بالأرض الفضاء ليصرخا
كذلك من جاس الديار ودوخا

قضوا ما قضوا من أمرهم ثم ودعوا
تأمل فهذا ظاهر الأرض بلقع

وَأَنْ بِيَاضِ الصُّبْحِ لَيْسَ بِيْذِي خَفَا
وَكَأَنَّ حَدِيثًا لِلْوُفُودِ مُعْرِفَا

أَخْلَاءَ صِدْقٍ كَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأَرْجَعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ

وَلَا بِمِثْلِ إِخْوَانِي بِمَعْنَاكَ إِخْوَانِ
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهُ شَانِ

وَأَنْتَ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعِ
وَكُلُّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعِ

وَدَانَتْ لَهَا فِيهَا مَلُوكُ الطَّوَايِفِ
بِكُلِّ حَسَامٍ مُرْهَفِ الْحَدِّ رَاعِفِ

وَكَمَبَتْهَا نَدَا الْوُفُودِ وَيَمَّمُوا
وَعَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرِهِمْ وَتَحَرَّمُوا

هَوَاؤُكَ مَخْتَارٌ وَتُرْبُكَ مُنْتَقَا
وَيَدَّتْكَ مَرْبُوعِ الْقَوَاعِدِ بِالثَّقَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا
وَكَمْ رَسَمَ دَارٍ لِلْأَجْنَةِ قَدْ عَفَا
فَأَصْبَحَ وَحْشَ الْمُنْتَدَى يُتَجَنَّبُ

وَاللَّهُ فِي الدَّارَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
أَشْيَعُ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَبْيَضٍ نَاصِعِ
فِيَالْيَتَنَى فِي رِقْسَتِي أَنْهَيْبِ

أَقْرَبُ بَةِ لَمْ يُثْنِنِي عَنْكَ سُؤْلَانُ
وَإِنِّي إِذَا لَمْ أُسَقِّ مَاءَكَ ظَمَّآنُ
وَمَوْطِنِي آثَارُ تَعَدُّ وَتُكْتَبُ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطْوَى وَيُرْفَعُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى وَالْحَسُودُ مُعَذَّبُ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخَلَائِفِ
وَعُضٌّ تَقَافِ الْمُلُوكِ كُلِّ مُخَالَفِ
بِهِ تَحْقِنُ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسْكَبُ

إِلَى مُلْكِكُمَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا
وَفِيهَا اسْتِفَادُوا شَرَحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا
فَنَكَبَ عَنْهُمْ صَرْفُهُ الْمُسْحَبُ

عُلُوتِ فَمَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَقَا
وَجَسْرُكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ مُلْتَقَا

إلى فضله لا كباب تُنقى وتُضرب

تولى خيار التابعين بقاءه

ومدّوا طويلا صيته وثناءه

ولا زال سعى الكايدين يُخَيِّب

وبالغ فيه كلُّ أدّوع أُصَيْد

وشادوا وجادوا سيّداً بمد سيد

يقوم عليه الثناء ويخطب

مصايحه مثلُ النجوم الشّوابك

وتحفظه من كل لاهٍ وسالك

فإبشارهم بالطبّطبية تُنهب

أجدك لم تشهد بها ليلة القدر

وقد أُسْرِجت فيه جبالُ من الزّهر

لأوثاك نور الفجر يَفني وينضب

كأن للثّريّات أطوادُ من ترجس

وطيب دخان الثّد من كل مُعّلس

وأذياله فوق الكواكب تُسحب

إلى أن تبدّت راية الفجر تزحف

تولوا وأزهار المصاييح تُقطف

كما تُنصل الأرماح نهم تُركب

سلامٌ على غيابها وحضورها

وخطّوا بأطراف العوّالى فناءه

فلا زال مخلوعٌ عليه سَناءه

طويل المعالى والمكارم واليد

فبادوا جميعاً عن صنيع مُخلّد

تمزّق أثواب النجوم الحوّالك

أجادل تنقضُ انقضاؤ النّيّازك

وقد جاش برُّ الناس منه إلى بحر

فلو أن ذلك النّور يُقبس من فجر

ذوائبه تهفو بأذى تنفّس

وأنفاسه فى كل جسم وملبس

وقد قضى الذى لا يُسوّف

وأبصارها صوناً تغضُّ وتطرّف

سلام على أوطانها وقصورها

سلام على صحرايهم وقبورها
فحسن دفاع الله أحمى وأزهب
وفي ظورها المعشون كل مرفع
متى تاته شكوى الظلّامة تُرفع
من الله في تلك المواطن يُقرب
وكم كربة ملء الجوانح والقلب
بروعتها قبر الولي لى وهب
فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب
فيا صبحي حان قبلك مصرعي
فخطّ بضاحي ذلك الشرى مضجعي
فمندهم للجار أهـ لـ ومرحب
رعى الله من يرعى العهود على النوى
وليبينه من مستحكم الودّ والهوى
وأهدى سبيله الذي يُتجنب

ولا زال سور الله من دون سورها
وفي بطنها الممشوق كل مُشفع
وكل بعيد المُستغاث مُدفع
طرقت وقد نام المواسون من صخب
وناديت في التراب المقدّس يارب
وكنّت على عهد الوفا والرضا معي
وذرتني لجار القوم غير مُروّع
ويظهر بالقول المُخبر ما نوى
يرى كلّ وادٍ غير واديه مجتوى
[١]

كتابته

وكتابة ذى الوزارتين رحمه الله ، كالشمس ^(٢) شهرة ، والبحر ^(٣) والقطر

(١) إن جميع الشعر الخامس المحصور بين الخواصر وارد كله في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الشمس) .

(٣) ساقط في «ج» ووارد في الإسكوريال والزيتونة .

كثرة ؛ ونحن نثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه .
كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ، من رسالة ، كتب بها إليه مع حاج
يضرب القرعة :

أطال الله بقاء وليي^(١) ، وإمامي^(٢) ، الذي له إكباري وإعظامي ، وفي سلكه
اتساع وانتظامي ، [وإلى ملكه انتسابي واعتزالي ، وبودده افتخاري وانتزالي]^(٣) ،
للفضائل بحبياً ومبدياً ، وللمحامد مشتملاً ومُرْتدياً^(٤) ، وبالغرائب مُتَحَفّاً ومُهْدِياً ،
[ولا زال الرِّخاء وأزل ، وجدّ من المصافة وهزل ، وسَحَتْ من المِراعاة وجَزَل]^(٥) .
وصل كتابه صحيفة عرّاف اليمامة ، وفخر^(٦) تجمّد وتهاجمه ، [يقرّظه ويذكر كية ، ويصفه
بالخب^(٧) يفسّره ويُجْلِيه]^(٨) ، والخفي^(٩) يظهره ويبيديه . ولعله رائد^(١٠) ، لابن
أبي صايد ، أو هاد للمسيح الدجال قايد . أشهد شهادة إصاف ؛ أن عنده لعَضْباً
صاف^(١١) ، ولو كان هناك ناظر صادق^(١٢) طاف ، والله خايباً الأنطاف ، لقلتُ
هو بادٍ غير خاف ، من بين كل ناعلي وحاف . وسأخبرك أيّدك الله ، بما
اتَّفَق ، وكيف طار وتَعَق . وتوسّد الكرامة ، وارتَفَق ، [طَرَق له وصنك

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (رئيسي) .

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في «ج» و«الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مجتدياً) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» مع فروقات يسيرة ؛ وساقط في «ج» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وحدى) . والزيتونة (وحرأ) .

(٧) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحق) .

(٨) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . ومكانه في «ج» عبارة (يقرّظه

ويجليه) فقط .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (والحفه) .

(١٠) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (أمداف) .

(١١) وردت في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

وَنَعْتِكَ ، وَثَقُّهُ بَرِّيكَ وَنَحْنُكَ ، وَدَفَعَهُ لِلْعَيُونِ جَدُّكَ وَبَحْنُكَ ^(١) ، وَامْتَدَّتْ
نَحْوُهُ النَوَاطِرُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ الْغَايِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ النَّابِهُ ^(٢) وَالْخَامِلُ ،
وَأَزْدَحَمَ عَلَيْهِ الْعَاطِلُ وَالْعَامِلُ . هَذَا يَلْتَمِسُ مَزِيدًا ، وَذَلِكَ يَنْتَفِي حِظًّا ^(٣) جَدِيدًا ،
وَهَذَا يَطْلُبُ تَقْلِيدًا ، [وَذَلِكَ يَسْأَلُ إِلَى مَعَالِيْقِهِ إِقْلِيدًا] ^(٤) . فَكُلُّمَا حَزَبٌ ،
وَعِلٌّ وَجَلْبٌ ، حَلَبٌ وَاسْتَدَرٌّ ، وَتَلَقَّاهُ [وَإِنْ سَاءَهُ الْغَيْبُ] ^(٥) بِمَا سَرَّ . وَكُنْتُ
وَاتَعْتُ جَهْلَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَوَأَفَقْتُ ثُلَّةً مِنْ جِلَّةِ الْإِخْوَانِ ، عَلَى تَمْشِيَةِ أَمْرِهِ ، وَتَوَشُّيَةِ
ذِكْرِهِ ، فَلَمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، وَاسْتَوَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، أَحْضَرْنَا لَهُ السَّبَّارَ ،
وَأَقْعَدْنَا لَهُ النَّقْدَ وَالْإِخْتِيَارَ ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى جَلَالِهَا تِلْكَ الْأَخْبَارَ ، فَأَحْضَرْنَا
طَحْنًا وَنَطْمًا ، وَسَرَيْنَا عَنْهُ مِنَ الْوَحْشَةِ قَطْعًا ، وَقَانْنَا لَهُ خِذَافًا ، وَلَا تَوَرُّدًا ^(٦)
إِلَّا صَفْوَكَ ، وَلَا تَصَائِعُنَا فِي السَّكْرِيَّةِ الَّتِي نَرَاهَا ، وَالْحَادِثَةِ تُسْتَمْقِظُ ذِكْرَهَا ،
فَمَا عِنْدَنَا جَهْلٌ ، وَمَا مَنَا إِلَّا مُخْتَنِكَ كَهْلٌ ، لَا يَسْكَدُهُ حَزَنٌ ، وَلَا يَسْتَخْفُهُ
سَهْلٌ ، فَسَكَنَ جَايِشُ قُوْرِهِ ، وَضَرَبَ بِلَحِيَّتِهِ عَلَى زَوْرِهِ ، ثُمَّ صَدَّدَ فِينَا النَّظَرَ وَصَوَّبَ ،
وَاسْتَهْلَ صَارِخًا وَثُوبَ [وَتَحَرَّجَ مِنَ الْكُذْبِ وَتَحَوَّبَ] ^(٧) ، وَقَالَ لَسْتُ لِلْعَشْرَةِ
خَابِئًا ، وَلَا لِلْأَطْرَفِ غَامِضًا ، وَلَا عَنِ الصَّدَقِ إِذَا صَدَعَ حَائِدًا ، وَلَا لِلْعُدْرِ مَمْنٍ وَقَعَ
مِنْهُ ذَائِدًا ، وَلَا بِمَعْجَزَاتِ النَّبُوَّةِ لَاغِبًا ، وَلَا لِمَرْجِ الْجَدِّ مُدَاعِيًا ، وَلَا تَطْيِبُنِي
مَسْأَلَةٌ وَلَا حُلُوانٌ ، وَلَا تَسْتَفْزِنِي لَضَائِدُ كَثِيرَةٍ وَلَا أُلُوانٌ . إِنَّمَا هُوَ رَمَمٌ وَخَطٌّ ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (النبية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (شينا) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقط في «ج» .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي « الزيتونة » (تزدنا إلى) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

ورفع وخطَّ، ونَحَسَّ وسعدُّ، ونقد ووعد، ويوم وغد^(١). فقلنا له الآن صحَّت
 الوفاة [وأينمَّت الإرادة]^(٢). ثم نظر إلينا نظر المستقل واجتنب النطم اجتذاب
 المدل^(٣)، ونثل الطَّجَن وهاله، وأداره حق [استدار هاله]^(٤)، ثم قال يا أيها
 الملائكة المبتدأ^(٥)، فأيسكم يبدأ. فرمى القوم بأبصارهم، وفغروا وكبروا،
 وليتهم [عند ذلك]^(٦) صفروا. فقلت يا قوم قد عضضتُ على ناجذى جِلْمًا،
 [وقلت شأنى كَأْ عِلْمًا]^(٧)، وعقدت بينى وبين غدٍ سَلْمًا^(٨)، فكيف
 أسكشِف عما أعرف، وأسبقهم عما لا يستبهم. على الرحمن توكلت، وعلى
 الشيطان ترَكْتُ، ومن كسبى أكلت، [وفى مَبْرَك السَّلَامَةِ بِرَكْتُ]^(٩)،
 وجـيأت الأمور ترَكْتُ كَثْنِي وترَكْتُ، والنفس^(١٠) المطمئنة رجوت، ولعلنى
 قد نجوت، [وأصبت فيما نَحَوْتُ]^(١١). فلحظتنى عند هذه المقالة عينه،
 وطوانى^(١٢) صدقه ومئنه. [ثم صار القوم دونى أنجية، وأعدَّ له كل تورية

(١) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (وبعد) والأولى أرجح.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في المخطوطين «ج» و«الزيتونة»
 (وتعينت الزيادة).

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال. ووردت في «ج» (المبتثقل). وفي الزيتونة (المقل).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. وفي المخطوطين (استهاها).

(٥) هكذا في المخطوطين. وفي الإسكوريال (النبا).

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال.

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة». وورد مكانها في «ج» (وقلت
 كل ذلك أتقنه حفظاً).

(٨) هذه العبارة واردة في الإسكوريال. وساقطة في المخطوطين.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة». ووردت في «ج» كذلك
 (وعن مبرك الشيطان نكلت).

(١٠) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (المسة).

(١١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في «ج» و«الزيتونة» (صدقت -
 أصبت فيما قد رجوت).

(١٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وفي «ج» (وإدهشنى).

وتعمية . فقال قائل منهم ، تعالوا نشترك في ضمير ، ونزّمه بهذا الطاغية ابن رُذَيمِر [^(١)] ففي كل قلب منه ندب كبير ، والسؤال عنه دين وأدب ، فإن أصابه استرحنا من النَّصَب والشُّخوص . وحرنا من العموم إلى الخصوص ، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ ، ولما يدّعيه ويريدُه منه أبطأ . فقالوا نعم ما عرضت ، وأحسن بما رويت وفرّضت . فلما رأيناه يُثقل التعريض ، ويُحكم التقرير والتعويض ، قلنا له حقّ ضميرك كل التحقيق ، وضع مسبحتك في الدقيق . [فابتدأ ما أمر] ^(٢) وحسّر عن ذراعه وشعر ، ومرت أصبعه في خطّه مر الدّر المتهاك ، ووقعت وقّع القطار المتدارك ، [لا تمس الطحن إلا تحليلا ، ونعزّا كالوم قليلا] ^(٣) فطوراً يستقيم سبيلا ، وتارة يستدير إكليلا ، وآونة يأتي بالسماء ونجومها قبيلا . فساكن هنالك لنعش من بنات ، وللثريا من إخوات ، وطير قابضات ، وصافات وأسراب ناشرات خافقات . فلما استوفى عدده ، وبلغ أمدّه ، وختم طرائقه وقيدّه ، وأعطى الأصول وفروعها ، وتدبر تفاريقها وجرعها . فجمع وتقبّض ، وفتر ثم انتفض ، [وصعد ذهنه وتساقفه ، وأخذ الطحن فساقفه] ^(٤) ، وزفر وشهق ، وعشّر ونهق ، وألصق بظهره حشاه ، وكنم الربو ثم أفشاه ، وقال هذا الذي كنت أخشاه ، تحميم الأثر ، [وكنتم حقيقة الخبر] ^(٥) . [وعثرتم خاطي فما عثر ، ونثرتم نظام الحدس فما اثثر] ^(٦) .

(١) هذه العبارة ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال . ولم يرد منها في المخطوطين سوى عبارة (ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذيمير) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «الزيتونة» كالأتي (لا تمس الصمحة إلا عليلا ، و عمرًا كالموسم ولو خليلا) . وهي ساقطة في «ج» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطين . وساقط في الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

سألتم عن رُوح شارد، وشيطان مارد، وصادر مع اللَّحظات وارد. لا بوطن داراً .
ولا يأوى قراراً ولا يُطعم النّوم إلا غراراً . نعم أمْرُهُ عندي مستقر . هو
زِنْدِيقٌ مُسْتَشَرٌّ، وشهاب من شُهَبِ السّكفر مستمر . ثم رجّع البصر واختصر .
وعاد إلى الحساب يتقرّاه، والصواب يتجرّاه . وتتبع أديم الطّحن فقرّاه . وقال
أعوذ بالله من شرّ ما أراه . إلى كم أرى في غلاء وبلاء ؛ كَأَنِّي لست ذا أُمّار
وأخلاء ، تالله لو كانت قرعة رفعة وعلاء ؛ ما غاب عني اللّحياني ذو السبلة ،
ولواجهنا البياض ذو الغرة المستقلة ، مواجهة حسان بلبله . النّحس على هذه
الروح قد رُتّب^(١) ؛ وكُتِبَ عليه [من الشقاء]^(٢) ما كُتِبَ ، وأُخرج النّصرة
الداخلة من العتب . ثم أشار إلى الحجرة ، وكأنما وضع يده على بجرة ، وقال
كَوَسَجَ نَعْيٌ ، وسِنَاطُ الوجه شَقِيٌّ ، وثِقَافٌ وطريق ، وجماعة وتفریق ، وقَبَضُ
خُلُوجٍ ، وَمَنَسْكُوسٌ مَارج . ثم وضع عمامته ، ولَوَلَبَ^(٣) هامته ، وأمال وجهه
فجراً طلقاً ، ثم عَرَضَهُ بَحْجَنًا مُطَرَقًا ، وعقد أنامله عَضًا . [وأدعى صدره دَعًا ورضًا ،
وقطع بصره لحًا وعضًا ، وتكفأ وتقلع]^(٤) وأدّلع لسانه فاندلّع . فقلنا شرٌّ
تأبطه ، أو شيطان ينخبطه ، أو قرين يستنزله ويختله^(٥) أو رؤى في الذّوة
والغارب يفتله . [ثم تجاخط وتجادر . وتضائل وتناذر]^(٦) ، وقال ، والذي أحييا
عازر ، وأخرج إبراهيم^(٧) من آزر ، وملك عِنان الريح وأذعن له كل شيء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (غلب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (من التّأوه) . وهي ساقطة في « ج » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » (أبدى) . والزيتونة (وأركب) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » . وفي « الزيتونة » (ويختلبه) .

(٦) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثم تجاخط وتكادن ،
وتضائل وتبادن) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (البرائح) .

بالسجود والتسبيح ، إنه لمن عباد المسيح . هيهات هيهات . لا أضعف بظن ، ولا يُقَمَّق لي بشن ، ولا أنزع من هذه الفنون في فن . قد ركبت أثباج البحار ، وقطعت رِباط المفاوز والقفار . وشافهني الحرم والبيت ، وصاغني الحجر الكميئ ، وأحرمت وآبئيت ، وطُفت ووفيت ، وزُرْتُ المصطفى صلى الله عليه وسلم ومحفَّيت . ثم ملت على عدن ، وانحدرت عن اليمن ، واستسقيت كل راعدة ، وأتيت كل قاعدة ، ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعدة ، ووردت عكاظ ، وصدقت الحفاظ ، وقُدْتُ العصية ينسج ، ومسحت الشامات بأخمس وتسع ، ووقفت حيث وقف الحكمآن ، وشهدت زحف الثركان ، وكيف تصاولت القروم ، وغلبت الرُّوم ، [وهزم المدبر المقبل ، واكتسحت الجحاش الإبل] ^(١) . فقلنا لله أنت ، لقد جَلَّيت عن نفسك ، وأدبى يومك على أمسك ، ولقد صدق مُطريك ، ووفت صحيفة تزكَّيك ، [وما كانت فراستنا لتخيب فيك] ^(٢) . فماذا تستقرى من اللوح ، وترى في ذلك الروح ، يمشك [ألا ما أمتعتنا] ^(٣) بالإفشاء والنبوح . فرجع في البحث أدواجه ، وطالع كواكبه وأبراجه ، وظل ^(٤) على مادة الطحن ، يرقم ويرمق ، ويفتق ويرتق . ثم جعل يينسم ، وقال أحلف بالله وأقسم . لقد استقام النسم ، وإنه لسكا أرسم وأيسم ، وإنى لا أجده إلا لاغباً مبهراً . ومنكرداً مقهوراً . ولن يلبث إلا شهوراً ، قد أقل طالع ^(٥) جدّه ، وفلَّ حَدّه . وأتى عليه نقي خدّه ، وصي لم يملك أبوه ومملك

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا و دت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (وما كانت

فراصة - فراست لتنام فيك) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الاما أمتعت) .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» والإسكوريال .

جَدُّهُ ، فَقُلْنَا صَرَّحْتَ وَأَوْضَحْتَ ، وَشَهَرْتَ هَذَا الْمَسْتَوْرَ وَفَضَحْتَ . وَإِنْ سَاعَدَكَ
 قَدْرٌ ، وَكَانَ لَكَ مِنْ هَذَا الْوُرُودِ صَدْرٌ ، فَحُظُّكَ مُبْتَدَرٌ ؛ وَخُطُّكَ ^(١) صَافٍ لَا يَشُوْبُهُ
 كَدَرٌ . فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ آنَ أَوْ كَانَ ، وَسَيَأْتِيكُمْ الْخَبَرُ الْآنَ . فَاَنْفَضَلْنَا وَأَصْغَيْنَا
 الْآذَانَ ، وَجَعَلْنَا نَتَلَقَى الرُّكْبَانَ ، فَلَمْ يَرُعْنَا إِلَّا النَّعْمَى النَّاجِمَةَ ، وَالبُّشْرَى
 الْهَاجِمَةَ بِمَا بَانَ ، فَأَدَهْنَا فِي شَأْنِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعَاوِدُهُ خَوْفُ طُغْيَانِهِ ، فَإِذَا الْخَبَرُ لَمْ
 يَخْطُ صِمَاخَهُ ، وَكَأَنَّمَا كَانَ عَوْدًا وَافِي مَنَاخِهِ ، أَوْ طَائِرًا أَمَّ أَفْرَاخَهُ . فَلَمْ يَنْشَبْ
 أَنْ أَقْبَلَ يَصْمُدْ نَحُونًا أَيْ صَمَدٌ ، وَيَتَعَرَّضَنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ، تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنَّجُومِ ؛
 [وَيَنْقُضُ انْقِضَاضُ نِيَّازِكَ النَّجُومِ] ^(٢) ، وَقَالَ أَلَمْ يَأْنُ أَنْ تَدِينُوا لِي بِالْإِكْبَارِ ،
 وَتَعْلَمُوا أَنِّي مِنَ الْجَلْمِ بِإِيْذَةِ السِّكْبَارِ ، فَقُلْنَا مِنْكَ الْإِسْجَاحُ ، فَقَدْ مَلَكَتْ وَمِنْكَ
 وَلَكَ النِّجَاحُ ، آيَةٌ سَلَسَكْتَ . فَأَطْرَقَ زَهْوًا ، وَأَعْرَضَ عَنَّا لَهْوًا ، وَقَالَ اْعْلَمُوا
 أَنَّ الْقُرْعَةَ لَوْ طَوَتْ أَسْرَارَهَا ، وَمَنْعَتَنِي ^(٣) أَخْبَارَهَا ، لَمَزَقْتُ صِدَارَهَا ، وَذَرَوْتُ
 غُبَارَهَا ، وَلَوْ كَانَ لِي عَنْهَا أَوْسَعُ مُنْتَدِحٍ ، وَأَنْجَدَ زِنَادُ يَقْدَحٍ ، أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ
 رَصْدِي الْأَخْلَاقِ ، وَعِلْمِي بِالْأَفْلَاقِ ، أَنَا فِي مَرَجِ الْمَوْجِ ، وَأَوْجِ الْأَوْجِ ، وَالْمُتَفَرِّدِ
 بِعِلْمِ الْفَرْدِ وَالزَّوْجِ ، وَمُسْتَرْطِ السَّرَطَانِ ، وَمُسْتَدِيرِ الدَّبْرَانِ ، وَبَايَعِ الْمُشْتَرَى
 بِالْمِيزَانِ ، وَالْقَابِضِ بِيَوْمِ ^(٤) الْحِسَابِ وَالْعَمَلِ ، عَلَى رَوْقِ الشُّورِ وَذَنْبِ الْحَمْلِ ،
 [أَنْعَقِدَ نَضْلَ الْعَقْرِ] ^(٥) ، وَأَقْيِدَ الْأَبْعَدَ وَالْأَقْرَبَ ، لَصَيْدِ أَوَابِدِهَا بِالْدَّقَائِقِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و« الزيتونة » . وفي « ج » (و لحظك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واذتقض انقضااض المارد المرحوم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (غيبتي) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بيد) . والأولى أرجح

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (عندى نعل العنقرب) والأولى أرجح .

والدَّرَج ، ' حتى اضغُرَّ سارحها إلى الحَرَج ، وأصْبَحُها في أَضيق مُنْعَرَج [^(١)] ،
 [أنا استندكرت بالأنباء فَرَحَة الإقبال وترَحَة الإِدبار] ^(٢) ، وطالعت إقليدس ،
 فاستنبطنه ، وصارعت المَجسَّطى فحَسَطنته ، وارتَمَطَتْ إلى الأَرْتَمَاطيقى ، [وأَطَقْتُ
 الألوطيقى] ^(٣) ، ولحظتُ التحليل بحل ما عقده ، وانتَضَيْتُهُ ما مَطَّل به الجهايدة ،
 فنغذته . وعانيت ^(٤) زُحْل ، حين استقلَّ على بعيره ^(٥) ورَحَل ، وضايقتُهُ في ساحتها ،
 وحصرته في مِساحتها ، وحضرت قِرانه ، وشهدت تقدُّمه ومُرانه ، وشاهدته
 [شَفَرًا بِشْفَر] ^(٦) ، وناجاني برقًا يُعد في الكُفر ، وتخريبه لملك الصُفر ،
 [وتفريقه لبلاد اللَّطينة] ^(٧) وإنجاز الوعد في فتح قُسْطَينَة . أنا عقلت رشا
 الدلو ، وذَرَوْتُ غُبَار الحوت للفلو . أنا اقتدحت [سَقَطَ الجوزَهر] ^(٨) ، فلاح
 بعد خفايه وظَهَرَ . أنا استشرْتُ ^(٩) الهلال من مكان سرِّره ، [وأخذت عليه
 ثنابا مَنَزَه] ^(١٠) ، وقدَدْتُ قَلامته من ظُفْره ، ودلت طير الصَّاير على شجره ،
 فجذبتُ المرء من ثمره ، أنا طرقت الزُّهرة في خِذْرها ، وصالحتها من الفكرة بيد

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (واضطر من ها هنا إلى
 الحرج ، وأجمعهم في ضيق المنعرج) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال . (أنا استدركت بالأنباء ، حركة الإقبال
 والإدبار) . والأولى أبلغ معنى .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال (أنا عادل) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (رحيله) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (شبرا وشبرا ... شبرا بشبرا) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وتقريه لبلادهم طينه) . والأولى

أدل على المعنى .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (زلذ جوزائه - الجوزاء) .

(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استخرجت) .

(١٠) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتون » . وساقطة في « ج » .

لم تَدْرِهَا . أنا أذ كيت على ذكاء فظَلَّت تَلْتَهَب . وأُخْرِزَتْهَا من الوهم شَطْنًا ،
 [أَجْدِبَهَا به فتَجْجَدِب]^(١) . أنا أُنْعَى الْمُعْتَبِرِينَ حَيَاتَهَا ، [فَيَشْجَهُونَ الْحَسَنَةَ ،
 وَيَتَحَرُّونَ أَوْقَاتَهَا ، حَتَّى تَنْتَشِرَ بَعْدَ الطُّى حَيَاتُهَا]^(٢) ، وَتَسْتَقِيلُ مِنَ الْعِنَارِ
 آيَاتُهَا . أنا انْتَضَيْتُ لِلشَّبَابِ شَرَحًا ، وَأُضْرِمْتُ لِلْمَرِيحِ عَقَارًا وَمَرَحًا ، حَتَّى أَتَغَانِي
 بِمَلَحِمِ حُرُوبِهِ ، وَحَوَادِثِ طُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ ، وَتَلْمِظُهُ إِلَى النَّجِيعِ ، وَوُلُوغِهِ فِي مُهْجَةِ
 الْبَطْلِ السَّجِيعِ . أنا أُبْرِى مِنَ اللَّئِمِّ ، وَأُشْفَى مِنَ الصَّعْمِ ، وَأُنْقَلُ الْعَطَسَ إِلَى الشَّمَمِ .
 قَلْنَا أَمَّا الْأُولَى ، فَقَدْ سَلَّمْنَا لَكَ جَمِيعَهَا ، وَأَمَّا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ فَلَنْ تَسْتَطِيعَهَا . قَالَ
 فَلَمْ تَعْجِزُونَ وَلَا تَسْتَغْزُونَ . فَقَلْنَا مَنْ كَانَ لَهُ عِلَاجٌ فَيَنْفَعُ يَبْدَأُ ، وَنَغَبُّ بِغَيْرِهِ .
 وَلَسْنَا نَرِيدُكَ ، وَلَسْنَا تَهْتَرُ بِدُكِّكَ . قَالَ أَمَّا مَنْ يَذْنِبُ رَوْى . وَأَلْقَى فِي رُوعِهِ
 مَا أَلْقَى فِي رُوعِي ، فَثَلَّهُ كَالصَّارِمِ ، حُسْنُهُ فِي فِرْنَدِهِ ، لَا غِمْدَهُ ، وَجَمَالُهُ فِي
 حَدِّهِ لَا فِي خَدِّهِ ، وَالْمَرْءُ كَمَا قِيلَ بِأَصْغَرِيهِ ، لَا بِمَنْخَرِيهِ ، وَالشَّانُ فِي الْخَيْرِ وَمِ
 لَا فِي الْخَلِيشِ وَمِ ، وَفِي الذُّكْرِ كَرِينٌ ، لَا فِي الْأُنْثَى كَرِينٌ ، وَبَعْدَ فَهُوَ كَلَامُ ظَاهِرِهِ إِجْمَالٌ ،
 وَبَاطِنُهُ احْتِمَالٌ ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ [بِغَزَاوَةِ سَيْلِهِ ، وَفَجْرِ لَيْلِهِ]^(٣) . أَمَّا الْأَفْطَسُ فَيَدُلُّ
 الضَّغْنَةَ ، وَيَتَزَوَّجُ فِي آلِ حِفْنَةٍ . فَإِنَّ اللَّهَ أَنْتُمْ ، جَاءَ الْوَلَدُ أَنْتُمْ ، وَإِنْ نَامَ عِرْقُ
 خَالِهِ ، بَقِيَ الْوَلَدُ بِحَالِهِ . وَأَمَّا الْأَصْمُ ، فَيُخْرِجُ عَنِ الْغَلَامِ ، وَبِلَا قَالٍ ، وَيَدْلِبُ فِي بَنِي
 السَّمِيعَةِ بَرَكَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْغَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ ، ظَفِرَ بِالْمُرَادِ ، وَجَاءَ ابْنُهُ^(٤)
 أُمْتَمَعَ مِنْ قَرَادٍ . فَأَحْسَسَ مِنْ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ تَمْرِيضًا ، وَعَايَنَ طَرَفًا غَضِيضًا ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (حتى جرت جرى المذهب) .

(٢) هذه العبارة واردة فقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » (بمجر سيله لا بمجر ليله) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الولد) . والملاذ واحد .

فَنَعْسُكَ وَتَشْدَرُ [١] ، وَطَوَّفَ وَحَذَرَ ، وَقَالَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ ، سَمَّاهُ بَنِي السَّمِيعَةِ ، قَوْمُوا يَا بَنِي اللَّسْكَيَةِ ، فَقَدْ قَطَعْتُمْ رِزْقِي ، وَأَذَيْتُمْ [٢] طُرُقِي ، وَأَذَلَّكُمْ ضَرْبِي وَطَرُقِي ، وَسَدَدْتُكُمْ طَوُقِي ، وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ أَفْقِي غَرْبِي وَشَرْقِي . [ذَرُونِي لَأَتِي هِيَ لِلْبَيْلِيَّةِ تَجْنِي ، ثُمَّ الْوَجْدَ يَعْنِي . لَوْ شَرِبَ نَوَادِيهِ لَمُتُّ تَجْنِي] [٣] . ثُمَّ نَجَا بَعَزَ مَتَهُ سَمِيلاً ، وَأَرْسَلَ بَنَاتِ نَعَشٍ ذِيلاً ، وَقَدْ أَفَادَ بِنَا اسْتَصْحَبَ مِنْ مَيَامِنِكَ لَيْلاً [كَذَبَنِي أَيْدِكَ اللَّهُ عِنْدَ نَوَاهِ] [٤] وَلَمْ يُطْلِعْنِي طَلْعَ مَا نَوَاهِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَطْمَعِ لَوَاهِ ، وَمَتَّعْتُمْ هَوَاهِ فَرَفَعْتُمْ لِي بَعْدَ وَدَاعِهِ نَجْوَاهِ ، وَرَمَتْنِي بِشَخْصِهِ نَجْوَاهِ [فَقُلْتُ مَا أَرَاكَ إِلَّا غَائِلًا ، أُوْرَثْتَ عَنْكَ الْحَبَائِلُ] [٥] . فَسَرَاكَ سُرَى قَيْنٍ ، وَحَدِيثُكَ مَيْنٍ ، أَلَمْ تَعْبِرْ دُجَيْلًا ، وَيَتَمَمْتَ سُهَيْلًا . فَقَالَ طَرِبْتُ إِلَى الْأَصْفِيَةِ الصَّغَارِ ، وَشَاقَنِي الشُّوقُ بَيْنَ الطَّوَاغِيَةِ وَالْأَصْفَارِ . فَقُلْتُ لَهُ هَلْ لِي خَطٌّ نَعِيدِهِ ، وَحِظٌّ نَسْتَفِيدِهِ . فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا السَّاعَةَ مَتَى ، وَتَطَالِبُونِي بِأَحْيَاءِ الْمَوْتَى ، لَمَا أَجْمَعْتُ إِلَى الْغَرْبِ غَرْوَبًا ، وَلَأَرِيْتُكُمْ مِنَ الْخَذَقِ ضَرْوَبًا . ثُمَّ قَالَ إِنْ لِي بِالْخَضِرَةِ أَفْرَاخًا ، وَأَمَّا اسْتَصْرَخْتُ عَلَيْهَا اسْتَصْرَاخًا ، وَاسْلَخْتُ مِنْهَا اسْلَاخًا ، وَأَعْيَا عَلَى أَمْرِهِ ، فَلَمْ أَعْلَمْ لَهُ طَعْنًا وَلَا مَنَاخًا . فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ أَيَّامًا ، قَدَاخْتُ عَلَى أَمْرِهِ اعْتِيَامًا . وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ إِنْجَادًا وَلَا اهْتِمَامًا [٦] ، فَإِذَا بِهِ وَقَدْ اضْمَرْتُ عَنْهُ بَأْسًا ، وَلَمْ أَطْمَعْ فِيهِ رَأْسًا ، قَدْ أَشْبَى لِي شَبَابًا ، وَلَمَعَتْ صَاعَتُهُ شَهَابًا ، تَسْكُتُنْفُهُ صُرَّةٌ ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطتين (فتكادر وتشور) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وداريتيم) . و«الزيتونة» (وارديتيم) .

(٣) هكذا وردت هذه الفقرة التي بين الخاصرتين في «الزيتونة» . وهي ساقطة في «ج» . وفي الإسكوريال وردت على النحو الآتي : (ذروني التي هي الليل يهز ، ثم للوقد يعن ، لو شرب نواديه ترن) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطتين . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (اهتماما) . و«الزيتونة» (اهتماما) .

وَبَيْنَهُ قَوْصَرَةٌ . وَتَوَدُّ يَسْرَاهُ جِرَّةً . فَقُلْتُ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ . [مَا أَشَدَّ فَقْدَاتِكَ ،
إِلَّا فَقْدَتِكَ ، وَمَا أَذْكَرَ وَجْدَاتِكَ إِلَّا وَجْدَتَكَ] ^(١) أَيْنَ أَفْرَاخُكَ ، وَالْأُمُّ الَّتِي
جَنَّبَهَا اسْتِصْرَافُكَ . فَقَالَ الصَّعْلُوكُ ، لَوْ أَعْلِمَ مَذَاهِبُهُ . تَحَرَّمَ مَنَاهِبُهُ ، وَتَحَدَّمَ
مَرَاهِبُهُ . ذَرْنِي وَعِلَاجِي ، أَحَاجِي وَأَدَاجِي ، وَأَعَايِنُ وَأُنَاجِي ، وَأَتَقَلَّبُ فِي بَرَكَةِ
دُعَاءِ الْبَاجِي . فَقُلْتُ لَهُ مَالِكُ وَالْمَيْتِ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَيِّتَ . قَالَ ، لَمَّا أَدْنَى اللَّهُ
فَالْتَأَمَتْ ^(٢) الشَّيْمَةُ ، وَتَمَزَّقَتْ عَنِ الْمَشِيْمَةِ ، هَمَمْتُ بِالسَّرْقِ ، وَلَفَفْتُ فِي الْخُرْقِ ،
[وَفَارَقْتُ مِنَ الضَّيْقِ مُنْتَدَاهُ] ^(٣) ، وَأَفْلَتَنِي يَدَاهُ ؛ فَخَسَّكَنِي السَّعْدُ ^(٤) بِشَرِّ
الْمَدِينَةِ ، وَسَقَانِي مِنْ مَاءِ الْبَلَدَةِ الْأَمِينَةِ ، وَعَوَّذَنِي بِدُعَوَاتِ مَتِينَةٍ . فَهَا أَنَا كَمَا
تَرَى [أَتَهَادِي وَاجْتَنِبُ] ^(٥) وَأَسْتَحْلِي وَأَسْتَعَذُّ . فَقُلْنَا لِعَمْرُكَ ^(٦) إِنَّهُ لِفَضْلِ عَمِيمٍ ،
لَوْلَا الْقَصِيمُ ، [وَإِنِهَا لَمَنْقَبَةٌ] ^(٧) ؛ لَوْلَا الْعَقَبَةُ [وَأَثَرَةٌ مُلْتَمَسَةٌ ، لَوْلَا الْعَطْشَةُ] ^(٨) .
فَقَالَ دَعْنَا مِنْ زَخَاوَيْفِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ عِنَانِ تَصَارَيْفِكَ . الْبَازِلُ لَا يَكُونُ
إِلَّا ذَمِيًّا ، وَاللَّيْثُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا شَمِيًّا ^(٩) ثُمَّ [قَامَ وَحَلَّ] ^(١٠) ، وَابْتَدَرَ وَارْتَجَلَ ؛
عَبُسْنَا كُلَّهُ خُدَّعَ فَاتَرَكَ الْيَوْمَ عَنْكَ وَدَّعَ
أَنَا كَاللَّيْثِ . وَاللَّيْثُ وَثُ بِأَرْسَانِهَا ^(١١) تَرُوعَ

(١) هذه الفقرة واردة في الإسكوريال . ووارد منها في "الزيتونة" عبارة (ما أشد بفقدك إلا وما أذكر كها) وهي ساقطة كلها في "ج" .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (باتمام) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في الإسكوريال (ومثلت في منتداه) .

(٤) هذه الكلمة واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هاتان الكلمتان في الإسكوريال والزيتونة . وفي "ج" (استحل واستجذب)

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (لعمر الله) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي "ج" (ونوائن معتقبة) .

(٨) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في "ج" .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ستيما) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قال وأحل) .

(١١) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بأرسانها) والأولى أرجح .

ولها الأوجه السَّيِّمة من يَلْقَمها يُرْع
 أيُّ حسن لمازن بيد الدَّل يُخْتَرع
 أنا كالسَّيف حده لا يبالى بها وقع
 إنما الحُسن للمهابة وللظُّبي يا لَكِيع

فقلت تَبَّاً لك ساير اليوم ، إنك لَتَرِيش وتَبْرِي ، وتُقْدُّ وتفري ، وتحاسن
 وتُناجِج^(١) ، وتُهاش وتُنابج ، [وتُحب وتُنامل ، وتحسن وتُغافل]^(٢) وتُشاعر
 وتُراجز ، وتُنطاح وتُنأجز . وأنت على هذا كله مُصِرٌّ^(٣) ، ما جزاؤك إلا ربح فيها
 صِرٌّ ، فما هو إلا أن غفلت عنه لمحة طَرْف ، أو نفحة عَرَف ، ثم التفت^٤ ، وإذا
 به قد أفلس ، وكأنما كان برقاً خُلِس ، ولم أدر أقام أو جلس .

ومحاسنه القَطْر^(٤) الذي لا يُعد ، والأمر الذي يأخذه الحدُّ . وكفى بهذه الرسالة
 دليلاً على جلالة مقداره ، وتدقُّ بحاره [وفخازه]^(٥) ، لما اشتملت عليه من بلاغة
 وبيان ، وبساط حال أنت على خبره بعيان ، وعلوم ذات افئنان ، خلد الله عليه
 الرحمة : وضاعف له [المنة والنعمة]^(٦) .

[مولده : بأوایل ربيع الثانی عام خمس وستین وأربع مائة]^(٧) .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وتخاشن) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالألف : (وتحب وتحب وتناقل وتختال - تحامل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معجب بها - مغرماً) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (كالقطر) .

(٥) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الإسكوريال (المنحة) .

(٧) هكذا وردت هذه الفقرة في «الزيتونة» . وهي ساقطة في . . . وردت في

الإسكوريال (ولد سنة خمس وستين وأربع مائة) .

وفاته

من خطأ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال رحمه الله . كان ممن أصيب أيام
الهرج بقرطبة ، فعظم المصاب به ، الشيخ ^(١) الأجل ، ذو الوزارتين ، السيد الكامل
[الشبير الأثير] ^(٢) ، الأديب [المغوى السرى] ^(٣) الكاتب البليغ ، معجزة زمانه
[وسابق أقرانه] ^(٤) ، ذو المحاسن آتمة ، [الجليله الباهرة] ^(٥) ، والأدوات الرفيعة
الزكية ، الماهرة الكاملة ، المجمع على تنهائى نباهته ، وحمد ^(٦) خصاله وفصاحته ،
[من لا يُشَقُّ غباره ، ولا تلحق آثاره ، معجزة زمانه فى صناعة النثر والنظم] ^(٧) ،
أبو عبد الله بن أبى الخصال [رحمه الله تعالى ورضى عنه] ^(٨) ونُصِرَ وجهه . أُلْفِي مقتولا
قرب [باب داره] ^(٩) بالمدينة ، وقد سلب ما كان عليه ، بعد نهب داره ، واستيصال
حاله ، وذهاب ماله . وذلك يوم السبت الثانى عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين
 وخمماية . فاحتُمِلَ إلى الرُّبُضِ الشرقى ^(١٠) بحومة الدوب ، فُكِّلَ هنالك وكُفِنَ ، ودفن
 بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ، ونُفِيَ إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا
 بسبيله من الفتنة . فكثرت التفجعات لفقده ، والتأسف على مصاب مثله ، وأجمعوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (الفقيه) .

(٢) هذه الزيادة من المخطوطين . .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٥) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) هذا وارد فى المخطوطات . وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) هذا وارد فى المخطوطين . وساقط فى الإسكوريال .

(٩) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (مرد) .

(١٠) كان « الربض الشرقى » من فرجة . يقع فى ميسه المسعى « أو » « النراية » و

شمالها الشرقى ، عند منحى نهر اودى الكبير

على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحامداً، وفيها ومعرفة . وذكاه وحكمة وبقظة ،
وجلالة ونباهة ، وتفناً في العلوم . وكان له [رحمه الله]^(١) اهتمام بها ، وتقديم
في معرفتها وإتقانها . وكان رحمه الله ، صاحب لغة وتاريخ^(٢) وحديث ، وخبر
وسير ، [ومعرفة برجال الحديث ، مضطلماً بها]^(٣) ، ومعرفة [بوقائع العرب]^(٤)
وأيام الناس ، وبالنثر والنظم . وكان جَزَل القول ، عذب اللفظ ، حلو الكلام
[عذب الفكاهة]^(٥) فصيح اللسان ، باوع الخط [حُسْنُهُ وَمُسْتَقْنَهُ]^(٦) . كان في ذلك
كله واحد عصره . ونسيج وحده ، يُسَلَّم إليه في ذلك كله ، مع جمال منظره ، وحسن
خلقه ، وكرم فعالة ، ومشاركته لإخوانه . وكان مع ذلك كله [جميل التواضع ،
حسن المعاشرة لأهل العلم]^(٧) مسارعاً لمهاتهم ، نهاضاً بتكليفهم ، حافظاً لعهدهم ،
مكرماً لنهائهم ، واسع الصدر ، حسن المجالسة والمحادثة ، كثير المذاكرة ، جَمُّ
الإفادة . له تصانيف جليلة^(٨) نبهية ، ظهر فيها علمه وفهمه ، أخذها الناس عنه
مع سائر ما كان يحمله ويتقنه ، من أشياخه الذين أخذ عنهم ، وسمع منهم ،
وقرأ عليهم^(٩) .

وقال غيره : قتل بدرب الفرعوني بقرب رَحْبَةِ آبان ، بداخل مدينة قرطبة ،
قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصاري مع أميرهم ملك طليطلة ، يوم قيام

(١) زائدة في المخطوطين .

(٢) زائدة في المخطوطين .

(٣) الزيادة من المخطوطين .

(٤) الزيادة من المخطوطين .

(٥) الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٧) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (رفيعة) .

(٨) تتبعنا في هذه الفقرة الأخيرة نص المخطوطين والإسكوريال . وأخرجناها في صياغة

مشتركة .

ابن محمد بن يحيى بن علي بن غانية المسوفي [الملثم المزابلي] ^(١) يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة عام أربعين وخسمائة . قتله بربر المصامدة وجمالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه ، ولم يعرفوه ، وقتلوا معه [ابن أخته] ^(٢) عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ، وكان أنكحه إبنته ، فقتلا معا . وكان محمد خيرة الشيوخ ، وعبد الله خيرة الأحداث ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي ^(٣)

يكنى أبا بكر من أهل شلب ^(٤) من العلما .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، كان منقبضاً عن الناس ، أديباً ، شاعراً ، خمس عشرينيات الفنازاي ، رحمه الله تعالى . وذكره صاحب الذيل . وقال لي شيخنا أبو البركت ، وهو جدّه ، أبو أيّه ، ما معناه : كان شريفاً ، على المهمة ، عظيم الوقار ، ألوفاً ، صموتاً ، نحيف الجسم ، آدم اللون ، خفيف العارض ، مقطّب الوجه ، دايم العيوس ، شاخ الأنف ، إلا أنه كان رجلاً طاماً واسعاً ، عظيم النزاهة ، حافظاً للمروءة ، شهير الذكر ، خطيباً مصقفاً ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (من المزابلين) .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» . ولا «الزيتونة» .

(٤) هي بلدة برتغالية صغيرة ، تقع في نهاية ولاية الغرب الأندلسية ، في جنوبي البرتغال

على مقربة من المحيط . وينسب إليها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار . وبالبرتغالية Silves

مهيّبا كشهريته ، قديم الرياسة ، يُعَضِّدُ حديثه قديمه . واستقر بالمرية ، لما تغلب العدو على بلاد سلفه . ولما توفي شيخ المشايخ : أبو إسحاق بن الحجاج . تنافس الناس من البلدين ، وغيرهم ، في خطبة بنته . قال شيخنا أبو البركات : ومن خصة نقلت ، وكان ابن مهيّب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة ، متقدما في حلتهم ، بجيوش الأشعار . ورام غلبته ذوو اليسار ، من حيث كان بجمراه جيش الإعسار ، فأذلم بالمقابلة في عُقر الدار ، فلم يرجعوا من الغنيمة إلا بالفرار . قلت ، وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً ، ناسب الغرض . ونال من المتغلب على المرية ، على عهده ، حُظُوة ، فاستظهر به تاوة على معقل مرشانة^(١) وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس . ولما آب من سفره إليها ، سعى به لديه بما أوجب أن يحجّر عليه التصرف ، وسجنه بمنزله . فلما قصد المرية الغالب بالله^(٢) ، مُسْتَخْلَصاً إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرّميحي^(٣) ونزل بمدينةتها ، وحاصر قصبته ، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين ابن مهيّب ، بمحاولة الأمر ، وعقد الصلح ، وضى بدينه وأمانته ، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرّميحي القصبه ، ويُعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده ، فتأتى ذلك واكتسب عند الغالب بالله ، ما شاء من عزّة ومجّلة .

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني ، صدر عن الأمير الغالب بالله ،

يدل على جلالة قدره نصه :

(١) سبق التعريف بها .

(٢) الإشارة إلى الغالب بالله هنا يقصد بها محمد بن يوسف بن نصر أو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة ، وكانت المرية وقت قيامه ، في يد منافسه المتوكل بن هود ، وعليها من قبله الوزير أبو عبد الله بن الرّميحي . وتوفي ابن هود في المرية في ظروف غامضة في أو ثل سنة ٦٣٥ هـ . فلما ملك ابن الأحمر غرناطة واستقر بها في رمضان من هذا العام ، سار إلى المرية وحاصرها واستولى عليها .

هذا ظهيرٌ كريم ، أظهر العناية الحافلة لمُسْتَوْحِيها ومُسْتَحِقِّها ، وأجراه من
الرعاية الكاملة على الحُبِّ طَرَقُها . أمر بإحكام أحكامه ، والتزام العمل بفصوله
وأقسامه ، الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن نَصْر ، نصّر الله أعلامه ، وأدام
لإقامة قِسْطِ العدل أيامه ، أوليّه العليّ المسكّنة ، وصفيه الملىء بأثر كَيْ المعرفة والديانة ،
الحريّ بما اختصه ، أيده الله ، من الحفظ لمرتبته السامية والصيّانة . للشيخ الفقيه ،
الجليل ، العالم ، الأوحد ، العَلَم ، الأتقى ، الأزهر ، الفاضل ، الخطيب الأرفع ،
المحدث الثقة ، الراوية ، الصالح ، السّفي ، الحافظ ، الحافل ، الماجد ، السّري ،
الطاهر ، المُكرّم ، المبرور ، الكامل ، أبي بكر بن الشيخ الوزير الأجل ، الفقيه ،
الحسيب ، الأصيل ، الأجد ، المسكرم ، المبرور ، الأفضل ، المرحوم ، أبي عمرو
ابن مَهيب ، أدام الله عزّة جانبهِ ، ووصل بالعلم والعمل أرتقاء مراتبه ، أقام به
الشّواهد على اعتقاده ، أنه أَخَاصُ أوليائه وَدّاً ، وأفضلهم قصداً ، وأكرمهم عهداً ،
حين ظهرت له . أيده الله ، آثار آوايه الأصيلّة ، وبانت في الصّلاح والإصلاح ،
ميامينُ مناقبه الجميلة ، ووجب له من العناية والمزيناات ، أتمّ ما توجبه معارفه ،
وتقتضيه بحادته وزهادته ، التي لا يَفْنَدُ في وصفها واصف . وأعلن ، بأنه دام
عزّه ، أحقُّ من حَفِظَتْ عليه ، مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم ،
وأبقيت مزيّة ما تميّز به من التّقى والورع السّكافي والحلم ، وبرّع بصلة
العناية بجانبه ، لما أهلت له إليه معرفته من نفع المتعلمين ، وإرشاد من يَسْتَرْشده
في مسابيل الدين من المسلمين ، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتحلّة والتوقير ،
وأجدو مَنصُوص على أن قدره لديه معتمدٌ بالتكريم والتكبير . وأمر ، أعلى الله
أمره ، أن يستمر له ، ولزوجه الحرّة الأصيلّة الزكية ، التقية الصالحة ، المصونة المكرمة
المبرورة ، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السّني ، الزاهد الفاضل ،
للمرحوم المقدس . الأَرْضِي ، أبي إسحق بن الحاج ، ما أطردت به العادة لهما قدماً

وحديثاً، وتضمنه الظهيران الكريمان المزورخ أحدهما بالعشر الآخر لشوال عام خمسة وثلاثين وستماية، من صرّف النظر في أعشارها وزكّواتهما إليهما، ليضعا ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق الله تعالى، ما مثلهما علماً وديناً من يؤديه، موكولاً ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفاً إلى نظرها الجارى، مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهائر والأوامر القديمة والحديثة، المنضمنة تسوية الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما ولأعقاب أعقابهما، على التأيد والتخليد، والحاشاة من اللوازم، والمعاوز وللغام، وأن يطرد لشركائهما، وعمرة أملاكهما، ووكلايهما، وحواشيهما، ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار الذى يطرد العمل به مدى الأيام، وتتراعى التمشية له، من غير انصرام على الدوام، مؤفياً بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأئمة الأئمة، أبى بكر، أدام الله عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعد آماذ العنايات الشريفة، الفسيحة المجال، مقتضى على حق ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين أضفياً عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاة والعمال، وسائر ولاة الأشغال، وليتلقه بغاية الائتمار والامتنال، إن شاء الله. وكتب فى الثانى عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وأربعين وستماية.

مشيخته

أخذ عن أبى العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية. وعلى عباس ابن عطية أبى عمرو. وروى عن أبى محمد عبد الكبير الإشبيلي، وصحب أبى الحسن بن زرقون. وتمقه عليه. وانتقل إلى ألمرية. فصحب أبى إسحق البليغى وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره. ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره

نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية :

أبى الندى هل من سبيل إلى فجر
أبى القلب إلا أن يهيم بحبكم
رحلت عنكم لا بقلبي وإنما
أعود بدهر الوصل من حين هجركم
للغيب نفسي لست أنفق قربكم
تقطع أكبادي عليكم صيابة
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم
فلولاهم ما كنت أحسب ساعة
ألا يا أخي فاسمع وصاتي فإنها
يحبك في ذات الإله ويتنسى
إلا إنما التوفيق كنت من أهله
بتوحيده في ذاته وصفاته
فتأبر على القرار والأثر الذي
وعدت لك الخيرات عما سواها
إذا يسلك الشيطان نجساً سوى الذي
وفرق الأجناس حاشى تقيهم
ولا تنسني واذكر أخاك بدعوة

ويا قلبكم كم تأسى ويا دمعكم كم تجري
وأن تبرحوا إلا القليل عن الفكر
تركت لديكم حين ودعتكم سرى
ورب وصال مستعاد من الهجر
أزهدى فيكم بل حرصت على البر
فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وإن كان خيراً فهو عنهم من الشر
فقدتكم فيها عياناً من العمر
لبستك لعزى من أخ سالم الصدر
بحبك عند الله مدخر الأجر
مراعاة حق الله في السر والجر
وأفعاله أيضاً وفي الندى والأمر
يصح عن المختار والسادة الغر
وكن بها مستمسكاً أبد الدهر
سلكت ولا يلفى سبيلاً إلى مكر
فقد ظهر الإفساد في البر والبحر
فإنك منه يا أخي لعلى ذكر

قال شيخنا أبو البركات ، ومن شعره ، ومن خطه نقلت :

لصالحين إلى الصلاح طريق رخصت بهم وعدت عليك تضيق

صرفوا النفوس من الهوى عن صوابها
فغدت إلى طلب النجاة تتوق
منها بعد أبيات :

يا قرّة العين استمع من ناصح
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لي
لا تتخذ عنك ترهات أحدثت
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
إن الحديث وفريقه وعلومه
واهجر بني الدنيا فإنّ بهجرهم
والحق يقوم قد عتقوا بتجارة
واحفظ لسانك عن إذابة مسلم
لا تبك هم الرزق فهو مُقدّر
ولترض بالرحمن ربّاً حاكماً
حلّوا عقل عقولهم وتحكّموا
ولقد أتتك نصيحتي ولشمسها
فكن القريب مكانه من نفعها
واصطد بباري العزم أطيّار الرضا
ولتجعل التسبيح شأنك إزّه
واقنع بعلم الوحي علماً ثم لا
لا ترض فيه بالدنيّة ولتمت
ما كل علم يُهتدى بحصوله
كمدارك الأصوات منها طيب
وعليكم من تيمّه من له

في صدره قلبٌ عليك شقيق
روحٌ لروحك في الخلوص شقيق
وخزّ عيالات للجهول تروق
فالشغل عنك لغيره تفريق
هذا الذي للمؤمنين يليق
يتضاعف الإيمان والتصديق
نفقت لهم يوم القيامة روق
فسيباه قال الرسول فسوق
والعبد طول حياته مرزوق
ودع الفضول فمنه ضلّ فريق
إن التحكم بالعقول مُروق
في أوق حُبك يا حبيب شروق
فمكان سدّتها إليك سحقيق
فأخوك غايةً بازه التحليق
في الصعب ممن شأنه التصفيق
ينذهب بك التشقيق والتوفيق
عطشاً إذا لم تُسق منه رحيق
منه الرّكك نغم ومنه وقيق
نسلو النفوس به ومنه نهيق
قلبٌ إليكم أجمعه مشوق

وقال ، ألفت بخطه ما نصه ، وكان بعض السفهاء قد كتب إلى يمين
من شعرهما :

إليك أبا بكر رفعت وسيلتي ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غَرقت ببحر الذل يوما وليس لي بأرضكم إلا اهتمامك ساحل
وأساء المحاولة في دفعها ، فصرفتني ، ولم أقف عليهما ، فضرب عليهما ،
وكتب في ظهرهما :

حللت أبا بكر بموطن عزة فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبرا وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل
وكتبت إليه صحيفة دراهم وجهت بها إليه :

جفوت وما زال الجفاسا سجية لما قلت في أصلي فكذبة فاجر
وبالإفك ما عثرت لا بحقيقة وما زلت والله الحميد مُكرما
ولو كنت من يتقى الله لم تكن أما قلت أني ساحل لك عندما
وكيف نسخت المدح بالدم قبل أن ولكن لؤم الطبع يحمل أهله
إن كان بعض الكبر تقصا فإنه وما الذل إلا ما أتى بك نحونا
ومطلوبك الدنيا فخذها خسيصة وما الجود إلا ما أصبت مكانه
لمثلك ما إن زال تُبلى بها مثل رأي الفرع محموداً فعاب على الأصل
فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل وفي نائبات الدهر للعقد والحل
تمد متى تسخط وعند الرضا تحل غرقت ببحر الذل في زمن التحل
تبث لي الشكوى وتذلي بما تذل على الصعب من سب الكرام أو الثيل
عليك من الأوغاد يُحسب في الفصل فقيرا من التقوى سلبا من العقل
توافي خسيس النفس والقول والفعل ومهما فمذت الأصل لا عادي البخل

ومثلك من يُجنى ويقلب خاسئاً فلست لإسداء الصنيعة بالأهل
ولكننى عودت نفسى عادةً من البذل لم أعدل بها قط عن نذل
لخنها لحاك الله غير مبارك لسميك فيها يا بن خانية النعل
ومثلى من يؤذى فيحتمل الأذى ولكنه قد يُدر الجهل بالجهل
وقد قال من لا شك فى قوله من الحكما القتلُ أذهب للقتل
فإن زدنا زدنا وإن كنت نادماً قبلناك أخناً فى أمورك بالعدل
فى كل شيء لست عنك مقصراً بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ ، قول الهاجى ، وأصلك من كبر ، معناه التعريض يكون سلف أبى بكر بن مهيب ، علوا فى أنفسهم وتكبروا ، فشاروا بسبب ذلك بطيرة^(١) وجهاتها ، ثار منهم عبد الرحمن جدُّ أبى بكر ، ثم حسن ، ثم عامر أخوه ، وإلى هذا أشار أبو بكر بن مهيب بقوله فى بعض شعره :

إن لم أكن ملكاً فكنتُ رئيساً

وأشد فى الصلة الزيرية^(٢) قوله رحمه الله :

أملى من الدنيا المباحة كسرة أبقي بها رمتى ودارُ نابية
قد أضرب الزمان عن سكانها فكأنها فى القفر دارُ خالية
ومن شعره فى المقطوعات :

ترحل صبرى والولوع مقيم وصحَّ اشتياقى والسؤ سقيم
فياليت شعرى هل أفوز بعطف من زينت خدى ورداً عليه أقوم

(١) طيرة Tavera ، هى بلدة من بلاد ولاية الغرب الأندلسية تقع فى جنوبى البرتغال على شاطئ المحيط ، على مقربة من مصب نهر وادى يانة ، وقد وقعت بها عدة ثورات فى أوائل العهد الموحدى فى ، منتصف القرن السادس الهجرى .

(٢) الصلة الزيرية ، يقصد بها كتاب «صلة الصلة» لأبى جعفر بن الزبير ،

ويا جنة قد حيل بيني وبينها بقلبي من شوقتي إليك جعيم

دخوله غرناطة

قال الشيخ ، دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ الفاضل أبو الحسن ابن عبيدة ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، وممن رافق جده في الكتّاب عن بعض الأُمراء مدة ، وفي الخطابة بالمرية أخرى .

توفي بسبته أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وستمائة

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله

من صلة ابن الزبير : كان كاتباً بارعاً ، شاعراً مجيداً ، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام ، وغير ذلك ، مع نباهة وحسن فهم ، [ذو فضل وتعلل]^(١) وحسن سمّت . وورد على غرناطة ، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة ، وكان معلوم^(٢) القدر ، معظمها عند الكافة^(٣) . ثم لانه رجع إلى مرسية ، وقد ساءت أحوالها ، فأقام بها مدة ، ثم انفصل عنها ، [وقد اشتدت أحوالها]^(٤) ، وابتقر بالعدوة بعد مكابدة .

قلت ، أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب رحمه الله ، قال ، كان شكس^(٥)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (ذا نباهة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (عظيم) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (صنفه) .

(٤) هذه الجملة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (شكه) وهو تحريف .

الأخلاق ، متقاطبا ، زاهياً^(١) بنفسه ؛ ابتداء يوماً كتاباً ، مُصَدِّراً بخدايته ، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفو العفو »^(٢) ، وتركه لأمر عرض له ، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشى ، وهو كاتب المقام السلطاني ، فظن لقصوره أنه وهم ، وأراد « الصفوة » فأصلحه ، فلما عاد ونظر إليه مرّقه ، وكسر الآلة ، وقال لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]^(٣) ، وبتسوّره الإصلاح ، على قلم يطمع بعد في مقامه . وانصرف ، واستقر بتهامسان ، كاتباً عن سلطانها أبي يحيى يعمراً سن^(٤) بن زيّان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا ، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير والعلماء^(٥) وبعث إليه ألف دينار من الذهب العتيق ، فاعتذر ورد عليه المال ، وكانت^(٦) ، أشق ما مر على المستنصر ، [وظهر له علوّ شأنه]^(٧) ، وبعد همتته .

مشيخته

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي بكر بن مُحَرِّز ، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده ، [وأجاز له كتابة أبو الزبيع بن سالم وغيره]^(٨) .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذاهبا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ومعها (خيرة الخيرة) . ووردت في المخطوطين (صفوة الصفوة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (يحصل فيه هذا الغلظ) .

(٤) هكذا وودت في المخطوطين ، وهو الاسم الكامل . ووردت في الإسكوريال (ينمور) وهو مختصر الاسم .

(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (فكان ذلك) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال «الزيتونة» (لأجل باره) .

(٨) هذه الجملة واردة في الإسكوريال «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

شـمـرـه

من ذلك قوله :

أَفْنَعُ بِمَا أُوتِيْتَهُ تَنْكَلُ الْغِنَا وَإِذَا دَهَتْكَ مِلَّةٌ فَتَصْبِرُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ فَلَوْ رُمْنَا زِيَادَةَ ذَرَّةٍ لَمْ نَقْدِرْ
وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا نَسْلُ أَحَدًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُؤْجِرْ
وَإِذَا سَخَطْتَ لِبُؤْسِ حَالِكَ مَرَّةً وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ [قَدْ غَوَتْ فَاتْبَصِرْ] (١)
وَانْظُرْ [إِلَى مَنْ كَانَ دُونَكَ] (٢) تَدَّكِرْ لِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَتَشْكُرْ

[وَمَا قَالَ فِي صَبَاه :

يَا دَعْوَةَ شَاكٍ مَا قَدَّ دِهَاهُ مِنْ لِحَاطِ رِشَاكِ
ظَنِي تَصَدَّى لِلْأَلُوبِ بِصَيْدِهَا مِنْ نَاطِرِيهِ فِي سِلَاحِ شَاكِ
وَرَحَى وَإِنْ قَالُوا رِنَا عَنْ فَاتِرٍ سَاجٍ عَلَيْهِ سِيمِ الْفُسَّاكِ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بِطَشِهِ لَوْ أَنِّي أَبْصَرْتُ مِنْهُ مَخَايِلَ الْفِتَاكِ
أَوْ مَا عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهِ حَاكِمٌ يَحْمِي ثُغُورَكَ أَوْ يُحِيطُ حِمَاكَ
أَوْ مَا لَجَارِكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ أَبْدَا يَظَلُّ دَمُ الْغَرِيبِ طِلَاكَ
إِنِّي اسْتَمْتَمْتُ إِلَى ظِلَالِكَ ضَلَّةً فَإِذَا ظَبَاءُكَ مَاضِيَاتِ ظَبَاكَ
مَالِي أَخَاطِبُ بِأَنَّهُ مَا أَنْ تَعَى قَوْلًا وَلَا تَرْنَى لِدَمْعَةٍ بِسَاكَ
أَكْرِمَةُ الْحَيِّينَ هَلْ لِمُتِّمٍ رَحْمَى لَدَيْكَ فَأَوْجِبِي أَرْحَاكَ
أَصْبَتْنِي بَعْدَ الْمَشِيبِ وَلَيْسَ مِنْ عُنْدِ مَنْ لَمْ يُصْبِهِ ثَرَاكَ
لَوْلَا مَا جَذَبَتْ عِزَانِي لَوْعُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَوْلَاكَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قد ثبت فاستغفر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (إلى من دون حالك) .

لما دعا داعي هـ وَاك أَجِبْتُهُ
أَصْلَيْتَنِي نَارَ الصُّدُودِ وَإِنِّي
وَأَبْجَحْتُ مَا مَنَعَ التَّشْرِعَ مِنْ دَمِي
وَتَرَكْتُ قَلْبِي طَائِرًا مَتَخَبِّطًا
وَمَنَعْتُ أَجْفَانِي لِذِيْدٍ مَنَامِهَا
وَلَقَدْ عَجِبْتُ وَأَنْتِ جَدُّ بِخِيَلَةٍ
إِنِّي لِأَيَّاسُ مِنْ وَصْلِكَ تَارَةً
أَسْمَاكَ أَنْكَ قَدْ خَفَضْتَ مَكَانَتِي
إِنِّي مُعْنَاكَ الْمُتَمِّمُ فَلْيَكُنْ
تَتْنِي مَعَاطِفُكَ الصَّبِيَّا خُوطِيَّةً
أَبْعَدْتَنِي مِنْهَا بِطَاعِنَةٍ رَاحِ
أُمُوتٍ مِنْ عَطَشٍ وَتَفَرُّكِ مَوْرَدٍ
هَلَا تَتْنِي عَنْ حُلُوةٍ فَلَعَلَّةٍ
وَقَالَ يَجِيبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَمِيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَنْ قَصِيْدَةٍ بَعَثَ بِهَا

إِلَيْهِ أُولَٰهَا :

رُدُّ فِي حَدَائِقِ مَايَهَا مَرْتَادٌ
زُرُقُ الْأَسْنَةِ دُونَ زُرُقِ إِحْمَامِهَا
قَدْ لَدَّ مَوْرُودٌ وَطَابَ مُرَادٌ
وَضَبَّأَ كَمَا رَنَّتِ الْعَيُونُ حِدَادٌ
هَذِهِ الْآيَاتُ :

نَعَمْ الْمُرَادُ لِمَنْ غَدَى يَرْتَادُ
سَالَتْ عَلَى الْعَافِي جِدَاوُلُهُ
مَرَعَى يَرْفُ نَبَاتَاتُهُ وَمِهَادُ
كَمَا صَالَتْ عَلَى الْعَادِي بَدَا نَادُ
إِلَى حَيْثُ السِّيَادَةِ تُبْنِي وَتُشَادُ
فَشَدَّدْتُ رَحْلَ مَعِيَّتِي مِنْهُ

وركبتُ ناجيةً مبارية الصبَا
 يقتادُها سكانها قُلُب على
 عجباً لهم أحلامهم عاديةٌ
 خُبر تِلْمِساناً بأنى جيتُها
 وعاقبتها سمعاً ولم أر حُسْنها
 ولربَّ حُسْنٍ لاثـواه ناظرٌ
 ودخلتُها فدخلت منها جنةٌ
 ورأيت فضلاً باهراً ومكارماً
 أهل الرواية والدراية والنَّدا
 فهم إذا سِيلوا بحار معارف
 درجاتها ينحطُّ عنها غيرهم
 فأجلهم وأحلهم من مهجتي
 وأودُّ حين أخط أطيّب ذكرهم

خَفَرًا فوق خضارة تُعتاد
 من كان من سكانها استبداد
 تَمْنَى عليهم حكمها أعـواد
 لما دعاني نحوها الرُّواد
 إلا أناساً حـدّثوا فأجاد
 وبراء لا يخفى عليه فـؤاد
 سكانها لا تخفى ولا حياء
 وعلاً تغاضر دونها التعداد
 في نورهم أيدا لنا استمداد
 ولدى السكينة والنهى أطواد
 ومن الورى قَترٌ ومنه وهاد
 بمكانة ما فوقها مُزّداد
 لو أن أسود مقلتي مِداد

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة :

رقت حواشي طبعك ابن خميس
 فمها قريضك بي وهاج رَسي
 ولمثله يَصْبُو الحليم ويمتري
 ما للشروق به وسيرُ العيس
 لك في البلاغة والبلاغة بعض ما تحويه من أثر محل ريس
 نظمٌ ونثر لا تُبارى فيهما تمهدت ذاك وذابعلم الطوس^(١)

وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره :

ربُّ أنت الحليم فاغفر ذنوبي
 ليس يعفو عن الذنوب^(٢) سواكا

(١) الشعر المحصور بين الخاصرتين وورد كذلك في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الذنب) .

ربُّ ثَبَّتْ عند السؤال لسانى وأقنى عـلى طريق هُداكا
 رب كن إذا وقفتُ ذليلاً ناكسَ الرأى استجى أن أراكا
 رب من لى والنار قد قُرِبت لى [وأنا قد أبحت عهدِ حماكا] (١)
 رب مالى من عُدَّةٍ لِمالى (٢) غير أنى أعددت صديق رجاكا
 رب أقدرتُ أنى عبداً سوء حِلْمُك الجُم غرّه فعصاكا
 رب أنت الجواد بالخير دوماً لم تزل راحماً فهب لى رضاكا
 رب إن لم أكن لفضلك (٣) أهلاً باجترائى فأنت أهلٌ لذاكا

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمرسية من مدينة إشبيلية :
 كتبته ، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى ، وأجناكما من ثمرات (٤) إحسانه
 أكثر ما يُجنى . من إشبيلية ، وحالى بحمد الله حسنة ، ونفسى بحب قربك
 مرهنة ، وعلى بما لديكما من السراوة التى جُبِلتما على فطرتكما ، [وامتزتما فى الاجتلاء
 بغرَّتكما] (٥) ، علم لا يدخله الشك ، ونسبى إلى ودك الذى لبسته معلماً وتقدمته
 محرمًا ، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال ، ولا ينفك . فلنن عنان القلم عن
 مداده ، ونأخذ فى حديث سواه . وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع
 الآخر ، ولقينا الإفانت (٦) على مياين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين كالاتى (وأنات تحت
 أحمد وحاكا) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لما بى) والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لذلك) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ثمرة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (وامتزتما بقوتكما) .

(٦) الإفانت هنا يقصد بها «الإنفانتى» Infante ، وهو لقب يطلق على ولي عهد ملك قشتالة ،

ويجب أن نذكر أن إشبيلية كانت فى الوقت الذى يتحدث فيه الكاتب عنها قد سقطت فى أيدي القشتاليين
 وذلك فى شعبان سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ١٢٤٨ م) ، وغدت مدينة نصرانية ، ثم جعلت عاصمة لمملكة قشتالة .

الخطر ، وقرّة العين ، وازلنا في الأخيية خارج البلد ، موضعا^(١) يعرف بالقنب ،
فد تفجر عيوننا ، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا ، وعرض عاينا النزول
في الديار داخل المدينة ، فرأينا المقام فيه^(٢) ، أحد الأسباب المسعدة^(٣) على
حفظ الصحة المعينة . ورغبنا عن المدينة لحرقها الوهاج ، وغبارها العجاج ،
ومايها الأجاج . ولما تاب من النشاط البارح ، واستقل من المطى الرازح ، طفت
في خارجها وداخلها ، ووقفت^(٤) على مبانيها المشيدة ومنازلها ، ورأيت انسياب
أراقشها ، وتقصيت آثار طريانتها^(٥) وبراقشها^(٦) فشاهدت من المباني العتيقة ،
والمنارة^(٧) الأنيقة ، ما يلا^(٨) أعين النظار ، وينفسح فيه مجال الاعتبار . على
أنى ما رأيته إلا بعد ما استولى عليها الخسف . وبان عنها الطرف ، ونبا عنها
الطرف ، فلا ترى من مغايبها إلا ظللا دارسا ، ولا تلح من بدايعها^(٩) إلا موحيا
عابسا ، لسكن الرائي إذا قدّر وضعها الأول ، وركب وهمه من مبانيها ما تحال ،
وتخيل في ذهنه حسنها وتمثل ، تصور حسنا يدعو إلى المجون ، ويسلى عن الشجون

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (سيوضع) .
(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي الإسكوريال (فيها) . وفي «ج» (القنب) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (المساعدة) .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واطلعت) .
(٥) طريانتها يقصد بها طريانة Triana ضاحية إشبيلية الجميلة الواقعة إزاءها على الضفة
الغربية من نهر الوادي الكبير . وما تزال طريانة حتى اليوم من أجمل ضواحي إشبيلية .
(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الاسكوريال (وفلسها) . وفي الزيتونة (وعشها) والأولى
أرجح وأنسب للسياق .

- (٧) المنارة يقصد بها هنا منارة الجامع الأعظم الواقعة في قلب إشبيلية ، وهي التي حولت
فيما بعد من أعلاها إلى برج لأجراس كنيسة إشبيلية العظمى ، التي بنيت فوق موقع الجامع ، وما تزال
حتى اليوم من أعظم الآثار الأندلسية الباقية . وتعرف بالإسبانية باسم (لاخيرالدا) La Giralda .
(٨) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (يستميل) .
(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

[لولا أنها عُرِضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ . لِمَا دَانَ إِلَّا بَدَنَ ، وَلَا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قَارِبٍ]^(١)
وحسبى أن أصفها بما يقيها من القبول ، وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من
الفصول ، ولولا أن خاطرى مُقَسِّمٌ وفكرى حده مثل ، لقضيت من الإطناب وطراً ،
ولم أدع من معاهدها^(٢) عينا إلا وصفتها ولا أنراً .

توفي بثمانين يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستمائة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأحمى^(٣)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الصايغ ، بالصناديق المهمة ، والغين المعجزة ،
من أهل المرية .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات في «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» . كان
سهلاً ، سلس القياد ، لذيد العشرة ، دميث الأخلاق ، ميالاً إلى الدعة ، نفوراً
عن النصب ، يركن إلى فضل نباهة وذكا ، يُحاسب بها عند التحصيل والدواسة ،
والدثؤوب على الطلب ، من رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف ، ولم يكن
له صوت رخيم ، يُساق إنطباعه في التلحين ، يخبر ذلك بالأوتار . وحاول من
ذلك بيده مع أصحابه ، ملاذبه الظرفاء منهم . واستعمل بدار الأشراف بالمرية ،
فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان ، وجاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه . ثم

(١) مابين الحاصرتين وورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

(٣) وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

نهضت به همته إلى أرفع من ذلك ، فسار إلى غرناطة ، وقرأ بها العربية وغيرها ، وانخرط في سلك زهاء الدلبة لأدنى مدة . ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة ، فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هراها علة ... كان يشكوها ، وأخذ في إقراء العربية بها ، وعُرف بها إلى أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوى . قال شيخنا المذكور ، ورأى في صغره فارة أنى ، فقال هذه قرينة ، فلُقّب بذلك ، وصار هذا اللقب أغلب من اسمه ومعرفة .

وجرى ذكره في التاج بمائنه : ليح معرفة لا يفيض ، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض . نشأ ببلده مستمراً عن ساعد اجتهاده ، وشارك في قنن العلم ووراده ، حتى أُنعم روضه ، وفُتق حوضه . ثم أخذ في إراحة ذاته ، وشام باوقه لذاته ، ثم سار في البطالة سير الجموح ، وواصل الغبوق بالصَّبوح ، حتى قضى وطره ، وسيم بطره ، وركب الفلك ، وخاض التَّجج الحُلك ، واستقر بمصر على النعمة العريضة ، على شك في قضاء الحجة العريضة ، وهو بمدرستها الصالحية ، نبيه المسكانة ، معبود في أهل العلم والديانة .

مُشِيخَتُهُ

قرأ بالمرية على المَكْتَب أبي عبد الله المَيْرُقي ، وأخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن بن أبي العيش ، وقرأ بالحضرة على الخطيب أبي الحسن القيقجاطي وغيره . وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان ، وانتفع به وبجأه .

شعره

قال شيخنا أبو البركات ، وكان أخذ من قَرَض جيد الشعر بالخط الوافر . فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ المَكْتَب أبو جعفر بن غصن ، حسبما قيده عنه بمصر .

بمَد المزار ولوَّعته أشواق حُكماً بفيض مدامع الآماق

أذكى لهيب فؤادى الخلفاء
 من ذا الذى لغدٍ فديتُك باقٍ
 وإذا تولت لم تُنسل بلحق
 صوبُ الغمام الواكف الرُّقراق
 قلبُ سليم ياله من راقٍ
 لا كان في الأيام يومُ فراقٍ
 يفتري للعلا بنجائب ونياقٍ
 خيرُ البرية ذى المنخل البراقٍ
 حفظُ العهد وصحةُ الميثاقٍ
 والظاهر الأخلاق والأعراق
 وجبينه كالشمس في الإشراق
 بالجدود والإرفاد والإرفاق
 سارت رسالته إلى الآفاق
 قبضت عنان المجد باستحقاق
 سحى الوطيس وشمرت عن ساق
 وتجوّل سبجاً في الدّم المِهراق
 من بعد إشراق مضى ونفاق
 ظلّ ظليل وارف الأوراق
 ما ناله كسفٌ ونكسٌ يحاق
 أمِن السفين غوايل الإغراق
 ذابت نفوسهم من الإشفاق
 والجاء والتمرف القديم الباق

وخفوقٌ نجدي النسيم إذا سرى
 أمعللي إن التواصل في غمدٍ
 إن الليالى سبتٌ قد أقبلت
 فصصح تمدّوه على الحمى سقى الحما
 فيه لذى القلب السليم وداده
 قلبٌ غداة فراقهم فارقته
 يا سارياً والليل ساجر عاكف
 عرج على مشوى النّبي محمد
 ورسول ربّ العالمين ومن له
 الظاهر الآيات قام دليلهما
 بدور الهدى البادى آياته
 الشافع المقبول من عمّ الورى
 والصادق المأمون أكرم مرسل
 أعلى السكرام ندأ وأبسطهم يداً
 وأشدّ خالق الله إقداما إذا
 أمضاهم والخليل تعثر في القنا
 من صير الأديان ديناً واحداً
 وأحلنا من حرمة الإسلام في
 لو أن للبدر المنير كماله
 لو أن للبحرين جود يمينه
 لو أن للآباء رحمة قلبه
 ذو العلم والخلفى المنجلى

آيَاتِهِ شُهَبٌ وَغُرٌّ بَنَانُهُ
 فَاحَتْ فُيُوحُ الْأَرْضِ وَهُوَ غِيَاثُهَا
 ذُو رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٍ
 وَخِصَالٍ مَجْدٍ أَفْرَدَتْ بِالْخِصْلِ فِي
 ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْغُرِّ وَالْآيِ الْقِي
 نَفَتْ الْمَعَارِضَ خَيْرًا لَمَّا حَكَتْ
 يَقْظُ الْفَزَادِ سُرَى وَقَدْ هَجَعَ
 وَسَمَا وَأَمْلَاكَ السَّمَاءَ تَحْفَافَةً
 مِنْهَا:

يَا ذَا الَّذِي اتَّصَلَ الرَّجَا بِجَبَلِهِ
 حُبِّي إِلَيْكَ وَسَيْلَتِي وَذَخِيرَتِي
 وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الرَّوَاحِلَ ضُمَرًا
 تَجْبِي إِذَا نَشَرْتَ تِلْكَ الْفَلَاحِ
 يَحْدُو بِهِنَّ مِنَ النَّجِيبِ مَرْدُدٌ
 غَرَضٌ إِلَيْهِ فَوْقَنَا أَسْهَمًا
 وَأَنْخَشَهَا بِفَنَائِكَ الرَّحْبَ الَّذِي
 وَقَوَى مُؤَمَّلَكَ الشِّفَاعَةَ فِي غَدٍ
 وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأُنَامِ تَحِيَّةٌ
 تَتَأَرَّجُ الْأَرْجَاءُ مِنْ لَفَحَاتِهَا
 مِنْهَا:

قَسَمًا بِطَيْبِ ثَرَابِ طَيْبَةِ إِيَّاهُ
 وَأَثْبَارِ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِرَحَابِهِ
 وَابْتَتْ مِنْ هَذَا لِلْوَرَى بِعَلَاقِ
 إِنِّي مِنَ الْأَعْمَالِ ذُو إِمْلَاقِ
 تَخْتَالُ بَيْنَ الْوَاخِذِ وَالْأَعْنَاقِ
 تَطْوِي الْفَلَاحَ مُمْتَدَّةَ الْأَعْنَاقِ
 وَتَقْوَدُهُنَّ أَزِمَةُ الْأَشْوَاقِ
 وَهِيَ الْقِيَّةُ بَرِينٌ كَلَّا فَوَاقِ
 وَسِعَ الْوَرَى بِالنَّائِلِ الدَّقَاقِ
 وَكُنِيَ بِهَا هَبَّةً مِنَ الرِّزَاقِ
 تَحْيِي النُّفُوسَ بِدَشْرِهَا الْفَتَاقِ
 أَرْجُ الْمُنَى بِمَدْحِكَ الْمِصْدَاقِ
 مِسْكُ الْأَنْوِفِ وَأَتَمُّدُ الْأَحْدَاقِ
 لِمَعَامِلِ الرَّحْمَنِ أَيْ نَفَاقِ

لا جود فيه بأدمع أسلاكها
 أغدو بتقبيل على حصبايه
 وعليك ذا الثورين تسليم له
 كفؤاً لنبي وكفؤاً على جنة
 وعلى أب السبطين من سبق الألى
 الطاهر الصهر ابن عم المصطفى
 مبدى القضا من وراء حجابها
 يغزو العداة بغلظة فيعيدهم
 راياته لأشياء من عقيانهم
 وعلى كرام سنة عثرت بهم
 ما بين أروع ما جد نيرانه
 وأخى حروب صده رشف القنا
 ما غرّدت شجواً مطوقة وما
 وعلى القرابة والصحابة كلهم
 ولما سني الله في الروم الواقعة المبيرة والواقعة الشهيرة^(١)، التي أجلت عن قتل ملكهم
 معركةها، وانتهت للفتح معركةها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاث فل الكفر بركتها،
 قديم مع الوفود من أهل بلده، وهنا أمير المسلمين^(٢) بفتح ذلك، وطلوع ولده، فقال :

(١) الإشارة هنا إلى الواقعة التي نشبت بين القشتاليين بقيادة الدون بيدرو والدون خوان
 الوصيين على ملك قشتالة ألفونسو الحادى عشر، والجيش الغرناطى بقيادة شيخ الغزاة أبى سعيد عثمان
 ابن أبى العلاء فى هضبة البيرة على مقربة من غرناطة، وذلك فى ٢٠ ربيع الثانى سنة ٧١٨ هـ (مايو
 سنة ١٣١٨ م) وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة، وقتل دون بيدرو وزميله دون خوان وجمهرة
 من النبلاء والقادة والكبراء النصارى، وغرق من النصارى عدد جرم بهر شليل، وحصل المسلمون على
 مقادير عظيمة من الغنائم والأسلاب. وكان ذلك فى عهد السلطان أبى الوليد إسماعيل (٧١٣ - ٧٢٥ هـ).

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا هو السلطان أبو الوليد إسماعيل السابق ذكره.

أَمْلِكُ أَمْ بَدْرُ الدُّجَا الْوَضَّاحُ
أَعْلَى الْمَسَالِكِ مَا بَنَتْهُ يَدُ الشُّقَى
وَأَحَقُّ مَنْ يَدْعَى خَلِيفَةً وَبُهُ
كَأَمِيرِ أُنْدُلُسٍ وَنَاصِرِهَا الَّذِي
أَسْمَى الْمُلُوكُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمُرتَضَى
هُوَ دَوْحَةُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ فِرْعَوْنُهَا
وَبِمَحْوَ رَسْمِ عِدَاتِهِ بَلْبَسَاتِهِ
بَدْرُ السَّكَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
بَحْرُ النُّوَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
وَلَمِثْلُهُ قَادَ الْجِيَادِ عَمْدُوهُ
أَهْوَاهُ شَيْطَانِ الْهَوَى فِي جُلَّةِ
طَمَعِ الشُّقَى أَضْلَلَهُ وَأَذَلَّهُ
فَأَبَادَهُمْ وَمُلُوكَهُمْ فَتَحَّ بِدَا
وَقَوَاصِلِ ثُبْرَى بَهَنِ مَفَاصِلِ
لَمْ تُقْنِ كُلَّهُمْ سَيْوْفُ الْهِنْدِ بَلِ
مَا زَالَ حَتَّى عُدَاكَ يَحْسُدُ مَيْتَهُمْ
فَأَقْتُلْ كَبِيرَهُمْ وَاحِي صَغِيرَهُمْ
تَسْتَبِيحُ مَا حَاطَ الْعُدَاةَ وَمَا حَمَا
يَا مَّةَ الْكُفْرَانِ تَفْنِيدًا وَهَلْ
أَتْرَكْتُمْ يَطْرُو^(١) وَحِيدًا مُفْرَدًا

(١) بطرو هنا هو الدون بيدرو (وبالعربية بطره) الرومي علي ملك قشتالة المتقدم ذكره .

وجُوان^(١) يرتشف الندى فندمه غربانه ووساده الصَّباح
وكذلك المطران جاد رسومه قطرُ المنايا الصارم الطُّفاح
أروسُ أم تببيض النعام بمرَّجنا أصنافكم هذى أم الأشباح
ما للمطامير اشتكت من ضيقها بالمال والأسرى وهنَّ فساح
جارتُ بكم أبطالنا فكأنكم كَشَحْ وجيش المسلمين وشاح
تبا لرؤى بهم براحة أيرام عن خيلِ الإله براح
قُصَّت قِصَادُكم فما إقدامكم ولليل جَنَح الكُفْر تغيض جناح
هذا فلا تستعجلوا ببلادكم سترون كيف يكون الاستِفْتاح
قد انتنت بطحاؤنا بحطامكم ونبأها الریحان والنفاح
تالله ما كنتم بأول عسكر أمل النجاح وحينئذ يَجْتَاح
القس غرَّكم ليهلك نسلكم بسيفنا إن إفكَّه الصراح
كم ذا يسخرُكم ويسخرُ منكم غـدراً ومكرّاً إنه لو قاح
منها:

وفوادس نشوا لنهب فراس طلبوا انتشاو الدِّما للـسَّراح
أربوا على الأسد الهزبر بسالة مع أنهم غرَّ الوجوه صيbach
خاضوا بحار الحرب يطمؤ بحرُّها ووطيسها حامى الصُّلى لفاح
ما هم ببذل نفوسهم ونفيسهم عن النوال والنزال سيجاح
وإذا هم ذُكروا بذادٍ فاندشَق مسكا تَضَوَّع عرْفُه النفاح
فغدا وراح النصر يُقدم جمهم ويحفهم حيث اعتدوا أوداح
سناك مولانا بسعدٍ قُبل خُلصاء قد عمَّتْهم له أفراح

(١) جوان هو الدون خوان الوصي على ملك قشتالة المشار إليه فيما تقدم .

وبنجلتك البدر الذي آفاقه
بدر البدر فلا يدار عليه
فلکم عدو أفل بزوغه
ومنا ونالك بالأمير تجدد
قد جاء بعد العسر يسر شامل
فالحمد لله الذي قد خصنا
وعلى المقام المولوى تحية
ما خط مدحك فى الطروس محبر
ملك ومالته هدى وصلاح
وبذا نارت أربع ويطاح
خسفت به الأوجال والأتراح
كل بحبك نفسه ترتاح
قد جاء بعد الشدة الإنجاح
ولنا بحمدك بعده إفصاح
كالزهر إذ تهدى شذاه رياح
ومحي دجاجة الأصيل صباح

وقال يرى الخطيب بيلده ، الشهير الفاضل ، أبا الحسن بن شعيب
رحمه الله .

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه
بليت بذا التفريق فاصبر فرما
شجا كل نفس فقد أنفسي جوهر
بكي كلنا حزنا عليه كما بكي
فلا خطب جليل لقد رمى
فلولاكم يغلب تأسينا الأسى
فلم يبق إلا من جفا جفنه الكرى
وفاة لمرى وفى فؤفى أجره
أبى الحسن العدل الرضا المحسن الذى أتته بأضعاف الزيادة حسنه
خطيب جلا فصل الخطاب بيانه
وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه
ولفظ العلى الفخ الأصيل ومعناه
فراق ولى شرف الأرض تقواه
بلغت بحسن الصبر ما تمناه
تعد ولا تحصى كرام سجايه
لفرقتة محرابه ومصلاه
أجل خطيب بالجلالة مضماه
ولم يشمل الشمل التفجع لولاه
ومن جانبك وصل المضاجع جنباه
وأصنى بإصفاه الإله وصافاه
وأعد قاض فاضل فى قضايه
ولفظ العلى الفخ الأصيل ومعناه

مطيعٌ رفيعٌ خاضعٌ متواضعٌ كريمٌ
مقيٌ يمشي هَوْنًا ليس إلاً لمسجد
تكلّمه عرفٌ وذكرٌ وحكمةٌ
كنا صمته خوفٌ وفكرٌ وخشيةٌ
يصوم وقد طال النهار مهجرًا
فكم دارس أحياء من أربع الثقا
فياطيبًا أصلًا وذكرًا وتربيةً
وفي حشقة تحن ومرتبجًا وباطنا
محياً يروى النظارين تهللًا
بُحْبُك هامت كل نفس منبئة
فما أنعم الأرض التي بك قدّست
بُشراك إنا قد شغلنا بحزننا
عزّا لأهليه الأهله أنهم —
نال شعيب في الزمان بدوره
أعزى أولى الإيمان كلا بفقده
سقى الله ونمى الحيا ذلك الثرى
كما قد سقاه ليلة الدفن وبه
ترضوا عن القاضي الإمام خطيبكم
وصلّوا على هادي الأنام نبيكم
عليك سلام الله ما الروض فاح

حليم طاهر القلب أوّاه
تميد خجلا أرض بها حطّ نعلاه
تلذ بها الأسماع ما كان أحلاه
فما زال يخشى الله والكل يخشاه
وتبحر بالليل للغمض عيناه
وكم غاسق من حندس الليل أحياء
ومنه امتفاد الطيب أطيب رياه
وأمن سقى شمس الضحى من محياه
فتعرفه في الصالحين بسياه
كذا من أحبّ الله حبيه الله
وأثر ذياك الضريح وأنّاده
ورضوان بُشراه بذلك بُشراه
لهم يعترى من بعده العرش والجاه
ولم تكن الشمس المنيرة إلّا
نعم وأسنيه بحبه مأواه
وغداه صوب الغايات ومياه
من الغيث وكاف السحاب وأسغاه
فقد رضى الرحمن عنه وأرضاه
صلاةً بها يمحو المسىء خطاياهم
إن سرّت سحرًا ربيع الصبا بخزاماه

توفي رحمه الله في رمضان تحقيقا من سنة خمس على شك وسبع مائة^(١) ،
أنهبرني بذلك من يؤثق به .

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة^(٢)

من أهل مالقة ، وتروى كثيرا على الحضرة ، مُسترفداً ومُشدداً ، وفي غير
ذلك من الأغراض يكنى أبا عبد الله .

حاله وشعره

من الإكليل^(٣) : شاعر اتخذ النظم بضاعة ، ومات ترك السعى في مذاهبه
ساعة ، أجرى في الملا ، لا في الخلا ، وجعل ذكره دِلْوه في الدُّلا ، ودكض
في حَلْبة النجبا النجايب ، ورمى في الخراطى بسهم صايب ، فخرج بُرْجُه ونَفَقَ ،
وارتَفَدَ بسببه وارْتَفَقَ . وهو الآن قد سالمته السنون ، وكأَنَّمَا أَمِنَ المَنُون ، من
رجل مَكْفُوف الأذى ، حسن الحالة إلا إذا ، هذا قُلْتُ ، ثبت هذا والمذكور
حتى ، وقد مات رحمه الله .

ومن شعره :

(١) من الواضح أن تاريخ وفاة ابن لب الأُمى ، لا يمكن أن يكون سنة ٥٧٠ هـ حسبما يذكر ابن الخطيب
وقد فاتته ما ذكره من قبل من أنه قدم مع الوفود إلى غرناطة للتهنئة في النصر الذي أحرزه أمير المسلمين
على النصارى في الواقعة التي حدثت سنة ٧١٨ هـ ، وأنه أى ابن لب قد ذكر في شعره دون ييدرو
ودون خزان ثنائى القشتاليين الذين ألكا في الموقعة ، كما أنه هنا السلطان أبى الوليد في شعره .
ولم يحكم السلطان أبو الوليد إلا من سنة ٧١٣ هـ . وربما كان التاريخ الصحيح لفاته ابن لب الأُمى سنة
٧٢٥ هـ .

(٢) ردت هذه الترجمة فقط في مخطوط الإسكوريال .

(٣) سبق التعريف بكتاب «الإكليل الزاهر» .

رجاى فى المولى العظيم عظيم غنيت به حيث الغنى بمديم
وحسبى الرجا فيمن عليه معولى حديث حديث لم يزل وخديم
وما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قلت سيئ ——— كفيل بغفران الذنوب وحيم
وما اعتصم المملوك إلا بحبله فجانبه نعمى لنا ونعيم
رضاه سبيل للنجاة وحبّه طريق لجنات النعيم قديم
وأشد يوما الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر^(١) يهنيه بالملك ويعزّيه :
على من تُنشر اليوم البنود وتحت لواء من تُسرى الجنود
وقال [على هذا الكذا، الذى بين يديك] ^(٢) فحجل ، وعظم استنطراف
الحاضرين لذلك .
توفى فى كذا وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن فطيس^(٣)

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة . وقال الأستاذ^(٤) من بيت فطيس
الألبيريين .

(١) ثالث الأمراء من بنى نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه . وكان ضريراً ،
ويلقب بمحمد الخلوغ . وقد حكم من سنة ٧٠١-٧٠٨ هـ (١٣٠١-١٣٠٨ م) .
(٢) وردت هذه العبارة في اللمحة البدرية كالآتي (على هذا الزبلخ الذى ترى قد املك - يبنى
نفسه (ص ٤٨) .
(٣) وردت هذه الترجمة فقط في مخطوط الإسكوريال .
(٤) الإشارة هنا إلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة .

حاله

قال ، طبيبٌ ماهر ، وأديبٌ شاعر ، كان في أيام بني حشون^(١) ، يَخْنُثُ عليهم ، وله فيهم أمداح كثيرة . يُذكر أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حشون ، بعد انقطاع عن زيارته ، فعتّبه القاضي ، فاعتذر ، ثم أنشد :

يا حاملاً من عُـلاه تاجاً ومن سنا وجهه سراجا
لو كان روى عـديل وُدّي لكنت من بابك الرّـتاجا
إن لم يُـرَجِّح عليك شخصي نفّـى وروحي عليك طاجا
وذكره ابن عسكـر^(٢) في كتابه .

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح
[ابن محمد بن أيوب]^(٣) ابن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين

يكنى أبا عبد الله رندى النشأة ، إشبيلي الأصل ، يرجع بيته ، وبیت بني حجاج ، وبیت بني عباد ، إلى جُرثومة واحدة ، وانتقل سلفه إلى رندة [في دولة بني عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطّـبه . وقدم ذو الوزارتين على

(١) الإشارة هنا إلى القاضي أبي الحكم بن حشون قاضي مالقة في أواخر العهد المرابطي . وقد ثار على المرابطين بمالقة واستولى على الحكم وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وتسمى بالأمير ، وجعل أخاه أبا الحسن بن حشون قائداً لجيشه . ولكن المرابطين في القواعد المجاورة تألبوا عليه ودبروا إسقاطه بالتفاهم مع بعض خدامه ، واستطاعوا الاستيلاء على القصبة . فامتنع ابن حشون بقصره ، واضطر في النهاية إلى الانتحار ، فاقتحم المرابطون القصر ، وبعثوا برأسه إلى مراکش (سنة ٥٤٧ هـ) .
(٢) هو محمد بن علي بن الحضر بن هارون الغساني ويعرف بابن عسكـر ، وقد ترجم له ابن الخطيب فيما تقدم من هذا المجلد (ص ١٧٢-١٧٥) .
(٣) هذه الزيادة من الإسكوريال .

حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى ، فألحقه السلطان بكتابه ، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن توفي هذا السلطان ، وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله المخلوع ، فقلده الوزارة والسكرتارية ، وأشرك معه في الوزارة ، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني . فلما توفي أبو سلطان ، أفرد السلطان بالوزارة ، ولقبه ذا الوزاوتين ، وصار صاحب أمره ، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلا ، نفعه الله تعالى : غداة يوم الفطر ، مستهل شوال سنة ثمان وسبع مائة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين ، أبي الجيوش ، مكانه ^(١) .

حاله

[كان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسراوة ، ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحرمة ، على الهمة ، كاتباً بليغاً ، أديباً ، شاعراً ، حسن الخط ، يكتب خطوطاً على أنواع ، كلها جميلة الانطباع ، خطيباً ، فصيح القلم ، زاكياً الشيم ، مؤثراً لأهل العلم والأدب ، برّاً بأهل الفضل والحسب ، نفقت بمدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للفضائل آفاق ^(٢) . ومن «عائد الصلة» : كان رحمه الله فريده دهره سماحة ^(٣) ، وبشاشة ، وكودعية ، وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزيمة ^(٤) ، مبتزاً للمديح ، طلقاً للأمل ، كهنأ للغريب ، برمكى

(١) هذه الفقرة الطويلة المصورة بين الخاضرتين واردة في النسخ وساقطة في «الزيتونة» وفي الإسكوريال . وفقط وردت في هذين المخطوطين بعد كلمة رندة ، وقبل بداية الفقرة ، هذه العبارة «فناميك من أصالة وجلالة وكرم طعمة» .

(٢) ما بين الخاضرتين سابق في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال . ووارد في النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» : (ساحة) .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (العزيمة) .

للائدة ، مُهَلَّبِي الْحُلُوى^(١) . رِيَّان من الأدب ، مضطاماً بالرواية ، مستكثراً من الفائدة . يقوم على المسائل الفقهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتفبيح ، ورفَّع راية^(٢) الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الطلب ، وأحيا معالم الأدب ، وأكرم العلم والعلماء^(٣) ، ولم تشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبير الملك ، عن المسالمة والسماع ، والإفراط^(٤) في اقتناء الكتب ، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها ، وأثرت أندية من ذخائرها . قام له الدهر على رجل ، وأخدمه صدور البيوتات ، وأعلام الرياسات ، وخوطب من البلاد النازحة ، وأمل من^(٥) الأفاق النائية .

رحلته ونبأته

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده ، على فتاء سنه ، أول عام ثلاث وثمانين وستمائة ، فحج وزار ، وتجول في بلاد المشرق ، مُنتجعاً عوالى الرواية في مظانها ، ومُنقراً عنها عند مُسِنِّي شيوخها ، وقيد الأناشيد الغريبة ، والأبيات المُرْقِصة ، وأقام بمكة شرفها الله ، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم ، فأخذ بها عن جماعة يأتى ذكرهم في مشيخته . وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قفل مع الرُّكَّاب الشامى إلى دمشق ، ثم كُرَّ إلى المغرب ، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا ردوى أو ردوى . واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة ، وأقام بها عِيناً في قرابته ، وعَلَمًا في أهله ، مَعْظَمًا عندهم^(٦) ، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخلوة) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (روية) . وفي الإسكوريال (آية) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (العامل) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (وأفراط) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (في) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (لديهم) والمؤدى واحد .

من بني حبيب ، الوقيلة البرمكية . وورد رندة في أثر ذلك ، [في شهر جمادى الآخرة من عام ستة وثمانين وسماية] ^(١) فتعرض إليه ، ومدحه ^(٢) ، وهتأد بقصيدة طويلة ، من أوليات شعره ، أولها :

هل إلى ردّ عشيّات الوصال سبب أم ذاك من ضرب الحال
فلما أنشدها إياه . أعجب به ، وبحسن خطّه ونصاعة ظرفه ، فأثنى عليه ،
واستدعاه إلى الوفادة على حضرته ^(٣) ، [فوفد إليها في آخر العام المذكور] ^(٤) ،
فأثبتته في خراسان دولته ، [وأحفظاه لديه] ^(٥) إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء
ببابه . واستمرت حاله ، معظم القدر ، مخصوصاً بالمزية ، إلى أن توفي السلطان ،
ثاني الملوك من بني نصر ، وتقلد الملك بعده ، وليّ عهده أبو عبد الله ، فزاد
في إحفظائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والزواوة ، ولقبه بذي الوزارتين ،
وأعطاه العلامة ، وقلده الأمر ، فبمعد الصيت وطاب الذكر ، إلى أن كان من
الأمر ما يأتي [به الذكر] ^(٦) قريباً لإنشاء الله تعالى .

مشيخته ^(٧)

قرأ برّندة على الشيخ النحوي أبي الحسن علي بن يوسف العبدي السفاح ،

- (١) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخضرة) .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كالأتي :
(فوفد آخر عام ستة وثمانين) .
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي «الزيتونة» (وأحيا ملكه) وفي الإسكوريال
(وأحفظها ملكه) .
- (٦) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٧) جاء في مخطوط الإسكوريال تحت كلمة «مشيخته» ما يأتي : «قلت لم أر في هذا الكتاب
مشيخة أطول منها فاختصرتها لطولها . على أني في هذا الاختصار لهذا الكتاب أفيد المشيخة قاصداً
للتترك بذكر أشياخ العلم وحمله الدين وقادته ، جعلني الله من انتظم في شمارهم ، وسلك مسلك أتباعهم =

القرآن العظيم بالروايات السبع . والعربية وغير ذلك . وعلى الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ، وأخذ عن والده جميع مروياته . واستنجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان ، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجلة]^(١) الذين يضيق عن أمثالهم الحصر .

فمنهم أبو اليمين جوال الله بن عساكر ، لقيه بالحرّم الشريف ، وانتفع به ، واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّاني المعروف بابن هبة الله الحرّاني . [ومنهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى بن الإمام الجزائري ، جزائر المغرب ، نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي ، لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطنطيني أبو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي إمام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها]^(٢) . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمى شهاب الدين أبو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن على ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مُطَلِّباً^(٣) ليس لي في غيره أرب إليك آل النعمى وانتهى الطالب

== وآثارهم . وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق ، قال في آخر ذلك ، « إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب » . ومن الواضح أن هذا كلام الناسخ الذى قام « باختصار » الكتاب . ولكننا رأينا أن لا نجاريه في ذلك ، وأن نذكر مشيخة ابن الحكيم مفصلة حسبما وردت في مخطوطي «ج» و«الزيتونة» .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت الأسماء المخصوصة بين الحاصرتين في مخطوط الزيتونة على النحو الآتى : « وشرف الدين أبو العباسي من أهل الجزائر عمالة إفريقية ونزيل بغداد ، ومنهم خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي نايب قاضى الحنابلة بالقاهرة المصرية يكنى أبا الصفا لقيه بالقاهرة المعزية ، ومنهم أبو بكر بن عمر بن على القسطنطيني رضى الدين » . ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين الحضرى الدميّاطي ... » .

(٣) هكذا وردت في «ج» ، وفي النسخ . وفي الزيتونة (ياطالها) «

ومنها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعلى الرقمتين بدا لقد حَكَيْتَ ولكن فأتك السبب^(١)

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البقماسكى، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة .
ومنهم محمد بن بكر بن خلف بن أبى القاسم الصفار . ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبى الخير بن على بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن
يحيى بن عبد الله القرشى جمال الدين أبو صادق ، ومن تخريج الأربعمون المروية
بالأسانيد المصرية . وسمع الحليّات^(٢) من ابن عماد الحرّانى ، والشيخ
أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .
ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعرى تقي الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ
محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنماطى . ومنهم أبو البدر بن عبد الله
ابن أبى الزبير السكاتب المصرى . ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن
خلف التدميرى . ومن رؤساء شيوخه ؛ الشيخ محيى الدين أبو الفضل . ومنهم
زينب بنت الإمام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن على]^(٣) البغدادى ،
تُكنى أم الفضل ، وسمعت^(٤) من أبيها . ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أحمد الخراسانى ، أبو عبد الله مؤقر الدين ، وألبسه خرقّة التصوف . ومنهم
الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشيبانى شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلكى . ومنهم الشيخ
على بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقى ، أبو الحسن ، ولد سنة سبع وتسعين

(١) هذا البيت وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (تعمل عن) .

وخسماية . ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي . ومنهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بحرم الخليل . سمع من أبي الحسن علي بن شجاع . [ومنهم يوسف بن دواد بن عيسى بن أيوب الحنفي ^(١)] .

ومنهم الملك الأوحدي يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ، وداد بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ ابن بدران ، ويدعى علي الدين من أهل بانياس ، سمع من ابن صيصري . ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم ابن يوسف بن أسلم القرشي ، جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي [البغدادى الإمام تقي الدين . ومنهم عبد الجليل بن أحمد بن الزجاج ^(٢)] . ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي ، الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوي . ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد [بن مزدوع ^(٣)] أبو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي الأديب نزيل دمشق ، ومولده بتلمسان .

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستى القسطلاني قطب الدين ، الإمام المفقى شيخ دار الحديث السكاملية بالقاهرة المعزّية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق ، سمع على ابن المغيرة البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الغساني^(١) . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأنديلي الأصل شرف الدين ، سمع من علم الدين الشيخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يدعى شمس الدين ، سمع من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ، يعرف بابن عز الدولة .

وأجاز له جماعة منهم ابن عماد الحرّاني ، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين ، وسمع من ابن الزّجاج وابن رّواح الحميري . ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ، عُرِف بابن الجوزي سمع على جماعة ، منهم شعيب الزعفراني ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكمي . ومنهم الإمام مفتي المسلمين رضي الله عنه . ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المسكي . ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رُحيمة السكّاني خطيب بجاية . ومنهم قاضي القضاة بيلاد إفريقية أبو العباس

(١) هذه الكلمة وأددة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

ابن الغمّاز^(١) البكتسى ، لقيه بتونس . ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزى السكّابى . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابى . ومنهم الشيخ المغربى أبو محمد الحجاج ابن يوسف بن إبراهيم بن عتاب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن يربوع السّبتى . ومنهم الإمام قدوة النّحاة أبو الحسين^(٢) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبى الربيع القرشى . ومنهم الإمام أبو على ناصر الدين منصور بن أحمد ابن عبد الحق الزّواوى المِشْدالى من أهل بجاية . ومنهم الخطيب القاضى أبو عمرو إسحق بن أبى إسحق بن عبد الوهاب الرّندى . إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

محتته

أغرّى به الأمير ولى العهد ، بسبب أمور اختلف فيها ، منها أبيات فى هجّو الدولة النصرية ، الله أعلم بصحة نسبها إليه ، فأوقع به [وناله بين يديه نكال كبير]^(٣) أفكّت منه برفق^(٤) ، واختفى مدة فى المآذن المتقفلة والأماكن الخفية ، حتى أصبح له جوّ سخطه ، [وقضى الله برده أمره إليه ، واستيلايه على ما وراء بابه]^(٥) .

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الغمار) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (أبو الحسن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال على النحو الآتى (فتنول بين يديه بنكال كبير) .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (برمن) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (وقضى الأمر باستلابه) .

من روى عنه (١)

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي ، وتدبج معه رفيقه
عبد الله بن رُشيد وغير واحد . وكان ممدوحاً ، ومن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الخضرمي ، والرئيس أبو الحسن بن الجيَّاب ، وناهيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجيَّاب له ، قصيدة رائية رائقة ، يهنيه فيها بعيد الفطر منها
في أولها :

يا قادمًا عمت الدنيا بشائره	أهلاً بمقدمك الميمون طأره
ومرحباً بك من عيد تحف به	من السعادة أجناد تظاهره
قدِّمت فالخلق في نعمي وفي جدل	أبدى بك البشر باديه وحاضره
الأرض قد لبست أثواب سُندسها	والرَّوض قد بَسَمَت منه أزاهره
حَاكَّت يدُ الغيث في ساحاته حُملاً	لما سقاها دوا كَأَمْنِكَ باكره
فلاح فيها من الأنوار باهرها	وفاح فيها من النُّوار عاطره
وقام فيها خطيب الطَّير مرتجلاً	والزهر قد رُصِّعت منه منابره
مُوشِي ثوب طواه الدهر آونة	فها هو اليرم للأبصار ناشره
فالفُصْن من نشوة يثنى معاطفه	والطَّير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام الشقاق عن أزاهرها	كما بدت لك من خل ضمائرُه
لله يومك ما أذكى فضائله	قامت لدين الهوى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت	وكم جمال بدا للناس ظاهره
فأنخر بحسب قو على الأيام قاطبة	فما لفضلك من نِدٍّ يظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا	قيست بفخر أولي العُلَميا مفاخره

(١) وردت الفقرة « الية تست هذا العراذ والقصيدة التي تليها ، وهي من نظم ابن الجيَّاب
فقط في مخطوط جاينجوس . ولم ترد في « الزيتونة » ولا في « الإسكوريال » .

يَلْتَمَحُ مِنْهُ بِأَفْقِ الْمَلِكِ نَوْرُ هُدًى
 مَجْدٌ صَمِيمٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ كَمَا
 وَزَارَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّتِي رُفِعَتْ
 وَلَيْسَ هَذَا بِيَدَعٍ مِنْ مَكَاوِدِهِ
 يَلْقَى الْأُمُورَ بِصَدْرِ مَنْهُ وَمُشْرِحِ
 رَاغِبِ أُمُورِ الرِّعَايَا مُعْمِلًا نَظَرًا
 وَالْمَلِكِ سَيِّرٍ فِي تَدْبِيرِهِ حُكْمًا
 سِيَاسَةُ الْحُكْمِ لَا بَطْشٌ يَكْدِرُهَا
 لَا يَصْدُرُ الْمَلِكُ إِلَّا عَنْ إِشَارَتِهِ
 تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ
 وَكَمْ مَقَامٌ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
 فَفَضْلُهَا طَبَقَ الْأَفَاقِ أَجْمَعِهَا
 فَلَيْسَ يَجْحَدُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ
 لَا مُلْكَ أَكْبَرَ مِنْ مُلْكِ يَدْبِرُهُ
 يَا عِزَّ أَمْرِ بِهِ اشْتَدَّتْ مَضَارِبُهُ
 تَنْثَنِي الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا بِمَا عَرَفُوا
 بُشْرَى لَأَمَلِهِ الْمَوْصُولِ مَأْمَلُهُ
 فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مَطَالَعُهُ
 وَالنَّاسُ فِي بَشَرٍ وَالْمَلِكُ فِي ظَفِيرٍ
 وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ أَمْنًا جَوَانِبُهَا
 وَإِلَى أَيَادِيهِ مِنْ مَشْنَى وَوَاحِدَةٍ
 فَكُلُّ يَوْمٍ تَلْقَانَا عَوَارِفُهُ

تَضَاعَلِ الشَّمْسُ مَهْمَا لَاحَ زَاهِرُهُ
 طَالَتْ مَبَانِيهِ وَاسْتَعَلَّتْ مَظَاهِرُهُ
 أَعْلَامُهُ وَالنُّدَى الْفَيَاضُ زَاخِرُهُ
 سَاوَتْ أَوَائِلُهُ فِيهِ أَوَاخِرُهُ
 بِحَرٍّ وَأَرَاؤُهُ الْعَظِيمُ جَوَاهِرُهُ
 كَيْثُ عَلَيَّاهِ مَعْدُومًا نَظَائِرُهُ
 تَنَالُ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ عَسَاكِرُهُ
 فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 فَالْرُّشْدُ لَا تَتَعَدَّاهُ مَصَائِرُهُ
 كَأَنَّمَا دَهْرُهُ فِيهِ يُشَاوِرُهُ
 أَنْتَ مَوَارِدُهُ فِيهَا مَصَادِرُهُ
 كَأَنَّهُ مَثَلٌ قَدْ سَارَ سَائِرُهُ
 يَرَى الصَّبَاحَ فَيُعْشَى مِنْهُ نَظَرُهُ
 لَا مُلْكَ أَسْعَدَ مِنْ مُلْكِ يُوَازِرُهُ
 يَا حُسْنَ مُلْكِ بِهِ ازْدَانَتْ مُحَاضِرُهُ
 وَيَشْهَدُ الدَّهْرُ آتِيَهُ وَعَابِرُهُ
 تَعَسًّا لِحَاسِدِهِ الْمَقْطُوعِ دَابِرُهُ
 وَالْجُودُ قَدْ أَسْبَلَتْ سَحَابَ مَوَاطِرِهِ
 عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ عَالِي الْقَدَرِ قَاهِرُهُ
 يَسْمُنُ مَنْ خَلُصَتْ فِيهَا سَرَائِرُهُ
 تَسَاجِلُ الْبَحْرُ إِنْ فَاضَتْ زَوَاخِرُهُ
 كَسَاهُ أَمْوَالُهُ الطُّوْلَى دَفَاتِرُهُ

فمن يؤدّي لما أولاه من إعم
يا أيها العبد بادِرْ كَتم راحته
واختر بأن لقيت ابن الحكيم على
ولّى الصيام وقد عظم حرمة
وأقبل العيد فاستقبل به جذلاً
شكراً ولو أن سحباناً يظاھره
فلثمها خير مأمول تُبادره
عصر يباريك أو دهر تُفاخره
فأجره لك وافيهِ ووافره
واهتأ به قادماً عمّت بشائره

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الخضرى له قوله :

ترأى سحيراً والنسيم عليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت
بريق بأعلى الرقمتين كأنه
فزق ساجى الليل منه شرارة
تبسم نغر الروض عند ابتسامه
ومالت غصون البان تشوى كأنها
وغمت على تلك الغصون حمام
إذا سجمت فى لحنها ثم قرقرت
سقى الله ربماً لا يزال يشوقى
وجاد ريتاه كلما ذر شارق
ومالى أستسقى الغمام ومدمعى
وعاذلة باتت تلوم على السرى
تقول إلى كم ذا فراق وغربة
ذرىنى أسعى لاقى تكسب العلا
فأما ترىنى من ممارسة الهوى
وفوق أنايب اليراعة صفوة

وللتجم طرف بالصباح كليل
شوى أذهم الظلماء منه خجول
طلّاع شهب والسماء تجول
وخرق ستر الغيم منه نُصول
وفاضت عيون الغمام همول
يُدار عليها من صباه تُحمول
لن حفيف فوقها وهديل
يطيح خفيف دونها وثقل
إليه رسوم دونها وطول
من الودق هتان أجش هطول
سفوح على تلك العيراص همول
وتكأ من تعذالها وتطيل
ونأى على ما خيلت ورحيل
سنا ونبقى الذكر وهو جميل
نحيلاً فهد المشرفى نحيل
تزين وفى قد القناة ذبول

ولولا السرى لم يَحْتَلِ البدرُ كاملاً
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
ولولا نوال ابن الحكيم محمد
وزيرٌ سما فوق السَّمَاءِ جلاله
من القوم أَمَا في النَّدى فإنهم
حَوُوا شرفَ العُلَيا وإِثْنا وَمَكْشِباً
وما جونة هطالة ذات هَيْدَب
لَهَا رَجَلٌ من رَعْدِهَا ولَوامع
كما هَدَرَتْ وسط القِلاص وأُرْسِلَتْ شقاشِقُهَا عند الهِياجِ فحول
إِذَا مَا تَوَالَتْ للسَّيْنِ مَحْوِل
يَنْمُ عَلَيْهَا أَذْخَرٌ وَجَلِيل
تُعْطَرُ مِنْهَا للنَّسِيمِ ذِيُول
تَرُدُّهَا أَجْفَانُهَا وَتُحِيل
تَفَاقِمُ خَطْبُ الزَّمانِ يَهْوِل
تَفَوَتْ يَدَيَّ مَنْ رَامَهَا وَتَطُول
وَنَامِلُ يَمْنَاكَ الْكَرِيمَةُ زَيْلُ
بِيخْلٍ وَهَلْ نَالَ الْعَلَاءُ بِخَيْلٍ
فَكَانَ لَهُ مِمَّا أَرَادَ حَصُولُ
إِلَيْكَ فَلَمْ يَعْدِلْ يَمِينُكَ سَوْلُ
نَهْوَضٍ بِمَا أَعْيَا سِوَاكَ كَفِيلُ
مَبِيدُ الْعِدَا لِلْمُعْتَفِينَ مُنِيلُ
عَلَى وَجْهِهِ لِلنَّضَارِ مَسِيلُ

ولولا السرى لم يَحْتَلِ البدرُ كاملاً
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
ولولا نوال ابن الحكيم محمد
وزيرٌ سما فوق السَّمَاءِ جلاله
من القوم أَمَا في النَّدى فإنهم
حَوُوا شرفَ العُلَيا وإِثْنا وَمَكْشِباً
وما جونة هطالة ذات هَيْدَب
لَهَا رَجَلٌ من رَعْدِهَا ولَوامع
كما هَدَرَتْ وسط القِلاص وأُرْسِلَتْ شقاشِقُهَا عند الهِياجِ فحول
إِذَا مَا تَوَالَتْ للسَّيْنِ مَحْوِل
يَنْمُ عَلَيْهَا أَذْخَرٌ وَجَلِيل
تُعْطَرُ مِنْهَا للنَّسِيمِ ذِيُول
تَرُدُّهَا أَجْفَانُهَا وَتُحِيل
تَفَاقِمُ خَطْبُ الزَّمانِ يَهْوِل
تَفَوَتْ يَدَيَّ مَنْ رَامَهَا وَتَطُول
وَنَامِلُ يَمْنَاكَ الْكَرِيمَةُ زَيْلُ
بِيخْلٍ وَهَلْ نَالَ الْعَلَاءُ بِخَيْلٍ
فَكَانَ لَهُ مِمَّا أَرَادَ حَصُولُ
إِلَيْكَ فَلَمْ يَعْدِلْ يَمِينُكَ سَوْلُ
نَهْوَضٍ بِمَا أَعْيَا سِوَاكَ كَفِيلُ
مَبِيدُ الْعِدَا لِلْمُعْتَفِينَ مُنِيلُ
عَلَى وَجْهِهِ لِلنَّضَارِ مَسِيلُ

نهم به العليا حتى كأنها بُثينة في الحب وهو جميل
 له عزّمت لو أغير مضاًؤها حُسامٌ لما نالت ظُباه فلول
 سرى ذكره في الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميّل
 وأغدَى قريظى جوده وثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يحول
 إليك أيا فخر الوزارة أرقلت برحلى هوجاء الشجاء ذلول
 فليئتُ إلى لقياك ناصية الفلا بأيدي ركاب سيرهنّ ذميل
 تسدّ ذنى سهماً لكل ثنية ضوامرُ أشباه القسيّ نحول
 وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هوجل وهجول
 فقيدت أفراسي به وركائي ولذّ مقامٌ لي به وحلول
 وقد كنت ذا نفسٍ عزوفٍ وهمّة عليها لأحداث الزمان دحلول
 ونهوى الملاحظى وتقرى بضده لذاك اعتزته رقة ونحول
 وتابى لي الأيام إلا إدالة فصونك لي أن الزمان مُديل
 فكل خضوع في جنابك عزّة وكل اعتزاز قد عداك نحول^(١)

شعره

وبضاعته في الشعر مُزجاة ، وإن كان أعلم الناس بنقده^(٢) ، وأشدّهم
 تيقظاً^(٣) [لمواقفه الحسنة وأضدادها]^(٤) . فمن ذلك قوله ، ورفعته إلى السلطان

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» فقط . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (به) «والزيتونة» (بنبرة) .

(٣) هكذا وردت في «ج» «والزيتونة» . وفي الإسكوريال (تفطنا) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لموافقة الحسن وضده)

ببلده رُنْدَة ، وهو إذ ذاك فتى يملأ العين أبهة ، ويستميل القلوب لباقه ، وهي (١) ،
ومن خطه نقلت :

هل إلى رد عَشِيَّات الوصال	سبب أم ذاك من ضَرْب المُحال
حالة يسرى بها الوهم إلى	أنها تُنْبِت بُرءاً باعتلال
وليالى ما تبقى بعدها	غيرُ أشواقى إلى تلك الليال
إذ مجال الوصل (٢) فيها مسرحى	ونعيمى آمرٌ فيها ووال
ولحالات التراضى جـوله	مزَجَّت بين قَبُولٍ واقتبال
فبوادى الخيف خوفي مُسَعَّدٌ	وبأكناف منى أُنسَى نوال
لست أُنسى الأُنسُ فيها أبداً	لا ولا بالعذل فى ذاك أبال
وغزالٌ قد بدا لى وجهه	فرايتُ البَدْرَ فى حال الكمال
ما أُمال التيه من أعطافه	لم يَكُنْ إلا على فضل اعتدال
خُصَّ بالحسن فما أنت ترى	بعده للناس حظاً فى الجمال
من تسلى عن هواه (٣) فأنا	بسواه عن هواه غيرُ سال
فلئن أتعبنى حُسبى له	فكم نِلْتُ به أنعم حال
إذ لآلىء حيدرٍ من قبلى	ووشاحاه يمينى وشمال
خَلَفَ النومَ لى الشَّهْدُ به	وترامى الشخص لا طيف الخيال
فیداوى بِلِمْه ظمئى	مزَجُّك الصهباء بالماء لزلال
أو أشادت ثنا المَلِكِ الأوحـد الأسمى	الهُمام المتعال
مَلِكٌ إن قلت فيه مَلِكاً	لم تكن إلا محقاً فى المقال

(١) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى «ج» (الليل) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ . وفى «ج» «الزيتونة» (هواها) . والأولى

أنسب للسياق .

أيد الإسلام بالمعدل فما
 ذو أيادٍ شملت كلّ الورى
 همّة هامت بأحوال التقى
 وقف النفس على إجهادها
 ومنها في ذكر القوم الموقع بهم :
 وفريق من عتاة^(٣) عاندوا
 غرّهم طولُ التّجاسفِ عنهم
 فلقـد كانت بهم رُنْدَة أو
 ولقد كلت النّفاق مذهباً
 ما يعود اليوم إلا بادرُوا
 طُوقُوا النّعمى فلما أنكروا
 [ماطل الدهر بهم غريمه
 ولقد كنت غريم الدهر إذ
 ولكم نافرته مجتهداً عندما
 أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا
 وهى طويّلة ومنها :

أيها المولى الذى نعاؤه أعجزت عن شكرها كُنْه المقال

- (١) هكذا فى «ج» والنفع . وفى «الزيتونة» والإسكوريال (أرباب) .
 (٢) هذا البيت وارد فى «ج» والإسكوريال . وساقط فى «الزيتونة» .
 (٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى «ج» (عقاد) ، وفى «الزيتونة» (عتاة) . والأولى

أرجح .

- (٤) هكذا وردت فى «ج» «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (النكال) .
 (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (دال) .
 (٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى «ج» و «الزيتونة» .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من بديع النظم بالسحر اخلال
فأنا العبد الذي حبسكم لم يزل والله في قلبي وبال
أورقت روضة آمالي لكم وتولاها الكبير المتعال^(١)
واقنيت الجاه من خدعتكم فهو ما أدخره من كثر مال^(٢)
ومنها :

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبي عن أصدق^(٣) حال
هي بنت ساعة أو ليلة سهلت الحب في ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يُلغِيها وقال
فهي في تأدية الشكر لكم أبداً بين احتفاء واحتفال
وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس :

حيّ حيّ بالله يارب نجد^(٤) وتحمل عظيم شوقي ووجدى
وإذا ما بنشت حالي فبلغ من سلامي لهم على قدر ودّى
ما تناسيتهم [وهل في مغيبى]^(٥) هم^(٦) نسوني على نطاؤل بعدى
بى شوق إليهم ليس يعزى لجميل ولا لسكان^(٧) نجد
يا نسيم الصبا إذا جئت قوماً ملئت أرضهم بشيح ورند
[فتلطف عند المرور عليهم وحقوقاً لهم على فادّ

(١) وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» والإسكوريال والنفح على النحو الآتى : (مد تولاها الرباب المنوال) .

(٢) هذا البيت وارد في «الزيتونة» والإسكوريال ، وساقط في «ج» .

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (صادق) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . ووردت في «ج» (مجد) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (وها في يقينى)

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والنفح والإسكوريال (ما) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . و«ج» (أسكان) . وفي الزيتونة (كساكن) .

قل لهم قد ضلوت من وُجْدِمْ^(١) في حال شوق لـسُكُلِ رُندٍ^(٢) وُزْنِدٍ^(٣)
 وإن استفسروا حديثي فإني باعتناء الإِآءِ بلغت قصدي
 فله الحمد إذ حبسني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

[قال شيخنا أبو بكر ولده ، وجدت بخطه رحمة الله عليه ، رسالة خاطب بها أخاه
 أبا إسحق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها] ^(٤) .

ذَكَرَ اللَّوَى شَوْقًا إِلَى أَقْصَارِهِ قَضَى أَمْسَى أَوْكَادٍ مِنْ تَذَكُّرِهِ
 وَعَلَا زَفِيرُ حَرِيقٍ^(٥) نَارَ ضُلُوعِهِ فَرَمَى عَلَى وَجْهِاتِهِ بَشْرَاهُ
 لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ خَطَّهُ فِي خَدِّهِ لَقَرَأْتَ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
 يَا عَاذِلِيهِ أَقْصِرُوا فَلَرَبَّمَا^(٦) أَفْضَى عَنَابُكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
 إِنْ لَمْ تَعِينْهُ عَلَى بَرَجَائِهِ لَا تُنْكَرُوا بِاللَّهِ خَلْعَ عِذَارِهِ
 مَا كَانَ أَكْتَمَهُ لِأَسْرَارِ الْهَوَى لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّرِّ مِنْ أَلْصَارِهِ
 مَا ذُنِبُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ أَسْفًا وَأَذْكَى النَّارِ فِي أَغْثَارِهِ
 بِخَلِّ اللَّوَى بِالنَّاسِ كُنْيَهُ وَطِيفَهُمْ وَحْدَيْتُهُ وَنَسِيمِهِ^(٧) وَمَزَارِهِ
 يَا بَرْقُ خُذْ دَمِي وَعَرِّجْ بِاللَّوَى فَأُفْخِجْهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أجلهم) .

(٢) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «ج» . وفي «الزيتونة» (ورخذ وندي) .

(٣) هذان البيتان ساقطان في الإسكوريال وواردان في «ج» وفي «الزيتونة» والـج .

(٤) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ووردت في «ج» على النحو الآتي :
 وافتتح مخاطبته لأخيه الأكبر أبي إسحق إبراهيم بقصيدة أولها .

(٥) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي الإسكوريال (رحيق) .

(٦) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي الإسكوريال (فلشدما) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» (ونسيه) .

وإذا لقيت بها الذي بإخائه
فاقر السلام عليه قدّر محبتي
وألمم بسائر أخوتي وقرابتي
ما منهم إلا أخ أو سيد
فاثبت لذاك الحسى أن أخاهم
ما منزل اللذات في أوطانه
ألقى خطوط الدهر أو بجواره
فيه وترفعني إلى مقاداره
من لم أكن لجوارهم بالكاره
أبدأ أرى دأبي على إكباره
في حفظ عهدهم على استبصاره
كلّا ولا الشلوان من أوطاره^(١)

وقال رحمه الله في غرض كافه ساطعانه القول فيه :

ألا واصل مواصلة العقار
وقم واخلع عذارك في غزال
قضيّب مائس من فوق دِعْص
ولاح بنجده ألف ولام
رمانى قاسم والسين صاد
وقد قسّمت محاسن وجنتيه
فذاك المساء من دمي عليه
عجبت له أقام برّبع قلبي
ألفت الحب حتى صار طبعاً
فمالي عن مذاهبه ذهاب
ودّع عنك التخلّق بالوقار
يحقّ لمثله خلع العذار
تعمّ بالدّجى فوق النهار
فصار معرّفاً بين الدار^(٢)
بأشفار تنوب عن الشّفار
على صيدين من ماء ونار
وتلك النار من فرط استيعار
على ماشبّ فيه من الأوار
فما احتساج فيه إلى ادّكار
وهذا فيه أشعاري شِعَار

وقال العلامة ابن رُشيد في «ملء العبّية» ، لما قدّمنا المدينة سنة ٥٦٨٤هـ ، كان
معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم ، وكان أرمداً ، فلما دخلنا
ذا الحليفة أوفحوها ، نزلنا عن الأكوار ، وقوى الشوق لقرب المزار ، فنزل وبادر

(١) هذا البيت زائد في الإسكوريال . هذا ولم ترد هذه القصيدة في مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال (الدار) .

إلى المشى على قدميه احتساباً لتلك الآثار ، وإعظاماً لمن حلّ في تلك الديار ،
فأحسن بالشفاء ، فأنشده لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا بيثرب أعلاماً أتّرن لنا الحبا
وبالترّب منها إذ كحلّنا جفوننا شفيناً فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالها ومن بعدها عنا أدبيلت لنا قربا
نزلنا من الأكوار نمشي كرامة لمن حلّ فيها أن نلّم به ركبنا
نسحّ سبجال الدمع في عرّصاتها ونلّم من حبّ لواطئه التّربا
وإن بقائى دونه لخسارة ولو أن كُنّى تملأ الشرق والغربا
فياعجباً ممن يحبّ بزّعه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتّبا
وزلات مثلى لا تعدّ كثيرة وبُعدي عن المختار أعظمها ذنباً^(١)
ومن شعره قوله :

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إشاره
يُصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره
لا سيما إن كان في غربّة يحتاج أن يُعرّف مقداره^(٢)
وقوله رحمه الله :

إني لأعير أحياناً فيلحقني يُسرّ من الله أن العسر قد زالا
يقول خيرُ الورى في سُنّة ثبتت أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا^(٣)
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .

ومن شعره قوله :

(١) لم ترد هذه القصيدة في مخطوط «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

فقدتُ حياتي بالفراق^(١) ومن غدا بحال نوى عن يحسب فقد فقد
ومن أجل بُعدي من ديار ألفتها جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد
وحكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه السكاتب ابن أبي مدين.
أنشده ابن أبي مدين :

عشقتُكمو بالسمع نبل لقاكم وتسمعُ الفتى يهوى لعمري كطرفة
ونعيتني ذكرُ الجاليس إليكمو فلما التقينا كنتم فوق وصفه^(٢)

فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله :

مازلت أسمع عن عليك كل مني أبهى من الشمس أو أجلي من القمر
حتى رأى بصري فوق الذي سمعت أذننى فوق بين السمع والبصر^(٣)

ومن نظمه مما بكتب على قوس :

أنا عُدَّةٌ للدين في يد من غدا لله منتصراً على أعدائه
أحكى الهلال وأهوى في رجبها لمن اعتدى تحكى رجوم سمائه^(٤)
قد جاء في القرآن أنى عُدَّة إذ نصَّ خير الخلق تحكم آية^(٥)
وإذا العدو أصابه سهمى فقد سبق القضاء بهلكه وفناءه

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبي بكر في كتابه المسمى «بالموارد المستعذية»،
وكان [بمدينة وادي آش]^(٦) الفقيه [السكندى أبو عبد الله محمد بن غالب]^(٧)

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (بالمعراق) .

(٢) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (نجوم) والأولى رجب .

(٥) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . وفي «ج» (برادى آشي) .

(٧) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .

الطريقى ، فكتب يوماً إلى [الشيخ]^(١) خاصة والدى [وخلاصته]^(٢) أبى جعفر
ابن داود قصيدة [طويلة]^(٣) على روى السنين يشتكى فيها من [جور]^(٤) مشرف
بلدهم إذ ذاك أبى القاسم بن حسان منها :

فيا صفى أبى العباس كيف ترى وأنت كيّس^(٥) من فيها من أكياس^(٦)
ولو إن كان ممن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف فى فاس^(٧)
ومنها يستطر ذكر ذى الوزارتين [رحمه الله]^(٨) :

للشرق فضل منه أشرقت شهب^(٩) من نورهم اقتبسونا كل مقياس^(١٠)
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه]^(١١) :

إن أفرطت بآبن حسان غوائله فلا أمر يكسوه ثوب الذل والياس^(١٢)
وإن تزل به فى جوره قدّم كان الجزاء له ضرباً على الرأس
فقد أقامنى المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل فى الناس

كتابه

وهى مرتفعة^(٩) عن نمط شعره^(١٠) . فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانها فى فتح
مدينة قيجاطة^(١١) :

- (١) هذه كلها زيادات وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (أكيس) .
- (٣) هذا البيت ساقط فى الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (جلاس) .
- (٥) هذه الزيادة من الإسكوريال .
- (٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» والإسكوريال (أقباس) .
- (٧) الزيادة من الزيتونة .
- (٨) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» والإسكوريال (الباس) . والأولى أرجح .
- (٩) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» . وفى الإسكوريال (مترفعة) وهو تحريف .
- (١٠) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» وفى الإسكوريال (تطمه) .
- (١١) قيجاطة وبالإسبانية Quesada ، مدينة أندلسية من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة
من نهر الوادى الكبير شمال شرق مدينة جيان . وينسب إليها عدد من العلماء .

من الأمير فلان ، أيده الله ونصره ، [ووقفه لما يحب ، حتى يكون ممن قام بفرض الجهاد ونشره]^(١) . إلى ابننا الذي نمنحه الحب والرضى ، [ونسأل الله أن يهبه الخلال التي تُستحسن]^(٢) ، والشَّيم التي تُرتضى ، الولد الأنجب^(٣) ، الأرضى ، الأنجد ، الأرشد ، الأسعد ، محمد ، وإلى الله تعالى إسعاده ، وتولى بالتوفيق والإرشاد سَداده^(٤) ، وأطلع عليه من أنباء الفتوح المُبشِّرة بالنصر الممنوح ، ما يكمل من بُغيته في نصر دين الإسلام [ويُسنى]^(٥) مراده .

أما بعد حمد الله ، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال ، [الذي يقربه إلى رضاه]^(٦) ، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه ، فقال يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال ، تنبيهاً على محل الثقة ، بأن الفئة القليلة من أوليائه ، تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه ، وتُدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله ، وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ، تعالى الله عن خذلان جنده]^(٧) . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومُجتباه ، لهداية الخلق لسلوك سبيل الحق ، والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل : قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ، تَحْرِيطاً عَلَى أَنْ يَمْحُوا ظِلَامَ ضَلَالِهِمْ بِنُورِ هُدَاهُ . صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الأبرار ، وأصحابه الأشداء على الكفار ، الذين جرّدوا في نُصرة دينه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال كالأتي (وكافاً سعيه الذي وقفه على إقامة فرض الجهاد ونصره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونشكر الله على ما وهبنا من الخلال) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الأحب) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (مراده) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال . وورد مقابلها في «الزيتونة» (وينهى) .

(٦) الزيادة من الزيتونة .

(٧) ورد مكان هذه العبارة في الزيتونة والإسكوريال ما يأتي (إنه إن خذله أفاض الكفر دما) .

صَوَارِمَ^(١) العزم ، وأمضوا ظُبَاه ، وفتحوا ما زَوَى له من مشارق الأرض ومغاربها ؛
 حتى عمَّ الإسلام حدَّ المعمور ومنتهاه . فإننا كتبنا لكم . كتب الله لكم من سماع
 البشائر ما يعود بتحويل^(٢) الأحوال ، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح ما يلوح بآفاق
 الآمال^(٣) ، مُبَشِّرًا بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ . من قيجاطة ، وبركات ثقتنا بالله وحده ، تُظْهِرُ
 لنا عجائب مكنونات أَلطافه ، وتُجَنِّدُنَا ثَمَارَ النِّصْرِ فِي إِبْتَانِ قِطَافِهِ ، وَتُسَخِّرُ^(٤)
 لنا وَرْدَ مَشْرِعِ الْفَتْحِ فَتَرْدُ عُنْبَ لُطَافِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَأَنْ نَتَّقِلَّ تَجَادُّهَا ،
 وَنَمْتَلِى جَوَادُّهَا ، وَنَسْتَوْرِى زَنَادَهَا ، وَنَسْتَفْتِىحَ بِهَا^(٥) مَغَالِقَ الْمَآرِبِ ، [وَلَطَائِفَ
 الْمَطَالِبِ] ^(٦) حَتَّى دَخَلَتْ الْمِلَّةُ الْخَنِيفِيَّةُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، أَغْوَارَهَا
 وَأَنْجَادَهَا . وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ
 الْأَقْطَارِ اشْتِهَارُ الصَّبْحِ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ ، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ
 كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَنَسْمَحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ،
 لَا لِنَعْرِضَ^(٧) دُنْيَا ، وَأَنَا مَا قَصَّرْنَا فِي الْإِسْتِنْفَادِ وَالْإِسْتِنْفَارِ [وَلَا قَصَّرْنَا عَنْ
 الْإِعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمَلْنَا مَعُونَتَهُ^(٨) وَالْإِسْتِظْهَارَ] ^(٩) ، وَلَا أَكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ
 الرِّسَائِلِ وَبِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، حَتَّى اقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا أَجْبَاجَ الْبَحَارِ ، وَسَمَحْنَا بِالطَّارِفِ
 مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ [نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ] ^(١٠) مَوْفُورِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (صارم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (بتمهيد) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الإيمان) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (وتسجل) . والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونستهل مصاعب المطالب) .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (لعرض) .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (معاملته) . والأولى أرجح .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (نصر الله) .

واشترينا بما أنعم الله به علينا ، ما فرَضَ الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد ، فلم يكن بين تلبية المدعو ورهده ، وبين قبوله وردّه ، إلا كما يحسُّو الطائر ماء النّهاد ، وبأبي الله أن يسكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه ، وأن يجعل فيها سبباً^(١) إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه. ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية^(٢) إلى مثاويه ، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباديه ؛ ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده]^(٣) يد الاستسلام ، وثمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام ، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَخَذَ الْأَعْرَاضَ ، فَأَمَدَّنَا اللَّهُ تَعَالَى بِتَوَالِي الْبَشَائِرِ ، وَلَصَرْنَا بِالْطَّافِ أَغْنَى فِيهَا خُلُوصُ الضَّمائر عن قُوَاد^(٤) العساكر ، وَثَقَلْنَا عَلَى أَيْدِي قُوَادِنَا وَرَجَالِنَا مِنَ السَّيَايا والغنائم ؛ ما عُدَّ ذِكْرُهُ فِي الْأَفَاقِ كَالْمِثْلِ السَّائِرِ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، وكيف يُحْصِيهَا الْحَصَى أَوْ يُحْصِرُهَا الْحَاصِرُ . وَحِينَ أَبَدَتْ لَنَا الْعَنَاءُ الرَّبَّانِيَّةَ وَجُوهَ الْفُتُوحِ^(٥) سَافِرَةَ الْحَيَا . وَانْتَشَتْنَا [نَسِيم]^(٦) النَّصْرِ الْمُنَوَّحِ عِبْقِ الرِّيَا ، اسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي الْغَزْوِ بِأَنْفُسِنَا ، وَنَعْمَ الْمُسْتَخَارِ ، وَكُتِبْنَا إِلَى مَنْ قَرَبَ مِنْ عَمَلَانَا بِالْخُصْ عَلَى الْجِهَادِ وَالْإِسْتِنْفَارِ . وَحِينَ وَافَى مَنْ خَفَ لِلْجِهَادِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالْمَطْوُوعِينَ ، وَغَدَوْا بِحُكْمِ رَغْبَتِهِمْ فِي الثَّوَابِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُجْتَمِعِينَ ، خَرَجْنَا بِهِمْ ، وَلَصَرُّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْدَى دَلِيلَ ، وَعَنَاءُ اللَّهِ بِهِذِهِ الْفَتَّةِ الْمُفْرَدَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، تَقْضَى^(٧) بِتَقْرِيْبِ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (شيئا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الغربية) والزيتونة (العربية) . والأولى أرجح بالنسبة للمعنى المقصود .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قود) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (الفتح) . والأولى أرجح وأكثر ممشياً مع السياق .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (تقتضى) .

البعيد من آمالنا، وتكثير القليل . ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق يفضى إلى بلوغ الأمنية والمأمول ، إلى أن حملنا عشية يوم الأحد ثانی يوم خروجنا بمقربة^(١) حصن اللقوة^(٢) ، فأدركنا به . التدبير ، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير ، فافتضى الرأى المقترن بالرشاد ، المؤذن بالإسعاد ، قصد قيجاطة [لما رَجى من]^(٣) تيسير فتحها ، وأملا في إضاعة فخر الأمانى لديها ، وبيان صُبْحها ، فسرنا [نحوها]^(٤) في جيش ؛ يجره على المجرّة ذيل النقع المثار ، ويضيق عن كثرتة واسع^(٥) الأقطار ، ويُقر عين الإسلام ، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم]^(٦) بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار . فلما وصلنا إلى وادى يانه^(٧) على مقربة منها ، نزلنا به نريح الجياد ، ونسكل التأهب للقتال والاستعداد ، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم^(٨) الإعانة بتأييده والإمداد . وحين فجر الفجر وأنار النهار ، وقدحت به الأصباح زُند الأنوار ، رَكِبنا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها ، والسيوف قد كادت تلفظها عُمودها ، وبصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معبودها . فلما وصلناها ، وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبُوس ، وهتِكوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (بمقبرة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» . وفى الإسكوريال (اللقون) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (رغبة فى تيسير) .

وفى «الزيتونة» (من تيسير) .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (واسعة) وفى الإسكوريال (واسعات) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت محرفة فى «ج» (يطير بهم ثباتهم) و«الزيتونة»

(يطير بهم ثباتهم) .

(٧) الإشارة هنا إلى نهر وادى يانه وبالإسبانية Guadiana ، الذى تقع قيجاطة على مقربة

من شرقيه .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (يلهم) وفى الإسكوريال (يلهمهم) .

سِتْرَ عِصْمَتِهَا المحروس، [وَأُذِنَ لَهَا] ^(١) بزوال النعم، وذهاب النفوس، فعاجلها
الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها ثمر المنايا من ذُرْقِ النَّصَالِ، [وَرَشَقُوا جنودها
بالنبال، وجَدُّوا بنات الأجال] ^(٢)، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا بالفرار
من الأسوار، وولّوا الأدبار، وودّعوا الديار وما فيها من الآثار. وتَسَنَّم المسلمون
ذِرْوَةَ البلد الأول فملكوه، وخرّقوا حجاب السِتْرِ المسدول عليه وَهَتَّكُوهُ،
وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ النصارى أسواره] ^(٣) من حُجَّةِ رجالهم،
وانتقمهم من مُتَخَيَّرِ أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل
عليهم ^(٤) المسلمون حُمْلَةَ عَرَفُوهم بها كيف يكون اللقاء، [وصَرَفُوهم إلى ما تنصرف
إليه أرواحهم من الشَّقَاءِ] ^(٥)، وأظهروا لهم [من صدق العزائم] ^(٥) ما علموا
به أن الله لا يهدي القوم الظالين. ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠)

نُبَشِّرُ بتيسير كل مرام^(١) . ودخلوا المدينة ، فألفوا بها من القوت والعَداد ، والمتاع الفاخر ، الذي يربو على التعداد ، [ما ملأ]^(٢) كلَّ يمين وشمال ، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على السكّال ، [وقتلوا بها من الحماة أعداء ، أبدوا فى حماية ضلالهم ماضى الفنا والاعتزام]^(٣) وأعملوا فيهم ماضى العوامل وشبّا الإضرار . وارتفع النصرارى إلى القصبة لائذين بامتناعها ، مُعْتَصِمِينَ بِمُلُوكِهَا وارتفاعها ، مُتَخَيِّلِينَ [لضلالهم ، وعدم استبصارهم]^(٤) أن نور الهدى لا يحلُّ بديارهم . فرأينا أن نُرْقِي الرجال إلى أبراج البلد وأسواره ، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على من اعتصم بالقصبة فى حصاره ، وعَمَدْنَا بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصودة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق ، ولاح وجهه^(٥) الغزاة طارحاً شعاعه على الآفاق ، أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار ، وعيّنّا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشدَّ^(٦) البدار ، فاتمهى المسلمون من ذلك [إلى غاية لم]^(٧) تَخْطُرُ للكافرين ببال ، وجرَّ عُوْمَ كَثُوسِ المنايا ، وأداروا بها بنات الحنايا ، [فأفضت السَّجَالُ]^(٨) وأظهر الكفار ، مع وقوعهم فى بحر الموت صبرا وطمعوا ، أن يقيموا بذلك لصلبانهم

(١) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (مراد) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وفى «ج» (فعلثوا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» مع تحريف يسير . ووردت فى «ج» كآلآى (وقتلوا من بها من أهل الضلال والظلام) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» (متخيلين لاستبصارهم فى ضلالهم) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» وفى الإسكوريال و«الزيتونة» (قرن) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (أوفى) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى «ج» (الذى لم) والأولى أنصح

وأنسب للسياق) .

(٨) الزيادة من الإسكوريال .

عُدُوا . فلما رأوا من عَزَمْنَا ما لم تتخيله ظنُّوهُم وأوْهامهم ، وصابروهم المسلمون عند النِّزال مصابرةً عَظُمَ فيها إقدامهم [وثَبَّتَتْ أقدامهم]^(١) ألقوا بأيديهم إلى التَّهْلُكَةِ ، إلقاء [من هاله لَمَّانِ الأَسِنَّةِ ، واهْتَزَّازَ رُدِّيْنِيَّاتِ القَنَا]^(٢) ، ولاذوا بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل ، بعد ما أشرف على الفناء وهبط زعيمهم ، مقتحماً خطر تلك المسالك ، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك ، وشرط أن يُملَّكَ كُنَّا القُصْبَةَ . ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة [والكَتِيْبَةُ]^(٣) المنتخبة ، فلم يظهر له عند ذلك قَبُولاً ، [ولم نجعل له]^(٤) إلى تكميل ما رغب فيه سبيلاً ، فقادته البأس الشديد إلى الإذعان : ورغب أن يُسَكِّلَ ما نريده على شرط^(٥) الأمان . فأسعفتنا رغبته على شروط ، بعد عهد المسلمين بمثلها ، [وهَيَّئَتْ الأسباب بما نعتمده]^(٦) من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها ، وذلك على كذا وكذا . وحين كُملت الشروط حق التكميل ، وظهرت لنا [منه]^(٧) إمارات الوفاء الجميل ، دخلنا القُصْبَةَ حماها الله ، وقد أغنى [يوم]^(٨) النصر عن شهر السلاح ، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح]^(٩) ، ورُفعت على أبراجها نحر الأعلام ، ناطقةً عن الإسلام ، بالتعريف والإعلام . وفي الحين وجهنا من يَمُضُّ تلك الحصون ، ويُزِيل ما بها من جُرم^(١٠) الكفر المأفون ، أمنا

(١) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ولا جعلنا له) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (شروطاً) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وهيأت أسبابها ما نعتمد) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٨) هذه الكلمة زائدة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (عن فعل الصفايح) و«الزيتونة» (عن فعل المصباح) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» وفي الزيتونة والإسكوريال (حريم) .

رجالنا . فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا ، وخففت [عَلَمَ التَّثْلِيثِ] ^(١) ، ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للعلة الحنيفة على أعدائها اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح [وإن كان] ^(٢) سامي الفخر ، باقي الذكر بقاء الدهر ، فإننا نرجو من فضل الله أن يُتبعه ^(٣) بما هو أعلى منه متانة ، وأعظم ^(٤) في قلوب أهل الإيمان موقعا وأعز مكانة ، وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عز الإسلام ، أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح العظيم وبشروا ، واشكروا الله عليه ، فواجب أن تشكروا . وقد كتبنا هذا ، ونحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار ، والسعي الحميد [إلى التنكيل بهم] ^(٥) والإضرار ، والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار ^(٦) ، ويمتلكون الأنجاد منها والأغوار ، ويكثرون القتل والأسار ، ويحكمون أيما منزلوا السيف والنار ، [والسلام] ^(٧) .

ومن نثر آخر إجازة ما صورته :

[وها أنا أجرى منه على حسن مُتَعَدِّد ، وأركله في هذا الغرض إلى ماواه بمقتضى تَوَدُّده ، وأجيز له ولولديه ، أقر الله بهما عينه ، وجع بينهما وبينه ، رواية جميع ما نقلته وحملته ، وحسن اطلاعه يَفْضُلُ من ذلك ما أبجلته ، فقد أطلت لهم الإذن في جميعه ، وأبحت لهم الحمل عني ، ولهم الاختيار في تنويعه . والله سبحانه وتعالى يُخلص أعمالنا لذاته ، ويجعلها في ابتغاء مُرضاته . قال هذا محمد بن

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (علما) . وفي الإسكوريال (للشرك علما) .

(٢) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يشفعه) .

(٤) هكذا في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وأسنى) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة والإسكوريال (في القطع بهم) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (النارات) . وفي الإسكوريال (المغوار) .

(٧) واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة في «ج» .

عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عز وجل ، ومصلياً ومسلماً^(١) .

وفاته

قُتِلَ رحمه الله صَبِيحَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ لِتَارِيخِ خَلْعِ سُلْطَانِهِ . وَاسْتَوْلَتْ يَدُ الْغَوْغَاءِ عَلَى مَنَازِلِهِ ، شَغَلَهُمْ بِهَا مُدَبَّرُ الْفِتْنَةِ ، خِيفَةً مِنْ أَنْ يَعْاجِلُوهُ قَبْلَ تِمَامِ أَمْرِهِ . فَضَاعَ بِهَا مَالٌ لَا يُكْتَبُ ، وَعُرُوضٌ لَا يُعْلَمُ لَهَا قِيَمَةٌ مِنَ الْكُتُبِ ، وَالذَّخِيرَةُ وَالْفَرَشُ وَالْأَنْيَّةُ وَالسَّلَاحُ وَالْمَتَاعُ وَالْخُرُوتِيُّ ، وَأُخْفِرَتْ ذِمَّتُهُ ، وَتُعَدَّى بِهِ عُدْوَةُ الْقَتْلِ إِلَى الْمَثَلَةِ ، وَقَانَا اللَّهُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، فَطَيِّفَ بِشَلْوِهِ ، وَاتَّهَبَ فِضَاعَ [وَلَمْ يُقْبَرْ]^(٢) ، وَجَرَتْ فِيهِ شَنْعَاةٌ كَبِيرَةٌ ، وَحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مولده

بُرْنَدَةُ ظَهَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ ، مِنْ عَامِ سِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ^(٣) . وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَيْبَرِينَ وَحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ :

[سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ كَرُمٍ عَلَى الْبَلَى	وَمَا غَضَّ مِنْ مَقْدَارِهَا حَادِثَ الْبَلَا
وَمَا شَجَانِي أَنْ أَهِنَ مَكَانَهَا	وَأَهْلٌ قَدَرْتُ مَا عَهْدَنَاهُ مُهْمَلًا
أَلَا أَصْنِيعُ بِهَا يَادَهُرُ مَا أَنْتَ صَانِعُ	فَمَا كُنْتُ إِلَّا عَبْدَهَا الْمُتَدَلِّلًا ^(٤)
سَفَكْتُ وَمَا كَانَ الرَّقْوُ نَوَالَهُ	لَقَدْ جِئْتُهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً لَمَالًا
يَكْفِي سِبْنَتِي أَزْوَاقُ الْعَيْنِ مُطْرِقُ	عَدَا فَعْدَا فِي غَيْهِ مَتَوَعِّلًا
لِنَنْعَمَ قَتِيلُ الْقَوْمِ فِي يَوْمِ عِيدِهِ	قَتِيلُ تَبْكِيهِ الْمَكَارِمِ وَالْعَمَلَا

(١) هذه الفقرة التي بين الخاصرتين وردت فقط في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (فلم يجر) والأولى أرجح وأكثر تمشياً مع السياق .

(٣) هذه الفقرة الخاصة بمولد ابن الحكيم لم ترد في «ج» . ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال

(٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من القصيدة في «الزيتونة» .

إلا إن يوم ابن الحكيم مُشْكِلٌ
 فَقَدْ نَاهِ فِي يَوْمٍ أَغْرَ مُجْجَلٌ
 مَمَتَ نَحْوَهُ الْأَيَّامَ وَهُوَ عَمِيدُهَا
 تَعَاوَرَتِ الْأَسْيَافُ مِنْهُ مُمَدَّحًا
 وَخَانَتَهُ رَجُلٌ فِي الطَّوَافِ بِهِ سَعَتٌ
 وَجَدَلُ لَمْ يَحْضُرْهُ فِي الْحَيِّ نَاصِرٌ
 يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ مُزَقًّا
 وَمِنْ حَزَنِي أَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ مَلْحَدًا
 رُوَيْدِكَ يَا مَنْ قَدْ غَدَا شَامِتًا بِهِ
 وَكُنَّا نُنَادِي أَوْ نُرَاوِحُ بِأَبِهِ
 ذَكَرْنَاهُ يَوْمًا فَاسْتَهَلَّتْ جَفُونُنَا
 وَمَا زَجَ مِنْهُ الْحُزْنَ طُولَ اعْتِبَارِنَا
 وَهَاجَ لَنَا شَجْوًا تَذَكُّرُ مَجْلِسِ
 بِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا تُؤَخِّرُ مُدْبِرًا
 لَتَبْكِ عَيُونُ الْبَاكِاتِ عَلَى فِتْيِ
 عَلَى خَادِمِ الْأَثَارِ تُتْلَى صَحَائِحَا
 عَلَى عَضُدِ الْمَلِكِ الَّذِي قَدْ تَضَوَّعَتْ
 عَلَى قَاسِمِ الْأَمْوَالِ فِينَا عَلَى الَّذِي
 وَأَنْتَ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ مُتَعَلِّلٌ
 أَلَا يَا قَصِيرَ الْعُمُرِ يَا كَامِلَ الْعُلَا
 يَسُوءُ الْمُصَلَّى أَنْ هَلَكَتْ وَلَمْ تَقُمْ

فَوَادَى فَمَا يَنْفَكُ مَا عَشْتُ مُشْكِلًا
 فِي الْحَشْرِ نَلْقَاهُ أَغْرَ مُجْجَلًا
 فَلَمْ تَشْكُرِ النُّعْمَى وَلَمْ تَحْفَظِ الْوَلَا
 كَرِيمًا سَمَافُوقِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنَزِلًا (١)
 فَنَاءَ بِصَدْرِ الْعُلُومِ نَحْمًا
 فَمَنْ مُبَلِّغُ الْأَحْيَاءِ أَنْ مُهْلَمًا
 تَبَارَكَ مَا هَبَّتْ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 لَهُ فَأَوَى لِلتُّرْبِ مِنْهُ مَقْبَلًا
 فَبِالْأَمْسِ مَا كَانَ الْعَمَادُ الْمُؤَمَّلًا
 وَقَدْ ظَلَّ فِي أَوْجِ الْعُلَا مُتَوَقِّلًا
 بِدَمْعٍ إِذَا مَا أُنْجَلَ الْعَامُ أُخْضَلًا
 وَلَمْ نَذَرِ مَاذَا مِنْهَا كَانَ أَطْوَلًا
 لَهُ كَانَ يَهْدِي الْحَيَّ وَالْمَلَأَ الْأَلَى
 مِنَ النَّاسِ حَتْمًا أَوْ تَقْدِمَ مُقْبَلًا
 كَرِيمٍ إِذَا مَا أَسْبَغَ الْعُرْفُ أَجْزَلًا
 عَلَى حَامِلِ الْقُرْآنِ يُتْلَى مَفْصَلًا
 مَكَارِمُهُ فِي الْأَرْضِ مِسْكًا وَمَنْدَلًا
 وَضَعْنَا لَدَيْهِ كُلَّ إِصْرٍ عَلَى عَلَا
 وَمَا كَانَ فِي حَاجَاتِنَا مُتَعَلِّلًا
 يَمِينًا لَقَدْ غَادَرَتْ حُزْنًا مَوْثَلًا
 عَلَيْكَ صَلَاةٌ فِيهِ يَشْهَدُهَا الْمَلَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (مرحلا) . والأول أرجح .

وذاك لأن الأمر فيه شهادة
 فيا أيها لكيت الكريم الذي قضى
 لتنهك من رب السماء شهادة
 وثبتك عن حب نوى في جوانحي
 ويارب من أوليته منك نعمة
 تناسك حتى ما تتمر بيباله
 يرباض في مشواك كل عشية
 كفى الله من ينسى الأذمة وافضاً
 حنانيك يا بدر الهدى فلشد ما
 وكنت لآمالى حياة هنيئة
 فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى
 فانت الذى آويتنى متغرباً
 [فإن لم أنل منك الذى كنت آملاً
 فأليت لا ينفك قلبى مكمداً
 وسنتها محفوظة لن تبدلاً
 سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
 تلاقى ببشرى وجهك المتهللاً
 فما ودع القلب العميد [وما قلاً] (١)
 وكنت له ذخراً عتيداً وموتلاً
 ولم يدكر ذاك الندى والتفضلاً
 صغيف شواء أو قديداً معجلاً
 ويذهل مهما أصبح الأمر مُشكلاً
 تركت بدور الأفق بعد أفلاً
 فغادرت منى اليوم قلباً مقتلاً
 على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
 وأنت الذى أكرمتنى متطفلاً
 فما كنت إلا الحسِن المتفضلاً] (٢)
 عليك ولا ينفك دمعى مُسبلاً

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى (٣)

من أهل وادى آش ، وسكن غرناطة .

حاله

فقيه أديب مُتَطَلِّب ، متقن فى علوم جمة ، شاعر مطبوع ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا فى « هج » . وفى الإسكوريال (ولا قلاً) .

(٢) هذا البيت زائد فى الإسكوريال .

(٣) هذه الترجمة واردة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

مدح الأمير على بن يوسف اللاتوني بقوله :

رحلوا الركائب موهناً فأذاع عُرْفُهُمُ السَّنا
والحلى قد أغرى بهم لما ترتب مُعلنا
كم حَفَّ حول حِماهم من كل خطار القنا

قال أبو جعفر بن الزبير ، ينفك منها قصايد :

رحلوا الركاب موهناً ليكتموا ظعن الحمول وهل توارى الأنجم
فأذاع سرهم السنا ورمى بهم فلّ الذميل شفاهم المتقسم
كم حف حمل قباهم وركابهم من ليث غاب في برائه الدم
من كل خطار القنا مموه بين الرحيل نصيبه يستسلم

وهي طويلة ، خاطب بها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . وقال

في وصف القصيدة :

أيا ملكا يسمو بسعد مُساعد وقدّر على علو الكواكب مساعد
نظمت قصيداً في علاك مُضْمِناً ثلاث قواف في ثلاث قصايد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإذا وصلت كانت ككعب وساعد
فأجازه بظهير كريم بتحرير ماله وتنويهه .

محمد بن عبد الرحمن ^(١) المتأهل

من أهل وادي آش يعرف ^(٢) بعمامق

حباله

من الناج : ناظم أبيات ، وموضح غرر وشيئات ، وصاحب توقعات

(١) هكذا وردت في أواخر الجزء الأول من مخطوط الزيتونة . ووردت في الإسكوريال

(عبد الرحيم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (المعروف) .

وفيقات ، وإشارات ذوات شارات : وكان شاعراً مكثاراً ، وجواداً لا يخاف^(١)
عِثاراً . أُدخل على أمير بلده المخلوع عن مُلكه ، بعد انتشار^(٢) سيّكه ، وخروج
الحضرة عن ملكه ، واستقراره بوادي آش ، مروع^(٣) البال ، مملأ بالآمال ،
وقد بلغه دخول طهرنش في طاعته ، فأنشده من ساعته :

خُذْهُمَا إِلَيْكَ طَهْرِنشَا شَفَعْ بِهَا وَادِي الْأَشَا
وَالْأَمَّ تَتْبَعْ بَنَتَهُمَا وَاللَّهُ يَفْعَلْ مَا يَشَا

ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة :

أُنَلْنِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خُطَّةً تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتَكْسِبُنِي عِزًّا
فَاعْتِزُّهُ فِي أَهْلِي كَمَا اعْتِزَّ بَيْدَقُ عَلَى سُفْرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا انْتَهَى فِرْزًا

فوقع الأمر بظهر رقعته ، ما ثبت في حرف النون عند ذكره ، والاحتجاج
بفضله .

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمئة . وفد على الحضرة مرات كثيرة .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي

من أهل وادي آش ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يخلف) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (استشار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (موروع) .

حاله ^(١)

كان عالماً ، صدراً ، حكماً ، فيلسوفاً ، عارفاً بالمقالات والآراء ، كلفاً بالحكمة
المشرقية ، محققاً ، منصوفاً ، طبيباً ماهراً ، فقيهاً بارع الأدب ، ناظماً ، ناثراً ،
مشاركاً في جملة من الفنون .

مشيخته

روى عن أبي محمد الرشاشي ، وعبد الحق بن عطية وغيرهما .
حُظوته ودخوله غرناطة
اختصّ بالريس أبي جعفر ، وأبي الحسن بن مَلْحَان . قال ابن الأبار في تُحَفُّته ،
وكتب لوالى غرناطة وقتاً .

توالياه

رسالة حى بن يقظان ، والأرجوزة الطيبة المجهولة ، وغير ذلك .

شعره

قال ، وهو القايل من قصيدة في فتح قفصة سنة [ست وتسعين] ^(٢) وأُنْفِذَتْ
إلى البلاد :

ولما انقضى الفتح الذى كان يُرْتَجَى وأصبح حزب الله أغْلَبَ غالب
وانجزنا وعدَّ من الله صادق كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب

(١) . واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وهو تحريف ، وصحته (ست وسبعين) أعنى
عام ٥٧٦ هـ وهو العام الذى افتتح فيه الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة ، التى خرجت
على ملأته ، وكان فى ركابه طبيبيه الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له . وقد أنفذت قصيدة ابن طفيل
مع رسالة الفتح التى يشتمل على البلاد .

وأذعن من عليا هلال بن عامر
وهبوا إذا هب النسيم كما سرى
ينص بهم عرض الفلا وهو واسع^(١)
كان بسط الأرض حلقة خاتم
ومد على حكم الصفار لسلما
يصرح بالرويا وبين ضلوعه
وعى من لسان الحال أفصح خطبة
وأبصر متن الأرض كفة حامل
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
إلى بقعة قد بين الله فضلها
على الصفوة الأذنين منّا تحية
وله أيضا :

ألت وقد نام الرقيب^(٢) وهو ما
وداح إلى تجدي فرحت منجدا
وجرت على تراب المخضب ذيلها
تناقله أيدي التجار لطيمة
ولما رأت أن لا ظلام يجنّها
سرت^(٤) عذبات الربط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظاما^(٥)
وأشرت الوادي^(٣) العقيق من الحما
ومرت بنعمان فأضحى منعما
فما زال ذاك التراب نهبا مقسما
ويحملة الداوين أبيان يما
وأن سراها فيه لن يتكتمّا

(١) وفي بعض النصوص تروى هذه الشطرة كالآتي (ينص بهم عرض الفيافي وطولها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب لعبد الواحد المراكشي (المشيخ) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (إلى الوادي) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المعجب (نفت) .

(٥) وردت هذه الشطرة في المعجب كالآتي (فأبدت محيا يدهش المتوسما) .

فكان تجليها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولما دأت زهر السكواكب أنها هي النير الأسمى وإن كان باسما
بكت أسفاً أن لم تغز بجوارها وأسعدتها صوب الغمام فأسجما
فجأت يمج القطر ريان بردها فتنفذه كالدر فذاً وتوأما
يضم علينا الماء فضل زكاتها كل بل سقط القل نوراً مكمماً
ويقتق نضح الغيث طيب عرفها نسيم الصبا بين العرار مذمماً
جلت عن ثناياها وأومض برقها^(١) فلم أدر من شق الدجفة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر وجداً^(٢) أينما كان أسجما
ونظم سيطى ثغرها ووشاحها فأبصرت دُر الثغرا حلى وأنظما
تقول وقد ألمت أطراف كمها يدي وقد أنعلت أنخصها الغما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً يسهل صعباً أو يرخس مائماً
فأقصرت لا مستغنياً عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرماً^(٣)
وقال:

أتذكر إذ مسحتُ بفيك عيني وقد حل البكا فيها عقوده
ذكرتُ بأن ويقك ماء وُرد فقابلت الحرارة بالبرودة
وقال:

سألت من الملية برء دابي برشف برودها العذب المزاج
فما زالت تقبل في جفوني وتبهرني بأصناف الحجاج
وقالت إن طرفك أصلاً لدايك فليقدم في العلاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (بارق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (دما) .

(٣) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان^(١) جنازته .

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله

ابن عيَّاش التَّجِيبِي البُرْشَانِي

من أهل حصن بُرْشَانَة^(٢) المحسوب في هذه العمالة ، يكنى أبا عبيد الله ،
كاتب الخلافة .

حالُه

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك^(٣) ، كان كاتباً بارعاً ، نصيحاً ،
مُشْرِفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات الآداب ، جزلاً ، سرى المهمة ، كبير المقدار ،
حسن الخلق ، كريم الطباع ، نفاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلبة العلم ،
والسعي الجميل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصَّاده ، مستعيناً على ذلك بما نال من
الثروة والخزوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المؤمن ، إذ كان صاحب
القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمسكنة لديهم ، قاصداً
الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاريق أحوالهم ،
إلا بكلام مُعَرَّب ، وربما استعمل في مخاطبته قديمته وأمثته ، من حُوشِي الألفاظ ، مما لا يكاد
يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألفتها واستمرت
حالُه عليها .

(١) المقصود بالسلطان هنا : هو الخليفة الموحد يعقوب المنصور ، وكان ابن طفيل طبيبه
الخاص ، وصديقه الأثير لديه .

(٢) برشانة وبالإسبانية Purchina بلدة تقع على نهر المنصورة شمال المريعة وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة» . وقد سبق التعريف به .

شيخته

روى عن أبي عبد الله بن حميد ، وابن أبي القاسم [السهيلي]^(١) ، وابن حَبِيش ، [وروى عنه بنوه أبو جعفر ، وأبو القاسم ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر ابن عثمان ، وأبو القاسم البلوى]^(١) .

توليذه

له اختصارٌ حسن في إصلاح المنطق ، ورسائل مشهورة ، تناقلها الناس ، وشعرٌ يُحسِن في بعضه .

جاءه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوى ، قال كنت أخيفُ إليه ، وأشفع عنده في كبار المسائل ، فيسرع في قضائها . ولقد عرّضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مهمّةً كبيرة ، وجب على السعى فيها ، والتماس قضائها وفاءً لربّها ، ولم يكن لها إلا ما قدّرتُ من حسن نظره فيها ، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها ، وكان قد أصابه حينئذ التّياثُ لَزِم من أجله داره ، ودخلت عليه عابداً ، فأطال السؤال عن حالى ، وتبسّط معي في الكلام ، مبالغاً في تأنيسى ، فأجلت ذكر الحاجة ، ورغبت منه في الشّفاة عند السلطان في شأنها ، وكان مضطجعاً ، فاستوى جالساً ، وقال لى ، جهل الناس قدّرى ، وكرّرها ثلاثاً ، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ، هات الدّواة والقرطاس ، فناولته إياها ، فكتب برغبتي ، ورفعها إلى السلطان ، فصُرِف في الحين معلّماً ، فاستدعاني ، ودفعه إلىّ ، وقال يا أبا القاسم ، لا أرضى منك أن تُحجّم عني في التماس قضاء حاجة تعرّضت لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة ، كبرت أو صغرت ، فألّزِم قضاءها ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في الإسكوريال .

وعلى الوفا ، فإن لكل مكتسب زكاة ، وزكاة الجاه بذله .

وحدثني شيخى أبو الحسن بن الجيَّاب ، عن حدثه من أشياخه ، قال ، عرض أبو عبد الله بن عيَّاش والسكراتب ابن القالى^(١) على المنصور كتابين ، وهوى بعض الغزوات ، فى كسلب البرد ، وبين يديه كانون بخر . وكان ابن عيَّاش بارع الخط ، وابن القالى وكيكه ، ويفضله فى البلاغة ، أو بالعكس الشك منى . وقال المنصور أى كتب لو كان بهذا الخط ، وأى خط لو كان بهذا السكتب ، فرضى ابن القالى ، وسخط ابن عيَّاش . فانتزع السكراتب من يد المنصور ، وطرحه فى النار وانصرف . قال ، فتغير وجه المنصور ، وابتدر أحد الأشياخ ، فقال يا أمير المؤمنين ، طعنتم له فى الوسيلة التى عرفته بيا بكم ، فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب الموصل إليكم . فسرى عن المنصور ، وقال لأحد خدامه ، اذهب إلى السبي ، فاختر أجمل نساء الأبرار ، وأت ببن عيَّاش ، فقل له هذه تطفى من خلقتك . قال ابن عيَّاش يخاطب ولده ، وقد حدث الحديث : هى أمك يا محمد أو فلان .

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورته الدالة على جلالة قدره

قال ابن خميس ؛ حدثني خالى أبو عبد الله ابن عسكر ، أن السكراتب أبا عبد الله بن عيَّاش ، كتب يوماً كتاباً ليهودى ، فكتب فيه ، ويحمل على البر والكرامة . فقال له المنصور^(٢) ، من أين لك أن تقول فى كافر ، ويحمل على البر والكرامة . فقال ففكرت ساعة ، وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى ، فقلت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذا أتاكم كريم قوم ، فأكرموه ؛

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ابن القالى) .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة فى الإسكوريال الكلمات الآتية (فكرت ساعة وقد علمت) . وهى مكررة وقد جاء مكانها بعد .

وهذا عام في الكافر ، وغيره . فقال نعم هذه الكرامة ، فلمبرة أين أخذتها ، قال فسكت ولم أجد جوابا ، قال فقرأ المنصور ، أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ « لا ينهاكم الله عن الدين ، لم يقاتلواكم في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تَبْرَهُوهم وتُقْسِطُوا إليهم ، إن الله يحب المُقْسِطِينَ » . قال فشهدت بذلك ، وشكرته .

شعره

من شعره :

بأنسية بَدَنِي عن العلياء مَلَوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَحْرَنُ لَزَهْرِكَ
وكيف يجبُ المرءُ داراً تَقَسَّمتْ على صَارِمِي جُدْعٍ^(١) وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في « زاد المسافر » عند اسم ابن عيَّاش ؛ قال ، اجتمعنا في ليلة بمرّاكش ، فقال أبو عبد الله ابن عيَّاش :

وليلةٌ من ليالي الصَّفْحِ قد جمعت إخوانَ صِدْقٍ ووصلَ للهـرَ غيرُ مُخْتَلِسِ
كانوا على سُنَّةِ الأيامِ قد بَعَدُوا فَأَلَفْتُ بينهم لو ساعدَ الْغَلَسُ
وقال من قصيدة :

أَشْفَارُهَا^(٢) أُمُّ صَارِمٍ الْحِجَّاجِ وَجُفُونُهَا أُمُّ فِتْنَةِ الْحَلَّاجِ
فإذا نظرتَ لأَرْضِهَا وَسَمَائِهَا لَمْ تَلَفْ غَيْرَ أَسْنَةِ وَرُجَّاجِ

وقال في المصحف الإمام ، المنسوب إلى عثمان بن عفان ، لما أمر المنصور بتَحْلِيهِته بنهيس الدر من قصيده :

(١) وردت في الإسكوريال (جوع) والتصويب من « الزيتونة » .

كما في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (أشفارها) .

وَنَقَلْتُ مِنْ كُلِّ مُلْكٍ فُخَيْرَةً كَانَهُمْ كَانُوا بِرَسْمٍ مَكْسِبِهِ
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقُ شَرْقًا وَمَغْرَبًا فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَالْبَسْتَهُ الدَّرَّ وَالْيَاقُوتَ حِلْيَةً وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ

كتابه

قال ابن سعيد^(١) في المرقصات والمطربات ، أبو عبد الله بن عباس ،
كاتب الناصر وغيره ، من بني عبد المؤمن ، وواسطة عقد ترسيده ، قوله
في رسالة كتبها في نزول الناصر على المهديّة بجرّاً وبرّاً ، واسترجاعها من
أيدي الملمّسين^(٢) :

وَلَمَّا حَلَلْنَا عُرَى السَّفَرِ ، أَنْ حَلَلْنَا حِمَى الْمَهْدِيَّةِ ، تَنَاهَا بَأْنُ تَسْكُونِ لِمَنْ
حَلَّ بِسَاحَتِهَا هَدِيَّةٌ ، فَأَحْمَدُ قَنَابَهَا إِحْدَاقُ الْهَدَبِ بِالْعَيْنِ ، وَأَطَرْنَا لِمُخْتَلَسِ
وَصَالِهَا غُرْبَانُ الْبَيْنِ ، فَبَانَتْ بَلِيلَةً بِاسْنِيَّةٍ^(٣) ، وَصَاحِبُ يَوْمًا صَاحِفُهُ فِيهِ يَدُ الْمَنِيَّةِ .
وَلَمَّا اجْتَمَعْنَا مِنْهَا عُرُوسًا ، قَدْ مَدَّ بَيْنَ يَدَيْهَا بِسَاطِ الْمَاءِ ، وَتَوَجَّهَتْ بِالْهَلَالِ ، وَقَرَّ طَعْمُهَا
بِالثَّرْيَا ، وَوُشِّجَتْ بِنَجُومِ السَّمَاءِ ، وَالشَّجَبُ تَسَحَّبَ عَلَيْهَا أُرْدَانُهَا ، فَتَرْتَدِّيهِمَا تَارَةً
مُتَشَاكِمَةً ، وَطُورًا سَافِرَةً ، وَكَأَنَّمَا شُرُفَاتُهَا الْمُشْرِفَةُ أَنْامِلُ مُخَضَّبَةٍ بِالْذَّيَاجِي ،

(١) هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي ، وأصله من سادة قلعة
يحصب من أعمال غرناطة . وهو سليل أسرة من الأدباء تعاقبت في تصنيف مؤلف أدبي وتاريخي ضخم
أتمه علي بن موسى آخر من تبع من الأسرة ، وهو يضم كتابين كبيرين هما «المشرق في حلّ المشرق»
«المغرب في حلّ المغرب» وموضوعهما الحديث عن فضائل مدن المشرق والمغرب . ولابن سعيد
كتب أخرى منها «المرقص والمطرب» ، و«الطالع السعيد في تاريخ بني سديد» «وملوك الشعر» ، وغيرها .
مولده سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٣ هـ . وسوف نترجم له ابن الخليل فيما بعد .

(٢) يقصد بالملمّسين هنا بنو غانية ، سادة ميورقة ، وأولياء المرابطين (الملمّسين) . وكانوا
قد غزوا إفريقية ، في أواخر القرن السادس الهجري . واستولوا على معظم قواعدها ومنها ثغر المهديّة ،
الذي استرده الموحدون من يحيى بن غانية الميورقي في سنة ٦٠٢ هـ ، في عهد الخليفة الناصر بن يمتوب
المنصور .

(٣) هكذا وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال كلمة مخرقة رسمها (دافنية) .

مُخْتَمَةً بالسكواكب الزاهرة ، تُضْحِي عَنْ شَذَبٍ لَا تَزَالُ تُقْبِلُهُ أَفْوَاهُ الْمَجَانِيْقِ ،
وَمُسِيٍّ بِاسْمَةٍ عَنْ لَعْسٍ ، لَا تَبْرَحُ تَرْشِفُهُ شِفَاهُ سِهَامِ الْحَرِيقِ . خَطَبْنَاهَا ،
فَأَرَادَتِ التَّنْبِيْهَ عَلَى قَدْرِهَا ، وَالتَّوْفِيرَ فِي إِعْلَاءِ مَهْرِهَا ، وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ ،
لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ ، فَتَمَنُّعَتْ تَمَنُّعُ الْمُقْصُورَاتِ فِي الْخِيَامِ ، وَأَطَالَتِ إِعْمَالُ الْعَامِلِ
فِي خِدْمَتِهَا ، وَتَجَرَّيدُ الْحَسَامِ ، إِلَى أَنْ تَحَقَّقَتْ عِظَمَ مَوْقِعِهَا فِي النَفُوسِ ، وَرَأَتْ ^(١)
كَثْرَةَ مَا أُلْقِيَ لَهَا مِنْ نِثَارِ الرُّؤُوسِ ، جَنَحَتْ إِلَى الْإِحْصَانِ بَعْدَ الدُّشُوزِ ، وَرَأَتْ
اللَّجَاجَ فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ قَبُولِ الْإِحْسَانِ لَا يَجُوزُ ، فَأَمْسَكَتْ زِمَامَهَا مِنْ يَدِ خَاطِبِهَا ،
بَعْدَ مَطَاوِلَةِ خَطَبِهَا وَخِطَابِهَا ، وَأَمْتَمَّتْهُ عَلَى رَغَمِ رُقِيَّتِهَا بِعِنَاقِهَا ، وَرَشَفِ رُضَائِهَا ،
فَبَانَتْ مُعْرَسًا ، حَيْثُ لَا حِجَالَ إِلَّا مِنَ الْبُنُودِ ، وَلَا خُلُوقَ إِلَّا مِنْ [دِمَاءٍ] ^(٢)
أَبْطَالِ الْجُنُودِ ، فَأَصْبَحَ وَقْدَ تَلَالَاتِ بَهْزَةِ الْبَشَائِرِ وَجُوهِ الْأَفْكَارِ ، وَطَارَتْ بِمَسَارِهَا
سَوَائِحُ الْبَرَارِيِّ ، وَسَوَانِحُ الْبَحَارِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَأَ الْحَقَّ فِي نَصَابِهِ ،
وَاسْتَرْجَعَهُ مِنْ أَيْدِي غُصَّابِهِ ، حَمْدًا يَجْمَعُ شَمْلَ النِّعَمِ ، وَيُنْقِصُهَا كَمَا تُنْقِصُ الرِّيحُ
الدَّيْمَ ، فَشَنَّفُوا الْأَسْمَاعَ بِهَذِهِ الْبَشَائِرِ ، وَامْلَأُوا الصُّدُورَ بِمَا يَرْوِيهِ لَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِهَا
كُلُّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ ، فَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي تَفْتَحُ لَهْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ [وَعَمَّ الْخَيْرُ وَالْبَيْنُ
بِهِ] ^(٣) بِسَيِّئِي الشَّمْرِقِ وَالْمَاءِ ، فَشَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَضُ ، فِي كُلِّ قَطْرِ مِنْ
أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

دَخَلَ غَرْنَاطَةَ ، مُرْتَادًا ، وَمُتَعَلِّمًا ، وَمُجْتَازًا .

مَوْلَدُهُ : بُيُوتُ شَانَةِ بَلَدِهِ ، عَامَ خَمْسِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ .

وَفَاتِهِ : تَوَفَّى بِمَرَاكَشَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِائَةٍ ،

رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَزَادَتْ) وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) وَارْدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَسَاقِلَةٌ فِي «الزَيْتُونَةِ» .

(٣) هَذِهِ الْمُبَارَةُ وَارْدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقِلَةٌ فِي «الزَيْتُونَةِ» .

محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني^(١)
من أهل وادي آش ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان محدثاً حافظاً ، راويةً مكثراً ، ثقةً ضابطاً ، شهر
بم حفظ كتب كثيرة ، من الحديث ، وغيره ، ذا نظر صالح في الطلب ، أدباً
بارعاً ، كاتباً بليغاً ، مكثراً لجيده ، سريع البديهة في النظم والنثر ، والأدب
أغلب عليه . قال أبو القاسم بن المواعيني ، ما رأيت في عباد الله ، أشرع
ارتجالاً منه .

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ، وأبي بكر بن زرقون ،
وابن قيد ، وابن إبراهيم بن المل ، وابن النعمة وصحبه^(٢) ، ولقيه بمراكش .
ووليد بن موفق ، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة ، ولزمه أزيد من ست
سنين ، وأكثر عنه ، وابن العُمرسي ، وأبي العباس بن إدريس ، والحُرُوبِي ،
وتلا عليه بالسَّبع ، وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيراً ، وابن
مضاء ، وأبي علي بن عرب ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وابن عبد الجبار ،
وأبي محمد بن سهل الضرير ، وعاشر وقاسم بن دحمان ، وأبي يوسف بن طلحة .
وأجاز له أبو بكر بن العربي ، وابن خير ، وابن مَنْدَلَة . وابن تَمارة ،

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، وساقطة في «الزيتونة» و«ج» .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونحبه) ، وهو فيما يبدو تحريف اقتضى التصويب .

وأبو الحسن شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل مفرج بن سلمة،
وأبو عبد الله حفيد مكي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن
أحمد السالمي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله وأبو مروان
البيضاقي، وابن قزمان، وأبو الوليد بن حجاج.

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو الحسن بن محمد بن بقي الغساني، وأبو
عبد الله محمد بن يحيى الشكري، وأبو العباس النبائي، وأبو عمرو بن عبيد،
وهو أسن منه وأبو الكرم جودي.

توالياه

صنّف في الأدب مصنّفات منها : بهجة الأفكار ، وفرصة التذكّار ،
في مختار الأشعار ، ومباشرة ليلة السفح ، ومقاله في الإخوان ، خرّجها من شواهد
الحكم ، ومصنّف في أخبار معاوية ، والدر المنظم في الإحसार العظيم ، ومجموع في
الألغاز ، ورضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق ، مجموع نظمه ونثره ، وملقى
السبل في فضل رمضان ، وقصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطرات
الواجد في رثاء الواحد ، ورجوم الإنذار بهجوم العذار ، إلى غير ذلك .

محبته

غرّبه الأمير ابن سعد^(١) من وطنه ، وألزمه سكنى مرسية ، ثم بلكنسية .
ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع وستين وخمس مائة ، عاد إلى وطنه
واستقر به يفيدة الديّة ، إلى آخر عمره .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنش الجندى أمير بلسية ومرسية ، وقد سبق أن ترجم له
ابن الخطيب فيما تقدم (ص ١٢٠ - ١٢٧) .

شعره

وشعره كثير . فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر صحابته :

سأقتك هاتفةً على نغماتها	بالهَضْبِ هَضْبِ زُرود أو تلمعاتها
فبيدين نفث السحر في نفثاتها	مصدورة تفتن في جميعها
جَنَحَ الدُّجَا سَيَّانٍ في ذكراتها	إن راغها راد الضحى أو راعها
والموت في يقظاتها وسناتها	هذا يُمتَّمُها وذاك يشوقها
نضحت فزور الطيف برح شكلاتها	ولولا التعلل بالسكرى يفتنابها
خرزاً تشير النهب في كراتها	لكن بين جفونها وهنامها
يلقى الرياح بملتقى هباتها	ولئن ندمت لها به فتقول مَنْ
كثفاً ويلثمها المني زهراتها	مطلولة الفرعين يلحفها الرُّبى
لغياضها من مجتقى نجلاتها	وتسيعها ماء النخيلة جرعة

منها :

بالواضحات الغر من آياتها	يا من تبلج نوره عن صادع
وسداً فغالت مستدام حياتها	يا شارعاً في أمية جعلت به
حيث الشباب يرف في جفاتها	في دار خلد لا يشيب وليدها
وشيم الرياح من جنباتها	وتدشم الرضوان في أكنافها
يا كنفها يا منتهى علياتها	يا مصطفاه مرفع قدرها
يا هاشم الصلبان في كزواتها	يا مننقاه من أرومة هاشم
يا يافعاً للرب في جمراتها	يا خاضداً للشرك شوكة حربه

قلت ، نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه . إلى أن قال ، وهي طويلة ، قلت وثقيلة الروح . ولقد صدق في قوله .

ومن شعره :

يا بَدْرُ تَمَّ طالماً في الحشِي
حُظَّكَ من قلبي تعذِيبُهُ
فمن يكن يُزهِى بلبس المُنَى
في ساعة قصر أنيابها
لعلَّ من باعد ما بيننا
[وقال] (١) :

رأوا القياب بأدمع مَفْضُوضَةٍ
فلا تَنفَسُ في تلك الرُّبُوعِ حَبِيبَةٍ
هل لي بهساتيك الظُّبَا المِماعَةِ
حقاً فقدتُ الذات عند فراقهم
ذوى للفراق وأكْبِدِ تَتَصَرَّمْ
والقلب في إثر الوداع مُقَسِّمٌ
أم هل لذاك السُّرْبِ شَمْلٌ يُنْظَمُ
فالشَّخصُ يُوجد والحقيقة تُعْدم

وفاته

توفي ببلده لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمس مائة . قال أبو القاسم
المواعيني ، عَرَّرَ في مَشْيِهِ فسقط ، فكان سبب مَنِيَّتِهِ ، ودخل غرناطة ، في غير
ما رُجِّهَ منها ، واويا عن أبي القاسم بن الفرس . ومع ذلك فهو من أحوازاها
وَبُنَيَّاتِهَا .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري (٢)
من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من كتاب الإكليل ما نصه : ممن شكَّله البراعة ، وفقدته البراعة ، تأدَّب

(١) وضعنا هذه الكلمة لاختلاف الشعر .

(٢) وردت لمحمد بن خاتمة الأنصاري أيضاً في «الزيتونة» ترجمة مؤبزة لا تعدو أربعة عشر سطراً .

بأخيه^(١)، وتهذب، وأراه في النظم المذهب، وكساه من التفهيم والتعليم البرد المذهب، فاقتفى واقتدى، وراح في الحلبة واغتنى، حتى نبُل وشدا. ولو أمهله الدهر لمبلغ المدا. وأما خطه فقيد الأبصار، وطرفة من طرف الأمصار، واعتبط يانع الشبيبة، مخضر السكتيبة.

شعره

كفوا الملام فلا أضنى إلى العذل عقلى وسمعى عن العذل فى شغل
[يقول فى هذه القصيدة :

هزلُ المحبة جدُّ والهوان هوَى والصبُّ يتلف بين الجدِّ والهزل
من مسعِد وفؤادى لا يساعدى أو من شفيعى وذلى ليس يشفع لى
أعللُ النفس بالآمال أطمئنها حتى وقعت من التعليل فى عِلل
لئن كنت تجهل ما فى الحب من بحن أنا الخبير فغيرى اليوم لا تسكِل
أنا الذى قد حَلَبْتُ الحبَّ أشطره فلم يُبدنى لا حولى ولا حيل
لا أشرب الرّاح كي أحلو براحتها لكن لأدفع ما بالنفس من كسل
ولا أجول بطرفى فى الرياض سوى ذكرى لأيمانى فى ظلّها الأول
أنا العهد مضى ما كان أعذبه لم يبق لى غير آيات من الخبل
كم فديتك يا قلبى وأنت على تلك الغواية لم تبرح ولم تزل
فاختار لنفسك إما أن تصاحبنى حلواً وإلا فدعنى منك وارتحل
فقد تبعتك حتى سرت من شغفى ولوعى فى الهوى أعجوبة المثل

ومن شعره :

ومضَ البرقُ فنار القلق ومضى النّوم وحلّ الأرق

(١) وردت ترجمة أخيه أحمد بن خاتمة فى المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٥٩.

وَيَنْعَمَانِي مِنْ غِرَامِي قَدْ شَكََا
وَدَلِيْلِي فِي غَلِيْلِي زَفَرَكِي
وَحَسُوْدِي مِنْ وَقُوْدِي رَقِي لِي
وَعِشِيَّات تَقَضَّتْ بِاللَّوِي
إِذْ شَبَابِي وَالنَّصَايِي جُمَا
شَتَّ يَوْمَ الْبَيْنِ شَمَلِي
آه مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فُرْقَةً
وَمِنْ ذَلِكَ :

أَيَا جِيْرَةَ الْحَيِّ الْمُمْتَنِعِ جَارُهُ
مَتَى غَبِثْتُمْ عَنِّي فَاتُمْ بِخَاطِرِي
عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَبُخْلُكُمْ نَدَى
وَأَنْتُمْ نَعِيْمِي لَا نَعِيْمَتُ بِغَيْرِكُمْ
وَمِنْ ظَرِيفِ نَزْعَاتِهِ قَوْلُهُ :

الرَّفْعُ نَمَتْكُمْ لَا خَابَكُمْ أَمَلُ
هَلْ مِنْكُمْ لِي عَذَفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ
وَإِنْ خَفَضُ شِمَةٍ شَاتِي وَالْهَوَى دُولُ
إِذَا لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَاسَادَتِي بَدَلُ

وفاته

اعتُبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمائة . وَرَدَ إِلَى
الْحَضْرَةِ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ

(١) كل ما ورد من الشعر بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » ، وورد في الإسكوريال .

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (١)

من أهل قرطبة يكنى أبا بكر

حاله

نسيجٌ وحده ، أدباً وظرفاً ولو ذعيرةً وشهرة . قال ابن عبد الملك ، كان أديباً بارعاً ، محسناً ، شاعراً حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل . قلت وهذه الطريقة بديمة يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسيخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً حجرة الله عن سواه . فهو آيتُها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العَلَم ، والمبتدئ فيها والمتنم ، رحمه الله . وقال الفتح (٢) فيه : « مبرز في البيان ، ومحرز السبق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالاً ورقاه إلى مجالس ، وكساه ملابس ، واقتطع أسمى الرتب وتبوأها ، ونال أسمى الخطط وماتملاًها » .

شعره

قال الفتح ، وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ، ويعرف كيف أسا الزمن بغيره ، قوله :

ركبوا السيول (٣) من الخيول وركبوا فوق العوالي السمر زرق قطاف
وتجملوا الغدران من ماذيهم مرتجة إلا على الأكثاف (٤)

(١) لنا في خاتمة هذا المجلد تعليق على هذه الترجمة .

(٢) هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب «قلائد العقيان» المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

(٣) وردت في الإسكوريال (الخيول) والتصويب من القلائد .

(٤) وردت هذه الشطرة في الإسكوريال كالاتي : (مرتجة إلا على الأكثاف) . والتصويب

من « القلائد » .

[وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى مجلس أنس:]

أتى أهزك هزَّ الصَّارم الخدم
ذاك شاك من قطع أنس أنت واصله
وشتَّ شمل كرام أنت ناظمه
ولو دُعيت إلى أمثالها لسمعت
وإن لشطت لتصرفني صرفت له
وما أريد سوى عفو تجود به
أنت المقدم في خير وفي أدب
فأجابه رحمه الله:

أتى من المجد أمرٌ لا مرَدَّ له
لبَّيك لبيك أضعافاً مضاعفة
لى همّة ولأهل العزِّ مطمَحُها
وإن حَقَّكَ معروف وملتزم
زَفَنُ^(١) ورقص وما أُحِبَّت من ملح
حتى يكون كلامُ الحاضرين بها
يا ليلة السَّفح هلاً عُدت ثانية
وقال في غرض النسيب:

ياربَّ يوم زادني فيه
خوشفّة لمياء معسولة
من أطلع من غرِّه كوكبا
يَنشَعُ من خديهِ ماء الصبّا

(١) زفن أى طرب ورقص .

(٢) الشعر الذى بين الحاصرتين كلمة ساقطه فى «الزيتونة» .

قلت له وهَبْ لِي بِهَا قُبْلَةً فقال لِي مُبْتَسِمًا مُرَحِبًا
فَذُقْتُ شَيْئًا لَمْ أَذُقْ مِثْلَهُ اللَّهُ مَا أَحْلَى وَمَا أَغْذَا
أَسْعَدَنِي اللَّهُ بِإِسْعَادِهِ يَا شَقَوْتِي يَا شَقَوْتِي لَوْ أَبَا

وقال :

جنت لتوديعه وقد ذرفت عيناى من حَسْرَةٍ وعيناه
في موكب البَيْنِ بَاكِينَ وَلَا أَصْعَبَ مِنْ مَوْقِفٍ وَقَفْنَاهُ
معانقًا جِيدَهُ عَلَى حَذَرٍ فَمَنْ رَأَى مُقْبِلًا فَاهُ
نَفْصَ تَوْدِيْعِهِ لِعَاشِقِهِ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ قَدْ تَمْنَاهُ

وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد :

يا أهل ذا المجلس السَّامِى سَرَاوِثُهُ مَا مِلْتُ لِسَكْنَى مَالَتْ بِي الرِّاحُ
وإنْ أَكُنْ مُظْغَمًا مَصْبَاحَ يَبْنِمْ فَكُلُّ مَنْ فِيكُمْ فِي الْبَيْتِ مَصْبَاحُ
وقال يُهْنِي بَعْرَسَ :

صَرَفْتُ إِلَيْكَ وَجُوهَهَا الْأَفْرَاحَ وَتَسَكَّنْتَكَ سَعَادَةً وَنَجَاحَ
فَاقْضِ لِلْمَآرِبِ فِي زَمَانٍ صَالِحٍ لَأَسُدَّ عَنْكَ مِنَ الزَّمَانِ صِلَاحَ
إِنْ كَانَ كَالشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ حُسْنَهَا فَالْبَدْرُ أَنْتَ وَمَا عَلَيْكَ جُنَاحَ
لَا فَرْقَ بَيْنَكُمَا لِرَأْيِ فَاسْتَوَى زَيُّْ النِّسَاءِ قِلَادَةٌ وَوَشَاحُ
هَلْ يُوقِدُ لِلْمَصْبَاحِ عِنْدَكَ مُهَبَّجًا وَكَلَّا كَمَا يَبْهَاهُ مَصْبَاحُ
أَحْرَزْتَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُحَاسِنَا كَثُرَتْ فَلَمْ تَسْتَوْفِهَا الْأَمْلَاحُ
يَا مَنْ لَهُ كَفٌّ تَجُودٍ وَأَضْلَعُ مَطْوًى عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ شَجَاحُ
مَا أَلْقَتْ الْحَاجَاتُ دُونِي قُفْلَهَا إِلَّا وَيَمْنُ يَمِينِكَ الْمِفْتَاحُ
فِي كُلِّ مَا تَنْحُو إِلَيْهِ مَلَاخَةٌ وَكَذَاكَ أَفْعَالُ الْمَلِيحِ مِلَاحٌ^(١)

(١) الشعر الذى بين الحاصرتين ساقط فى الزيتونة .

ومن حكمه قوله :

كثير المال تبذله فيبقى ولا يبقى مع البخل القليل
ومن غرست يده ثمار جود ففي ظلّ الشاء له مقيل
وقال رحمه الله :

وعهدى بالشباب وحسن قدّي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كآني أفتش في التراب على الشباب
وقال رحمه الله :

يمسك الفارس رُمحاً وأنا أمسك فيها قصبة^(١)
وكلانا بآل في حربيه إن الأقلام رماح الكتبة

قال ابن عبد الملك : أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعيني ، قال ، أخبرنا
الراوي أبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، قال سألته ، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا ،
أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المَغرب^(٢) ، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده . وقال
أنشدني أبي رحمه الله لنفسه :

أحسن ما نبط في الدُّعا لمن رُئِبَ في خُطّة من الخطط
خلّصك الله من عوايقها ودُمّت في عصمة من الغلط
مُقرّباً منك ما تُسرُّ به وكل مكروهة على شحط
الكل بالعدل منك مُغتبط وليس في الناس غير مُغتبط
وليس يخليك من أنا لكها^(٣) من عمل بالنجاة مُرتبط

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (القصبة) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (المغرب) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» (أما لكها) .

فأنفد بعون الله مجتهدا بقلب صفي بالضمير^(١) مرتبط
يا صاحب الأمر والذي^(٢) يده نايها للعفاة غير بط
رفعتم يا بني رفاة ما كان من العلوات^(٣) في هبط
ومنبر الحق من سواه بكم فيها هو الآن غير مختلط
وانضبط الأمر واستقام اسمكم ولم يكن من قبل ذا بمنضبط
أتيت في كل ما أتيت به فالغيث بعد الرجا والقمط
جملت عن ميواك منزلة فاست من ميواك في نمط
أنت من المجد والعلا طرف وكلهم في العلا من الوسط

كتابتة

وقفت من ذلك على أفانين . منها في استهلال شهر رمضان قوله :

سلام على أنس المجتهدين ، وراحة المتججدين ، وقرّة أعين المهتدين ، والذي
زين الله به الدنيا ، وأعز به الدين . شرف الله به الإسلام ، وجعل أيامه رُقوما
في عواتق الأيام . وشهوره غُررًا في جباه الأعلام ، وحل به عن رقاب الأمة
قلايد الآثام ، ونزه فيه الأسماع عن المكاره ، وصان الأفواه من رفك الكلام .
أشهد أن الله أنبى عليك ، وأدخل من شاء الجنة على يدك ، وخصك من
الفضائل بما يمشى فيه التفسير حتى يسكل ويسأم ، ذلك اللسان ويمل ، وأبادت ذنوب
الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظل ، ذلك الذي يتהלل للسماء هلاله ، ويهتز العرش
لجلاله ، وترتج الملائكة في حين إقباله ، وتدخل الحور العين في زينتها تكريمًا ، وتلتزم
إجلاله وتعظيمًا ، ويهتدى فيه الناس إلى دينهم صراطًا مستقيمًا ، وتغل الشياطين على ما

(١) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (صاف الضمير) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (التي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (منهبط) .

خُيِّلَتْ . وتذوق وبال ما كادت به وتخيَّلت ، ويشمّر النقي لعبادة ربّه ذليلاً ،
وتهبّط الملائكة إلى سماء^(١) الدنيا ليلاً ، وينتظم المتّقون في ديوانه انتظام السلك .
ويكون خلُوف فَم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وتفتح الجنة أبواباً ،
ويُغفر لمن صامه إيماناً واحتساباً ، جزاءً من ربك عطاءً حساباً ، وبما فضلك الله
على سائر المشهور ، وقضى لك بالشرف والفضل المشهور . فرَضَك في كتابه ، ومَدَحَك
في خطابه ، حيث قال ، شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى للناس ،
وبينات من الهدى والفرقان ، يعنى تكبيرُ الناس عليك ، وتقليبُ أحداقهم
بالنظر إليك ، حين لُثِمَت بالسحاب ، ونظرتَ من تحت ذلك النُّقاب ، وقد يمتاز
الشَّيْب وأن استتر بالخضاب ، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصَّحيح ، وصرَّحوا
برؤيتك كلَّ التصريح ، نظرتَ كل جماعة في اجتماعها ، وتأهَّبت القراء لإشفاها ،
واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها ، وتضرعت^(٢) الأبواب ، وطلبت المواقف
أواخر الأعشار والأحزاب ، وابتدیت آلم^(٣) ذلك الكتاب ، عندما أوقدت قناديل
كأنما قد بدَّت من الصباح ، ورقصت ورقص النواهد عند هبوب الرياح ، والله
نُور السموات والأرض ، مَنلُ نوره كَمَشْكاة فيها مصباح ، فأملَّك المسلهون في سرِّ
وجهر ، وحطَّت أثقال السيئات عن كل ظَهْر ، والتَّسَّت الليلةُ التي هي خيرُ من
ألف شهر ، فَنَشَط الصالحون بك صوماً ، وهجر المتَهَجِّدون في ليلك نوماً ،
وأَكْمَلْنَاكَ إن أذن الله ثلاثين يوماً . فيما أيها الذي رَحَلَ ، رحل^(٤) بعد مُقامة ، وقام
للسفر من مقامه ، ورأى من قضى حقّه ، ومن قَصَّر في صيامه ، فشى الناس إلى
تشييعه ، وبَسَكُوا لفراقه وتوديعه ، ونَدِم المَضِيع على ما كان من تضييعه ، ولم يثق

(١) وردت في الإسكوريال (السماء) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (واصطرعت) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال (أ.ل.م) .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة مكررة في الإسكوريال . ولم تكرر في الزيتونة .

بدوام العيش إلى وقت رجوعه ، فعرض على كفه دماً ، وبكت عينه ماء وكبده دماً . رويدا حتى أمرح في ميدان فراقك ، وأتضرع إلى حنانك وإشفاقك ، وأنشف من نقبيلك وعناقك ، وأسل منك حاجة إن أراد الله قضاها ، وشاء نفوذها وإمضاها ، إذا أنت وقفت لرب العالمين ، فقبيلك من قوم ، وردك في وجوه آخرين . إن تثنى جيلا ، فعسى يصفح لعهدك وإن أسا ، فعلم الله أنى نويت التوبة أولا وآخرآ ، وأملت الأداء باطنا وظاهرا ، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً ، وإنما علم ، من تقصير الإنسان ما علم ، والمرء ما قضى عليه به وحكم ، وإن النفس لأماراة بالسوء إلا من رحم ، فإن غفر فبطوله وإحسانه ، وإن عاقب فيما قدمت يدك العبد من عصيانه ، فيا وحشة لهذه الفرقة ، ويا أسفا على بعد الشقة ، ويا شد^(١) ما خلفته لنا بفراقك من الجهد والمشقة ، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه ، وراقب إعظاما لكربه ، وشرحت إلى أعمال البر قلبه . ومع هذا أتراك ترجع وتري ، أم تظم علينا دونك أطباق الترى . فيا ويلتنا إن حل الأجل ، ولم أقض دينك ، ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك . فأغرب ، لا جعله الله آخر التوديع ، وأى قلب يستطيع .

وقال في استهلال شوال :

ولكل مقام مقال . الله أكبر هذا هلال شوال قد طلع ، وكز في منازل وقطع ، وغاب أحد عشر شهراً ، ثم رجع . مالى أراه رقيق الاستهلال ، خفي الهلال ، وروحاً تردد في مثل انملال ، ما باله أمسى الله رشمه ، وصحح جسمه ، ورفع في شهور العام اسمه ، على وجهه صفرة بيئة ، ونار إشراقه ليئة ، وأوى السحاب اعتمده وتقف ، وتغشا سويعة وتنصرف ، ما أراه إلا يطول ذلك المقام ، وتوالى الأهوال العظام . أصابه مرض في فصل من فصول العام ، فعادته كما يعاد المريض ، وبكتته

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وياسر) والأول أرجح .

الأيام الغر والليالي البيض ، وقلن كلاك الله وكفأك ، وحاطك وشفاك ، وقل
كيف نجدك ، لأفض فاك ، هذا على الظن لا على التحقيق ، ومجاز لا يحكم
التصديق . وإنه ليبعُد مثل هذا المقدار ، أن يقدح فيه طول الغيب ، وتواتر
الأسفار . أليس هو قد ألف مجالى الرياح ، وصحب برّد الصباح ، وشاهد الأهوية
مع الغدو والرواح ، وطواها بتجربته طي الوشاح . ما ذاك إلا أنه رأى الشمس
فى بعض الأيام ماشية ، والحسن يأخذ منها وسطاً وحاشية ، ودلائل شبابه ظاهرة
فاشية ، فوقع منها فى نفسه ما وقع ، وثبت على قلبه من النظر ما زرع ، ووقع فى
شركها ، وحق له أن يقع . فرئت هى لحاله وأشقت ، ونهجت بوصالها وتأثقت ،
وقطعت من معدن نيلها وأنفقت ، ورأت أنها له شاكلة يبلغ أملاكها ، وتبلغ
مأمله ، ولذلك ما مدت لذيد السباح ، فتعرضت بالعشي ، وارتصدها فى الصباح ،
مع ما أيقنا به من الانقطاع ، ويمسنا من الاجتماع ، كما نفذ القدر ، وصدر الخبر .
وقال تعلن لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، فوجد ذلك وجداً شديداً ،
وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً ، وأصبح بها دفناً ، وأمسى عميداً ، حتى سلب
ذلك بهاء ، وأذهب سناه ، وردّه النحول كما شاه ، ولقى منها مثل ما لقي غيلان
من بيته ، وجهيل من بئنته ، وحن إليها حنين عروة إلى عفرأ ، وموعدها
يوم وهب ناقة الصفراء . على رساك أنى وكمت ، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت ،
والآن وقد فطنت ، وأصبت الفص فيما ظننت ، إنه لقى رمضان فى إنباله .
وضمه نقصان هلاله ، وصامه فجأة ولم يك فى باله ، فأثر ذلك فى وجهه الطلق ،
وأضعفه كما فعل بسائر الخلق ، وها هو قد أقبل من سفره البعيد ، فقل هو هلال
الغدر أو قل هو هلال العيد ، فللقه صباح مشى الناس فيه مشى الحباب ، ولبسوا
أفضل الثياب ، وبرزوا إلى مصلأهم من كل باب ، فارتفعت همّة الإسلام .
وشرفت أمة محمد عليه السلام ، وخطب بالناس ودعا للإمام ، عندما طلعت

الشمس بوجه كدور المرأة ، ولون كصفاء المهرأة . وخرج لا يُنسيها ريمُ الفلاة .
وقضوا السنة ، وبذلوا الجهد في ذلك والمئة ، وسألوا من الله أن يُدخلهم الجنة ،
ثم خطبوا حمداً لله وشكراً ، وذكروه كذكرهم آبائهم أو أشد ذكراً ، ثم انصرفوا
راشدين ، وافترقوا حامدين ، وشبك الشيخ بيديه ، ونظر الشاب في كفيه ،
ورجموا على غير الطريق الذي أتوا عليه ، فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين ،
وتذكر العاشق موقف البين ، وشق المتنزه بين الصّفين ، فنقل عينيه من الوشي
إلى الديباج ، ووجه كضوء السراج ، وعيون أُقتل من سيف الحجاج ،
ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج ، وقد زينت العيون بالتسكيل ، والشعور
بالترجيل ، وكرر السواك على مواضع التقبيل ، وطوقت الأعناق بالعقود ،
وضرب الفكر في صفحات الخدود ، ومدّ بالغالية على مراضع السجود ، وأقبلت
صنعا بأوشيتها ، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقت الكفوف
بالحناء ، وأثني على الحسن وهو أحقّ بالثناء ، وطلعت التوبة ثلاثاً بعد البناء ،
وغصّ الذراع بالسّوار ، ونختم في العين واليسار ، وأمسكت الثياب بأيدي
الأبكار ، ومشت الأماء أمام الأحرار ، وتقدمت الدّابات بالأطفال الصغار ،
وامتلأت الدنيا سرراً ، وانقلب الكلُّ إلى أهله مسروراً . وبينما كانت الحال
كما نصّصت ، والحكاية كما قصّصت ، إذ لآلت الدنيا برقاً ، وامتدّ مع الأفق
غرباً وشرقاً ، وردّ لمعانه عيون الناظرين زرقاً ، ولولا أنه جرب حتى يدرا ،
لقل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى ، حتى أقبل من شرفت العرب بنسبه ،
وفخر الإسلام بسبيه ، من انتسب إلى زهرة وقصي ، وازدانت به آل غالب
وآل لؤي ، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بئده ، أو الفضل فهو لابس بُردّه ،
أو الفخر فهو واسطة عِقدّه ، أو الحسن فهو نسيج وحده ، الذي رفع لواء العليا ،
وعارضت مكارمه صوب^(١) الحبا ، وحسكت محاسنه زهرة الحياة الدنيا . فأما

(١) أول الكلمة في المخطوط مخفف تحت الجهر وارجع هذه القراءة .

وجهه فكما شَرَقَت الشمس وأشْرَقَت ، وغَرُبَت كواكب سَمَائِهَا وشَرُوت ،
 وتَفَتَّحت أطواق الليل عن غُرور مجده وثَشَّقَت . ولولا حياءُ يغلب عليه ، وخَفَرُ
 يصحبه إذا نظرت إليه ، لاستحال النهار ، وغارت لنوره كواكب الأسحار ،
 ولكاد سَنَا بَرْقه يذهب بالأبصار ، لا يحفل بالمصبح إذا انفَلَق ، ولا بالفجر إذا
 عمَّ آفاق الدُّجَا وطَبَّق ، ولو بدا للمسافر في ليله لَطَرَق ، قد عجم الأبنوس على
 العاج ، وأدار جَفَنًا كما عَطَفَ على أطفالها النُّعَاج ، يَضْرِبُ بها ضرب السيف ،
 ويلم بالفؤاد إلمام الطَّيِّف ، ويتلقاها السَّحَرُ تلقى الكريم للضيف ، لو جرَّدها
 على الرِّيم لوقف ، أو على فِرْعَوْنَ ما صرف من سِحره ما صرف ، أو على رِبْطام
 ابن قَيْسٍ لألقى سلاحه وانصرف . وأما أدواته فكما انشَقَّت الأرض عن نباتها ،
 وأخنت زُخْرُفَها في إنباتِها ، ونَفَّحَ عَرَفَ النِّسيم في جَنَبَاتِها ، يتفنَّنُ أفانين
 الزهر ، ويتقلب تقلب الدهر ، وتطلُّعُ له نوادر كالنجوم الزهر ، لو أبصره
 مُطَرِّف ما شهر بخيلته ، ولا جرَّ من العُجب ذيل مرَّطه ، ولا كان الخبر معه من
 شَرَطه . وأما أنه لو قرى على سحبان كتابه ، وانحدر على نهره عُبابه ، وملأت
 مسامعه أطنابه وأسبابه ، ما قام في بيانه ولا قعد ، ولنزل عن مقامه الذي إليه
 صعد ، ولا خَلَّفَ من بلاغته ما وعد . لَعَمْرُكَ ما كان بِشَرِّ بن المعتمر يتفنَّنُ
 للبلاغة فنونًا ، ولا يتقبَّلُها بعاونًا ومُتَوَنًا ، ولا أبو العتاهية لِيُشْرِطَها كلامًا
 موزونًا ، ولا نَمَقُ الحَسَنُ بن سهل الألفاظ ، ولا رَفَعَ قسُّ بن ساعدة صوته
 بعُكَّاظ ، ولا أظاظ زيدُ بن علي . هشامًا بما أظاظ . وأما مكارمه فكما
 انسكب الغيث عن ظلاله وخرج الودقُ من غلاله ، فتدارك النِّعمَة عن فوتها ،
 وأحيا الأرض بعد موتها . ذلك الشريف الأجلُّ ، الوزير الأفضل ، أبو طالب
 ابن القُرشيِّ الهَرِّي ، أدام الله اعتزازه ، كما رَقَمَ في حُلَلِ الفخر طرازه ، واجتمعت
 به السيادة بعد افتراقها . وأشرق وجه الأرض لإشراقها ، والتفت الثياب

بالثياب ، وضمَّ الرُّكَّاب بالركاب ، ولا عهدٌ كأيام الشباب ، فوصل القريب
 البعيد ، وهنوه كما جرت العادة بالعيد ، فوقف مع رُكابه وسلَّمت ، وجرت كلاماً
 وبه تسكَّمت ، فقلت تقبَّل الله سعيك ، وزكَّي عملك ، وبلغك فيما توده أملاك ،
 ولا تأملت وجهاً من الشرور إلا تأمَّلك ، ونفَعك بما أوليت ، وأجزل حظك
 على ما صُممت وصلَّيت ، ووافقتك لعلَّ وساعدتك ليئت ، وهناك عيد الفطر
 وهنأتَه ، وبداك بالمسرات وبدأتَه ، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأتَه . وهكذا
 بحول الله أعيادٌ واعتياد ، وعمرٌ في دوام ، وعزٌّ في ازدياد ، والسنة تفصح
 بفضلك إفصاح الخطباء من إيد ، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحا ، ودام
 الفطر والأضحى ^(١) .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة ، وتردَّد إليها غير ما مرة ، وأقام بها ، وامتنح ابن أضحى ^(٢)
 وابن هاني ، وابن سعيد وغيرهم من أهلها . قال ابن سعيد في « طالع » ^(٣) ، وقد
 وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة ، واجتماعه بجنته بقرية الزاوية ^(٤) من خارجها ،
 بترهون القليعية الأدبية ، وما جرى بينهما ، وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع ،
 وكان لبس غفارة صفراء ، أحسنت يا بقرة بنى إسرائيل ، إلا أنك لا تسُرُّ
 الناظرين ، فقال لها إن لم أسُر الناظرين ، فأنا أسُر السامعين ، وإنما يطلب سرور

(١) وردت هذه الرسالة التي قيلت في شوال ، في مخطوط الإسكوريال فقط ، (لوحة ٥٧-٥٩)
 ولم ترد في « الزيتونة » .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، وهو أحد ثوار الأندلس ، في أواخر عهد
 المرابطين . وقد ثار بغرناطة في سنة ٥٣٩ هـ ولكنه لم يستطع الصمود ضدهم ، فاعتصم بالقصبة وتوفى
 سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) .

(٣) سبق التعريف بابن سعيد ، و« طالع » أى كتابه (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) .

(٤) الزاوية هي قرية صغيرة تقع على مقربة من غرناطة . وبالإسبانية La Zubia

الناظرين منك ، يا فاعلة يا صانعة . وتمكن السكر من ابن قزمان ، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة ، فما خرج منها إلا و ثيابه تقطر ، وقد شرب كثيراً من الماء ، فقال إسمع يا وزير نم أنشد :

إيه أبا بكر ولا حوّل لي بدفع أعنيان وأنذال
وذات جرحٍ واسع دافق بالماء يحكى حال أذيال
غرقتني في الماء يا سيدي كغّره بالتغريق في المال

فأمر بتجريده ، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر]^(١) لهم بعد عهدهم بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة ، إلا بعد ما أجزل له من الإحسان ، ومدحه بما هو في ديوان أزجاله .

محبته

جرت عليه بابن حمدين^(٢) محنة كبيرة ، عظم لها نكاله ، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفا بها ، وحنّة شقي سببها . وقد ألمّ الفتح في قلايده بذلك ، واختلّت حاله بآخرة ، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذي نوه به . توفي بقرطبة ليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة . رحمه الله .

محمد بن غالب الرضاقي

يكنى أبا عبد الله ، بلنسي الأصل ، سكن غرناطة مدة ، ثم مالقة

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ومر) والأولى أرجح وبها يستقيم المعنى .
(٢) هو القاضي أبو جعفر بن حمدين قاضي قرطبة . ثار بقرطبة عندما ضعف أمر المرابطين في سنة ٥٣٩ هـ ، وأعلن نفسه أميراً عليها واستمرت رياسته بها نحو عام . ثم تغلب عليه ابن غانية قائد المرابطين . وجرت له بعد ذلك خطوب لم يتمكن خلالها من استرداد رياسته . وتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

حاله

قال الأستاذ^(١) ، كان فحلا من فحول الشعراء ، ورئيسا في الأدباء ، عفيفا ، ساكنا ، وقورا ، ذا نمت وعقل . وقال القاضي^(٢) ، كان شاعرا مجيدا ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، بارع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ، ديناً ، وقورا ، عفيفاً ، متققاً ، على الهمة ، حسن الخلق والخلق والسمت ، تام العقل ، متبلا على ما يعنيه من التعيش بصناعة الرفي^(٣) التي كان يعالجها بيده ، لم يبتذل نفسه في خدمة ، ولا تعرض لانتجاع بقافية ، خلا وقت مكنه بغرناطة ، فإنه امتدح واليها حينئذ ، ثم نزع عن ذلك ، راضيا بالتحول حالا ، والقناعة مالا ، على شدة الرغبة فيه ، واغتنام ما يصدر عنه .

أخبار عقله وسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكر بن الفخار المالقي ، وكان خبيراً بأحواله : ما رأيت عمرى رجلاً أحسن نمتاً ، وأطول صمتاً ، من أبي عبد الله الرصافي . وقال غيره من أصحابه ، كان رفاه ، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد . وقال أبو عمرو ابن سالم ، كان صاحباً لأبي ، ولقيته غير مرة ، وكان له موضع يخرج إليه في فصل العصور ، فكنت أجتاز عليه مع أبي فألتم يده ، فربما قبل رأسي ، ودعاني ، وكان أبي يسأله الدعاء فيخجل ، ويقول أنا والله أصغر من ذلك . قال ، وكان بإزايه أبو جعفر البلنسي . وكان متوقفاً الخاطر ، فربما تكلم مع أحد التجار ، فكان منه هفوة ، فيقول له جلساؤه ، شتان والله بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت ، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها . فما يزيد على التبسّم .

(١) الأستاذ هنا ، يعني الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (مسألة الصلوة) .

(٢) القاضي يقصد بها هنا ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب «الدين والتكملة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (الرفو) .

فلما كان أحد الأيام، جاء البانسي ليفتح دكانه. فتعمد إلقاء الغلق من يده، فوق
على رأس أبي عبد الله. وهو مقبل على شغله، فسأل دمه، فما زاد على أن قام
ومسح الدم: ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترامي
عليه، وجعل يقبّل يديه، ويقول، والله ما سمعت برجل أصبر منك،
ولا أعقل.

شعره

وشعره لا نهاية فوفه رونقا ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقّة ديباجة، وتمكّن
ألفاظ، وتأصل معنى. وكان رحمه الله، قد خرج صغيرا من وطنه، فكان أبداً
يكتر الحنين إليه، ويقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فن
ذلك قوله:

خليلي ما لليد قد عميت نشرًا	ومارؤوس الركب قد وجحت سُكْرًا
هل المسك مفتوتًا بدرجة الصبّا	أم القوم أجروا من بالنسية ذِكْرًا
خليلي عوجا بي قليلا فإنه حديث	كبرد الماء في الكبد الحارًا
قنا غير مأمورين ولتَصَدّيّا	على ثقة للمزن فاستسقيّا النظرا
بجسر معان والرصافة إنه على القطر	ر أن يسقى الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويد متى بها	فريحا وأورثتني قرارتها وكرا
فبادي أنيق العيش في ريق الصبّا	أبي الله أن ألسي اغتراري بها غرّا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها	ولسكن عرينا من حلاه ولم تعرّا
أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي	طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرّا
محل أغرّ العهد لم نبذ ذكره	على كبدٍ إلا امترى أدما حُرّا
أكل مكان كان في الأرض مسقطًا	لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا
ولا مثل مدحوخ من للمسك تربة	تملى الصبّا فيه حنقها عطرا

نباتٌ كأنَّ الخلدَ يحملُ نوره
وما كتر صيغِ المجرَّة جَلَّتْ
أنيقُ كريَّانِ الحياة التي خلَّتْ
وقالوا هل الفردوس ما قد وصفته
بلنسيَّة تالك الزمردة التي
كأنَّ عروساً أبدع الله حُسْنها
يويد منها شمسَمانية الضحى
ترأجم أنفاس الرياح بزهرها
وإن كان قد مدَّت يدُ البين بيننا من الأرض ما يهوى المجدُّبه شهراً
هي الدرة البيضاء من حيث جدَّتْها
خليلي أن أصدر لها فإنها
ولم أطوِّعها الخملَ وهجرًا لها إذا
ولكن إجلالاً لترتبتها التي
أكارمُ عاث الدهر ما شاء فيهم
هجعُ بطن وأرض قد ضرب الردى
تقضوا فمن نجم سالك ساقط
ومن سابق هذا إذا شا غايَةً شا
أناس إذا لا قبت من شيت منهم
وقد درجت أعمارهم فتظلموا
ثلاثة أجماد من النقر الألى
تكلتهم كلاً دهي العين والحنى
كفى حزناً أنى تباعدت عنهم

تخال جليناً في أعاليه أو تبرا
نواصيه الأزهار واشتبتك زهراً
طليق كريمة الشَّبَاب الذى مرّا
فقلت وما الفردوس فى الجنة الأخرى
تسيل عليها كل لؤلؤة نهرًا
فصير من شرخ الشَّبَاب لها نحرًا
مضاحكة الشمس البُحيرة والبحرا
نجومًا فلا شيطان يُغربها ذعرا
وإن كان قد مدَّت يدُ البين بيننا من الأرض ما يهوى المجدُّبه شهراً
أضاعت ومن للذر أن يشبه الذرا
هي الوطن المحبوب أو كلته الصدرا
فلا لثمت نعلى مساكنها الخضرى
تضم فناها الندب أو كهلها الحرّا
فبادت لياليهم فهل أشتكى الدهرا
أبى الله أن يرعى السماك أو الثمرا
وغير محمود جياذ العلى خضرى
تلثوك لا غث الحديث ولا غمرا
هلال ثلاث لو شفا رقى أو بدرا
زكوا خبراً بين الودى وزكوا خبرا
فعجر ذا أمّا وسجر ذا جمرًا
فلم ألق من سرى منها ولا سراً

لِيُظْهِرَ لِي خَيْرًا تَأْبِطُ لِي شَرًا
فَيَسْبِقُنِي بِمَا يَقْصِمُ الظُّلُمَ—
وَسَاكِنُ قَصْرِ أَخْرَ مَسْكَنِهِ الْقُبْرَا
سَنَاءً كَمَا يَسْتَقْبِلُ الْأَرِيقُ الْفَجْرَا
وَلَمْ يَتَنَاسَ الْجُودَ أَصْرَمَ أَمْ أَثْرَا
أَنَامَلَهُ لَا بَلْ هُوَ أَطْلَعُ الْغُرَا
تَخْطِي بِهِ فِي الْبَرْدِ خَطِيئَةَ سَمْرَا
خَلَائِقُ هُنَّ الْخُمْرُ أَوْ تَشْبِهُ الْحَمْرَا
حُمَيَّاهُ فِي وَجْهِ الْأَصِيلِ لَمَّا أَصْفَرَا
لَمَنْ بَلَّ فِي شَفْرِى ضَمِيرٌ لَهُ شَفْرَا
طَوَيْنَ عَنِ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرَا
تَرَى مَبْسَمَ النُّوَارِ عَنْدَ مَعْتَرَا
إِذَا مَا جَعَلْتَ الْبُعْدَ عَنْ قُرْبَةٍ عُذْرَا^(١)

وإلى متى أسلُّ بهم كلَّ واكب
أباحثُهُ عن صالِحَاتٍ عَهْدَتُهَا هُنَاكَ
مُحِيًّا خَلِيلٍ غَاضَ مَاءَ حَيَاتِهِ
وَأَزْهَرَ كَالْإِصْبَاحِ قَدْ كُنْتُ أُجْتَلِي
قَتَّى لَمْ يَكُنْ خِلَاوُ الصُّفَاتِ مِنَ النَّدَى
يَصْرِفُ مَا بَيْنَ الْبِرَاعَةِ وَالْقَنَاسَا
طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ لَأَنْ كَانَمَا
سَقَتَهُ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ أَرْحِيَّةٍ
وَنَشَرُ مُحْيَا لِلْمَكْلُومِ لَوْ سَرَتْ
[هَلِ السَّعْدُ إِلَّا حَيْثُ حَطَّ صَعِيدُهُ
طَوَيْنَ اللَّيْلَى طَيِّهْنَ وَإِنَّمَا
فَلَا حُرْمَتِ سَقِيَاهُ أَدْمَعُ مُزْنَةٍ
وَمَا دَعَوَتِي لِلْمُزْنِ عُدْرًا لِدَعَوَتِي

وقال يرثى أبا محمد بن أبي العباس بمالقة :

هَبْهَا عُكَّازٌ فَأَيْنَ قِسْ ثَأْيَادٍ
فِيكُمْ بِفَنَسْكَتِهِ الْحِمَامِ الْعَادِ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّهَابِ الْهَادِي
لَأَلَى ذَاكَ السُّكُوبِ الْوَقَادِ
نُزْتُ كُوبٍ قَنَاسِكُمْ الْمَنَادِ
إِيهِ فِدَى لَكَ غَايِرُ الْأَجَادِ
إِنْ لَمْ يَصِرْ بُرْدًا إِلَى الْأَبَادِ

أَبْنَى الْبَلَاغَةِ فِيمَ حَفْلُ النَّادِي
أَمَّا الْبَيَانُ فَقَدْ أَجَرَ لِسَانَهُ
عَرَّشَتْ سَمَا عَلَايَكُمْ مَا أَتَمَّ
حُطُّوا عَلَى عُمْدِ الطَّرِيقِ فَقَدْ خَبِثَتْ
مَا فُلَّ لَهْزَمُهُ الصَّقِيلِ وَإِنَّمَا
إِيهِ عَمِيدُ الْحَيِّ غَيْرُ مُدَافِعِ
مَا عُدَّ سِلَاحِي كُنْتُ عِقْدَ نَظَامِهِ

(١) الأبيات المحصورة بين الخاصرتين ، واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حيث الزمان عليك شِكْلاً أن يرى
يُومى بأنْجُمِهِ — لما قلّدتَه
كُفُّ الحجاب فما ترى مُتفضلاً
ألمِ برَبِّكَ غير مأمورٍ فقد
خبراً يُبلِّغه إليك ودونه
قد طأطأ الجبلُ المنيف قِذالَه
أعد التفاتك نحونا وأُذنه
وامسح لنا عن مُقلتيك من السّرى
هذا الصّباح ولا تهب إلى
وكانما قال الرّدى تَمَّ وادعاً
أُمُوسِداً تلك الرّخام بمرقد
خَصِبتَ بقُدرك حفرةً فكأنها
وثرَ جنبك من أثاث مُحَيِّمٍ
يا ظاعناً رَكِبَ السّرى في ليلةٍ
أعزّز عايننا أن حَطَطت بمنزل
جار الأفراد هنالك جيرةً
الساكنين إلى المعاد قِبابهم
من كل مُلقية الجراب بِمَضْرِبٍ
بمرّس السّفر الأثلى ركبوا
سَيانَ فيهم ليلَةٌ ونهارها
لحق البطون من اللَّعب على الطوى
لله هم فلشّد ما نفَضُوا من

من طول ليلٍ في قميص جِداد
من درُّ أَلْفاظٍ وبِيض أِياد
في ساعة تُصغى به وتُنَاد
غُصَّ الفنا بأرجل القُصَاد
أمن العُداة وراحة الحُساد
للجار بعدك واقشعر الواد
مثل الحديث لديك غيرُ معاد
نوماً تكابد من بُسْكى ومُهاد
مضى طال الرّقاد ولات حين رقاد
سَبَقَتْ إلى البُشرى بِحُسن معاد
أخشين به من مرقد ووساد
من جوفها في مثل حرف الصّاد
تُرب نَدَّ وصفائح أنفُساد
طار الدليلُ بها وحاد الحاد
تَبَيَّلَ عن الزّوار والعُواد
سُقياً لتلك الجيرة الأفراد
منشورة الأطناب والأغداد
ناب الجِلَى فيه عن الأوتاد
السّرى مجهولة الغايات والآماد
ما أشبه التّأويب بالإستاد
وعلى الرّواحل عُنفوان الزاد
أمتعة الحياة في حقايب الأجساد

يا ليت شعري والمنا لك جنة
 هل للعلا بك بعدها من نهضة
 بأبي وقد ساروا بنميشك صارم
 ذلت عوانق حامليك فإنهم
 نعم الذما البر ما قد غووروا
 عليا خص بها الضريح وإنما
 أبني العباس أي حلال
 هل كان إلا العين وافق سهمها
 أخلل جد لا يسد مكانه
 ولكم يرى بك من مضاب لم يكن
 ما زلت تنعشها بسيفك قابضاً
 حتى أراك أبا محمد الردي
 يا حرها من جمرية مشبوبة
 كيف العزاء وإنها لرزية
 صدع النعمة بها فقلت لمدمعي
 لك من دمي ما شئت غير منهنه
 بقصير مجتهد وحسبك غاية
 أما الدموع فهي أضعف ناصر
 ثم السلام ولا أغب قراره
 تسقيك ما سفعت عليك يراعة
 ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة:
 عاد الحديث إلى ما جر أطيبه

والشيء يبعث ذكر الشيء عن سبب

إيه عن الكُدَيَّة البِيضَاء إنَّ لها
 رَاحَ بِهَا السَّهْلُ من أ كُنَافِهَا
 وَانْضَحْ نَوَاحِيهَا من مُقْلَتَيْكَ وَمَسَلْ
 وَقِلْ لِسَرَحَتِهِ يَا مَرَحَةَ كَرُمْتَ
 يَا عَذْبَةَ الْمَاءِ وَالظَّلِّ انْعَمَى
 مَا ذَا عَلَى ظِلِّكَ الْإِلْمَى وَقَدْ قَلَصَتْ
 أَهْكَذَا تَنْقُضِي نَفْسِي لَدَيْكَ ظَمًا
 لَوْلَاكَ يَا سَرَحُ لَمْ يَبْقِ الْفَلَاحُ عَطْلًا
 وَلَمْ نَبْتَ تَنْقَاضِي من مَدَامَعِنَا
 إِنَّا إِذَا مَا تَصَدَّى من هَوَى طَلَلِ
 مُسْتَمِطِّينَ سَخِيَّاتِ الشُّنُونِ لَهُ
 سَلَى خُحَيْلُنْكَ الرَّيَّا بَايَةَ مَا
 عَنْ فِتْنَةٍ نَزَلُوا عَلَى سَرَارَتِهَا
 مُحَافِظِينَ عَلَى الْعَمَلِيَا وَرَبَّمَا
 حَتَّى إِذَا مَا قَضَوْا مِنْ كَأْسِهَا وَطَرَا
 رَاحُوا رَوَاحًا وَقَدْ رِيَدَتْ عَمَائِمُهُمْ
 لَا يَظْهَرُ الشُّكْرُ حَالًا فِي ذَوَائِبِهِمْ
 الْمُنْزِلِينَ الْقَوَافِي من مَعَاقِلِهَا
 وَمن مَقْطُوعَاتِهِ قَوْلُهُ :

دَعَاكَ خَلِيلُ وَالْأَصِيلُ كَأَنَّهُ
 إِلَى شَطِّ مُنْسَابٍ كَأَنَّكَ مَاؤُهُ
 عَلِيلٌ يَقْضِي مَدَّةَ الزَّمَنِ الْبَاقِ
 صَفًا ضَمِيرًا وَعَذُوبَةً أَخْلَاقِ

(١) هذه القصيدة وأردت في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

ومَهْوَى جَنَاحِ الصَّبَا يَمْسَحُ الرُّبَا
وفَتَيَانُ صَدَقِ كَالنَّجُومِ تَأَلَّفُوا
على حِينِ رَاحِ الْبَرْقِ فِي الْجُوءِ مُغْمَدًا
وَجَالَتْ بَعِينِي فِي الرِّيَاضِ التَّفَاتَةُ
على سَطَرِ خَيْرِي ذِكْرُكَ فَاثْنِي
وَقِفْ وَقْفَةً الْمَحْبُوبِ مِنْهُ فَإِنَّهَا
وَصِلْ زَهْرَاتِ مِنْهُ صَفَرٌ كَأَنَّهَا
وَقَالَ وَكَلَّفَهَا فِي حَايِكَ [وهو بديع] ^(١) .

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي جِهَةِ عَذَلُ
فَقُلْتُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي فِي الصَّبَابَةِ لِي
فِي كُلِّ قَلْبٍ عَزِيزَاتٍ مُدَلِّلَةً لِلْحُسْنِ
عَلَّقْتَهُ حَبِيبِي الثُّغْرَ عَاطُورُهُ
إِذَا تَأَمَّلْتَهُ أَعْطَاكَ مَلْتَقَتَا
هَيْهَاتَ أَبْغَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ بَدَلًا
غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزْلِ جَايِلَةً
جَذْلَانِ تَلْعَبُ بِالْمَحْرَاكِ أَمَلَهُ
مَا أَنَّ يَنِينِي تَعْبُ الْأَطْرَافِ مُشْتَغَلًا
ضَرْبًا بِكَفِّهِ أَوْ فُخْصًا بِأَخْصِهِ
وَقَالَ :

ومَهْفُفٌ كَالْفَصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَخَدَّدَ ^(٢) خَدَّهُ

(١) هاتان الكلمتان وردتا في الإسكوريال ، وساقطتان في «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (تجيب) .

وقال :

أدْرِهَا فالغَمامة قد أجالَتْ سيوف البرق في لَمَم البطاح
وراق الروض طاووساً بهيًّا تهبُّ عليه أنفاس الرياح
تقول وقد ثنى قُزَحُ عليه ثياب الغيم مُعلَمة النسواح
خذوا للصَّحو أهبتكم فإني أعرتُ المزن قاديماً جَناح

وقال :

أدْرِهَا على أمر فما نَم من بأس وإن جدَّت آذانها ورقُ الآس
وما هي إلا ضاحكات غمام لواعبُ من وُض البروق بمتياس
ووفد رياح زَعزَع النهر مدة كما وطيت درعاً سنابك أفراس
وقال في وصف مغنٍّ مُحسن :

ومُطارح مما تحس بنائه صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
يُثنى الحمام فلا يروح لوكره طرباً ورزق بنيه في منقاره
وقال يصف جدول ماء عليه سَرَحَة ، ولها حكاية معروفة :
ومُهْدَل الشَّطين تحسب أنه مُتَسَيِّلٌ ^(١) من درة لصفاه
فاعت عليه مع العَشِيَّة ^(٢) سرحة صدئت لفينتها صفيحة ما به
فتراه أزرق في غِلالة مُمَرَّة كالدارع استلقى بظلِّ لوابه ^(٣)

نثره

قال من مقامة يصف القلم :

قصير كالأنابيب السكينة يطول مضاً طوال الرِّمَّاح
إذا عبَّ للنفس في دَامِسٍ ودبَّ من الطَّارس فوق الصَّفَّاح
تجلَّت به مُشكلات الأمور ولان له الصَّعب بعد الجِراح

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (متسائل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (الهجيرة) .

(٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

فلولا هو ^(١) لغدت أغصان الا كتساب ذاوية ^(٢)، وبيوت الأموال خاوية،
 وأسرعت إليها البومى، وأصبحت كفرأد أم موسى، فهو لا محالة تجرُّها الأريج،
 وميزانها الأرجح. به تديرُ ألبانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
 وهو رأس مالها، وقطبُ عملها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها،
 وتحكم في طيِّها ونشرها، وهو قطب مدارها، وجهينة أخبارها، وسرُّ اختيارها
 واختبارها، وظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من
 المبرة كل صافية المقييل، صافية السربال، يُطفى جرة [الحرب] ^(٣) العوان،
 ويكايد العدو بلا صارم ولا سنان، يقُدُّ المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعازل،
 ويقمع الحواسد والعواذل.

وفاته : توفى بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة اثنين
 وسبعين وخسماية. وقبره مشهور بها.

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها

حال

كان ليبيًا لودعيًا، جامعًا لخصال، من خطِّ بارع وكتابة، ونظم، وشطرنج،
 إلى نادرٍ حار، وخاطر ذكي، وجُرأة. توجه إلى العدو، وارْتَسَم بها طيبيا،
 وتولى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمائة

شعره

أشدنى بمدينة فاس عام ستة وخمسين، في وُجْهتي رسولا إلى المغرب، قوله
 في رجل يقطع في الكاغد :

(١) هكذا في الإسكوريال «الزيتونة». وهي مقابل الرسم الحديث (فلولاه).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال، (خاوية) وهو تحريف.

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال.

أبا على حسينسنا أين الوفا منك أيننا
 قد بين الدمع وجدى وأنت تزداد بيننا
 بليت لحاظك قلبي تا لله ما قلت مينا
 قط المقص لهذا سبب الصب مينا
 بقيت تفتن حسنا ودمت تزداد زيننا

وقال أيضاً :

فُضِّلُ التجارات باد في الصناعات لولا الذي هو فيها هاجر عات
 حاز الجمال فأعياني وأعجزني وإن دعيت بوصاف ونعات
 وكان شديد المغالطة ، ذاهباً أقصى مذاهب القحّة ، يحرك من لا يتحرك ، ويفضّب
 من لا يفضّب . عتب يوماً جدّه على طعام طبعته له ، ولم يستطع به ، وكان بين يديه
 [القُط] يصدعه بصياح طلبه ، فقال له ضجراً ، خمسمائة سوط ، فقالت له جدّته
 لم تعط هذه السياط للقط ، إنما عنيتني بها ، وأعطيتها باسم القط ، فقال لها حاش
 لله يا مولاتي ، وبهذا البخل تدريني أو الزحام عليها ، بل ذلك للقط حللاً طيباً ،
 ولك أنت ألف من طيبة قلب ، فأرسلها مثلاً ، ومازلنا نتفكّه بذلك ، وكان
 في هذا الباب لا يُشَقُّ غباره .

مولده : بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة .

وفاته : بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشّديد ، يعرفني أنه توفي في أواسط عام
 سبعة وخمسين وسبعمائة .

محمد بن سليمان بن القصير

أبو بكر ، كاتب الدولة الأمّونية ، وعلم وقته .

حاله

قال ابن الصيرفي^(١) الوزير الكاتب ، الناظم ، النثر ، القائم بعمود الكتابة ، والحامل للواء البلاغة ، والسابق الذي لا يُشَقُّ غباره ، ولا تخمد أبداً أنواره . اجتمع له براعة النثر ، وجزالة النظم ، رقيق النسيج ، حَصِيف المَتْنُ ، رُقْعَتُهُ ماشيت في العين واليد . قال ابن عبد الملك ؛ وكان كاتباً مجيداً ، بارع الخط ، كتب عن يوسف بن تاشفين .

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعلم ، وأبي الحسن بن شريح ، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم ، لقيه بمراكش .

شعره

وهو عندي في نمط دون ما وُصف به . فمن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذى النون ، ومدح ابن عباد ، عند خلع ابن جهور ، أبي الوليد ، وتصيير قرطبة إليه :

فسلَّ عنه أحشاء ابن ذى النون هل	سَرَى إليها سكون منذ زلزلها الذعر
وهل قَدَرْتَ مَذاً أو حَشَتَهُ طَلائِعُ	الظهور عليه أن تُؤنسه الحمر
[أَلَمْ يَجْنِ يَحْيَى مِنْ تَعَاطِيكَ ظِلَّهُ	سَجَا لَكَ هِيَاهُ السَّهْمَى مِنْكَ يَا بَدْرُ
لجارك واستوفيت أبعاد غاية	وأخره عن شأوك الكف والعثر
فأحرزتَ فَضْلَ السَّبْقِ عَفْوَاً	وكفُّهُ عَلَى رَغْمِهِ مَا تَوْهَمَهُ صَفْرُ
وياشد ما أغرته قرطبة وقد	أبشرتها خيلُنا فكان لك الدر ^(٢)

(١) ابن الصيرفي ، مؤرخ الدولة المرابطية . سبق التعريف به .

(٢) الأبيات الأربعة التي بين الحاصرتين ساقطة في «الزيتونة» .

ومنها :

[أَتَتْكَ وَقَدْ أَرَرَى بِبَهْجَةِ حُسْنِهَا وَلَا لِأَنَّهَا مِنْ جُورٍ مَالِكُهَا طَعْرُ
فَالْبَسْتَهَا مِنْ سَابِغِ الْعَدَلِ حَلَّةً زَهَاها بِهَا تَبَهُ وَغَاظَهَا كِبَرُ
وَجَاءَتْكَ مَتَفَالًا فَضَضَخَ حَيْبُهَا وَازْدَانَهَا مِنْ ذِكْرِكَ الْمُعْتَلَى عَطَرُ
وَأَجْرِيَتْ مَاءَ الْجُودِ فِي عَرَصَاتِهَا فَرَوْضَ حَقٍّ كَادَ أَنْ يُورِقَ الصَّخْرُ
وَطَابَ هُوَا أَفْقِهَا فَكُنَانُهَا نَهَبُ نَسِيًا فِيهِ أَخْلَاقُكَ الزُّهْرُ
وَمَا أَدْرَكَتْهُمْ فِي هَوَاكَ هَوَادَةٌ وَمَا أَثْمَرُوا إِلَّا لِمَا أَمَرَ الْبَرُّ
وَمَا قَلْدُوكَ لِأَمْرِ إِلَّا لَوَاجِبُ جَنَّتَهُ فِيهِ الْمُجَرَّبُ وَالْفَعْمَرُ
وَبَوَّأَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ مَعْقَلًا حَرَامٌ عَلَى الْآيَامِ الْإِلْمَامُ حَجَرُ
وَأُورِدَهُمْ مِنْ فَضْلِ سَيْبِكَ مَوْدَاً عَلَى كَثْرَةِ الْوَارِدِ مَشْرَعُهُ غَمَرُ
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَفْضَلْ عُرَى الْإِصْرِ عَنْهُمْ وَلَا انْفَكَّ مِنْ رَبِّقِ الْأَذَى لَمْ أَسْرُ
أَعَدَّتْ نَهَارَ لَيْلِهِمْ وَلَطَالَمَا أَرَاهُمْ نَجْمُومَ اللَّيْلِ فِي أَفْقِهِ الظُّهْرُ
وَلَا زِلْتَ تُؤْوِيهِمْ إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ مِنْ الْعِزِّ فِي أَرْحَابِهَا النِّعَمُ الْخَضِرُ (١)

كِتَابُهُ

وهي من قلة التصنع والإخشوشان ، بحيث لا يخفى غرضها . واسكل زمان
رجاله . وهي مع ذلك تُزينها السداجة ، وتشفع لها الغضاضة . كتب عن الأمير
يوسف بن تاشفين ولاية عهده لولده :

« هذا كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية حميم كريم ، مُهَدَّتْ (٢) عَلَى
الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ، وَأُكِدَتْ بَيْدُ (٣) التَّقْوَى [مَوَاعِدُهُ] (٤) وَمَعَاقِدُهُ ، وَسُدُّدَتْ

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال . وساقطة في « الزيتونة » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنيت) وفي نص آخر (صدرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (على) .

(٤) الزيادة من « الزيتونة » .

إلى الحسنى مقاصده ، وأبعدت عن [الموادة والهوى] ^(١) . مصادره وموارده .
أنفذه أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله
أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه منه ، ويرضى به عنه عمره ، غير محاب ،
ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين ، موضح أرتياب لارتاب ، للأمير
الأجل أبي الحسن علي ابنه ، المتقبل همهمة وشيعة ، المتأمل حلمه وتحلمه ، الناشئ
في حجر تقويمه وتأديبه ، المتصرف بين يدي تخريجه وتدريبه ، أدام الله عزه
وتوفيقه ، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقة ، وقد تهتم بمن تحت عصاه من
المسلمين ، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين] ، ولم ير أن يتركهم بعد
سئى غير مدينين ^(٢) . واعتماد في التصاب الرفيع ، واختار واستنصح أولى
الرأى والدين ، واستشار فلم يوقع ^(٣) . بعد طول تأمل ، وتراخي مدة ، وتمثل
اختياره ، واختبار من فوضه في ذلك . من أولى التقوى ^(٤) . والحنكة واستشارة
الأعلية ، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه ، ولا التقى زواد الرأى
والنشاور إلا لديه . فولاه عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ، عهد ، وأففى
إليه الأمر والنهى ، والقبض والبسط [عنده] ^(٥) . بعده ، وجعله خليفته الساد
في رعاياه مسده ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال ،
وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمات العدل وحكم الكتاب
والسنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا ينام عن حماه ^(٦) . الحيف والخوف بلا ضطجاع ،
ولا يتلن دون معان شكوى ، ولا يتصام عن مستصرخ لذى بلى ، وأن ينظم

(١) وردتا هكذا في الإسكوريال . ومكانهما في « الزيتونة » (الحوادث) .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (يوافقه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (التقى) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (جملة) .

أقصى البلاد وأدناها في سلك تدبيره ، ولا يكون بين القريب والبعيد بونٌ في إحصائه^(١) وتقديره . ثم دعا أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر ودنا من المسلمين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مُطِيعين ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة ، والتزام سنن^(٢) الجماعة ، وبذل المصيحة جهد^(٣) الاستطاعة ، ومناصفة من ناصفه . ومُحاربة من حاربه ، ومكايذة من كايذه ، ومُعانة من عانده ، لا يدَّخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة ، ولا يحتجون^(٤) في حالتي الرضا والسخط إلى معذرة . ثم أمر بمخاطبة ساير أهل^(٥) البلاد لمبايعته ، كل طائفة منهم في بلدها^(٦) ، وتعطيه كما أعطاه من حضر ، صفقة يدها ، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بجبل دعوته ، الغائب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة ، وتنام عيون لم تزل مخافة إقنائها موقوفة^(٧) ، ويشمن الناس كافة السرور والاستبشار ، وتمكن لديهم الدعة ، ويتمهد القرار ، وتفشأ لهم في الصلاح آمال ، ويستقبلهم جئ صالح وإقبال . والله يبارك لهم بيعة رضوان ، وصفة رُجحان ، ودعوة يمين وأمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو ، نعم المولى ونعم النصير . شهد على إشهاد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته ، ولقيه حُلة^(٨) عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل ، وأعطى صفقته طائعاً متبرعاً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (أحكامه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (سنة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (قدر) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يحجون) والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وطنها) .

(٧) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلة) .

بها . وبالله التوفيق . وكتب بحضرة قرطبة في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

دخل غرناطة غير ما مرة ، وحده ، وفي ركاب أميره .
توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة^(١) .

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
من أهل سرقسطة ، ودخل غرناطة ، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها ،
يكى أبا الطاهر . وله المقامات اللزوميات المعروفة .

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً ، معتمداً في الأدب ، فرداً ، متقدماً في ذلك في وقته ،
وله المقامات المعروفة ، وشعره كثير مدون .

مشيخته

روى عن أبي علي الصدي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ،
وأبي عبد الله بن سليمان المعروف بابن أخت غانم ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي
الحسن بن الباذش ، وأبي محمد عبد الله بن محمد التيجي الديكلي ، وأبي القاسم
ابن صوابه^(٢) ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وغيرهم . أخذ عنه القاضي أبو العباس
ابن مضاء ، أخذ عنه السكامل المبرد ، قال . وعليه اعتماد في تقييده . وروى
عنه المقرئ المسن ، الخطيب أبو جعفر بن يحيى الكتاني ، وذكره هو
وابن مضاء .

(١) وردت في الإسكوريال (وربعائة) . وهو تحريف . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (صرافه) .

توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادى والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمماية، بزمانة لازمتها نحووا من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره

أيا قمر أتطلع من وشاح	على غضٍ فاخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خيراً	مُعْتَقَةً فأمسك كل صاح
وأهدى إذ تهادى كل طيب	كحُوط البان فى أيدي الرياح
وأحيا حين حيا نفس صَبَّ	غدت فى قبضة الحب المتاح
وسوَّغ منه عَتْبَى بعد عتب	وعلاى براح فوق راح
وأجنانى الأمانى فى أمان	وجنَّح الليل مسدول الجناح

وقال أيضاً :

ومنعم الأعراف معسول الأما	ماشيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرتُ بليلة من وصله	والصَّب غير الوصل لا يشفيه
أنضحتُ وردة خدَّه بنفسى	وظللتُ أشرب ماءها من فيه

وقال أيضاً :

حكَّت السلاف صفاته بحبابها	من نغره ومذاقها من رشفه
رتوردت حكَّت شقايق خدَّه	وتأرجت فيسيمها من عرفه
وصفَّت فوق ^(١) أديمها فكأنها	من حُسن رونق وجنتيه ولطفه
لعبت بالباب الرجال وغادرت	أجسامهم صرعى كفقلة طرفة

(١) هكذا فى «الزيتونة». وفى الإسكوريال (فرق) وهو تحريف.

« ومن الغرباء في هذا الحرف »

محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويًا ساذجًا ، خشن البزة ، غير مُرَهَف التَّجَنُّد ، ينظم الشعر ، ويذكر
كثيراً من مسائل الفروع ، ومعانيات الفرائض ، يُجَمِّعُ بها في مجالس الدُّروس ،
تَشْقَى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السَّجِيَّة ، وحسن العهد ، وقلة النَّصْثِ .
وجرى ذكره في الإكليل : كريم الاتِّمَاء ، مستنظِل^(١) بأغصان الشجرة
الشَّماء ، من وجل ، سليم الضمير ، ذى باطن أَصْفَى من الماء النَّمِير ، له في الشعر طبع
يشهد بعروبية أصوله ، ومضاء نصوله .

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين ، وقد أمر له بكسوة :

مَنْحَتْ مُنَحَّتِ النَّفَرُ وَالْعِزُّ وَالرِّضَا	ولا زلت بالإحسان له مُقَرَّضًا
ولا زلت للعَلَمِيَّا جَفَى مُكَلِّمًا	وللأمر الملك العزيز مُقْتَضِيًا
ولا زالت الأملاك بِاسْمِكَ تُتَّقَى	وجيشك وفراً يَلاُ الأرض والفضا
ولا زلت ميمون النَّقِيبة ظافراً	مهيِّباً ووهَّاباً وسيفك مُقْتَضِيًا
تَقَرُّ بِهِ الدِّينُ الْخَنيفُ وَأَهْلُهُ	وتَقَمُّعُ جَبَّارٍ وَتُهْلُكُ مُبْغِضَا
وَصَلَّتْ شَرِيفُ الْبَيْتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وخَوْلَتُهُ أَسْنَى مَرَادٍ وَمُقْتَضَا
وَجُدَّتْ بِإِعْطَاءِ الْعَجِينِ وَكُسُوةِ	سُكُوسِي ثَوْبًا مِنَ النُّورِ أَيْضَا
وما زالت الأنصار تفعل هَكَذَا	نال على في الزمان الذي مضَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّصْحِ ، مُتَظَلِّلٌ .

هم نصرُوا الهادى وآوُوا وجَدُوا
نُحْذِ ذَا أبا الحجاج من خير مَادِح
فقد كان قبل اليوم غاض قريضة
ونظَّمُ القى يسمو على قدر ما يرى
ومن حِكْمِ القولِ اللهُمَّ مَتَّحِ اللهُمَّ
فلا زال يهديك الشريف قصائدا
وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه ، وخابت لديه وسائل قوافيه :
والجود فى كل صِنْفٍ خيرٌ مكتسب
فى صدر حاجته من كان ذا أدب
لو كان أولاده ما يحويه من نَشَبٍ
والمسح يبقى مدى الأزمان والحقْب
فيا ظننتُ وليسوا من ذوى حسب
دهرى أمنتُ من الإِلاق والنَّصب
من لؤمهم عودتى عنهم بلا أوب
أستغفر الله من زورٍ ومن كذب
وقال فى غرض يظهر من الأبيات ، يخاطب السلطان :

مالى أرى تاج الملوك وحوله
فكأنه البازى الصيود وحوله
يا أيها الملك الكرام جدوده
أبدلها من البليض من صفئها
عُبدان لا حلم ولا آداب
نغرُّ يقلب ريشه وغراب
أسنى المحافل غيرُها أتراب
إن العبيد يحلها الأبواب

وفاته

توفى فى حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
قرطبي الأصل ، تولى الولادة والمنشأ ، ابن نعمة وغذى بجاه وحرمة

حاله

كان حسيًا فاضلاً كريماً ، سخيًا . ورد على الأندلس ، مُفَنِّئاً من نسكة أبيه ،
وقد عَرَكَ كَتَمَهُ عَرَكَ الرِّحَى لثَقَالِهَا ، على سُنَنِ من الوَقَارِ والدِّيَانَةِ والِحْمَا ، يقوم على
بعض الأعمال النبوية .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : جواد لا يُتَعَاظَى طَلْقُهُ ، وصباح
فضل لا يُمَاتِلُ فَلْقُهُ . كانت لوالده رحمه الله ، من الدول الحفصية منزلة لطيفة
الحل ، ومفاوضة في العَقْدِ والحُلِّ ، ولم يزل يسمو^(١) به قدم النجابة ، من العمل
إلى الحجابة . ونشأ ابنه هذا ، مَقْضَى الديون ، مُفَدِّى بالأنفس والعيون . والدهر ذو
ألوان ، ومارق حرب عَوَان ، والأَيَّامُ كُرَات تُتَلَقَّفُ ، وأَهْوَال^(٢) لا تَتَوَقَّفُ ،
فَأَلَوَى بِهِم الدهر وأنحى ، وأَغَامَ جَوْهَ^(٣) بَعَقِبَ مَا أَضْحَى ، فشملمهم الاعتقال ؛
وتعاونتهم النُوبُ الثَقَالُ ، واستقرَّتْ بالمشرقِ رِكَابُهُ ، وحطَّتْ به أَقْتَابُهُ ؛ فُجِّجَ
واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر ، وعكف على كتاب الله فجود الحروف ،
[وأحكم الخلف المعروف]^(٤) وقيد وأسند ، وتكرَّرَ إلى دور الحديث وتردد ،
وقدم على هذا الوطن قدوم النَّسِيمِ البَلِيلِ على كَبَدِ العَلِيلِ . ولما استقر به^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسمو) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أحوال) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جوه) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النسخ (وقرأ المعروف) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بها) .

قراره ، واشتمل على جفنه غراره ، باشرت إلى مؤانسته ، وثابرت على مجالسته .
فاجتليت للسرو شخصاً ، وطالمت ديوان الوفا مستقصا .

شعره

وشعره ليس بحايد عن الإحسان ، ولا غفل من النكت الحسان . فمن ذلك
ما خاطبني به :

يُيَمِّنُ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ مُحَمَّدُ يُمِّنْ	هَدَأُ الْقَطْرُ وَانْسَجَمَ الْقَطْرُ
أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ	بِحَوْرِ الدَّيْمِ الْمَدِّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَنْسَلَمَا عَدِمْنَا مَغَانِيَا	إِذَا ذُكِرْتَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا عِبْر
هَنِيئًا بِمِيدِ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَاجِدٍ	كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السَّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال :

لَعَلَّ عَفْوِكَ بَعْدَ السُّخْطِ يَنْشَأَنِي	يَوْمًا فَيُنْعِشُ قَلْبَ الْوَالِدِ الْعَانِ
مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنِّي قَدْ عَهَدْتُكَ	ذَا حِلْمٍ وَعَفْوٍ وَإِشْفَاقٍ وَتَحَنُّانِ
فَاصْرِفْ حَنَانَكَ وَاعْطِفْ عَلَيَّ	وَجُدْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تَحْيِي جِسْمِي الْفَانِ
فَقَدْ تَنَاهَى الْأَمْسَى عِنْدِي وَعَذَّبَنِي	وَشَرَّدَ النَّوْمُ عَنْ عَيْنِي وَأَعْيَانِ
وَحَقُّكَ أَلَايِكَ الْحُسْنَى وَمَالِكَ مِنْ	طَوْلِ وَفَضْلِ وَإِنْعَامٍ وَإِحْسَانِ
إِنِّي وَلَوْ حَلَمْتُ الْبُلُوَى عَلَى كَيْدِي	وَأَسْبَكْتُ فَوْقَ خَدِّ دَمْعِي الْقَانِ
لَوَانِقُ بِحْنَانٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي	عَمَّا قَرِيبٍ وَعَفْوٍ عَاجِلِ دَانِ
دَامَتْ سَعُودُكَ فِي الدُّنْيَا مَضَاعِفَةً	تَذِلُ طَوْعًا كُلَّ سُلْطَانِ

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد

ابن سعيد الأنصاري الأوسي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك، من أهل مراكش، وسكن
غرناطة.

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله غريب المنزعة ، شديد الانقباض ، محبوب
المحاسن ، تذبو العين عنه جهامة ، وغرابة شكل ، ووحشة ظاهر ، في طي ذلك
أدب غص ، ونفس حرة ، وحديث ممتع ، وأبوّة كريمة ، أحد الصابرين
على الجهد ، المتمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة . وأبوه قاضي القضاة ،
نسيج وحده ، الإمام العالم ، الناويجي ، المتبحر في الأدب^(١) ، تقلبت به أيدي
الدهر بعد وفاته لتبعية سلطت على نسبه ، فاستقر بمالقة ، متحارفا مقدورا عليه ،
لا يهتدى لمكان فضله ، إلا من عثر عليه جزافا .

شعره

من لم يصن في أمل وجهه عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف به حيث أحل النفس من قصده
ومما خاطبني به قوله :

وليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فليل فيه ذن القدر ليس لها بمدرك
وأنشدني في ذلك أيضاً رحمه الله عليه :

وليت فقيل أحسن خير وال فعاق مدى مداركها بفضله

(١) الإشارة هنا إلى أبيه القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب « الذيل والتكملة » .

وكم والِ أساء ققيـل دنا فحما نحاسنها بفعلـه
ومما خاطب به السلطان يستعديه على من مَطله من العمال ، وعذّر عليه واجبه
من الطعام والمال :

مولاي نصيراً فكم يُضام مَنْ ماله غيرك اعتصام
أمرت لي بالخلاص فمر لي عنده المال والطعام
فقال ما اعتياده جواباً وحسبي الله والإمام
هذا مقامٌ ولا فعال بغير مولاي والسلام

وفاته

فقد في وقية على المسلمين من جيش مالقة بأخواز إستبة^(١) في ذي قعدة من
عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة .

محمد [بن خميس]^(٢) بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد

ابن خميس الحجري حَجْرُ ذِي رُعين التلمساني

يكى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله نسيج وحده زهداً وانباضاً ، وأدباً وهمة ،
حسن الشئبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الريا

(١) يبدو أن هناك لبساً في إيراد هذا الاسم . لأن إستبة تقع جنوب شرق مدينة إستبة
على مقربة من قرطبة . والظاهر أن المقصود هنا ، هو ثغر إشتبونة Estepona الصغير الواقع على
شاطئ البحر المتوسط بين مربلة وجبل طارق ، على مقربة من ثغر مالقة .

(٢) هذه الزيادة في النسبة من الزيتونة ، . (ج ٢ لوحة ٢٣٩)

والموادة^(١) عاملا على اليحاة والعزلة ، علما بالمعارف القديمة . مضطاما بتفاريق النحل ،
 قائما على صناعة العربية والأصليين ، طبقة الوقت في الشعر . وغفل الأوان في النظم
 المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ومزج الجزالة بالسلاسة ، ووضع
 الألفاظ البيانية مواضعها . شديد الانتقا والإرجا ، خامد نثر الروية ، منافسا
 في الطريقة منافسة كبيرة . كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زييان ، ثم فرَّ
 عنهم ، وقد أوجس منهم خيفة . لبعض ما يجري بأبواب الملوك . وبعد ذلك
 بمدة ، قدم غرناطة ، فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه ، ومثَّ إليه بالوسيلة
 العلمية ، واجتدبه بخطبة^(٢) التلميد ، واستقرَّه^(٣) بتأنيسه وبره ، وأقعد له للإقراء
 بجواره . وكان يروم الرحلة ، وينوى السفر ، والقضاء يُشَبِّطه . حدثني شيخنا
 الرئيس أبو الحسن بن الجياب ، قال بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر
 فشق ذلك عليه ، وكلفنا تحريك الحديث بحضرته . وجرى ذلك . فقال الشيخ
 أنا كالأدم بابعي ، أتحرك في كل ربيع .

شعره

وشعره بديع . فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر ، ويذكر الوحشة الواقعة
 بينه وبين أبي بكر بن خطاب :

مشوق زار ربك يا إماما	محا آثار دمنتها التماما
تتبع ريقه الطل ارتشافا	فما نفعت ولا نفعَت أواما
وقبل خدَّ ورَدَّتْها جهارا	وماراعى لضرَّتْها ما ذماما
وما لحريم بينك أن يداني	ولا لعلما قد دوك أن يُساما
ولكن عاش في رسم مَنَعَى	تجشَّه سلاما واستلاما

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي أزهار الرياض (الهوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بمخطفة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال زهما قرئت (واستفسره) .

نفْس روضة المَطْلُول وَهَنا
 تَلْقَى طيب... ته (١) حَديثنا
 فَيَا نَفْس الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاحَا
 وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِجَاهَا
 فَلَا تَبْصُرْ بِسَرِّحَتِهَا قَضِييَا
 وَعَانِقِ قُرْبَانَتِهَا اِرْتِبَاطًا
 وَنَافِحِ عَرَفِ زَهْرَتِهَا كَيْبًا
 رِيَا بَرَقًا أَضَاءَ (٢) عَلَى أَوَالِ
 أَثَرِ إِمَامَةٍ أَنْتِ ابْتِسَامًا
 خَفَقَتْ بِبَطْنِ وَاوِيهَا لَوَا
 أُمُشِيهِ قَلْبِي الْمُضْنَى احْتِدَامَا
 وَلَمْ أَلْأَسْهَرْتَنِي وَطَرَدْتَ (٣) عَنِي
 وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجَفَى
 تَعَرَّضْ لِي فَأَيَقُظْتَ (٤) الْقَوَافِي
 وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَأَمْسِي
 وَجَرَّعْتَ الْعَدُوَّ مُمًّا زُعَافًا
 دَعَوْتَ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَا سَا
 نَزَعْتَ شَوَاهِ كَبِشَهُمْ نَطَاحَا
 أَضَامَ وَفِي يَدِي قَلْبِي لَمَّا ذَا
 خُشْنٌ وَشَمٌّ رِيَّاهُ فِهَامَا
 رَوَتْ مُسْنَدًا عَنْهُ الشُّعَامَا
 وَلَمْ تَعْرِفْ لِسَانُ كَتْمِهَا مَقَامَا
 فَرَدَّتْكَ الْعِرَادَةُ وَالْخِزَامَا
 وَلَا تُذْخِرْ بِمَسْرَحِهَا سَوَامَا
 وَصَافِحِ كَفِّ سَوْسِنِهَا التَّزَامَا
 تَعَاطِكَ مَاءُ رَيْقَتِهَا مُدَامَا
 يَمَانِيًّا مَتَى جِيتِ الشَّامَا
 أُمُّ الدُّرِّ الْأَوَامِي ائْتِظَامَا
 وَلَحْتُ عَلَى ثُنْيَتِهَا حُسَامَا
 عَلَى مَذْدَتْ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا
 خِيَالًا كَانَ يَأْتِينِي لِمَامَا
 كَلَامُ أَفْخَنِ الْأَحْشَا كِلَامَا
 وَلَوْ تُرِكَ الْقَطَا يَوْمًا لَنَامَا
 جَدَعْتَ رَوَاطِبَا وَقَلْبَتِهَا مَامَا
 فَكَانَ لِحَسَدِهِ مَوْنًا زَوَامَا
 وَرُعْتَ خَمِيسَهُمْ ذَاكَ اللَّامَامَا
 وَلَمْ أَتْرِكْ لِقَرْمِهِمْ سِنَامَا
 أَضَامَ أَبَا سَعِيدٍ (٥) أَوْ عَلَامَا

(١) هكذا في الإسكوريال حرفان بينهما يياض .

(٢) وفي نص (أطز) .

(٣) وفي نص (أسكرتني وصددت) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فانبطت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي نص آخر (بغير جرم) .

به وبما أذلق من لسانى
وغرام الوزير أبى سعيد
به وببجله البر انتصارى
أعشن بن عامر لا تكفى^(١)
وردت فلم أرد إلا سرابا
قطعت الأرض طولا ثم عرضا
وجا جانبي على كرم ندام
وذلت المذامع من إياي
ومن أدبي نصبت لهم جبلا
فلم أر مثل ربى دار أنس
ولا كآبيه أو كنى أبيه
كفانى بآبن عامر خفض عيش
وإنى من ولايك فى نفع

ومن شعره رحمه الله قوله :

تراجع من دنياك ما أنت تارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها
حلال لك منها ما خلا^(٢) لك فى الصبا
تظاهر بالسلولان عنها تجملا
وتسلها^(٣) العتيى وهامى فارك^(٤)
وشر وداد ما تود الترائك
فأنت على حالوايه متهاك
فقلبك محزون وشررك ضاحك

(١) وردت هذه الشطرة فى نص آخر كالأق (خليل إن قدرت فلا تكفى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (تسلها) .

(٣) ورد فى مخطوط الإسكوريال (اللوحة ٦٨ فى أسفل الصفحة) ما يأتى : الفرك بغض

المرأة زوجها ، وقد فركته ففركه فهى فارك .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (حلا) والأول أرجح .

تنزهتُ عنها نَحْوَةً لا زهادة
 ليالى تُغرى بى وإن هى أعرَضَتْ
 غصون قُدودٍ فى حِفافِ رِوَادِفِ
 تطاعننى منهن فى كل ملعب
 وكم كِلَّةٌ فيها هتكتُ ودونها
 ولا خِدْنٌ إلا ما أعدت رَدِينَه
 تُضِلُّ فِوادِ المرء عن قصدِ رشده
 وفى كل سِنٍّ لابن آدم وإن تَطُلْ
 وإلا فإلى بعد ما شاب مَفْرِقِ
 أجوب إليها كلَّ بَيْداءٍ مَمْلُوقِ
 واسترشد الشَّهْبُ الشَّوَابِكِ جارِ
 نُهازِرُ أُمثالَ الجِيادِ تُودِدُ
 ظَمًا ، وما غير السَّماوَةِ مُورِدِ
 ذو أهلٍ عن عُضِّ الرِّجالِ ظُهورها
 إذا ما نَباعن سُنْبُكِ الأرضِ سُنْبُكِ
 تَقْدُّ بِناءَ فى كل قاعٍ وفَدْفَدِ
 فأمامُها رى كالسحابِ مَوَالِيعِ
 قِلاصٌ بأطوافِ الجَدِيلِ بَوَالِيعِ
 ترمى بها ليد النُّوقِ كل مُرَّتَى
 وكم منزلٌ خَلِيسَتُهُ لَطالِبُها

وشَعْرُ عِذارى أَسودُ اللونِ حالِكِ
 زَنابٍ من ضَوّاتها وَعَوَاتِكِ
 تَمائِلُ من ثِقَلِ بَيْنِ الأَرائِكِ
 تُدِى كَأَسنانِ الرِّماحِ فَوَاتِكِ
 صدورِ العِوالى والشَّيُوفِ البِواتِكِ
 لَطالِبُها أو ما تَحْيِرُ هالِكِ
 فَوَاتِرُ الحَظِّ لِلطُّبّا الفِواتِكِ
 سنوهِ طِباعِ جَمَّةٍ وَعِوائِكِ
 وأَعجَزُ رَأْيِ عَجَزٍ من الرِّكَارِكِ
 تَرافِقُنِي فيها الرِّجالُ الحِواتِكِ^(١)
 إذا اشْتَبَهَتْ فيها حَيَّ المَسالِكِ
 أَغْوارِ أُمثالِ الهَضابِ تَوامِكِ
 وَيَنْحِى وما دون الصُّوَاةِ مِبارِكِ
 إذا ما اشْتَكْتَ عُضَّ السَّروِجِ المِوارِكِ
 هَلَمَّعْنِ فَلانَتْ تَحْتَمِنُ السَّنابِكِ
 بَوائِكُها وَلِلمُنْغِياتِ الدِّراهِكِ
 وأَمامُها رَكا كَلِرابِاحِ بَواشِكِ
 وَجُرْدُ لَأَوساطِ الشَّكِيمِ عِوالِكِ
 فَهِنَّ نِواحٍ لِلرَّدى أو هِوالِكِ
 تَعَقِّيهِ تَعَدَّى السَّافِياتِ السَّواهِكِ

(١) الحواتك من حتك أى أسرع فى السير .

يَمُرُّ بِهِ زُؤَارُهُ وَعَفَاتُهُ
وَأَنَارَتُنَا تَقْدَامُ عَهْدَهُمْ
لَوَارِبِ أَفْرَاسٍ وَنَزَى حَنَازُهُ
تَمُرُّ عَلَيْهِ نَسْمَةُ الْفَجْرِ مِثْلَهَا
وَأَرْكَبُ كَالشَّهْدِ يَنْفُخُ بُرْدَهُ
يَطْلُبُهَا مِنِّي غَرِيمٌ مُمَاحِكُ
أُحَاوِلُ مِنْهَا لِمَا تَعَذَّرَ فِي الصَّبَا
يَسْأَلُ الْفَقَى مِنْهَا وَإِنْ رَاقَ حُسْنُهَا
فَنَهَا مَلَالٌ دَائِمٌ لَا تَمَلُّهُ
تَهَاوَنَ بِالْإِفْكِ الرِّجَالُ جِهَالَةً
تَزِنُ طَوْلَ تَشْهَادِي وَقُدْرَى تَمَلُّمِي
تَغْيِرُ عَلَى الدَّهْرِ مِنْهُ جَحَافِلُ
فَلَيْتَ الَّذِي سَوَّدَتْ فِيهَا مُعْوَضُ
أَلَا لَا تُذَكِّرْنِي تَلَسَّانَ وَالْهَوَى
فَإِنَّ أَذْكَارَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهَا
وَلَا تَصَيِّمَنَّ أُمُوهَا لِي فِيهَا
وَمَنْ حَالَ عَنْ عَهْدٍ أَوْ أَخْفَرَ ذِمَّةً
سَقَى مَنْزِلِي فِيهَا وَإِنْ نَحَّ دَمْعُهُ
وَجَادَتْ تَرَى قَبْرِي بِمَسْجِدِ صَالِحٍ
وَلَا أَقْلَمْتُ عَنْ دَارِ يُونُسَ مُزْنَةً

وَمَا آَنَ بِهِ إِلَّا الصُّوُوقُ الْحَبَائِكُ
وَهَنَّ عَلَيْهِ جَائِيَاتُ بَوَارِكُ
ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْحَمَامِ سَوَادِكُ
تَمُرُّ عَلَى طَيْبِ الْعُرُوسِ الْمَدَاوِكُ
لِلْجَهْوَلِ حَسَى مَا لَهُ لِلدَّهْرِ مُبَانِكُ
وَيَمْتَطِّلُنِي مِنْهَا عَدِيمٌ مُمَاعِكُ (١)
وَمَنْ دُونَهُ وَقَعَ الْخِلَامُ الْمُوَاتِكُ
حَسَايِفُ لَا تَحْصِي وَمُبَارِكُ
وَتُرُودُ إِفْكِ عَنْ رِضَى الْحَقِّ آفِكُ
وَمَا أَهْلَكَ الْأَحْيَاءُ إِلَّا الْأَفَايِكُ
طَوَالَ اللَّيَالِي وَالنَّجُومِ الذُّوَابِكُ
كَأَنَّ مُدَوِّمَ الرِّجْمِ فِيهَا نِيَاذِكُ
بِمَا بَيَّضَتْ مِنْ دُجَاهَا الْحَوَالِكُ
وَمَا دَهَكَتْ مِنْهَا الْخُطُوبُ الدُّوَاهِكُ
لِجَسْمِي وَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِنَاهِكُ
لَنِيرَانِ أَشْوَاقِي إِلَيْهَا مُحَاذِكُ
فَإِنِّي عَلَى تِلْكَ الْعَهْدِ لِرَامِكُ
عِزَادِ الْغَوَادِي وَالْذُّمُوعِ السُّوَاغِكُ
رَوَاعِدُهَا وَالْمُدْخِجَاتِ الْخَمَاشِكُ
يَرَى صَدَاهُ لِقَطَرِهَا الْمَتَدَارِكُ

(١) ورد في هامش المخطوط : مماعك (المعاقل) والملك (اللباج) . وفي انقاموس ملك ،

إلى أن يروق النصارى بن رواؤها
ويصبح من حول الحيا في عراصها
ولا برحت منه ملايكة الرضى
وطوبى لمن روى منزله الحيا
ألا ليت شعرى هل تقضى لُبائى
وهل تمكّن الطيف المغبّ زيارة
وهل تغفل الأيام عنها بقدر ما
وباليت شعراى أروض تقلّنى إذا
وأى غرار من صفاها يحثنى
إذا جهل الناس الزمان فإننى
تثبت إذا ما قتّ تعمل خطوة
ولا تبذل وجهاً لصاحب نعمة
تجشّم ما استطعت واحذر إذا هم
فكل على ما أنعم الله حاسد
ولا تأنس ويبة الزمان فإنه
تمنى مصاب بربر وأعاره
وبدّرت الليالى الجون حوضى بالاجها
فما أذعنت إلا إلى عشار
ولا قصدت إلا فئانى وقودها
به شرفت أذواها وملوكها
فلا تدعون غيرى لدفع مُلدة
ويُرضى الرشاوى نبتها المتلاحك
زرّق تحكى بسفها ودراكك^(١)
تصلّى على ذاك الصدى وتبارك
وبشرى لمن صلّت عليه الملائك
إذا ما انقضت عشرٌ عليها دكدك
فيرقب أو تلقى إليه الرّوامك
تودى إليها بالعتاب الخالك
كلّ عن وحلى الجلال اللالك
إذا فقدتنى مسها والدّ كادك
بدونهم دون الأنام لحاتك
فإن بقاع الأرض طراً شوائك
فما مثل بذل الوجه للستر هاتك
ولا تلقهم إلا وهرك شأنك
وكلّ إذا لم يعصم الله حاسك
بمن فات منا لا محالة فانك
وترضى ذكامى فارس والهنداك
وتعرف إقدامى عليها المهالك
ولا أصفقت إلا على الشكاك
ولن أملت إلا قتامى الضرارك
كما شرفت بالنوهار البرامك
إذا مادهم من حادث الدهر دهاك^(٢)

(١) فى هامش المخطوط : الدراك ضرب من البسطة .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (داعك) .

وما إن لبيت المجد بعدى - امك
بما أوزنتنى حميرُ والسكالك
وطيب ثنائى^(٣) لاصق بى صايك
وقد سحطت منا اللحا والأفانك^(٤)
إذا عاد للثنيا عَقيلٌ ومالك

فما إن لذاك الصوت غيرى^(١) سامع
يَغْصُرُ وَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَجُجاشع
تفارقى روى^(٢) التى آستُ غيرها
وماذا عسى ترجر لداتى وأرتجى
يعود لنا شَرْخُ الشَّباب الذى مضى
ومن شعره أيضاً قوله :

وتَصَرَّمت سفاً عليك الأضلع
جاوى مؤملك الغيوث الهُمع
قد كنت أعلم أنها لا ترجع
بذسيم أنفاس البديع تُشْعِشِع
مرعى لأفكار الندام^(٥) ومُشْرِع
أجندى بميدان الكلام وأُسْرِعُ
بجنبائها وهو الجنباب الأمتع
والنفثت فى عقد الثرى لا يمنع
وكسا ربها وشيئه المتنوع
بدعاً تفرق تارة وتُجمِع
إذ بُت منها ما تفرق مُصْقِع

سَحَّتْ بِسَاحِك يا محلَّ الأدمع
ولطالما جادت ثرى الآمال من
لله أيام بها قضيتها
فلقد رَشَفَتْ بها رُضاب مُدَامَةٍ
فى روضة يرضيك منها انها
تجوى بها فقر سكنت^(٦) وهانها
فقر كريعان الشَّباب وعهدنا
نفائة الأنواء فى عقد الثرى
حتى إذا حاك الربيع برودها
بدأت كإيم زهرها تُبْدَى بها
قد صُمَّ منها ما تجمِع مُغْلَق

(١) وردت فى الإسكوريال (غير) . والتصويبه من النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى النسخ (الروح) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ثنائى) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الافانك) .

(٥) وفى نص (الندامى) .

(٦) وفى نص (كيت) .

وكلاهما مهما أودت مُسالم
كل له شرع البيان مُحلل
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
فُرَجِّل من وقها ومُهَلِّل
أبدى البديع بها بدايع صنعه
ومَوْشَح ومُرَشَّح ومُصَدَّر
كل بروق بها بِحُسْن^(١) رُوَايَه
ولقد غدوت بها وفي وَكُنَاتِهَا
بِطَهْم الفكر الذي ما إن له
قيد المغالب لا يزال نجبه
أرمى به الأمد البعيد وإنه
من بعد ما عفت السواري سبله
لكنني جددت دائر رسمه
أوضحت فهم حدوده وضروبه
حتى وَرَدْتُ من السماع مواردًا
مع كل مصقول الذكاء فحدسه
يرتاد من تَجَمُّع العناصر نُجْمَةٌ
لا شيء أبدع من تَجَاوُرِهَا وما
فإذا تَشَعَّع مزجها أوري بها

ومُحَارِب ومُؤْمِن ومُرَوِّع
الْمُنْكَر في مثل هذا مُدْفِع
أدبًا يُنْظَم تارة وَيُسْجَع
وَمُسَطَّط من نظمها ومُصَرَّع
فمُجَنِّس ومُبَدَّل ومُرْصَع
ومُسَكَّر ومُفَرَّع ومُسَبَّع
وإذا تُزِين به كلامك تبرع
طير لها فوق الغصون تُرْجَع
إلا بِمُسْتَن الأدلة مرتع^(٢)
بين الجياد لعتقه أو يوضع
حِجْلٌ يضل به الدليل الأصمَع
وَمَحَّت معالمه الرِّياح الأربع
فطريقه من بعد ذلك مَهْمِج
والسَّكَل في كل المسالك يَنْفَع^(٣)
فيها لظمآن المباحث مَسْكِع
لذكاء أسرار الطبايع مَطْلَع
فيها مصيف للعقول ومَرْيَع
يُبْتَدَى بها ذاك التجاور أبدع
نار الجبابر مَرْجَاهَا المُتَشَعِّع

(١) وردت في الإسكوريال (حسن).

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مصرع).

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يدفع).

فَكَيْنُ سِرُّ حَيَاتِهِ بِجَبَابِهَا من بعد قَدْحِ زَنَادِهَا مُسْتَوْدِعِ
وهنا تُفَاضُ عَلَيْهِ صُورَتُهُ الَّتِي لِبَهَائِهَا شُمُّ الطَّبَايِعِ تَخْضَعُ
من وَاهِبِ الصُّورِ [الَّتِي قَدْ خَعَّهَا] ^(١) بِبَدِيعِ حِكْمَتِهِ الْحَكِيمِ الْمُبْدِعِ
رَبُّهُ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ يَقْضِي بِهَا الْبَدْعَى وَالْمُتَشَرِّعِ
وَحَلَّتْ مِنْ أَرْضِ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعًا نَفْسِي الْفِدَاءَ لَهَا وَهَذِي الْأَرْبَعِ
قَامَتْ زَوَايَاهَا فَمَا أُوتَادِهَا إِلَّا تَقُومُ مَا تَقِيمُ الْأَضْلَعِ
وَتَنَاسَبَ أَقْدَارُهَا نَسَبًا لَهَا لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُهَا فِرْعُ فِرْعِ
فَأَجَلٌ مَا تَدَسَّعَتْ بِحُلُولِهَا مِنْ بَارِقِ كُجَابِ رُشْدِي يَلْمَعُ
لَا شَكَّ أَنْ وَرَاءَهُ مَطَرًا لَهُ فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِيَادِي مَوْجِ
بَحْرٍ رَوَى مُتَرَعُّ مَلَاحُهُ مِنْ فَيْضِهِ هَذَا الرُّوْيِ الْمُتَرَعِّ
لَمْ لَا أَضْيَعُ بِهَا عَهَادَ مَدَامِي إِنِّي إِذَا لَعُوهَا لَمْضِيعِ
خَلِيٍّ لَوْ لَمْ تَسْعِدَانِي فِي الْبَسَا لَقَطَعْتُ مِنْ جَبَلِيكَا ^(٢) مَا يُقْطَعُ
أَرَأَيْتَا نَفْسًا تَفَارِقُ جَسْمَهَا وَبِهِ تَنْعَمُهَا وَلَا تَتَوَجَّعُ
عَظُمْتَ رَزِيئُهَا وَأَيُّ رَزِيَّةٍ ظَلَّتْ لَهَا أَكْبَادُنَا تَتَصَدَّعُ ^(٣)
هَذِي حَمَامُكَ يَا عَلِيٍّ سَوَاجِعُ وَأُخْلَاهَا أَسْفَا عَلَيْهِا تُسْجَعُ
إِنْ طَارَحْتَنِي وَرَقَهَا فَبِأَضْلَعِي شَوْقُ يَطَارِحُهُ إِذَا كَارَ مُوجِعُ
أَهْ عَلَى جَسْمِي الَّذِي فَارَقْتُهُ لَا كُنْتُ رَمَنْ جَسْمَهُ لَا يَرْجِعُ
وَمِنْ الْعُجَابِ رَجُوعُ مَا أَوْدَى ^(٤) بِهِ دَهْرُ بَشْتَتِ ^(٥) الْأَحْيَةِ مَوْلِعِ

(١) وردت في الإسكوريال (الذي قد خصمه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (جبلكما) والتصويب أرجح للوزن والسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (تقطع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (أردى) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يتشتت) .

الحورُ منه إذا استمر طبيعهُ والعدلُ منه إذا استقام تطبع
 هذى عقوبة زلة سلفت بها من أكل طعمته التي لا تشبع
 قد كنتُ أمنع رشح نفسي قبلها واليوم أوجبُ أنه لا يمنع
 لم لا وقد أصبحتُ بعد محلة فيها السحائب بالراغب تهمع
 دار يدرُ الرزق من أخلاقها ولكم دعا داعٍ بها من يوضع
 وكأنَّ مجلسها البهيَّ بصدرها ملكٌ بأعلى دسسته^(١) متربع
 وكان مجمر عنبرٍ بفنائها يذكي ما قد سيف^(٢) منه يسطع
 وكأنها المتوكلية بهجة وعلى بن الجهم فيها يُبدع
 في حجر ضبٍ خافض بجواره من كان قبيلُ له العوامل تُرفع
 يا نفثة المصدور كم لك قبلها من زفرة بين الجوانح تسفع
 وعساك تنقع غلة بك إنها بحجيم ما أسبلته لا تنقع
 لله أنت مداعة أودعتها من كل سرٍّ بالضائر يودع
 بدوية في لفظها ونظامها حضرية فيما به يُترجع
 لم لا تشفع في الذي أشكوبها ومثالها في مثله يُتشفع^(٣)
 كملت وما افترت فأى خريدة لو كان يفرعها همام أروع
 بارت على فأصبحت لحياها منى بضافي مرطها تتلفع

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، وهي من
 مشاهير أمداحه :

(١) وردت في الإسكوريال (دسها) . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (ضاع) .

(٣) وردت في الإسكوريال (تشفع) والتصويب أرجح .

سَلَّ الرِّيحُ إِن لَّمْ تُسْعِدِ السَّفْنَ أَنْوَاءَ فَعِنْدَ صَبَاها مِنْ تِلْكَ سَنَانِ أَنْبَاءِ
 وَفِي خَفَقَتَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ إِلَيْكَ بِمَا تُنْعَى إِلَيْهَا وَإِيَاءِ
 تَمَرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَلِلْأُذُنِ إِصْنَاعٌ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءِ
 وَإِنِّي لَأَصْبُو لِأَصْبَا كَمَا سَرَّتْ وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ أَصْبَاءِ
 وَأَهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ^(١) تَحِيَّةً وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءِ
 وَاسْتَجْلِبِ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِعِي قَتَادٌ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسُلَاءِ
 لَعْلَ خِيَالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ فِي فَنِي مَرَّةً فِي مَنْ جَوَى الشَّرْقِ إِبْرَاءِ
 وَكَيْفَ خُلُوصِ الدَّائِفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا ^(٢) عِيُونَُهَا فِي كُلِّ طَالِمَةِ رَأْيِ
 وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْهَا وَمُنِيَّءٌ بِيَعُضِ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَسَّكُنِ أَنْبَاءِ
 وَكَمْ قَالِيلٍ تَفْنَى غَرَامًا بِحَبِيبِهَا وَقَدْ أَخْلَقْتَ مِنْهَا مِلَاءَ وَإِمْلَاءِ
 لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ إِذَا مَضَى قَيْظٌ بِهَا جَاءَ إِهْرَاءِ
 يَطْنِبُ فِيهَا عَابَثُونَ ^(٣) وَخَرْبٌ وَيَرْحَلُ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَأَحْيَاءُ ^(٤)
 كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ لِمُلْكِهَا قِدَاحَ وَأَمْوَالِ الْمَنَازِلِ أَبْدَاءِ
 فَلَا تَبْغِينَ فِيهَا مَنَاحًا لِرَاكِبٍ فَقَدْ قَالَصَتْ مِنْهَا خِلَالُ وَأَقْيَاءِ
 وَمَنْ عَجَبِي ^(٥) أَنْ طَالَ سَقَمِي وَقَزَعَهَا وَقَسَمَ إِصْنَاعِي عَلَيْنَا وَإِطْنَاءِ
 وَكَمْ أَرْجَفُوا غَيْظًا بِهَا ثُمَّ أَرْجَوْا فَيَكْذِبُ إِرْجَافٌ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءِ
 يَرُدُّهَا عَيًّا بِهَا الدَّهْرُ مِثْلَهَا يَرُدُّدُ حَرْفُ الْفَنَاءِ فِي النَّطْقِ فَافْهَاءِ
 فَيَا مَنَزَلًا نَالَ الرَّدَى مِنْهُمَا اشْتَهَى تُرَى وَهَلْ لَعُمُرُ الْآنَسِ بَعْدَكَ إِنْ سَاءِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّفْحِ (نَوْمٌ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّفْحِ (وَدُونِهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّفْحِ (عَائِثُونَ) .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَّالِ (وِثْنَاءُ) وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّفْحِ (عَجَبٌ) .

وهل للظي الحرب التي فيك تلتظي
 وهل لي زمان أرتجى فيه عودة
 فواسيئي حالي^(١) إن هلكت ولم أقل
 ولم أطرق الدّير الذي كنت طارقاً
 أطفئ به حتى تهـرّ كلابه
 ولا صاحب الأحسام ولهـدم
 وأسحم قارى كشعري حُلُكة
 فما لشرابي في سواك مرارة
 وبإداري الأولى بدوب [حلاوة]^(٢)
 أما [آن] أن يحى حماك كهده
 أما أن أن يعشو لنارك طارق
 يرجى نوالاً أو يؤمل دعوة
 أحسن لها ما أطت النيب حولها
 فما فاتها منى نزاع على النوى
 كذلك جدّي في صحابي وأسرّي
 ولولا جوار ابن الحكيم محمد
 حماني فلم تنشب محلى نوايب
 وأكفاه بيتي في كفالة جاهه

إذا ما انقضت أيام بؤسك إطفاء
 إليك ووجه البشر أزهر وضاء
 لصحبي بها الغر الكرام ألاهاؤا
 كهادي^(٣) وبدرا الأفق أسلغ مسناء
 وقد نام عساس وهوم سباء
 وطرف نلح الليل مذ كان وطاء
 تاللاً فيه من سنى الصبيح أضواء
 ولا لطعامي دون بابك إمراء
 وقد جدّ عيث في بلاها وأرداء
 وتجتاز أحماش^(٤) عليك وأحماه
 جنيب له رفع إليك ودأداء
 فما زال قارى في ذراك وقراء
 وما عاقها عن مورد الماء إظاء
 ولا فاتني منها على القرب إجشاء
 ومن لي به من^(٥) أهل ودّي إن فاؤوا
 لما فات نفسي من بنى الدهر إقماء
 بسوء ولم ترزأ فؤادي أرزاء
 فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاء

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (فواجريال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص آخر (بليل) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (أصحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (في) .

يُؤْمُونَ قَصْدِي طَاعَةً وَحُبَّةً
دَعَانِي إِلَى الْجِدْلِ كُنْتُ آمَلًا
وَبَوَّأَنِي مِنْ هَضْبَةِ الْعَرْزِ تَلْعَةً
| يَشَاعِرُنِي فِيهَا | (٣) إِذَا سَرْتُ حَافِظًا
وَلَا مِثْلُ نَوْمِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ
بَغِيضَةً لَيْثٍ أَوْ بِمَرْقَبِ خَالِبٍ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمُلْكِ كَمَا فُلٌ
وَأَخْوَانُ صَدَقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ
سُرَاعٌ لِمَا يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ
إِلَيْكَ أَيَا عَبْدَ الْإِلَهِ صَنَعْتُهَا
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَعِيبُ لَزُومَهَا
أَذْعَتْ بِهَا السَّرَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ (٥) آمَلًا
وَمَنْ يَتَسَكَّلُ مُفْعَمًا شُكْرٍ مِنْهُ
إِذَا مُنْشِدٌ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ وَمُنْشَى
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ .

أَطَارَ فَوَادِي بَرْقِ الْأَحَا
رَقِمْتُ ضَمَّ بَعْدَ لَوْ كَرَّ جَنَاحَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النُّفُوحِ (شَاءُوا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النُّفُوحِ (مِنْهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النُّفُوحِ (يَشَاعِرُنِي مِنْهَا) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النُّفُوحِ (تَبَزَّ) .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (أَنْتَ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النُّفُوحِ .

كأنَّ تالِقَه في الدُّجَا
 أضاء وللمين إغفاعة
 كمعنى خفيٌ بدا بعضُه
 كأن النجوم وقد غربت
 لواغب^(١) باتت نُجُودُ الشُّرى
 وقد لبس الليل أُمُـسـاله
 وأيقظ روض الرُّبَا زهره
 كأن النهار وقد غالما
 أتى يَسْتَفِيز دموعى امتياحا
 فلم يَلْقَ دجن انتحابى شحيا
 ولولا توقُّدُ نار الحشى
 ومما يُسَرِّدُ عنى السكرى
 ينوح علىَّ وأبكى له
 أعيى أُرِيحى أطلت الأسى
 دعينى أُرِدْ ماء دمعى^(٢) فلم
 أحنُ إليك إذا سفت ريحا
 وأفنى التياحا إليك وكم
 ولولا سخايم قوم أبوا
 أباحوا حِمَاى وكم مرة
 حُسام جبان يهب الكفاحا
 تلهث إذا ما سنى الفجر لاحا
 وزيد بيانا فزاد اتضاحا
 فواهلُ ماء صدَّرن قُماحا^(١)
 فأدرَكها الصبح روى وإلاحا
 فمَحَّت^(١) عليه بلاً وانصياحا^(١)
 فحيا نسم صباه الصَّبَاحا
 مبيت مال حواه اجتياحا
 ويلهب نار ضلوعى اقتداحا
 ولم يَلَفَ زَنَدَ اشتياقى شحاحا
 لافغدتُ ماء جفونى امتياحا
 هديل حمام إذا نمتُ صاحا
 فأقطع ليلي بكاءً أو نياحا
 عليك وما زدت إلا انتزاحا
 أُرِد بعد ما بك ماء قَراحا
 وأبكى عليك إذا ذقت راحا
 أشحتُ بوجهى عنك اتشاحا
 إيابى ركبت إليك الرِّياحا
 كحيتُ حى عِرْضهم أن يُباحا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتى : قمح البعير إذا رفع رأسه وامتنع من الشراب ربا -
 لواغب روى ملاحا : كل ذلك بمعنى أعيى - مع الثوب إذا بلى ، وانصاح التوب إذا انشق .
 (٢) وفى نص : عيني .

ودافعتُ عنهم بشعري انتصارا
 أباعوا ودادي بخسا فسلَّ
 وأغروا بنفسى طلابها
 وآلوا يميننا على أن ما
 فشاورتُ نفسى فى ذا فما
 فبتُ أناغى نجوم الدُّجا
 أجوب الدياجير وحدى ولا
 وإلا الثَّالب تحنس فى
 أجوز الأفاحيص فيحاً قفسارا
 فأعني شوارد هذى عداء
 وجواب بدو إذا استنبحوا
 يرون قتلى فى الحجر حلاً
 قصبتُ هنام^(١) فلم أخطهم
 فسلَّ كيف كان خلاصى من
 ولا مثلُ بيت تيممته فلم
 عيابا ملاء ونبيأ سمانا
 وإلا أعارب شُم الأنوف
 وإلا يعافير سودُ العيون
 يردُّن فينا لحاظاً مرأضا
 فسكان الجزاء جلأى المتاحا
 أكان سماحهم بي رباحا
 سراراً فجاءوا لقتلى صراحا
 توهمت لم يك إلا مزاحا
 رأيت لى بغير الفلاة فلاحا
 نجا فلم ألق^(٢) إلا نباحا
 مؤانس إلا القطا والسراحا^(٣)
 مبيتى فتعلاً سمى ضباحا^(٤)
 وأعرو الأداخى غربا فساخا
 وأعلو لواغى تلك صياحا
 أجابوا عواء وأثوا النباحا
 وإذهاب نفسى فيه مباحا
 أعاجم شوس العيون قباحا
 أسارهم أسرى أم سراحا
 ألف إلا الغدا والسماخا
 وغيداً خدالاً^(٥) وعوداً أقاحا
 كرامُ الجدود فصاحاً صباحا
 برين فساد الحُب صلاخا
 يمرضن منا القلوب الصباحا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الف) .

(٢) فى الهامش : جمع سرخان وهو الذئب . (٣) الضباح هو صوت الثعلب .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (سناهم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (حسانا) .

وتحت الوجاج طلاً رَّبَّرب
 أراني محاسن منه فلم
 مُحِيّاً وسياً وفرعاً أثينا
 وأبدى لعيني بدائع لم
 إذا لم يُرد غير سَفَك دى
 وما زلت مُنَحّاً بنفسى كذا
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 وقد ضاق صدرى عن كُتْمه
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 ألح الزمان بأحداثه
 أعاد شبّابى مَشِيّاً كما
 وفرق بينى وبين الأهل
 أخى وسميَّ أصيخ مُسْعداً^(٢)
 فقد جبَّ ظهري على ضعفه
 وطوّح بي عن تِلَاسان ما
 وأعجل سبرى عنه ولم
 نأى بصديقك عن رَبِّهِ
 وكان عزيزاً على قومه
 فها هو إن قال لم يُلتفت
 عجبتُ لدهرى هذا وما
 لو أن القيّان رفعن الوجاجا
 أطق عن حِماه بقلبي براحا
 وقدّاً قويمّاً وردفاً رداحا
 يدعى لى عقلاً بها حين راحا
 فحلّ وبل له ما استباحا
 متى ما رأيتُ الوجوه الملاحا
 هواه فقد زدتُ فيه افتضاحا
 وأودعته جفن عيني فباحا
 خطوب أجَلْن على القداحا
 فألقيتُ طوعاً إليه السّلاحا
 سمعت وصيّر نسكى طلاحا^(١)
 ولم يرَ ذا عليه جناحا
 لشجو حَزِين إليك استراحا
 كُداماً وأدهى شواتى نطاحا
 ظننتُ فراقى لها أن يُتاحا
 يدعى أوْدُع تلك البِطاحا
 فكان له النّأى موتاً صراحا
 إذا هاج خاضوا إليه الرّماحا
 إليه امتهاناً له واطّراحا
 ألقى مساءً به وصباحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (ضلاحا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مسعدا) .

لقد هدئ مفي ركننا شديداً
 وقيت الردى من آخر مخلص
 وإنى على فيح ما بيننا
 أحن إليه حنين الفحول^(١)
 وأسأل عنه هبوب النسيم
 وإن شئت عرفان حالى وما
 فقلب يذوب إليك اشتياقا
 وغرس وداد أصاب فضاء
 كراسخ بمجد تأثنته
 وعلياء بوئتها لو بغى
 مكارم جمعت أفذاذها
 ودرس علوم تهيم بها
 نشأت عن الخير واعتدته
 وقمت^(٢) لها أئما رحلة
 بهرت رجال الحديث اقتداء
 فما [إن جالس]^(٣) إذا قلت قال
 ولو لم تحجج بها مكة
 وأما أنا بعد نهى النهى
 وذلل منى حياء لقاحا
 لو استطعت طرت إليه ارتياحا
 لأتبع ذاك الشذا حيث فاحا
 ونوح الحمام إذا هو ناحا
 وخفق الوميض إذا ما ألحا
 يعانیه جسمى ضنى أو صحاحا
 وصدر يفتح إليك انشراحا
 ندياً وصادق أرضاً برأحا
 فلم تخش بعد عليه امتصاحا
 سموأ إليها السماك لطاحا
 فكانت لعطف^(٤) علاك وشاحا
 عمرت الغدو به والرواحا
 فلم تدبر إلا التقي والصلاحا
 كسحت المعارف فيها كنساحا
 وفئت رجال الكمال اقتراحا
 أو أن الخطيب إذا لحث لاحا
 لحج الملايك عنك صراحا
 فما زادنى^(٥) الطبع إلا جماحا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (السجول) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (لغضب) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رحلت) .

(٤) وردت محرفة فى الإسكوريال (ابن حبيش) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (زاد) والتصويب لازم لاستقامة الوزن والسياق .

أدير كؤوسَ هواي اغْتَباقاً وأشرب ماء دموعي اصْطَباحاً
فبرد جواي بردٌ جواب تُوجِّح فيه مَشْيَ الوَقاحا
وهنّ بذِّيَّات فكري وقد أتَيْنَكَ فَاخْفِضْ لهنَّ الجناحا

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره ، ويذكر غفارة
وجهها له مع هديه :

كَبِيتَ الْعِدَى لِإِعْمالِكَ الْبَغْتِ فَلَئِنْ هَلَاكَ لَعَلَّيْكَ الْكَبِيتِ
يَا مَنْ إِلَى جَدِّكَ أَنْامَلَهُ يُزْجِي (١) لِلْسُّفِينِ وَتُزْجِرُ الْبُغْتِ
أُولَاكَ لَمْ يُوصَلْ بِنَاحِيَةِ وَخَدُّهُ لَمْ يَقْطَعْ بِهَا دَشْتِ (٢)
لُولَاكَ لَمْ يَطْلَعْ بِهَا نَشْرُ مِنْهُ لَمْ يَهْبِطْ بِهَا خَبْتِ
خَوَّلْتَنِي مَالاً تَسَعُّهُ يَدِي فَأَصَابَنِي مِنْ كَثْرَةِ عَمَتِ
شَيْءٌ أَيَادِي كَلَامٍ عَظُمَتْ عِنْدِي تِلْكَ خَاطِرِي الْهَتِ
يَعْنِي لِسَانِي عَنْ إِذَاعَتِهَا وَيَضِيقُ عَنْ شُكْرِي لَهَا الْوَقْتِ
وَطَأَتْ لِي الدُّنْيَا فَلَا عِوَجَ فِيمَا أَرَى مِنْهَا وَلَا أَمْتِ
أَمْكَنْتَنِي مِنْهَا فَمَا لِي دِي رَدِّهِ وَلَا لِقَائِي عَتِ
بَانَتْ فِي بَرِّي وَلَا نَسَبُ أَذِلِّي إِلَيْكَ بِهِ وَلَا حَسَبُ
لَكِنْ حَسْبِي إِنْ مَتَّ بِهِ يَوْمًا إِلَيْكَ وَدَادِي الْبَحْتِ
بُورَكَتَ مِنْ دَجَلِ بَرُؤَيْتِهِ يُوسَى الضَّنَا وَيُعَالِحُ الْغَتِ
لَوْ سَارَ فِي بَهْمَاءَ مُقْفَرَةٍ فِي حَيْثُ لَا مَاءَ وَلَا نَبْتِ
لَنَفَجَّرَ الْمَاءَ النَّمِيرَ بِهَا وَلَا عَشَبَتِ أَرْجَاؤُهَا (٣) الْمَرْتِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يرجي) .

(٢) الدشت هنا بمعنى الصحراء .

(٣) مكانها بياض بالخطوط . والإضافة من (المتخبط النفيس) .

لا تَحْسَبَنَّ الْبَيْتَ نَيْلَ عَيْنِي
 آلتَ جَلَالَتِهِ وَحَقِّي لَهَا
 أَظْهَرْتَ دِينَ اللَّهِ فِي زَمَنِ
 شَيْدَتِهِ وَهَدَدْتَ مُتَمَعِضًا
 أَمَنْتَ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا
 وَحَفِظْتَهَا مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ
 وَنَهَجْتَ سَبِيلَ الْمَكْرُمَاتِ فَمَا
 لَمْ تُبْقِ غَفْلًا مِنْ مَتَالَعِهَا
 هَادِنَ طُفَاةَ الْكُفْرِ مَا هَدَاتِ
 دَعَا تَوَدَّعَ فِي مَعَاقِلِهَا
 كَمْ ذُذِّتْهَا عَنَّا وَقَدْ هَبَّتْ
 بِوَقُوفِ طَرَفِكَ عِنْدَ شِدَّتِهِ
 وَيَشْكُرُ مَا أَظْهَرْتَ مِنْ كَرَمِ
 لَكَ مِنْ مِمَالِكِهَا وَإِنْ رَغِمَتْ
 وَلِكُلِّ أَصِيدٍ مِنْ بَطَارِقِهَا
 لَوْلَا لِبَاكِ الْبَيْضُ مَا أَرِقَّتْ
 عِنْدَهُ لِمَنْ يَنْتَابُهُ مَقَّةٌ
 وَلَوْ أَنَّ بَيْضَكَ لَمْ تَسْلُ لِمَا
 يَا ابْنَ الْحَكِيمِ أَمَنْتَ صَرَفَ رَدِّي
 وَيُبَيِّنُهُ أُنْسْتُ مِنْ أُمْلَى
 نَيْلُ الرِّضَا مِنْهُ هُوَ الْبَيْتُ
 أَنْ لَا يَحِيطُ بِكُنْهَيْهَا نَعْتُ
 مَا زَالَ يَغْلِبُ حَقُّهُ الْبَهْتُ
 لِضِيَاعِهِ مَا شَيْدَ الْجَبْتُ
 ذَنْبٌ يُخَافُ بِهَا وَلَا لَصْتُ
 تُخْشَى فَأَنْتَ حَفِظُهَا الثَّبْتُ
 لِمَوْلٍ عَنْ غَايَةِ أَلْتُ
 إِلَّا وَفِيهِ لَخَائِرٌ بُرْتُ
 حَتَّى يَجِيءَ نَهَارُهَا أَلْتُ
 مَا لَمْ تَعُدْ جُفَاتِهَا الْعَفْتُ
 لِهَرِاشِنَا أَشْدَاقِهَا الْهَرْتُ
 يَبْأَى وَيَفْخَرُ مُلْكُهَا الرُّتُ
 فِي ذَاكَ تَفْصَحُ عُجْمُهَا الْمُرْتُ
 مَا جَالَ فِيهِ جَوَادِكُ الْخُتُ
 فِي كُلِّ أَرَى لَهُ دَعْتُ
 لِلْقَائِمِهَا أَفْرَاسُنَا الْكُمْتُ
 وَلِمَنْ يُنِيبُ لَغَيْرِهِ مَقْتُ (١)
 ذُلْتُ أَنْوَفُ طُغَاتِهَا السُّلْتُ
 أَبَدًا لَهُ فِي أَثَلَتِي نَحْتُ
 مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لَهُ عَرْتُ

(١) هذا البيت مدون بهامش المخطوط . وروى نص (المقت) .

مَشَنِي الوزارة .—وئلى وله
 وبأسه أُطِنِي شرارةً من
 عمِّ الورى جوداً وفضلَ غِنَى
 وهمى على عالٍ ومُنخَفَضِ
 ظل إذا نصْطافُ معنِـدِلُ
 ينضاعل الصبح المنير إذا
 حتى كأن شمس الضحى قرَّ
 وغريبةً في لطف صَنَعَتِها
 يَنفأى الندى بها إذا لَبِسَتْ
 زُنْجِيَّةً لكن لَحْتِـدِها
 مثلُ العروس على مَنَصَّتِها
 لأكون أنحلُّ ما أكون هُدَى
 وبمثل شَيْبى فوق حُلْكَتِها
 تُظهِرى بلباسِها وبه
 لازلتَ تُؤثرنى بها أيداً
 وبقيتَ تُدرك ما تُريد وما
 ما دمت أملك قدرتى أقتُ
 يَعْشُو وأقْدَحُ أنف من يَعتُ
 حتى تساوى العَدُو والغَلَتُ
 لم يبق فوقُ لا ولا تحتُ
 عَطِر الشَّـذا وحياً إذا نَشَتُ
 لاقى سَناء جبينك الصَّلَتُ
 وكأن ضوء شعاعها نُفَتُ
 يَمْضى الزمان وما لها أُخْتُ
 ويَتِيه إن طُوِيتَ بها التَّخْتُ
 فى الرُّوم يعنو القسُّ والشَّنْتُ^(١)
 من شأنها التَّزِين والزُّتُ
 فيها فيَعْبُلُ جَسَى الشَّنْتُ
 يُبْدُو الوقارُ ويَحْفَظُ السَّمْتُ
 عندى لها الإيثار ما عِشْتُ
 ولا تَفِر من يَشَقِ^(٢) بذا السَّلْتُ
 تَهوى بقاء ماله فتُ

ومن شعره أيضاً فى المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت فى ديوان مجموع
 من أمداحه منها قوله :

طرقتك وهنأ أخت آل علاج والرَّكْبُ بين دَ كادك وحِراج
 فى ليلة ليلاء لم ينبج بها كلبٌ ولم يصرخ أذين دجاج

(١) يرمز بها هنا إلى القداسة — مثل شنت ياقب ، وشنت مريه . وبالإسبانية Santo

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (يشجى) .

أُنِّيْ اهْتَدَتْ لِمُضْلِيْنَ تَوَهَّنُوا
 مُتَسَرِّبِيْ بُرْدَ الظَّلَامِ كَأَنَّهُمْ
 وَثِقُوا بِمَحْمُودِ الشَّرَى وَتَسَلَّوْا
 وَمَنَازِلُ دُرُسُ الرُّسُومِ بِلَاقِعُ
 تَحْتَ مُعَالِمِيْنَ غَيْرِ مَنَلَمِ
 وَمَوَائِلُ مِثْلُ الْحَمَامِ جَوَانِمِ
 وَمُشَجَّجُ مَازَالِ مَنَهْلِ الْحَيَا
 حَتَّى أَعَادَ لِعُودِهِ أَوْرَاقَهُ
 وَكَسَا عِرَاقَهُ عِرَاصَهُ مِنْ وَشِيهِ
 لَا مِثْلَ لَيَالِ [مَصْنُوعِيْنَ سَرِيعَةً] (١)
 أَدْرَكْتَ مِنْهَا فِي صَبَإِ مَطَالِبِيْ
 كَمْ لَيْلَةً مَرَّتْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا
 بَقْنَا نُدِيرُ إِلَى انْبِلَاجِ صَبَاحِهَا
 وَتُدِيرُ أَعْيُنُنَا حَدِيثَ غَرَامِنَا
 بِمَآرِجِ (٢) النَّفَّاحَاتِ مِنْ دَارِيْنِ أَوْ
 وَخُلُوصِ وَدِّ فِي نَقَاءِ سِرْبَةٍ
 أَحْمَضْتَهُ حَظِيٍّ مِنْ الزَّمَنِ الَّذِي
 وَاخْتَرْتُ قُرْبَ جَوَارِهِ غُلُوصَهُ
 مَا فِي زَمَانِكَ غَيْرُهُ فَاخْلُصْ لَهُ

مِنْهَا لَهْتُكَ دِيَاجِرِ وَدَيَاجِ
 فِيهِ قِدَاحٌ فِي رِمَايَةِ سَاجِ
 لِمَخَارِمَ مَجْهُولَةٍ وَفَجَاجِ
 أُخْوِيْنَ (٣) مِنْ هَيْجٍ وَمِنْ هَيْجِاجِ
 كِسْوَارِ تَاجِ أَوْ كَدَمَلِجِ عَاجِ
 وَرُقٍ وَأُسْمِجِ دَائِمِ التَّشْجَاجِ
 يَبْكِي صَدَاهُ بِدَمْعِهِ الشَّجَّاجِ
 خُضَرَ الظَّلَالِ ذَكِيَّةِ الْآرَاجِ
 حُلَلَا ثُبُورِ صَنَعَةِ الدِّيَاجِ
 بَرَدَتْ حَرَارَةُ قَلْبِي الْمَهْتَاجِ
 وَقَضَيْتُ مِنْهَا فِي شَبَابِي حَاجِ
 غَيْرِي وَغَيْرِ مَنَادِي وَسَرَاجِ
 كَأَسِ الْهَوَى صِرْفًا بَغَيْرِ مِزَاجِ
 بِمَرَاوِزٍ مِنْ فِضَّهَا (٤) وَأَحَاجِ
 بِمَدَارِجِ النَّسَمَاتِ مِنْ دَرَّاجِ
 كَسِيلَافِ رَاحٍ فِي صَفَاءِ رُجَاجِ
 أَعْيِ مَرَاسِي أَهْلِهِ وَعَسَلَاجِ
 وَتَرَكْتُ كُلَّ مُمَازِقِ مَرَّاجِ
 غَيْبًا وَدَاهِنًا مِنْ أَرْدَتِ وَدَاجِ

(١) وردت في الإسكوريال (أقوين) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنمب سويقة) . والتصويب من (المنتخب) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص (نضة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بمؤرج) .

لا تَحْمِلْنِ بِغَيْرِهِ وَاسْتَغْفِرِينَ
 أَتْرُكُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْرِضُ عَنْهُمْ
 نَزَّهْتُ نَفْسِي عَنْهُمْ بَنُوَالِهِ
 أَصْبَحْتُ مِنْ آلَايِهِ وَوَلَايِهِ
 وَلَوْ أَنِّي عَجْتُ الرِّكْبَ مُيَمَّمًا
 طَلَقْتُ إِذَا احْتَمَلَ الزَّمَانُ أَنَارَ فِي
 طُودِ الرِّصَانَةِ وَالرِّزَانَةِ وَالْحِجَابِ
 وَغَمَامِهِ الْهَامِي عَلَى آمَالِهِ
 وَهَزَبُ أَجَامِ الْقَى الضَّارِي إِذَا
 ضَمَنَّ الْإِلَهِ لَهُ عَلَى أَعْدَايِهِ
 أَبْقَى أَبُو عَبْدِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ
 وَبَنِي أَبُو إِسْحَاقَ قَبْلَ وَصْنُوهُ
 وَجَرَى عَلَى آثَارِهِ^(١) أَسْلَافُ لَهُمْ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَعَزُّ مُبَارَكٌ
 بَيْتُ بَنُوهِ مِنْ سِرَاوَةِ رَحْمِيرٍ
 كَمْ كَانَ فِي الْمَاضِينَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ
 أَسَاسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَرُؤُوسُ
 أَعْيَتْ نَجْمُ اللَّيْلِ مِنْ سَهَرٍ وَمَا

بوقاره عن كل غمر ماج
 فمسالك^(١) تُطعم لذة الإلاح
 وحفظتها من جاهه بسياج
 في عزة ضحيا وعز داج
 أحدا سواه ما تحدث معاج
 ظلما كالسكوب الوهاج
 بحر الندى المتلاطم الأمواج
 من غير إرعاد ولا إرعاج
 سقطت عواتمها^(٢) على الأزجاج
 ما شاء من ظفر ومن إفلاج
 ما شاد والده أبو الحجاج
 ركننا الضعيف ومعدنا^(٣) المحتاج
 درجوا وكلهم على منهاج
 مصباح ليل أو صباح عجاج
 في الذروة العليا من صنهاج
 من رب إكليل وصاحب تاج
 كل سياسة وليوث كل هياج
 أعياء أبو موسى من الإدلاج

(١) وردت في الإسكوريال (باسا) .

(٢) وردت في الإسكوريال (عواملها) . والتصويب من المنتخب .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي نص (دولا) .

(٤) وردت في الإسكوريال (أسال) .

حتى أصارته لرحمة ربه يوم العقاب وقيعة الأعلاج
 وأقيم نَجْلُ أخيه بعد مقامه فيهم يطاعن مثله ويواج
 فردا يَلْفُ كُتَابِيًّا بكتايب ويكبُّ أفواجا على أفواج
 حتى تجلَّى دجنُ كل عِجاجةٍ عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
 مَنْ مِثْلُ يوسف في قراع^(١) كُتَابِ ولقاء أعداء وخوض لجاج
 أو مَنْ يشقُّ من الأنام غُبَارَه في ردِّ آراء وتقض حُجَّاج
 إن خاض يوماً في بيان حقيقة [أنهى عن]^(٢) الثَّورَى والحلَّاج^(٣)
 وإذا تكلم في الغريب وضبطه لم يعبأ بالعُتْبَى والزَّجَّاج
 أنست قصايد جرول^(٤) أشعاره وأراجز العجلى^(٥) والمعجَّاج
 جمع الفصاحة والصبَّاحة والتقا والجود في وَجْدٍ وفي إحراج
 تحشاه أسدُ الغاب في أجماتها والرُّوم في الأسوار والأبراج
 إننا بنى قحطان لم نُخلِّق لـ ير غِيَاثٍ ملهوفٍ ومنعة لاج
 نُبرى طَلا الأعراب في الميِّجاء وفي اللاؤاء سوف نمارى الأعراج
 بسيوفنا البيض اليمانيَّة التي طُبعت لحرِّ غَلاصِمٍ ووداج
 تأتي لنا الإحجام عن أعدائنا يوم اللِّقاء طهارة الأمشاج
 أنصارُ [خير العالمين]^(٥) وحزبه وحماته في الجحفل الرُّجراج
 وفُداته بنفوسهم ونفيسهم من غَدَرٍ مُغتالٍ وسُبةٍ هاج
 هم صَفْوَةُ الخلق التي اختيرت له وسواهم هَمَجٌ من الأنهاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (نزال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي نص (أربى على) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (الحجاج) . والأول أرجح .

(٤) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : جرول هو الخطيئة . والعجل هو أبو النجم .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (دين الهاشمي) .

إِلَّا الْأَلَى سَبَقُوا بِيَاهِرِ فَضْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ
وَكُنِيَ بِحِكْمَتِنَا إِقَامَةُ حُجَّةٍ وَبِرُّ كُنِينِنَا مِنْ كَعْبَةِ الْحَجَّاجِ
وَلَنَا مَفَاخِرُ فِي الْقَدِيمِ شَهِيرَةٌ كَالْصَبِيحِ فِي وَضَحٍ وَفِي إِبْلَاجِ
مِنَّا التَّبَاعَةُ الَّذِينَ يَسَابِهِمْ كَانَتْ تُنْيِخُ جُبَاةُ كُلِّ خِرَاجِ
وَلَأَمْرُهُمْ كَانَتْ تُدِينُ مَمَالِكُ الدُّنْيَا بِلَا قَهْرٍ وَلَا إِحْرَاجِ
مَنْ يَقْتَدِحُ زَنْدًا فَإِنْ زِنَادَهُمْ فِي الْجُودِ وَارِدَةٌ بِلَا إِخْرَاجِ
أَبْوَابُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لَضِيُوفِهِمْ أَبَدًا بِلَا قُفْلٍ وَلَا مِزْلَاجِ
وَمَا اشْتَهَرَ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَرْقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثَالٍ كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ لَيْلِي دُبَالٍ
أَثَارُ شَوْقًا فِي ضَمِيرِ الْحَشَى^(١) وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنِ خَدْيِ أَسَالٍ
حَكِي فَوَادِي قَلْقًا وَاشْتِعَالٍ وَجَفَنَ عَيْنِي أَرْقًا وَانْهَمَالٍ
[جَوَانِحُ تَلْفَحُ نِيرَانَهَا وَأَدْمَعُ تَنْهَلُ مِثْلَ الْعَزَالِ]^(٢)
قُولُوا وَشَاةَ الْحُبِّ مَا شَتَمَ مَا لَذَّةَ الْحُبِّ سَوَى أَنْ يُقَالَ
عُذْرًا لِلْوَامِي وَلَا عِنْدِي فِزْلَةَ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالَ
قَمِ لَطَرْدِ الْهَمِّ بِمَشْمُولَةٍ تَقْصُرُ اللَّيْلُ إِذَا اللَّيْلُ طَالَ
وَعَاطِهَا صَفْرَاءُ ذَمِّيَّةٍ تَمْنَعُهَا الذِّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَالَ
كَالْمِسْكِ رِيحًا وَاللَّامِ مَطْعَمًا وَالتَّبَرُّ لَوْنًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالٍ
عَتَقَهَا فِي الدَّنِّ خَمَارُهَا وَالْبِسْكَرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
لَا تُثْقِبُ الْمَصْبَاحَ لَا وَاسِقِنِي عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وَضُوءِ الْهَلَالِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحشا) .

(٢) هذا البيت وارد في النسخ . وساقط في الإسكوريال .

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمٍ مِسْطَارِهَا بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِ
 فِي رَوْضَةٍ بَاكِرٍ وَنُجُيْهَا ^(١) أَخْلَجَ دَارِينَ وَأَنْسَى أَوَالِ
 كَأَنَّ فَاكِهَ الْمِسْكَ مَغْبُوقَةٌ ^(٢) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شَمَالِ
 مِنْ كُلِّ ^(٣) سَاجِي الطَّرْفِ الْحَاطِظِ مُفَوَّاتٍ أَبَدًا لِلنُّضَالِ
 مَنْ عَاذَرَى وَالْكَوْثَى لِي عَاذِلِ ^(٤) مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
 مِنْ خُلِّيِ الْوَعْدِ كَذَّابِهِ لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيْ أَمْرِي يَبْقَى عَلَى حَالٍ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَّا تَرَانِي آخِزًا نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي ^(٥) مِنْ مَحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا كَمَثَلِ مَا عَابَتْهُ قَبْلِي رِجَالِ
 يَأْتِي ثَرَاءُ الْمَالِ عَلَيَّ وَهَلِ يَجْتَمِعُ الضُّدَّانِ عِلْمٌ وَمَالِ
 وَتَأْنِفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْلَا بَنُو زِيَّانَ مَا لَذَلِي الْعَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَّفُوا عَلَى بَنِي الدَّهْرِ ^(٦) خُطَاهُ الثَّقَالِ
 وَرِثْتُ ^(٧) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا غَمْرَ رِثَاءِ الْحَمْدِ غَمْرَ ^(٨) النَّوَالِ
 وَكِبَةُ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةٌ يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ ^(٩)

(١) وردت في الإسكوريال (وسميته) ، والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (مفتوتة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (كف) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عاذر) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سوفي) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الدنيا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لقيت) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جر) .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بال) .

خُذْهَا أَبَازِيَّانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَمَلِحِ النَّزْعَةِ عَذْبِ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَافَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظُمُ الْأَلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
بُحَارِيًّا مَهْيَارَ فِي قَوْلِهِ مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ^(١)

ومما قال أيضاً ، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره . وهذا الرجل مُقَرَّبُ
النزعة ، في شغوف نظمه على نثره :

عَجِبًا لَهَا أَيْذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا مِنْ لَيْسَ يَطْمَعُ^(٢) أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّةٍ سَاعَةٍ مِنْهَا وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَاهِهَا
كَمْ [ذَا وَعَنْ]^(٣) عَيْنِي الْكَرَى مُتَأَنِّفٌ^(٤) يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفَى مَطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدُّجَا مُتَضَايِلًا كِتَضَائِلُ الْحُسْنَاءِ فِي أَسْمَائِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْنَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا فَتَصِيْبُنِي أُلْحَاطُهَا بِذَبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِهِ فَكَأَنَّهَا زُفْتُ عَلَى ذِكَاةٍ وَقْتُ زَوَالِهَا
أُسْرَى فِعْطَرُهَا^(٥) وَعُطْلُ شُجْبِهَا يَأْبَى شَذَا الْمِعْطَارِ مِنْ مِعْطَالِهَا
وَسَوَادُ طُرَّتِهِ كَجَنَحِ ظَلَامِهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هَلَالِهَا
دَعَى أَثْمًا بِالْوَمِّ أَدْنَى لِحَةِ^(٦) مِنْ ثَغْرِهَا وَأَثْمٌ مِسْكَةٌ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرْفِي فِي حَدِيقَةِ خُدَّهَا إِلَّا لَفِتْنَتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا

(١) وقصيدة مهيار مطلعها : مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ أَشْدَ لَيْلٍ بَيْنَ طُولِ اللَّيَالِ
(النفح ج ٣ ص ١٨٧) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (يأمل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كم زاد عن) والتصويب من النفح .

(٤) وردت في الإسكوريال (متألق) . والتصويب من النفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (نعلها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (لمعة) .

أنسبُ شعري رَقٍّ مثل نسيما فشمول راحك مثل ربح شماها
 وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها وأذكر ثقات رجالها
 وإذا مروت برامة فتوقَّ من أطلابها وتمشَّ في أطالها
 وانصب لمغز لها حباله قانص ودع الكرى شرَّ كالأصيد غزالها
 وأمل جداولها بفيض دموعها وانضح جوانحها بفضل سيجالها
 أنا من بَقِيَّة معشر عرَّكتهم هذى النوى عرَّك الرِّحى بشقالها
 أكرم بها فئة أريق نجيحها بنياً فراق العين حسنُ جمالها^(١)
 حلَّت مُدامة وصلها وحلَّت لهم فإن انتشوا فبُحلوها وحلالها
 بلغت بهر مرسَ غاية مانالها أحدت وناء بها لبعده منالها
 وعدت على سُقراط صورة^(٢) كأسها فهريق ما في الدن من جريالها
 وسرت إلى فلواب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلها
 ليصوغ من ألحانه في حانها ما سوغ القسيس من أرمالها
 وتعلقت^(٣) في سهر ورد فاشهرت عينا يؤرقها طروق خيالها
 فخبأ شهاب الدين لما أشرقت وخبأ^(٤) فلم يثبت لنور جلالها
 ما جنَّ مثل جنونه أحد ولا سمحت يد بيضا بمثل نوالها
 وبدت على الشوذي منها نفحة^(٥) ملاح منها غير لمعة آلها
 بطلت حقيقته وحالت حاله فيما يُعبَّر عن حقيقته حالها
 هذى صبايتهم ترقَّ صباية فيروق شاربها صفاء زلالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مالها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سورة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وتغلغلنت) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وخوى) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نشوة) .

أعلم أبا الفضل بن يحيى أنى
 فإذا رأيت مؤلماً مثلى فخذ
 لا تعجبين لما ترى من شأنها
 فصلاحها بفسادها ونعيمها
 ومن العجايب أن أقيم ببلدة
 شغلوا بذنبيهم أما شغلهم
 حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
 وإن انتسبت فإننى من دوحية
 من حير^(٣) من ذى وعين من ذرى
 وإذا رجعت لطينتى معنى فما
 لله دورك أى نجل كريم
 ولأنت لاعدى منك والد فخرها
 أغلظ على من عاث من أنذالها^(٦)
 والبس بها^(٨) أوليتها من نعمة
 خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
 ماجال فى مضملها شعر ولا
 من بعدها أجرى على آسائها
 فى عذله إن كنت من عذالها
 فى حيلها إن كان أو ترحلها
 بعنايتها ورشادها بضلالها
 يوماً وأسلم من أذى جهالها
 عنى فكم ضيقت من أشغالها
 شمس الهدى عشوا^(١) بضوء ذبالها
 تنقيل الأقيال برد^(٢) ظلالها
 حجب من العظماء من أقيالها
 سلسلهم بأرق من صلصالها
 ولدتها فاس^(٤) منك بعد حبالها^(٥)
 وسماك مؤدديها وبدوكلها
 واخشع لمن تلقاه من أبدالها^(٧)
 حلل الثناء وجبر من أذيالها
 جاءتك لم ينسج على منوالها
 سمحت^(٩) قريحة شاعر بمثالها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى أزهار الرياض (عشوا) .

(٢) فى الإسكوريال (أرد) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (فلس) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أبدالها) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (أبدالها) . التصويب من الزيتونة .

(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لما) .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (سمحت) .

وانلُ أبا البركات من برّكاتها وادفع بحال شكوكه بحملها
 هذه أمتع الله ببقاياك، وأسعد ببقاياك: وأراها بما تؤمله من شريف اعتنايك،
 وترجوه من جميل احتفايك، ما تعرف به من احتذايك، وتعترف له ببركة
 اعتفايك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء، بنت الأذواء والأقيال،
 ومقصورة الأسيرة والحجال؛ بل أسيره الأساوير والأحجال. على أنها حليفة
 آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صباة أغراب من صياة أعراب،
 جاورت سيف بن ذي يزن في رأس عُمدان، وجاوزت مسلمة بن مخلد يوم
 جابية الجولان، وذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت لركة حده جسوم
 بنى عبد المدان، وقربه وماشيم من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان،
 قربت بيني جفنة مزار جلتي، وسعرت لبني تميم نار محاق، ومرت على معتاد
 غالب، فما أنست ناره، وطافت ببيت عبد الله بن دارم، فلم ترض جواره،
 ولو حلت بقناية، واستحلت ما أحل لها من مبدول حياثه، لاغتفر لها ما جنته
 بيطن أواره، وكللت لها حبوتا مجاشع وزرارة، مزقت على مزيقيا جلالاً، وأذهبت
 يوم حليلة مثلاً، وأركبت عنراً شر يومها يجبدع^(١) بجلاً، وناطت بأذن
 مارية^(٢) قرطها، وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول فحوهل
 فوقفت، وأنفها يوم داوة جلجل فأنفت منه وما ألقت، عقر ناقته وانتهمس
 عبيطها، ودخل خدر عنيزة وأمال غبيطها. أغرت أبا قابوس بزياد، واسرّجت
 للزبيدي فرس أبي داود^(٣)، ونافرت بجاتم طي كعب إياد، وساورت للمساور

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (يحدج).

(٢) وردت في الإسكوريال (ريه) والتصويب من (المتخبط).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (أدواد).

بمثل جُوده السَّير . ولئن بليت الجعفري لبيدا ، فلقد استعبدت الأسدى عبيداً ،
وقطعت به في أثر سُلَيْمَاءِ الأُسْدية^(١) بيدا ، أرتة المنية على حربة هندها المَلحُوب ،
وما حال [قريضه]^(٢) دون جريضه ، وأقفر من أهله مَلحُوب : وما زالت تحبُط
في شعاب الأنساب ، فترشِد ، وتُنشِد ضالتها اليمانية ، فننشِد :

إن كنت من سيف بن ذي يزن فانزل بسيف البحر من عدَن
وذِر الشَّام وما بناه به السَّرومى من قصر ومن قدَن^(٣)

تعلف سُيْلُ العِرم ، وترد غسان ، وتمهد لها أهضام تباله ، فتقول مرعى ولا كالسَّمدان ،
تساجل عن سَمِيحة بابن خُرام ، وتناضل بسير يوم خزام ، وتُنشِى قاتل ستة آلاف ،
وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف ، فلو ساجلت بنبيها أبا كَرْب ، وأرتة ضراعة
خدها التُّرب ، لسا جلت به أخضر الجلدة في بيت العرب ، ماجداً يمالا الدُّلو إلى عقْد
السَّكْر ، بل لو حطت بفناء بيتها الحجري رَحْلها^(٤) ، وساجلت بفناء جدِّها ذى
زُعين ، لاستوفت سجلها . كم عاذت بسيفها التيزنى ، فأدركت ذحلها ، ولاذت
برُكنها اليمنى فأجزل محلها . ولو استسقت بأوديتها ، لأذهبت محلها . كاخفت عن
دينها الخنيفة ، فما كُهم حُسامها ، ونافحت عن نبيها الأمى ، فأيدت بروح القدس
سبامها . سَدَّتْ باب الدرب دون بنى الأصفر ، وشَدَّتْ لموته ثوب موتٍ أحمر ،
وما شغلها كسرُ تاج كِسرى عن قرع هامة قيصر . ولقد حلت من سنام نسبها
اليعرى باسمك ذُروة ، وتعلقت من ذمام نبيها العربى بأوثق عُرْوَة . تفرَّد صاحب
تيام بأُبلقه الفرد فعزٌّ ، وتمرد ربُّ دُوْمة الجندل لما كان من مارد فى حرز ، فما

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الأمهرية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المنتخب .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى رواية (مدن) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رجلها) .

ظنك ، أعزك الله ، بمن حل من قُدس عقله ، بمَعْقِل قُدس ، يُطار إليه فلا يُطار ،
وراد من فردوس أدبه ، في جنة لا يُضام رايدُها ولا يُضار . رَها بمجاورة الملُك
فازدهى رؤساء الممالك ، وشُعِف بمجاورة الملُك ، فاشتغل عن مطالعة المسالك ، أَيْشَقُ
غُباره ، وعلى جبين المرزم مِثاره ، أو يُنْتَهَك ذماره ، وقاب الأسد بيته ، ودار
أخيه أسامة زاره . ولما قُضت من أنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف
منازعها الأدبية أطوارها ، وعطرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها ، وأطلعت
في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عطفت على معقلتها الشاذلية
فحلت عقالها ، وأمرها فراق الوطن . فلما استمر [لها] ^(١) حلالها ، استودعت بطنان
تباله آله ، وتركت أهضامها المُخصِبة وحلالها . أطلت على دارات العرب فحيت
أطالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية ، أذواء خير وأقياها . أطمعتها بلعينة ألميتها
الأعجمية ، ومثلها يُطمع ، وجاء بها من قُدماء الحُكماء كل أوحدى الأحودية ،
فباتت تخب إليه وتوضع ، باحثة عن مركز داورهم ^(٢) الفيناغورية ؛ آخذة
في إصلاح هيتهم الإنكساغورية ^(٣) ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا
علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم
السكندانية ، من ماثور تأثير لا هوتية قواهم السماوية ، راغبة فيما يُناض على
على مادتها الجثمانية ، ويطرأ على عاقليةستها الهويلانية ، من علويات آثار مواهبها
الربانية ، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة ، موافقة لما وافق من شوارد آراهم
المؤفقة أحسن موافقة . وتحت هذه الأستار مُحذرات أسرار أضرب بها الإسرار ،
وطالما نكر معارفها الإنكار ، وثقلت من صدور أولئك الصدور ، إلى بطون

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي نص (دائرنهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي نص (الإنكسارية) .

هذه الأوراق ، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق . وفي تلك
 المغاني ، أبكار معاني ، سكن الجوانح والصدور ، بدل الآرايك والحدود ، ولكن
 في دياجى ظلم هذه الأحاجى ، كأقمار في أطمار ، بهرن وما ظهرن ، وسطعن
 وما لمعن ، فعشقين وما رمقن ، واستملحن وما لمحن . أدرن خور أجفانن على
 ماخوريات ألحانن ، فهيجت البلبل نعم هذه البلبل ، واستقرغته الأكياس ،
 مثرعات تلك الأكواس . ماسخر بابل ، كخمر بابل ، ولا [منتقى] ^(١) أغانيهن
 الأوایل ، كحمايكم الروادل ، إن وصلت هديلها بخفيف ، وصلن ثقیلن بخفيف .
 إيه أيها الشمرى المشعل ، دعنا من حديثك المضمل ، سيربنا أيها الفارس الندس ،
 من حظيرة النفس ، إلى حضرة القدس ، صرح بإطلاق الجمال ، وجل من
 عالميتك الملكوتية في أفسح مجال ، تمش بين مقاصر قصورها ، ومعاصر
 خورها ، رخي البال ، رخي السربال ، فما يفسج لك على منوال ، نادم عليها من
 شغف دن مقراط ، إن استحسننت لها حسان ، فما يصلح لك ، صالح بن علاط .
 بت صريع تحيها ، فقد أوصت بمعالجة عقير معاقره عقارها بقراط ، لا تحش
 صاحب شرطها ، فلا شرط له عليك ولا اشتراط ، مالك غير مبديك الأول ،
 من قال امتثل الأمر ، وما عليك من أمر وال . على رساك ما هذا العجل ،
 لا خطأ تنوقه ولا خطل ، أمكره أنت في هذه الكريهة ، أم بطل . لو علم أنك
 ضباوية هذا الخميس ، وخبيثة ^(٢) ذلك الخميس ، لما عانى اليمسيس ، شوقاً إليك
 محمد بن خميس ، على أن لا غالب اليوم لا في غالب ، ولا طالب يدرك شأوهذا
 الصالب ، فقه بلا تفهيق ، وحذق في تحذلق . أقسم أبا الفضل بمالك على أبي
 البركات [من الفضل] ، ذلك العراقى الأرومة ، لا هذا الفارسى الجرثومة ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مقلات) والأول أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنعشته) .

وإن يك ذلك ، إسرائيلى الأصل ، وهذا إسماعيلى الجنس ، عاوى الفضل . فلتلك الذات ، شرف تلك الأدوات . قدّم لى غالبنا المذكور ، من بأسه الفرّ لأرفع ، وأنسى من مقعد ، رقوطينهم المشهور ، من إغرناطة الخبراء ، ومن متبواً أبى أميتهم المرحوم ، من جنّات جزيرتهم الخضراء ، فيما لنت أبا الفضل من هذه الربيحة^(١) ، وألوك^(٢) . أوأيت فى عمرك ، مثل هذا الصعلوك ، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بئى غبرا . فأى شيء هذا المترع إيش ، لآحال لنا معك ولا عيش ، من يضحك على هذا العايش . ما هذا الخبل ، أخار بك أم ثمل ، إرجع إلى ما كنت بصددّه ، وقيت الزلل ، خذ فى الجدّ فما يليق بك الهزل . رق عن ذلك فحك لنا منه أرقّ غزل ، ماذا أقول ، وأى عقل يطاوعنى على هذا المعقول . أفحمتنى والله عن مكالتكم هذه المحن ، ومنعتنى من طلب مسالتكم ، مالكم علىّ فى دنياكم هذه من الإحن . إن تكلمت كُلمت ، وإذا استعجبت عُجِبت . أما لهذه العلة آس ، أم على هذه الفيلة مواس ، ما حيلتى فى طبع بلدكم الجاسى . إما يلين لضعفى [أما يرق] ^(٣) قلب زمانكم القاسى . ما هذه الدّمن يا بنى حضراوات الدمن ، اظهرتم المّحن ، فقلب لكم ظهر المّجن . إن مرّ بكم الوليّ حمقتموه ، وإن زجركم العالم فجّرتم عليه ففسقتموه ، وإذا نجم فيكم الحكيم ، غصصتم به ، فكفّرتموه وزلّدتّموه ، كونوا فوضى ، فما لكم اليوم [مسراً سيواه] ^(٤) واذهبوا من مراعيكم المستوبلة ، حيث شتم ، فقد أهملكم الرعاة . ضيعتم النص

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (العجرتة) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (والدك) .

(٣) وردت فى الإسكوريال ، (أما يلين) مرة أخرى . والتعديل من كتاب (المنتخب

النفيس) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (سراه) والتصويب من «الزيتونة» .

والشرائع ، وأظهرتم في يدعسكم العجايب والبدايع . نفقتُم التفاق ، وأتمتم سوق
الفسوق على ساق . استضعفتم الكبار ، وأبجثتم الصغار . أين غنيثكم الشاكر ،
يتفقد فقيركم الصابر ، أين عالمكم الماهر ، يرشد متعلمكم الحابر . مات العلم
بوت العلماء ، وحكم الجبل بقطع دابر الحكماء . جرّد لنا شريعتك يا أفضل
الشّاوعين . أرتّم فيها موعظتك يا أفصح النّابعين . لا والله [ما يوقظكم]^(١)
من هذا الوسن ، وعظ الحسن ، ولا يفقدكم من فتن هذا الزمن ، إلا سيف معلّمه
أبي الحسن والسلام .

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعماية . وتوفى في يوم مقتل صاحبه الوزير
أبي عبد الله بن الحسّيم ، فرّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام ، بعد أن
نهبت ثيابه ، حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول ، هكذا تقوم
الساعة بفتنة . ولقيه بعض قرابة السلطان ، ممن كان الوزير قد وتره ، فشرع الرّشح
إليه ، فتوسل إليه برسول الله ، فلم يقبل منه ، وطعنه ، فقتله يوم عيد الفطر عام
ثمانية وسبعماية ، وآخر العهد به ، مطّرحاً بالعراء ، خارج باب الفخّارين ، لا يعلم
قبره^(٢) ، لمكان الهرج في تلك الأيام . نسل الله جميل ستره . وساء بأثر قتله إياه
حال [ذلك الرجل]^(٣) وفسد فكره ، وشرّد نومه ، وأصابته علة رديّة ، فكان
يئيب المرة بعد الأخرى ، يقول ابن خيس يقتلني ، حتى مات لأيام من مقتل
المذكور^(٤) .

(١) هذه الزيادة من الزيتونة ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مكانه) . والتعويّب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قائله) .

(٤) نود أن نشير هنا إلى أننا قد انتقمنا بمراجعة شعر ابن خيس ونثره ، على ما ورد منهما في

كتاب (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خيس - تلمسان سنة ١٩٦٥) لصديقنا العلامة الأستاذ
عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكني
يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان فاضلاً ، متعلّقاً ، أديباً ، شاعراً ، صوفياً ، جميل المشرة ، حسن الخلق
كريم العهد ، طيب النفس . كتب عن الأمراء بإفريقية ، ونال حظوة ، ثم شَرَّقَ
وحجَّ ، ولقي جلّة ، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعماية ، فلقى بغرناطة حفايةً ،
والسَّحَّبت بها عليه جراية ، ثم انصرف إلى وطنه ، وناله به اعتقال ، ثم تخلص
من النسكة ، وأقام به ، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » : كاتبُ الخلافة ، ومُشعشع الأدب
المزوى بالسلافة ، كان يرحمه الله ، بهل مجال ، وربّ روية وارتمجال ، قدم على هذه
البلاد ، وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عَطَنُهُ ، فتلوّم بها تلوم النسيم
بين الحمائل ، وحلّ بها محلّ الطيف من الوشاح الجليل ، ولبث مدة إقامته تحت
جراية واسمة ، ومبرة يانعة . ثم آثر قطره ، فوَلَّى وجهه شطره ، واستقبله دهره
بالإنابة ، وقلده خُطّة السكّابة ، واستقامت حاله ، وحطّت رحاله ، وله شعر
أنيق ، وتصوّفٌ وتحقيق ، ورحلته إلى الحجاز ، صَبَّها في الخبر وثيق ، ونسبها
في الصالحات ^(١) عريق .

شعره

نقلت من خطّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزاتين ، مما قيّد عنه ، وكان
خبيراً بحاله :

(١) وردت في الإسكوريال (الصاحم) . والتصويب من النسخ .

رضي نلت من كل ما بهوى فلا توقفتى موقف الذل والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذى يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى وأحلى من السلى
قنى أنشكى لوعة البين ساعة^(١) ولايك هذا آخر العهد بالنجوى
قنى [ساعة فى] ^(٢) عرصة الدار وانظرى إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكم فما حن مسراها إلى ولا ألوى
فياربج حتى أنت من يغاربى ويأنجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
خلقت لى قلب جليد على النوى ولا كن على فقد الأحبة لا يقوى

وحدث بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي ليلة بيباب
الملعب فى أبوابها ظميمة من ظبيات الأوس ، [ورفتنة من رقتن] ^(٣) هذا الجنس ،
فخطب وصلها ، وأتى بقواده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت أنعطاف
الغصن المتباد ، فأبقى على نفسه ، وأمسك ، وأنف من خلع العذار ،
بعد ما تمسك ، وقال :

لم أنس وقفتنا بيباب الملعب بين الرجا واليأس من مُتَجَنَّب
وعدت فكنت مراقباً لحديثها يا ذل وقفة خائف مُترقب
وتذللْتُ فذللت بعد تعزُّزٍ يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها ماشيت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نُفْرةً وتجنباً فتكاد تحسبها مهابة الربرب
ورنت بلحظ فارت لك فائن أنضى وأمضى من حُسام المضرب

(١) وردت فى الإسكوريال (ياغاورا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ساعديتى) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى النسخ (قينة من قينات) .

وأرتك^(١) بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها
بمنظم في عقد سخطى جوهـر
وتمايلت كالغصن أخضله الندى
تننيه أرياح^(٢) الصبابة والصبا
أبت الروادف أن تميل بميله
مستوجاً بهلال وجه لاح في
يامن رأى فيها محباً مفرماً
ما زال مذولاً يحاول حيلة
فأجال ناراً الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الأرواح قبل جسومها
ومن مقطوعاته البديعة ، مما جمع منه بغرناطة ، حرسها الله ، أيام مقامه
بها قوله :

أرى لك يا قلبي قلبي محبةً بعثت بها سرى إليك وسولا
فقايله بالبشر وأقبل عشيةً فقد هبّ مشكياً^(٣) للنسيم غليلا
ولا تمننوا بالقطر أو بلل الندى فأحسن ما يأتي النسيم بليلا
ونقلت من خط الفقيه القاضي أبي جعفر الرضيني ، مما أملاه على بهزله بغرناطة .
قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعماية ، يوم إحرام الكعبة العلية ، وذلك

(١) وردت في الإسكوريال (وأناك) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لمعان) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرواح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسلك) .

في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك ، وصِفَتْهُ أَنْ يَتَزَيَّنَ سِدَّةُ الْبَيْتِ مِنْ شَيْبَةٍ
بِأَحْسَنِ زِيٍّ ، وَيَعْمِدُوا إِلَى كُرْسِيٍّ ، يَصِلُ فِيهِ صَاعِدُهُ ، إِلَى ثَلَاثِ الْكُسُوفِ ،
وَيَقْطَعُهَا مِنْ هُنَاكَ ، وَيَبْقَى الثَّلَاثَانِ إِلَى الْمَوْسَمِ ، وَهُوَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ عِنْدَ سُكَّانِ الْحَرَمِ ،
يَحْتَمِلُ لَهُ ، وَيَقُومُ الْمُنْشِدُونَ أَدْوَاجَ الْكَعْبَةِ يَنْشُدُونَ . فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَهَا قَدْ شَمُرَتْ تَطْلُبُ الْجَدًّا	وَتَخْبِرُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ بَلَغَ الْحَدًّا
فَجَدْتُ كَمَا جُدْتَ إِلَيْهَا وَشَمُرْتُ عَنْ السَّاعِدِ الْأَقْوَى	تَنْلُ عَنْدَهَا سَعْدًا
طَوَّتْ بُرْدَهَا عَلَى السُّجْلِ كُنَايَةً	لَأَمْرٍ خَفِيَ سِرُّهُ طَوَّتْ الْبُرْدَا
وَأُنْدَتْ مَحْيَاهَا فُخْيَا جَمَالَهُ	وَقَبَّلَ عَلَى صَوْنِ الْمُقَلَّةِ ذَلِكَ الْخَدًّا
فَسَكَمَ سَتَرَتْ سَوْدُ الْبُرُودِ جَمَالَهَا	وِغْطَتْهُ لَا كُنْ عَنْ سَنَاهَا الرَّمْدَا
وَكَمْ خَالَ ذَاكَ الْخَالَ عَمَّا مُقَصِّرٌ	عَنِ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ لَا يَعْرِفُ الْخَدًّا
لَقَدْ سَفَرْتُ عَنْ وَجْهِهَا الْكَعْبَةُ الَّتِي	لَهَا الْمَسْفِيُّ فِي حُسْنِهَا الْمُبْدَا
وَقَالَتْ أَلَا أَيْنَ مُسْكَلِيٍّ ، قَصِدُوا إِلَى جَمَالِي فَقَدْ أَبْدَى الْحِجَابُ الَّذِي أَبْدَا	
فَلَبَّيْتُ لَهَا الْعِشَاقَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	يَوْمُومُنَهَا يَسْتَقْرِيبُونَ لَهَا التَّجْعَدَا
فَمَنْ نَدَفٍ أَشْفَى عَلَى تَلْفٍ وَمَنْ	مُحِبٌّ عَلَى قَرَبٍ يَهِيمُ بِهَا وَجَدَا
وَمَنْ سَاهَرَ عَلَى النُّجُومِ وَلَمْ يَذُقْ	بَعِيْنِيهِ طَعْمَ النُّوْرِ أَوْ يَبْلُغَ الْقَصْدَا
يَسْأَلُ عَنْ بَدْرِ وَبَدْرٌ تَجَاهَهُ	كَذَلِكَ اشْتَرَاكَ اللَّفْظُ قَدْ يَنْغُصُ الْخَدَا
وَمَنْ مُسْتَهَامٌ لَا يَقْرَأُ قِرَاءَهُ	كَأَنَّ بِهِ مِنْ حَرٍّ أَشْوَاقَهُ وَقَدَا
يَقْلُبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْهِ مَوْرِيَا	أَوَارِ الْأَسَى فِيهِ فَتَحْسِبُهُ زَنْدَا
إِذَا مَا حَادَى الرَّكَّابَ وَكَابَهُ	كَأَنَّ قُلُوبَ الرَّاكِبِينَ لَهُ تَجْمُدَا
أَحَادِثُهَا إِنْ أَنْتَ جُنْتُ بِهَا مِنِّي	وَنَلْتُ الْمُتَى وَالْأَمْنَ فَانْزِلْ وَرُدُّوْرْدَا
وَلَا خَوْفَ هَذَا الْخَلِيفِ وَالْثَرِبَةِ الَّتِي	سَرَتْ قَدْ عَيْنَ الْمُصْطَفَى عَدَا
وَفِي عُرْفَاتٍ فَاعْتَرَفَ وَانْصَرَفَ إِلَى	مَشَاعِرٍ فِيهَا يَرْحَمُ الْمَالِكُ الْمُبْدَا

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
لين صدقت فيك الوعيد جرايم
فغفوا لجميل الصبح يصدقك الوعدا
وعُد مفضياً للبيت طُف واستلم وقم
بها للمقام الرحب واسجد وكن عبدا
ورُد في الثنا والحمد والشكر واجتهد
فمن عرف الإحسان زادته حمدا
وعُجْ نحو فرض الحب وأقض حقوقه
وزوق قبر من أولئك من هديهِ رَشداً

قال ، وكنت في زمن الحداثة ، أفضل الأصيل على السَّحَر ، وأقول فيه ورقة
المودع ورقة المعتذر . فلما كان أوان الأسفار ، واتصلت ليالى السير ، إلى أوْقت
الأسفار ، وأيت أفق الشرق أشرق ، ووجدت القاييل بفضل السَّحَر أصدق ،
فابتدأت راكباً ، فلما جيت لذكر الجناح العليّ النبوي ، أتممت ماشياً ، وأنا
في رملة بين مصر وعقبة إيله ، وقلت :

ما أحسن الأفق الشرق إسفارا
إذا بدا سارت الأظمان هاديةً
يجلو غياهب ليل طالما سدلت
ونمّ منه نسيم ثم ذا بعد على
سرت سحيرا فبرّت سرّذي سحر
سرت بيانات أكناف اللوى
طابت بعليّة أرواح معطرة
كأنما فلقّ الإصباح حين بدا
حتى بدت وتبدت حسن صورتها
كأنه دعوة المختار حين بدت
من نوره كل نور أنت تبصره
فكم هدا في دُجى الإدلاج أسفارا
له وصارت به الظلماء أنوارا
على المحبين في الظلماء أسنارا
أحاديث كانت ثمّ أسراراً
أهدت له ريح من بهواه معطارا
فقدت كأنّ دارين قد أصبحت دارا
بها فأصبح أفق الشوق عطّارا
خدر بهجة حسن الشمس قد وارا
فعمّته الأرض أنجداً وأغوارا
دانت لها الخلق إعلاناً وإصراراً
وتوره زاد الأبصار إبصاراً

هدا به الله أقواماً به سعاداء
 هو الشفيع الذي قالت شفاعته
 هو العفو عن الجاني وإن عظمت
 هو الكريم الذي مارد سائله
 هو الحبيب الذي ألقى محبته
 أحبه كل مخلوق وهام به
 والنشق بدر الدجا من نور غرته
 لولاه كانوا مع الكفر كفاراً
 للمؤمنين ألا لا تدخلوا النار
 من المسيء ذنوب كان غفارا
 يوما ولو كرر التسأل تكرارا
 في كل قلب فقلبي نحوه طارا
 حتى الجمادات أحجاراً وأشجارا
 وانهلت السحب من كفيه أنهارا
 ومن مقطوعاته ، قال ، ومما نظمته في ليل الشرى ، وتخيّل طيف الكرى ،
 أ قصيد قصده أي معنى أردته ، أشغل عنه ما بي منه :

منع الهجر من سليبي هجوعا
 بعثته ليلا يعلل قلبا
 لم يجد غير طرف جفن قريح
 فأنثى طبعها يزيد الرجوعا
 مستهما بها محباً ولوعا
 شاخصا يحوها يذره الدموعا
 وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بجاية ، وهو معتقل بقصبتها ،
 وقد امتحنه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس :

شرح حالي لمن يريد سؤالي
 مطلق الحمد والثناء عليه
 لا أرى للولاة في احتكاما
 أرتجى بالمصائب تكفير ذنبي
 لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها
 فافتنم ساعة الوصال وكم
 فإذا غبت عنك فاحضر
 إنني في اعتقال مولى الموال
 وهو للعطف والجميل موال
 وولي مال على كل وال
 حسبما جاء في الصّحاح العوال
 وكنا الشر ذا وذا للزوال
 من محنة وهي منحة من نوال
 تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهي نورٌ للنهار والنور منها وهي الاس في الليالي الطوال
 فاستدبرتها تدُّم ولا تضحج منها وأدبرها على اليمين ووال
 فإنَّ الكأس مجراها على اليمين ، ومسراها لفي الصبح المبين ، تغنى عن
 الإصباح والمصباح ، وتدنى لهم معنى النور المشرق في الوجوه الصُّباح ، وتجرى
 في الأشباح ، فتسرى في الأرواح . وهذه الرسالة طويلة ، فيها كل بديع من
 نظم ونثر .

فأجابه رحمه الله :

أرغمنَّ هذه القيود الثقال	ربُّ وُدِّ مصيره للتغال
طال صبرى على الجديدين حتى	كدت مما لقيت أن يُشقتال
إن بعض الرضا لديه فسيح	أى مدد به وأى ابتقال
حاش لله أن أكون لثىء	شاده الصانع القديم بنال
إن عندي من الثناء عليه	لأمانى لم يملنَّ القال
يا إمامي الذى بودى لو	أمكن لى إليه أوار قال
أرجُ دنياك وارج مولاك واعلم	أن راجى سواه غير مُقال
وابتغاء الثواب من ربك اعمل	فهو يجزى الأعمال بالمتقال
واغتم غيبة الرقيب ففيها	لقلوب الرجال أى صقال
وأحل في الوجود فكر غنى	عن ضروب الإنعام والأحقال
وإذا الوقت ضاق وسعته	بالصبر ولا تنس من شهير المقال
وبما تسكره النفوس من الأمر	له فرحة كحل العقبال

لا غرو أن وقع توان ، أو تلوم دهر ذو ألوان ، فالأمر بين السكاف والتون ،
 ومن صبره لم ينوء بصقعة المغبون - وللسعداء تخصيص - ومع التقريب تمحيص ،

وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير معنوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادى أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامى العلية نظره، ناطقاً بلسان التفويض، سارحاً من الرضا في القضاء العريض، لا يندأ بالانقياد والتسليم، قائماً على أسكفة باب الأدب، لمنابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقايح عافاكم الله وعظا ونحن هُجود. وفي الحى إيقاظ، وما كل المعاني تؤذيها الألفاظ. وهذا الفنا الذى نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هى إلا فتون، وجنون فنون، وحديث كاه مجنون. وقد يجمع الله الشتيين، ولن يغلب عسرٌ يسرين ولا باس، وياخطب لا مساس، وأبعد الله اليأس، وإنما يوفى الأجر الصابرون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهى طويله بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها، وارتسم فى جملة الكتاب بها، وحدث عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخيزرى عن أبى الطاهر السلفى، وعن جماعة غيرهم. وكان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقى من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، وأحلّ بسبته، فأكرم وبيسها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، وأنزله بدار جليلة، كان بها علو مطلق على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لا، راقضى ذلك، فكتب إليه:

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله فى مقرب أو مشرق

منها :

وخففت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرفٍ مُطرق
وتجول في البلاد ، ولقي من بها ، واتصل بالأمير أبي علي بسجله ماسة . ومدحه
بقصيدة حفظ له منها :

فيا يوسف الحسن والصفح والرضا تصدق على الدنيا بسلطانك العدل
ثم اتصل بوطنه .

وفاته

نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور : وفي عام أربعين وسبعمائة ، توفي
بتوس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف ، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي
المليكني الشهير بابن عمر ، صدوق في الطلبة والكتاب ، شهير ذو تواضع
 وإيثار ، وقبول حسن ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني

من أهل تونس يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل الفاضل ، صاحب رُواء وأبهة ، نظيف البزّة ، غارهُ المُرْكَب ،
صدوق عن الملة ، مقيم للرسم ، مطنف في مكيال الإطراء ، جوح في إيجاب الحقوق ،
متراحم إلى أقصى إمامة التوغل ، سخي اللسان بالثناء برئائه ، فكه مطبوع ، حسن الخلق ،

عذب الفسكاهة ، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأنزة ، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالآبيات ، ويتقدّم في باب التحسين والتّقييح ، ويقوم على تاريخ بلده ، ويثابر على إلقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولى الرواية . قدّم على الأندلس في إحدى جمادين ، عام خمسين وسبعماية ، مُفْلَناً من الوقعة بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية ، بأيدي بني زيّان وأحلافهم^(١) ، فمهد له سُلْطَانُهَا ، رحمه الله ، كَنَفَ بَرّه ، وأواه إلى سعة رَعِيه ، وتأكّدت بيني وبينه صحبة .

شعره

كتبتُ إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أحنو حنو أبيات ، ذكر أن شيخنا
أبا محمد الحضرمي خاطبه بها :

أمن جانب الغربي نفحة بارخ	سرت منه أرواح الجوى في الجوانح ^(٢)
قدحت بها زند الغرام وإنما	تجافيت في دين الشلو لقادح
وما هي إلا نسمة حاجرية	رعى الشوق منها كل قلب بقادح
وجعنا لها من غير شك ^(٣) كأنها	شمائل أخلاق الشريف ابن راجح

(١) الوقعة التي يشير إليها ابن الخطيب ، وقعت بين السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب وبني زيّان ، على أثر عودته من حملته إلى تونس بعد فقدها ، وبعد غرق أسطوله في مياهها ، مرتدّاً بفلول قواته عبر الجزائر في طريقه إلى المغرب الأقصى . وكان بنو زيّان ملوك تلمسان السابقين ، قد استطاعوا استردادها ، وقت سير السلطان أبي الحسن إلى تونس . فحاول السلطان أبو الحسن عند عودته مهاجمتها لاستعادتها ، فتصدى له بنو زيّان في قواتهم بقيادة أبي ثابت بن زيّان ، أخى سلطان تلمسان عثمان ابن عبد الرحمن ، فهزم السلطان أبو الحسن ، ونهب معسكره ، وقتل ولده الناصر . وارتد في فلوله ميمساً صوب المغرب من طريق الجنوب ، وكان ذلك في أواخر سنة ٧٥٠ هـ . ويلوح لنا أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر السنة التي قدم فيها المترجم إلى الأندلس وأنها سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (الجوارح) .

(٣) هكذا وردت في النفح . وفي الإسكوريال (مكر) والأولى أراجح .

فَتَى هَاشِمٌ سَبَقًا إِلَى كُلِّ عِلْيَةٍ
أَصِيلُ الْعَلَّاجِ السِّيَادَةُ ذَكَرَهُ
وَفُرْقَانٌ مَجْدٍ يَصْدَعُ الشَّكَّ نَوْرُهُ
وَفَارِسُ مِيدَانِ الْبَيَانِ إِذَا انْتَضَى
رَقِيقٌ كَمَا رَاقَتْكَ نَفْعَةٌ سَاجِعُ
إِذَا مَا احْتَبَى مُسْتَحْفَزًا فِي بِلَاغَةٍ
وَقَدْ شُرِعَتْ فِي تَجْمَعِ الْخَفْلِ نَحْوَهُ
فَمَا ضَعُضَتْ مِنْهُ لَصُولَةُ صَادِحِ
تَذَكَّرْتُ قُسًا قَائِمًا فِي عُكَاظِهِ
لِيَهْنِكَ شَمْسُ الدِّينِ مَا حَزَّتْ مِنْ
رَعَى اللَّهِ رَكْبًا أَطْلَعَ الصَّبِيحَ مُسْفَرًا

ومنها :

أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حَطَّ كَوْرُهَا
ذَرُوهَا وَأَرْضُ اللَّهِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا
إِذَا مَا أَرَدْنَا الْقَوْلَ فِيهَا فَمَنْ لَنَا
بَقِيَتْ مِنِّي نَفْسٌ وَتُحْفَةٌ رَايِدُ
وَلَا زِلْتَ تَلْقَى الرَّحْبَ وَالْبَرْحَيْنَا
فَأَجَابَنِي بِمَا نَصَحَ :

أَمِنْ مَطْلَعِ أَنْوَارِ الْحَيَّةِ لِأَمَحِ
وَهْلٍ بِالْمُنَى مِنْ مَوْرِدِ الْوَصْلِ يَرْتَوِي
[تُعَادُ لِمَفْقُودٍ]^(١) هُنَّ الْحَيُّ نَازِحُ
غَلِيلُ غَلِيلٍ لِلتَّوَاصِلِ جَانِحُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مفار الفتل) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ كالآتي (تعاد لمفود) .

فَيَا فَيْضَ عَيْنِ الدَّمْعِ مَالِكُ وَالْحَمَى
 مَرَّاجِ آرَامِي وَمُـوَرْدُ نَاقَتِي
 سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْحَمَى وَدَقَا فَإِنَّهُ
 وَأَبْدَى لَنَا حُورُ الْخِيَامِ تُزَفُّ فِي
 تَرَى حَى تِلْكَ الْحُورُ لِلْحُورِ مَهْبِيعِ
 وَيَا دَوْحَةَ الرُّؤْيُحَانِ هَلْ لِي عَوْدَةٌ
 وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا طَلَّةٌ^(١) حَاتِمِيَّةٌ
 أَقَامَ بِهَا الْفَخْرُ ابْنَ الْخَطِيبِ مَنَابِرًا
 وَشَفَعَ بِالْإِنْجِيلِ مُحَمَّدٌ مَدِيحَهُ
 وَفَرَّقَ بِالْفُرْقَانِ كُلَّ فَرِيقَةٍ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا لِلْبَرِيَّةِ مُرْشِدٌ
 [فَبَشِّرَاكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٢) سَادِيكَ الْوَرَى وَأَوْرَى الْهُدَى لِلرُّشْدِ أَوْضِحْ وَأُضْحِ
 مَتَى قُلْتَ لَمْ تَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلِ
 فَمَنْ حَامَ بِالْحَمَى الَّذِي أَنْتِ أَهْلُهُ^(٣)
 يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ الْحَمْدَ بَالِغُنَا
 وَيَا فَوْزَ مَلِكٍ دُمْتَ صَدْرَ صَدُورِهِ
 بِأَوَايِكَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْهُدَى
 وَرُنْدَ الْحَمَى وَالشَّيْخَ شَيْخَ الْمَشَايِخِ^(٤)
 فَسَقِيَا لَهَا سُقِيًا لِنَاقَةِ صَالِحِ
 حَمَى كَلْحَاتِ الْعَيْنِ عَنْ لَمَحِ سَاخِ^(٥)
 حَلَى الْجَسَنِ وَالْحُسْنَى وَحَلَى الْمَلَاخِ
 يَدُلُّ وَهَلْ حَسَمٌ لِدَاءِ التَّبَارِحِ
 لَعَمْرُ عُقَارِ الْأُنْسِ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ
 تَعَصُّ نَوَادِيهَا بَغَادٍ وَدَايِجِ
 لِنَرْتِيلَ آيَاتِ اللَّيْلِ وَالْمَنَاجِ
 وَأَوْتَرِ بَالْتُّورَادَةِ^(٦) شَفَعَ الْمَدَايِجِ
 نَأَتْ عَنْ رَشَادٍ فِيهِ مَعْنَى النَّصَايِجِ
 لِكُلِّ هَدَى هَادٍ لِأَرْجَحِ رَاجِحِ
 [فَبَشِّرَاكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٧) سَادِيكَ الْوَرَى وَأَوْرَى الْهُدَى لِلرُّشْدِ أَوْضِحْ وَأُضْحِ
 فَإِنْ لَمْ تَقُلْ لَمْ يُغْنِ حَمْدُ^(٨) لِمَادِحِ
 وَعَامَ بِيحْرِ مِنْ عَطَايِكَ طَافِحِ
 وَيَغْدُو بِذَاكَ الْبَحْرِ أَسْبَحَ سَابِحِ
 وَبُشْرَى لَهُ قَدْ وَاحٍ أَوْجِحِ رَاجِحِ
 وَتُبْدَى لِمَنْ خَصَّصَتْ سَبِيلَ الْمَنَاجِحِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفح (الأشايخ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح (لامح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (حلة) .

(٤) وردت في الإسكوريال (التورية) . والتصويب من النفح .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح (فبشرى لسان الدين) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (مدح) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (رد) .

مَلَكَتْ خِصَالَ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَمَلَكَتْ مَنْ مَلَكَتْ يَا ابْنَ الْجَحَاحِ
 مَضَامِجُ آمَالٍ لَا تُشْرِفُ هِمَّةٌ أَقْلُ مَرَامِيهَا أَجَلُ الْمَطَامِحِ
 فَدُونَكُمَا يَا مُهْدِي الْمَدْحِ مَدْحَةٌ أَجَبْتُ^(١) بِهَا عَنْ مَدْحِ أَشْرَفِ مَادِحِ
 يُهْنِيكَ بِالْعَامِ الَّذِي عَمَّ تَحْمَدُهُ مَوَاهِبُ هَاتِيكَ الْبَحَارِ الطَّوَافِحِ
 فَخَذَهَا مَيِّمِي الْفَخْرَ يَا خَيْرَ مُسْبِلٍ عَلَى الْخَلْقِ أَغْضَا سَتُورَ التَّسَامُحِ
 وَدَمَ خَاطِبُ الْعَالِيَا لَهَا خَيْرَ خَاطِبٍ وَأَتَوَقَّ تَوَاقٍ وَأَطْمَحُ طَامَحِ
 وَتَلْقَانِي بِمَالِقَةٍ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الرُّسَالَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مُحْرَمٍ عَامِ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ
 وَسَبْعِمِائَةٍ، وَنَظَّمْتُ لِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :

قُدُومُكَ ذَا أَبْدَى لَدَى الرَّايَةِ الْحَمْرَا
 وَأَيْنَعُ فِجْرُ الرُّشْدِ مِنْ فَلَقِ الْهُدَى
 سَرَيْنَا لَهُ كِي يُحْمَدُ السَّيْرُ وَالشَّرَى
 وَنَصْبَحُ فِي أَحْيَانِ الْمُنِّ نَسْتَلِمُ
 وَنُخَاطِبُ مَا يَا ابْنَ الْخَطِيبِ تَشَا
 فَقَابِلَتْ بِالْإِقْبَالِ وَالْبَرِّ وَالرُّضَا
 فَأَبْنَا قُدُسَ الْحَمْدِ حَضْرَةَ قُدُسْنَا
 هَنِيئًا لَنَا نَلْنَا وَنَلْنَا وَلَمْ نَزَلْ
 وَأَيْنَا وَزِيرَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكِ وَاللَّوَى
 سَجَدْنَا وَكَبَّرْنَا وَقَلْنَا رَسُولُنَا
 وَيَهْنِي الْوَدَى هَذَا الْإِيَابُ فَإِنَّ فِي
 أَرَانَا مَنَا ذَا الْيَوْمِ أَجَلُ مُنْظَرِ
 أَمَا وَالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ غَدَّتْ
 تُغَوِّرُ الرُّضَا تَعْبُرُ عَنْ شَذْبِ الْبُشْرَا
 وَكَوْنُهُ نَهْـمٌ — رَا وَتَجَرُّهُ تَجَرُّا
 وَتَرْقُبُ شَمْسَ الدِّينِ مِنْ فِرْعَانَ الْفَجْرَا
 مَوَاطِنُكُمْ شَفَعًا وَأَنَارَكُمْ وَتَرَا
 مِنْ كَرَامِمْ ذَاكَ الْحَى إِذْ هَزُّ الشُّعْرَا
 وَأَقْرَبَتْ مَنْ يَقْرَأُ وَأَقْرَدَتْ مَنْ قَرَا
 وَأَقْدَامُنَا تَهْلَا وَأَمْدَا حُكْمُ تَقْرَا
 نَنَالُ وَلَا كُنْ هَذِهِ الْمُنَّةُ الشُّكْرَا
 وَحَزْبُ اللَّوَى كُلُّ يَشْدُ بِهِ أَزْرَا
 آتَى بِالَّذِي يُرْضَى بِشَرَى لَنَا بُشْرَا
 نَتَائِجُهُ لِلدَّهْرِ مَا يُشْهِرُ الدَّهْرَا
 وَجَلَّى لَنَا مِنْ وَجْهِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرَا
 تَعَلَّمْنَا لِلنُّعْمِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَا

(١) وردت في الإسكوريال، (أصبحت) . والتصويب من النسخ .

لَأَنْتَ لِسَانُ الدِّينِ لِلدِّينِ حُجَّةٌ تَوْبِدُهُ سِرًّا وَتَعْضُدُهُ جَهْرًا
بَقِيتَ لَنَا كَيْفًا مَنِيعًا مَشْرِفًا وَدَمْتَ لَهُ عَضْدًا وَدُمْتَ لَهُ نَصْرًا
وَدُمْنَا بِكُمْ فِي كُلِّ أَمِينٍ وَمِنَّةٍ نُدِيرُ الْمُنَافِرَ أَوْ نُصَلِّي الْعِدَا جَهْرًا
وَمَنْ أَمِثَلَ مَا مَدَحَ بِهِ السُّلْطَانُ لِأَوَّلِ قُدُومِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ :
أَمَّا وَالْعُيُونُ النَّجَلُ تَرْمَقُ عَنْ سِحْرِ وَوَرْدُ بَاضِ الْخَلْدِ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ
وَرَبْحَانُهُ وَالرَّاحُ وَالطَّلُّ وَالطَّلَا وَنَرْجِسُهُ وَالزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنَّهْرُ
وَنُورُ جَبِينِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَا وَهَالَةُ بَدْرِ التَّمِّ مُنْتَصِفِ الشَّهْرِ
لَقَدْ قَلَّدْتَ آرَاءَ يُوسُفَ مُلْكِهِ قَلَايِدَ نَصْرِ بْنِ تَبِيدَ مَعَ الدَّهْرِ
وَقَدْ أَيْدَى الْإِسْلَامَ مِنْهُ بِنَاصِرٍ نَصِيرٍ وَخَيْرُ النَّصْرِ نَصْرُ بَنِي نَصْرِ
هَمُّ الْقَوْمِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَحِزْبُهُ زَبِيهِ وَعَصْبَةُ الْأَعْلَامِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
وَحُسْبُكَ مِنْ قَوْمِ حَوَاسِيٍّ الْوَدَى وَقَامُوا بِنَصْرِ الْحَقِّ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
سَقَى شَرْعَةَ الْإِسْلَامِ وَذُقُّ سَيُوفِهِمْ رَحِيقُ الْأُمَانِ طِيبُ الْعَرَفِ وَالنَّشْرِ
فَأَصْبَحَ رَوْضُ الرُّشْدِ يَبْقَى طَيْبُهُ وَدَوَّحُ الْهَدْيِ بِالزَّهْرِ أَزْهَارُهُ تُزْرَى
فِي سَائِلِي عَنْهُ وَعَنْ سَطَوَاتِهِ إِذَا لَاحَ مَحْفُوقًا بِرَايَاتِهِ الْخُمْرُ
وَجُزْءُ مَعَ الْأَقْدَامِ جَيْشًا عَرْمَرَمَا وَشَرَّدَ بِالتَّأْيِيدِ شِرْدَمَةَ الْكُفْرِ
لِخَلِيلَةٍ تَنْبِيكَ عَمَّا وَرَاءَهَا وَلَا غَرَوْ فَالْإِفْصَاحُ يَعْرِفُ بِالْعَجْزِ
فِي مَفُوزٍ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْغَنَمِ وَالْغِنَا وَيَا وَبِيلَ مَنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْعَقْرِ
هَيْئًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزَتْ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
لَقَدْ أَصْعَدَتْ مَجْدِي مَدَامُحُكَ الَّتِي وَبِعَبْدِكَ وَالْعَلَمِيَا مَدَحَتْ بِهَا شَعْرِي
وَحَقٌّ لِمَثَلِي يُشْفِعُ الْحَمْدُ بِالشُّنْثَا وَيَتَلَوُّ مَعَانِيَهُ مَعَ الشُّفْعِ وَالْوَثْرِ
وَأَخْنَى شِمَارِ الْأَنْسِ مِنْ رَوْحَةِ الْمُنَا وَأَقْطَفَ زَهْرَ الْهَيْرِ الْحَمْدُ مِنْ شَجَرِ الشُّكْرِ
وَأَشْرَبَ مَاءَ الْفُوزِ عَذْبًا خِتَامَهُ رَحِيقُ بَرَاكِ السَّمْحِ فِي أَكُوسِ الْبَشْرِ

ولا برحت أمد أحكم تعجز النهى وإلا فكم تنجى من العسر اليسر
ولا زالت الأقدار تخدم رأيكم وراياتكم ما دام نجم السرا يسر
وكتب إلى في غرض يظهر منه نص المراجعة ، وحسبنا الله :
أما والذي لي في حلاك من الحمد ومالك ملاكى على من الرfid
لقد أشعرتنى النفس أنك معرض عن المسرف اللالى لفظرك يستجد
فإن زلة بدت لك جهرة فصفحا فما والله إذ كنت عن عمد
فراجعته بقولى :

أجلك عن عتب يغض من الود وأكرم وجه العذو منك عن الرد
ولا كنى أهدى إليك نصيحتى وإن كنت قد أهديتها لم تجد
إذا مقول الإنسان جاوز حده تحولت الأغراض منه إلى الضيد
فأصبح منه الجث هزلاً مذمماً وأصبح منه الهزل فى معرض الجث
فما استطعت فيضاً للعنان فإنه أحق السجايا بالملأ والمجد

توفى يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعمائة، وقد ناهز السبعين
سنة، ودفن بروضتنا بباب البيرة، وأعفى شارب الشعر من نابى مقصه. وغير
هذه الدعوى قراها تجاوز القضية.

محمد بن على بن عمر العبدري

من أهل تونس، شاطبى الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاق العافية، وتلى أبوه الحجابة بتونس عن

سلطانها برهة ، ثم عدا عليه الدهر ، واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالمشرق ،
فاتصل به سُكُنَاهُ وحجَّ ، وآب إلى هذه البلاد . ظريف التَّزَعَّة ، حُلُو الضَّرِيَّة ،
كثير الانطباع ، يكتبُ ويُسعر ، ويَكُلِّف بالأدب ، ثم انصرف إلى وطنه .
وخطبني إلى هذا العهد ، يُرَفِّقُ بتقلُّده خُطَّة العلامة ، والحمد لله .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : غنى نعمة هامية ، وقريع
رتبة سامية ، مُرِفَتْ إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق بإفريقية إلا من يخافه ويرجوه ،
وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من الثَّرف . ثم قَلَب الدهر له ظهر الجحش ،
واشتد به ^(١) الحمار عند فراغ الدُّن ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق ، بعد خطوط
سيرة : وشدة كبيرة ، فاهتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم يندفئ أوطانه ،
واكتسب الشمايل العَذَاب ، وكان كابن الجهم ، بُعث إلى الرُّصافة ، ليرقَّ فذاب ،
ثم حوِّم على وطنه تحويم الطائر ، وألمَّ بهذه المدينة ^(٢) الإمام الخيال الزاير ، فاغتتمتُ
صَفَّة وُدّه ، لحين وروده ، وخطبتُ مولاته على انقباضه وشروده ، فحصلتُ
منه على درة تَقْنَى ، وحديقة طيبة الجنى .

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببره :

اسكل أناس مذهبٌ وسجِّيَّةٌ	ومذهبٌ أولاد النظام المسكارم
إذا كنت فيهم ثاوياً كنت سيِّداً	وإن غبت عنهم لم تنلْك المظالم
أولئك صبحي لا عديمت حياتهم	ولا عدموا السَّعد الذي هو دايـم
أُغْنَى بذكراهم وطيب حديثهم	كما غرَّدت فوق الغُصون الحمام

(١) وردت في الإسكوريال (بهم) . والتصويب من النسخ

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البلاد)

ومن شعره يتشوق إلى تلك الديار ، ويتعلل بالتذكار ، قوله :

أَحْبَبْتَنِي ————— بمصر لو رأيتم
لكنتم تُشققون لفرط وجدي بكائي عند أطراف النهار
وما ألقاه من بُعد المزار^(١)

ومن شعره :

تَغَنَّى حمام الأيـك يوماً بذكرهم فأطرب حتى كدتُ من ذكرهم أفنا
فقلت حمام الأيـك لا تُبـك جيرة ناهوا وانتفضت وصلهم عنا
فقال ولم يُردِّد جواباً لسائل ألا ليتنا كنا جميعاً بهذا الحفنا
ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته ، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن
في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة :

تقر ملوك الأرض أنك مولاها وإن الدنيا وقف عليك قضاياها
ومنها :

طلعت بأفق الأرض شمساً منيرة أنار على كل البلاد محيياها
حكيت لنا للفاروق حتى كأننا بعين لا نسكذب رؤياها
وسرت على آثاره خير سيرة قطعنا بأن الله ربك يرضاه
إذا ذكرت سير الملوك بمحفل ونادى بها النادى وحسن دنياها
فجودك رؤواها وماسكك زانها وعدلك زاهها وذكرك حلأها
وأنت لها كهف حصين ومعتل تلوذ بها أولى الأمور وأخراها
ومنها بعد كثير :

ومنكم ذوو التيجان والمهم التي أناف على أعلى السماكين أذناها
إذا غاب منهم مالك قام مالك مجدّد البيت المقدس عليها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الديار)

بناها على التقوى وأسس بينها
وأورثها عثمان خير خليفة
وقام على بعده خير مالك
على بن عمر بن يعقوب ذو الملا
أدام الله وأعطي الخلافة وقتها
ونور أحلاك الخطوب وجلاها

ووصلني كتاب منه مؤرخ في التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام
أربعة وستين وسبعماية جدد عهدي من شعره بما نصه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
فيا أدمي مُثَلَّةٌ إثر بَيْنِهِم
فيا معهداً قد بِنْتُ عنه مكلفاً
سقتك غواذي المزن كَرَّ عَشِيَّةٍ
فإن تسكن الأيام لم تقض بيننا
يعزُّ علينا أن نفارق ربكم
ولو بلغتني العيرُ عنكم رسالة
لكمنا على ما تعلمون من الهوى

ففاضت لروحات الفراق عيون
كأن جفوني بالدموع عيون
بديلي منه أنَّةٌ وحنين
ودادك محلول النطاق هتُون
بوصل فأيتهضى فسوف يكون
وأنا على أيدي الخطوب نهون
وساعد دهرُ باللقاء ضنين
ولا كن لأحداث الزمان فنون

تم المجلد الثاني

من كتاب « الإحالة »

ملحق

في التعليق على ترجمة

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ، أبو بكر

(الواردة في صفحة ٤٩٤ - ٥٠٥)

نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ، ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشى في قوله : « كان أديباً ، بارعاً ، محسناً ، شاعراً ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل » . ثم علق على ذلك بقوله : « وهذه الطريقة بديعة ، يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً ، حججه الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العليم ، والمبتدى فيها والمتمم » .

وهذا كلام لا غبار عليه ، إذا ذكرنا أن اسم صاحب الترجمة ، هو بالفعل اسم ابن قزمان ، أمير الزجل الأندلسي المشهور ، وأن تاريخ وفاته الذي يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح . ولكن ابن الخطيب ، يورد لنا بعد ذلك في وصفه ، فقرة من كلام صاحب « القلائد » ، وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس ، وحظى لديه . وهنا يتغير الاتجاه ويبدأ الخطأ ، ويغدو ابن الخطيب ، فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره - وهو مالا يحتوى على أية مقطوعة من الزجل - وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بنى قزمان ، هو عم إمام الزجل ، واسمه الحقيقي هو أبو بكر ، محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القوطي . وقد أورد لنا ابن بشكوال في « الصلة » ترجمة المذكور في أسطر قلائل ، ووصفه بأنه كان « من أهل العلم والذكاء والفهم ، وكانت عنده دراية ورواية ولغة ، وأدب وافر » . ثم قال إنه توفي في سنة ٥١٨ هـ (كتاب الصلة - القاهرة - ج ١ ص ٥٤٠) .

وذكره الفتح في كتاب « القلائد » ، ووصفه بالوزير الكاتب ، وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس ، أمير بطليوس ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وحظى لديه .

وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمدين المتغلب على قرطبة، وخدمه، ثم لقي بعد ذلك على يده شر الموان والأذى، لخدمة كانت في طبعه . وهذه الفقرة الأخيرة ، لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمدين لم يحكم قرطبة إلا في سنة ٥٣٩ هـ ، على أثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس . وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر ، وهو أمير الزجل (قلائد العقيان - القاهرة - ص ١٨٧) .

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر (العم) ، وابن أخيه ابن قزمان الأصغر (أمير الزجل) ابن سعيد الأندلسي ، في كتابه « المغرب في حلى المغرب » ، فيمن ذكره من بيت بني قزمان . فترجم لنا أولاً لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي ، وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في « الذخيرة » من خدمته للمتوكل صاحب بطليوس ، ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في « القلائد » من ذكر اتصاله بابن حمدين (المغرب في حلى المغرب - القاهرة - ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠) .

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر (ج ١ ص ١٠٠) . ثم عاد لترجمه مرة أخرى (ج ١ ص ١٦٧ - ١٧١) . ووصفه في الترجمتين بأنه « إمام الزجالين بالأندلس » . وأورد له في الترجمة الثانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة .

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد ، وقد كتب كتابه « المغرب » حول منتصف القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٣ هـ ، وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك وابن الخطيب ، هي أقرب إلى التحقيق والثقة .

وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته ، في الفصل الذي عقده عن « الموشحات والأزجال بالأندلس » إلى ابن قزمان ، ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق، وذكر أنه كان لعهد الملتزمين ، أي المرابطين (المقدمة بولاق - ص ٥٢٤) . وهذا تأييد آخر لرواية ابن سعيد ، لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي ٤٨٤ و ٥٥٠ هـ ، وقد توفي ابن قزمان ، أمير الزجل حسبما تقدم في سنة ٥٥٥ هـ .

فهارس المجلد الثاني

من كتاب «الإحاطة»

صفحة

- ١ - فهرست التراجم ٥٨٤
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ٥٩٨
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

فهرست التراجع

صفحة

٣	مقدمة
	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن
١٣	نصر الخزر جي
١٨	الملوك على عهده
٢٣	الأحداث في أيامه
٢٦	الحادثة التي جرت عليه.....
٣١	ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور
٣٩	الملوك على عهده
٤٨	بعض مناقب الدولة لهذا العهد
٦٥	الأحداث
٧٨	الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة
٨٢	الغزاة إلى حصن أشر
٨٢	الغزاة المعملة إلى أطرية
٨٣	الغزاة إلى فتح جيان
٨٤	الغزاة إلى مدينة أبدة
٨٨	الحركة إلى الجزيرة الخضراء.....
	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزر جي
٩٢	الأنصارى
٩٧	الملوك على عهده
٩٨	لمع من أخباره

صفحة.

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن عبد الملك
 ١٠١ المعافري ، المنصور بن أبي عامر
 محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أسلم
 ١٠٨ ابن عمرو بن عطف بن نعيم
 محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مر دنيش الحذامى
 ١٢١ محمد بن يوسف بن هود الحذامى
 ١٢٨ محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن منخل الغافقى
 ١٣٣ محمد بن أحمد بن محمد الأشعرى
 ١٣٦ محمد بن فتح بن على الأنصارى
 ١٣٨ محمد بن أحمد بن على بن حسن بن على بن الزيات الكلاعى
 ١٣٨ محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج
 ١٣٩ محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النخري
 ١٤١ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر
 ابن سعد الخير بن عياش (ابن الحاج البليقى)
 ١٤٣ محمد بن عبد الله بن منظور القيسى
 ١٧٠ محمد بن على بن الخضر بن هارون الغسانى (ابن عسكر)
 ١٧٢ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن سعد الأشعرى المالى
 ١٧٦ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ... بن ناصر بن حميون بن
 القاسم بن الحسن بن على بن أبي طالب
 ١٨١ محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالى
 ١٨٧ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر
 ابن على القرشى المقرئ
 ١٩١ محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
 ٢٢٦ محمد بن عياض بن موسى بن عياض ... بن موسى بن عياض اليحصبي
 ٢٢٩ محمد بن أحمد بن جبير ... بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكنانى
 ٢٣٠

صفحة

- ٢٣٩ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ...
- ٢٥٠ محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٣ محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٣ محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٤ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- ٢٥٥ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
- محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن
- ٢٥٦ يوسف بن جزى الكابي
- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن
- ٢٦٦ الحكيم اللخمي (أبو القاسم)
- ٢٦٩ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ... بن محمد اللوشي اليحصبي ...
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
- (أبو بكر)
- ٢٧٢ محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٢٨١ محمد بن مالك المري الطغترى
- ٢٨٢ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي (العقرب)
- ٢٨٤ محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي
- ٢٨٦ محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٢٨٧ محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي
- ٢٨٨ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني
- البرجي الغرناطي
- ٢٩٣ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد
- الصرمحي (ابن زمرك)
- ٣٠٠
- مخطوط الإسكوريال المفتتح بالسفر السابع
- محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبائي
- ٣١٥

صفحة

٣١٥	محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
٣٣٠	محمد بن أحمد بن علي الهواري
٣٣٣	محمد بن أحمد بن الحيداد الوادي آشي
٣٣٧	محمد بن إبراهيم بن خيرة (ابن الموايعني)
٣٣٨	محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٣٤١	محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٣٤٣	محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (ابن مرج الكحل)
٣٤٨	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ابن الحنان)
٣٦٠	محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٣٦٤	محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي
٣٦٧	محمد بن محمد بن حزب الله
٣٧١	محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري
٣٧٩	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
٣٨١	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي
٣٨٢	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الباوي
٣٨٦	محمد بن محمد بن الشديد
٣٨٨	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الحصل الغافقي
٤١٨	محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي
٤٢٦	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي
٤٣٣	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي
٤٤٢	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
٤٤٣	محمد بن عبد الله بن فطيس
					محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد
٤٤٤	ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين)
٤٧٦	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

صفحة

٤٧٧	محمد بن عبد الرحمن المتأهل
٤٧٨	محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي
٤٨٢	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني
٤٨٨	محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحمداني
٤٩١	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري
٤٩٤	محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري
٥٠٥	محمد بن غالب الرصافي
٥١٥	محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي
٥١٦	محمد بن سليمان بن القصيرة
٥٢١	محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التيمي المازني
٥٢٣	محمد بن حسن العمراني الشراف
٥٢٥	محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ، ابن العشاب
٥٢٧	محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي
٥٢٨	محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري
٥٢٨	التلمساني
٥٦٣	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
٥٧١	محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني
٥٧٧	محمد بن علي بن عمر العبدري

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٤٨ رسالة في مناقب الحالم والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب ...
رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان
الغنى بالله ، بقلم ابن الخطيب ، وهى المعروفة « بحمل الجمهور على السن
المشهور »
٥٤ رسالة أخرى عن السلطان الغنى بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث
الثورة التي أطاحت بملك الغنى بالله ، وتمكنه بعد ذلك من استرداد
ملكه
٦٦ رسالة أخرى بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد لمناسبة محاولة استرداد
نجر الجزيرة الخضراء
٨٨ ما نقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير (محمد بن يوسف بن نصر)
نثراً ونظماً
١٠٠ رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة
١١٤ رسالة أبي البركات ابن الحاج إلى ابن الخطيب عن كتبه وأحواله
١٤٨ رسالته إلى ابن الخطيب عن تقلده رئاسة ديوان الإنشاء
١٦٨ رسالة من ابن الخطيب إلى قاضى الجماعة محمد الفشتالى
١٨٨ رسالة الفشتالى في الرد على ابن الخطيب
١٨٩ رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طلب الشفاعة في شأن قاضى
الجماعة أبي عبد الله المقرئ الكبير
١٩٧ قطعة في الحكم لابن جبير
٢٣٧ رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها
٢٤٦ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم
٢٧٥ رد ابن الحكيم على ابن الخطيب
٢٧٩

صفحة

- رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب ... ٣١٠
- رسالة أخرى منه إلى ابن الخطيب ٣١٣
- رسالة من محمد بن أحمد الإستنجي الحميري إلى أبي الوليد اسماعيل بن قنبري
- الإيادي يمنحه فيها إجازته العلمية ... ٣١٩
- رسالة ابن الحنان في الرد على أبي المطارف بن عميرة حين عتب عليه أن
- جعل الحاء المهملة قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالوائق بن هود ... ٣٥٣
- رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميري تتخللها بعض طووعات شعرية ... ٣٧٢
- رسالة طويلة لأبي عبد الله بن أبي الخصال موجهة إلى أبي بكر بن عبد العزيز
- والى بلنسية ... ٤٠٤
- نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالحراريات اللازمة لابن
- مهيّب اللخمي ... ٤٢٠
- رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافقي يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية
- النصرانية إلى صديقين من مرسية ... ٤٣٢
- رسالة لأبي عبد الله بن الحكم اللخمي عن لسان السلطان محمد بن محمد
- ابن الأحمر (الفقيه) عن منازل قيحاطة وفتحها سنة ٦٩٥ هـ ... ٤٦٦
- قطعة من رسالة أبي عبد الله بن عياش التجيبي البرشاني في وصف نزول
- الخليفة الناصر الموحدى على ثغر المهديّة واسترجاعه من أيدي الملتزمين ... ٤٨٦
- مقامة لابن قزمان الزهرى الكبير في استهلال رمضان ... ٤٩٨
- مقامة له في استهلال شوال ... ٥٠٠
- نص كتاب البيعة بولاية العهد الذى أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
- لولده على بن يوسف من إنشاء كاتبه أبي بكر بن القصيرة ... ٥١٨
- مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجري ملحقه بقصيدته «عجباً أيدوق
- طعم وصالحها» أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس
- يشف على نثره ... ٥٥٧

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة	صفحة
وشادن تيمنى حبه ... ٢٦٣	ابن ابى الخصال الغافقى (ابو عبد الله)
نهار وجهه وليل شعر ... ٢٦٤	هبت النسيم هبوب ذى إشفاق ... ٣٩٠
زارت ليلا وأطلعت فجرها ... ٢٦٤	وليلة عنبرية الأفق ... ٣٩١
أبح لى فى رياض المحاسن نظرة ... ٢٦٤	ياحبذا ليلة لنا سلفت ... ٣٩٢
وصديق شكى بما حملوه ... ٢٦٥	وافى وقد عظمت على ذنوبه ... ٣٩٢
تلك الذؤابة ذبت من شوقها ... ٢٦٥	ألم تعلموا والقلب رهن لديكم ... ٣٩٢
ابن الجنان (محمد بن محمد الأنصارى)	الله أعطاك فتحاً غير مشترك ... ٣٩٣
مضى رمضان وكأن بك قد مضى ... ٣٥٠	الدهر ليس على خر بمؤتمن ... ٣٩٤
تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا ... ٣٥١	بدت لهم بالغور والشمل جامع ... ٣٩٦
ابن الجباب (ابو الحسن على)	(قصيدة قرطبة الخراسية الكبرى)
لامرجياً بالناشر الفارك ... ١٨٣	عيشنا كله خداع ... ٤١٤
ياقادما عمت الدنيا بشائره ... ٤٥٣	أنى أهزك هز الصارم الخدم ... ٤٩٥
ابن الحاج البلغقى (ابو البركات)	ابن باق الأموى (محمد بن ابراهيم)
تأسفت لاكن حين عز. انتاسف ... ١٥١	أحرز الخصل من بنى سلمة ... ٣٣٩
يأبى شئون. جدبى الإنصاح ... ١٥٥	ابن جبير الكتانى (محمد بن أحمد)
خذها على رغم الفقيه سلافة ... ١٥٧	أقول وآنست بالليل نارا ... ٢٣٥
إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتى ... ١٥٨	هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... ٢٣٧
يلومونى بعد العذار على الهوى ... ١٥٨	إذا بلغ المرء أرض الحجاز ... ٢٣٧
ومصفرة الخدين مطوية الحشا ... ١٥٨	لا يستوى شرق البلاد وغربها ... ٢٣٧
لا تبذلن نصيحة إلا لمن ... ١٥٨	عليك بكمائن المصائب واصطبر ... ٢٣٧
ما رأيت الموم تدخل إلا ... ١٥٩	وصانع المعروف فلتة عاقل ... ٢٣٧
حزنت عليك العين يا مفعى الهوى ... ١٥٩	ابن جزى الكلبي (محمد بن محمد بن أحمد)
أبحث فيما أنا حصلته ... ١٥٩	منى يتلاقى شايق ومشوق ... ٢٥٨
تطالبنى نفسى بما ليس لى ... ١٥٩	ومورد الوجنات معسول اللبى ... ٢٥٩
ما رأيت النساء يصلحن إلا ... ١٦٠	ذهبت حشاشة قلبى المصدوع ... ٢٦٠
قد هجرت النساء دهرأ قلم ... ١٦٠	وقالوا عدالك البخت والحزم عندما ... ٢٦٢
رعى الله إخوان الخيانة إنهم ... ١٦٠	لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب ... ٢٦٣

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

قالوا أبو البركات جم ماؤه ... ١٦١
قد كنت مذكوراً يعلمي وما ... ١٦١
زعم الذين عقولهم قدرها ... ١٦١
من منصف من جارتى جارت على ... ١٦٢
رحلت وقطمير كلبي رفيق ... ١٦٢
لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها ... ١٦٤
زعموا أن في الجبال قوما ... ١٦٥
جزى الله بالخبر أعداءنا ... ١٦٥
جلسنا ليلة من كف دهر ... ١٦٧

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله)

رجاى في المولى العظيم عظيم ... ٤٤٣
يا حاسلا من علاه تاجا ... ٤٤٤

ابن الحداد الواشى آشى

شقيقك غيب في لحد ... ٣٣٤
حديثك ما أحلى فزيدى وحدثى ... ٣٣٥
لعلك بالوادي المقدس شاطىء ... ٣٣٥
مجملة السلوان مبعث حسنة ... ٣٣٦
أقبلن في الخبرات يقصرن الخطا ... ٣٣٧
يا وادى شرق البلاد وغربها ... ٣٣٧

ابن حزب الله (محمد بن محمد)

سراى يا قلبى المشوق وناظرى ... ٣٦٩
تألى برق الملا واستنارا ... ٣٧٠
حللت لبرق لاح من سرحتى نجد ... ٣٧٠

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو القاسم)

وهبت فهزت عندما رأت به ... ٢٦٧
شربنا وزنجى الدياجى موقد ... ٢٦٧
لاح في الدر العقيق فحيا ... ٢٦٧
ويوم أنس صقيل الجو ذى نظر ... ٢٦٨
بنفسى حبيب صال عامل قده ... ٢٦٨
بأنى وغير أبى غزال نافر ... ٢٦٨
ليل الشباب انجاب أول وهلة ... ٢٦٩

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو بكر)

أيا من له الحكم في خلقه ... ٢٨٠
تصبر إذا ما أدركتك ملمة ... ٢٨٠

صفحة

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن عبد الرحمن)
أبو عبيد الله

هل إلى رد عشيات الوصال ... ٤٥٨
حى حى بالله يارريح نجد ... ٤٦٠
ذكر اللوى شوقا إلى أثماره ... ٤٦١
ألا واصل واصله العتار ... ٤٦٢
ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... ٤٦٣
ما أحسن العقل وآثاره ... ٤٦٣
إني لأعسر أحيانا فيلحقني ... ٤٦٣
فقدت حياقي بالفراق ومن غدا ... ٤٦٤
أنا عدة للدين في يد من غدا ... ٤٦٤
إن أفرطت بابن حسان غوائله ... ٤٦٥

ابن خاتمة الانصارى (محمد بن علي)

كفوا الملام فلا أصغى إلى المذل ... ٤٩٢
ومض البرق فثار القلق ... ٤٩٢
أيا جيرة الحى الممتع جاره ... ٤٩٣
الرفع نعتكم لا خابكم أمل ... ٤٩٣

ابن الخطيب السلعماني (لسان الدين)

خليفة الله ساعد القدر ... ١٩
أنعام أرضك تفهر الأسادا ... ٢٠
ظلمت إلى السقيا الأباطح والربا ... ١١٦
من ذا يمد فضائل الفشتالى ... ١٨٨
جوانحنا نحو اللقاء جوانح ... ٢٥٢
الأم على أخذ القليل وإنما ... ٢٧٥
بعثت بشىء كالخفاء وإنما ... ٢٧٨
أمن جانب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢
أجلك عن عتب يغمس من الود ... ٥٧٧

ابن عيسى الخجورى التلمساني (محمد بن عيسى)

مشوق زاد ربك بالاسما ... ٥٢٩
تراجع من دنياك ما أنت تارك ... ٥٣١
سحت بساحك يا محل الأدمع ... ٥٣٥
سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء ... ٥٣٩
أطار فؤادى برق ألاحا ... ٥٤١
كبت العدى أنعامك البنت ... ٥٤٦
طرقتك وهنا أخت آل علاج ... ٥٤٨
أرق عيني بارق من أثال ... ٥٥٢
عجبا لها أيدوق طعم وصالها ... ٥٥٤

صفحة

قد كان عيسى من قبل في غيب ... ٢٤٥
 قفا نفسا فالخطب فيها يهون ... ٢٤٥
 سقى الله أشلاء كرم من على البيل ... ٤٧٤
 أرغم من هذه القيود الثقال ... ٥٦٩

ابن الشدييد (محمد بن محمد)

لنا في كل مكرمة مقال ... ٣٨٦

ابن شليطور الهاشمي

أثغرك أم سمط من الدر ينظم ... ٣٦١
 نامت جفونك يا سؤلى ولم أنم ... ٣٦٢
 قف في وناد بين تلك الطلول ... ٣٦٢
 تالله ما أورى زناد القلق ... ٣٦٢

ابن صفوان القيسي

بدر تجلى على غصن من الآس ... ٣٨١

يا عالما بالسر والجهر ... ٣٨١

ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك)

ولما انقضى الفتح الذى كان يرتجى ... ٤٧٩
 أملت وقد نام الرقيب وهوما ... ٤٨٠
 أتذكر إذ مسحت بفيك عيني ... ٤٨١
 سألت من المليحة برء داي ... ٤٨١

ابن عبد الصمد

ملك الملوك أسامع فأنادى ... ١٢٠

ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضر)

ولما انقضى إحاي وخسوف حجة ... ١٧٥
 وأحسب تحسب في ظهره ... ١٧٥
 أحبتك لأنى لما رمته أهل ... ١٧٥

ابن العشاب (محمد بن ابراهيم)

بيمن أبى عبد الله محمد يمن ... ٥٢٦

لعل عفوك بعد السخط يفشاقى ... ٥٢٦

ابن عباس التجيبى البرشاني (محمد بن

عبد العزيز)

بلنسية بينى عن العليا سلوة ... ٤٨٥

وليلة من ليالى الصفع قد جمعت ... ٤٨٥

أشغارها أم صارم الحجاج ... ٤٨٥

الإحاطة - ٣٨

صفحة

ابن داود الحميرى (محمد بن ابراهيم)

يا نازحين ولم أفارق منهم ... ٣٧٢

كذلك تركته ملقى بأرض ... ٣٧٣

يوم يداوى زمانانى من أزمانى ... ٣٧٣

ذكر الديار فهاجه تذكاره ... ٣٧٤

اللبرق يبدو تسطير الجوانح ... ٣٧٧

ابن راجح الحسنى (محمد بن علي)

أمن جانب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢

أمن مطلع الأنوار لمح لا مح ... ٥٧٣

قدومك ذا أبدي لذى الراية الحمرا ... ٥٧٥

أما والعيون النجل ترمق عن سحر ... ٥٧٦

أما والذى لى فى حلاك من الحمد ... ٥٧٧

ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي)

رضيت بما تقضى على وتحكم ... ٣٠٣

مماذ الهوى أن أصحب القلب ساليا ... ٣٠٥

لولا تألق بارق التذكار ... ٣٠٦

تأمل أطلال الهوى فتألم ... ٣٠٧

حياك يا دار الهوى من دار ... ٣٠٧

لقد زادنى وجدا وأغرى بى الجوى ... ٣٠٧

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى ... ٣٠٨

قيادى وقد تملكه الغرام ... ٣٠٨

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهم ... ٣٠٩

بالايى فى الجود والجود شيمتى ... ٣٠٩

لقد علم الله أنى أمرؤ ... ٣٠٩

ومسرى وكاب للصبا قد وئت ... ٣١٠

مالى بحمل الهوى يدان ... ٣١٠

ابن شبرين ، ابو بكر

أخذت بكظم الروح ياساعة النوى ... ٢٤٣

بانوا فن كان باكيا يبك ... ٢٤٣

يا أيها المعرض اللاهى ... ٢٤٣

يا من أعاد صباحى فقد حلكا ... ٢٤٤

أشكو إلى الله فرط بلبالى ... ٢٤٤

لى همة كلما حاولت مسكها ... ٢٤٤

صفحة

- ونقلت من كل ملك ذخيرة ... ٤٨٦
- ابن غالب الرصافي (ابو عبد الله)
- خليلى ما ليد قد عبت نثرا ... ٥٠٧
- أبى البلاغة فيم حفل النادى ... ٥٠٩
- عاد الحديث إلى ما جر أطييه ... ٥١١
- دعاك خليل والأصيل كأنه ... ٥١٢
- قالوا وقد أكثروا في حبه عدل ... ٥١٣
- ومنهف كالغصن إلا أنه ... ٥١٣
- أدركها فالغامة قد أجالت ... ٥١٤
- أدركها على أمر فاشم من بأس ... ٥١٤
- ومطارح مما تحس بنائه ... ٥١٤
- ومهدل الشطين تحسب أنه ... ٥١٤
- قصير كالأنابيب لكنه ... ٥١٤
- ابن فضيلة المعافى (محمد بن ابراهيم)
- سرت ربح نجد من ربى أرض بابل ... ٣٤١
- بهرت كشمس في غلالة عسجد ... ٣٤٢
- ابن فطيس (محمد بن عبد الله)
- يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤
- ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى)
- ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... ٤٩٤
- أتى من المجد أمر لا مرد له ... ٤٩٥
- يارب يوم زادنى فيه ... ٤٩٥
- جئت لتوديعه وقد ذرفت ... ٤٩٦
- يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ... ٤٩٦
- صرفت اليك وجوهها الأفراح ... ٤٩٦
- كثير المال تبذله فيبقى ... ٤٩٧
- وعهدى بالشباب وحسن قدى ... ٤٩٧
- يمسك الفارس رجحا ... ٤٩٧
- أحسن ما نبط في الدعاء لمن ... ٤٩٧
- إيه أبا بكر ولا حول لى ... ٥٠٥
- ابن القصيرة (محمد بن سليمان)
- فصل عنه أحشاء ابن ذى النون هل ... ٥١٧

صفحة

- ابن قطبة الدوسى (محمد بن احمد)
- دعيتى ومطلولى الرياض فإننى ... ٢٥١
- وليل أدرناها سلافا كأنها ... ٢٥١
- يومنا يوم سرور فلنقيم ... ٢٥١
- وبى منك ما لو كان للشرب مائحا ... ٢٥٢
- كم قلت للبدر المنير إذا بدا ... ٢٥٢
- لمرك ما يوى إذا كنت حاضرا ... ٢٥٢
- ابن قطبة الدوسى (محمد بن محمد بن محمد)
- إذا شمت من نحو الحمى فى الدجا برقا ... ٢٥٤
- ابن قطبة الدوسى (محمد بن محمد بن محمد)
- ابن احمد .
- حلفت بمن ذاد عني الكرى ... ٢٥٥
- ابن كسرى المورى (ابو على)
- أعشر أهل الأرض بالطول والعرض ... ٣٢٨
- ابن لب الامى (محمد بن عبد الله)
- بعد المزار ولوعته أشواق ... ٤٣٤
- أملك أم يدر الدجا الوضاح ... ٤٣٨
- بوادى لقد حلت ما ليس لقواه ... ٤٤٠
- ابن مالك الطغترى
- بيننا نحن فى المصلى نساقي ... ٢٨٣
- صب على قلبى هوى لاجع ... ٢٨٣
- خليلى عرج على قبرى تجد ... ٢٨٤
- ابن مرج الكحل
- عرج بمنعرج الكتيب الأعفر ... ٣٤٤
- أرأت جفونك مثله من منظر ... ٣٤٥
- وعشية كانت قنبصة فتية ... ٣٤٥
- وعندى من مراشفها حديث ... ٣٤٦
- عذيرى من الآمال خابت قصودها ... ٣٤٦
- أبا عمرو متى تقضى الليالى ... ٣٤٦
- طفل المساء وللنسيم تضوع ... ٣٤٦
- ألا بشروا بالصبح متى باكيا ... ٣٤٧
- مثل الرزق الذى تطلبه ... ٣٤٧
- دخلتم فأنفستم قلوبا بملككم ... ٣٤٧

صفحة

- نهاية إقدام العقول عقاب ٢٢٢
- محمد بن أحمد بن عبد الله الاستجى
- حتى التسميم إذا ألم بأرضهم ٣١٦
- قضيوا في ربي نجد في القلب مرساه ... ٣١٧
- سرت من ربي نجد معطرة الريا ... ٣١٨
- حملك أم نور الصباح تبسما ٣١٩
- فا على الحبيب من اعتراض ٣٢٠
- فلو كان رجحا واحدا لاتقيته ٣٢٢
- كانت جواهرنا أوائل قبل ذان ... ٣٢٢
- معان لبسن ثياب الجمال ٣٢٤
- كتبت ولو آنى أستطيع ٣٢٥
- محمد بن أحمد بن علي الهواري
- سلوا مسر ذاك الحال في صفحة الخلد ... ٣٣٠
- عرج على بان العذيب وناد ٣٣١
- عل لكل ذى كرم ذمام ٣٣١
- محمد بن أحمد الفشتاني
- وافت يجر الفضل فضلة بردها ... ١٨٩
- محمد بن أحمد بن منغل الغافقي
- يا أيها المرتجى لطف خالقه ١٣٦
- محمد بن حسان
- وكل عدو أنت تهزم عرشه ١٠٢
- محمد بن حسن العمراني الشريف
- منحت منحت النصر والعز والرضا ... ٥٢٣
- الشعر أسنى كلام خص بالعرب ... ٥٢٤
- مالى أرى تاج الملوك وحوله ٥٢٤
- محمد بن سعيد الأشعري المالقي
- هام الفؤاد في بنت النبع والنشم ... ١٧٨
- محمد بن عبد الله بن داود الغافقي
- أقنع بما أوتيته تثل الغنا ٤٢٨
- يا دعوة شاك ما قد ٤٢٨
- نعم المراد لمن غدى يرتاد ٤٢٩
- رب أنت الحكيم فاغفر ذنوبي ٤٣٠

صفحة

- يا قائلا إذا رأى مرجى وحرته ... ٣٤٨
- ابن مشتمل الأسلمي
- هفابي من بين المغاني عقيقتها ... ٣٦٥
- من عادى ومن ناصرى ومنصى ... ٣٦٦
- ما للأحبة في أحكامهم جاروا ... ٣٦٦
- ابن مقاتل ، أبو بكر
- ومفقهف هاني المعاطف أحور ... ٣٨٠
- أيا ليلى الرفاء تنضى طلباؤهم ... ٣٨٠
- ابن منظور القيسي
- ما للعطاس ولا للفأل من أثر ... ١٧٢
- ابن مهيب اللخمي (أبو بكر)
- أليل النوى هل من سبيل إلى فجر ... ٤٢٢
- للسالحين إلى الصلاح طريق ... ٤٢٢
- جفوت وما زال الحفاء سجية ... ٤٢٤
- أمل من الدنيا المباحة كسرة ... ٤٢٥
- ترحل صبرى والاولوع مقيم ... ٤٢٥
- ابن هاني الأزدي الألبيري الغوناطي
- أحب بتيك القباب قبابا .. ٢٩٠
- أليتنا إذ أرسلت واردا وجفا ... ٢٩٠
- أبو بكر بن عبادة المرى
- وقالوا كفه جرحت فقلنا ... ١١١
- أبو العباس بن القعاز
- لبس البرنس الفقيه فباهى ... ٢٢٣
- أبو عبد الله المقرئ (محمد بن علي الأوسى)
- لله حى يا أميم حواك ٢٨٥
- السامى الكاتب
- أدر كؤوس المدام والرز ... ١٢٣
- عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمي
- يا مطلبيا ليس لى في غيره أرب ... ٤٤٨
- عبد المهيمن الحضرمي (أبو محمد)
- تراعى سحيرا والنسيم عليل ... ٤٥٥
- فخر الدين (الامام)

صفحة

محمد بن عبد الرحمن العقيلي

رحلوا الركائب موهنا ... ٤٧٧

أيا ملكا يسمو بسعد مساعد ... ٤٧٧

محمد بن عبد الرحمن المناهل

خذها إليك طبرنشا ... ٤٧٨

أذلني يا خير البرية خطة ... ٤٧٨

محمد بن علي بن عمر العبدي

لكل أناس مذهب وسجية ... ٥٧٨

أحبتنا بمصر لو رأيتم ... ٥٧٩

تفني حمام الأيك يوما بذكرهم ... ٥٧٩

تقر ملوك الأرض أنك مولاها ... ٤٧٩

ومنكم ذوو التيجان والعمم التي ... ٤٧٩

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ... ٥٨٠

محمد بن علي بن محمد الهمداني

بالهضب مضب زرود أو تلعاتها ... ٤٩٠

يا بدر تم طالعا في الخشي ... ٤٩١

رثوا القباب بأدمع مفضوضة ... ٤٩١

محمد بن عمر بن علي المليكني

رضي نلت من كل ما يهوى ... ٥٦٤

لم أنس وقفنا بباب الملعب ... ٥٦٤

أرى لك يا قلبي بقلبي محبة ... ٥٦٥

ألم ترها قد شموت تطلب الجدا ... ٥٦٦

ما أحسن الأفق الشرقي إسفارا ... ٥٦٧

منع الهجر من سليبي هجوعا ... ٥٦٨

شرح حال لمن يريد سؤالي ... ٥٦٨

يا صاحب البلد المليح المشرق ... ٥٧٠

فيا يوسنى الحسن والصفح والرضا ... ٥٧١

محمد بن قاسم بن أبي بكر المالقي

أبا علي حسينا ... ٥١٦

فضل التجارات ياد في الصناعات ... ٥١٦

محمد بن محمد بن جهود

يا مرج الكحل ومن هذى المروج له ... ٣٤٨

صفحة

محمد بن محمد بن عبد الله الانصاري

من لم يصن في أمل وجهه ... ٥٢٧

وليت ولاية أحسنت فيها ... ٥٢٧

وليت فقيل أحسن خير وال ... ٥٢٧

مولاي نصيرا فكم يضام ... ٥٢٨

محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي

راؤني وقد أغرقت في عبراتي ... ٢٧١

سيخطب قس العزم في منبر السرى ... ٢٧١

محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي

لا عذر لي عن خدمة الإعذار ... ٣٨٣

تبسم ثغر الدهر في القضب الملد ... ٣٨٤

عللوني ولو بوعد محال ... ٣٨٥

محمد بن يحيى الفساني البرجي

أصنني إلى الوجد لما جد عاتبه ... ٢٩٥

صحا القلب عما تعلين فأقلعا ... ٢٩٩

نهاه النهى بعد طول التجارب ... ٣٠٠

محمد بن يوسف التميمي المازني

أيا قمر أطلع من وشاح ... ٥٢٢

ومنعم الأعطاف معسول اللم ... ٥٢٢

حككت السلاف صفاته بحبابها ... ٥٢٢

المعتهد بن عباد

إن يسلم القوم العدا ... ١١٢

قل لمن جمع العلم ... ١١٣

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا ... ١١٣

وكواكب لم أدر قبل وجوها ... ١١٥

قبر الغريب سقاك الرايح الغادي ... ١١٩

شعر مرفوع إليه

أيها الملك الأغر الأعظم ... ١١٣

القرى أبو بكر (محمد بن محمد القرشي)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما ... ٢٠٤

النصور بن أبى عامر

- رمىيت بنفسى هول كل عظمة ... ١٠٥ ...
 ما كتب على قبره
 آثاره تنبيك عن أخباره ... ١٠٨ ...
 شعر فى وصف المتوكل ابن هود
 همام به زاد الزمان طلاقة ... ١٣٢ ...
 ما نقش على قبر محمد بن الأحمر الكبير
 هذا محل البلى والمجد والكرم ... ١٠٤ ...

- وكم موقف لى فى الهوى خضت دونه ٢٠٦
 تبدت لعينى من جمالك لمحمة ... ٢٠٧ ...
 أزور أعتاراً أرضها بتشمك ... ٢٠٩ ...
 سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرقى ... ٢١٠ ...
 إليك بسطت الكف أستنزل الفضلا ... ٢١٢ ...
 وجد تسعره الضلوع ٢١٣ ...
 نحن إن تسأل بناس معشر ... ٢١٣ ...
 أنبت عودا بنماء بدأت بها ١٤ ...

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٤٢٤

تاريخ المرية ؛ ١٤٨

تاريخ غرناطة ؛ ٢٥٧

تبصرة الضمري ؛ ٣٢٦

تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ؛ ١٧٢

تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب ؛ ٢٩٠

تحفة القادم لابن الأبار ؛ ٤٧٩

كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك ؛ ١٨٥

التصوير والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ؛ ٣٢٦

تفسير الزخري ؛ ٢٨٦

ثورة المريدين ؛ ١٢٢

ج - خ

حركة الدخولية في المسألة المالكية ؛ ١٤٨

كتاب الحقايق والرقائق ، للمقرئ الجدي ؛ ٢٠٣

حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ٦٥

حي بن يقظان ، رسالة ابن طفيل ؛ ٤٧٩

الخبر المختصر في السلوى عن ذهاب البصر ؛ ١٧٤

خطر فطر ، ونظار فحظفر ؛ ١٤٨

خطرات الواجد في رثاء الواحد ؛ ٤٨٩

خطرة المجلس في شعر استنصر به أهل الأندلس ؛ ١٤٨

د - ز

الدر المنظم في الإحسان المعظم ؛ ٤٨٩

درر الشحط في خبر السبط ؛ ١٨٥

الدرر المنظومة الموسومة في حروف المنجاء المرسومة ؛ ٣٤٢

ديوان ابن جبير ؛ ٢٣٤

ديوان ابن الحداد الوادي آشي ؛ ٣٣٤

ديوان ابن شبرين ؛ ٢٤٠

الذخيرة لابن بسام ؛ ٥٨٢

الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة ؛ ١٧٢

١ -

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧٤٦

الاحتفال في استيفاء ما للخيال من الأحوال ؛ ١٤٢

كتاب الأحكام ، لعبد الحق الإشبيل ؛ ٢٨٧

أخبار معاوية ؛ ٤٨٩

الأخبار المذهبة ؛ ٢٧٥

الأرجوزة الطليعة المجهولة ، لابن طفيل ؛ ٤٧٩

كتاب الاستيعاب للرازي ؛ ١٣٣

الإشارة الصوفية ، والكتب الأدبية ؛ ٢٧٥

إصلاح المطلق لابن عياش ؛ ٤٨٣

إصلاح النية في المسئلة الطاعونية ؛ ٣٦٥

الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصالح ؛ ١٤٨

إقامة المريد لأبي عبد الله المقرئ الجدي ؛ ٢٠٣

إقتراح المتعلمين في إصلاح المتكلمين ؛ ٣٢٦

الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛ ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ، ٥٢٥ ، ٥٧٨

ألفية ابن الفارض ؛ ٢٠٣

كتاب الأمثال السائرة ؛ ٣٣٨

أنشدت على أهل الردة ؛ ٦٥

إيفضاح الفارسي ؛ ٢٣٨

ب - ث

البرهان والدليل في خواص سور التنزيل ؛ ١٧١

بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب ؛ ٢٧٥

بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار ؛ ٤٨٩

البيان المغرب لابن عذارى ؛ ٩٨

التاج المحلى في القدرح الممل ؛ ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ٢٨٢ ، ٣٥٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦

الصيب المثنان الواكف بغايات الإحسان... من
الأحاديث النبوية والقرآن ؛ ١٧٣
الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ؛ ٥٠٤
طرفة العصر في أخبار بنى نصر ؛ ١٤٦ ، ٢٦٩ -
٢٨١

ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ؛ ٣٢٥

ع - غ

عائد الصلة ؛ ١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩
٤٤٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨
المذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج ؛
١٤٨

عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر ؛
١٤٨

الغلميات لابن الحاج ؛ ١٤٩

النيرة على أهل الخيرة ؛ ٦٥

ف - ك

الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنى من الشيوخ
والاتباع والأصحاب ؛ ١٤٩

الفعل المبرور والسعى المشكور... من نوازل
القاضي أبي عمر بن منظور ؛ ١٧٢

كتاب في الفقه والأصول لابن الحاج ؛ ٢٠٣
الفوايد المنتخبة والموارد المستعذبة ؛ ٢٧٤

قدر جم في نظم الجمل ؛ ١٤٨

قد يكبو الجواد في أربعين غلطة ؛ ١٤٨

قلائد المقيان ؛ ١٠٩ ، ٣٨٩ ، ٥٠٥ ، ٥٨١ ، ٥٨٢

كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ؛ ٣٢٦

الكامل والإتمام في صلة الأعلام... من أهل مالقة
الكرام ؛ ١٧٤

رجز في ألفاظ فصيح ثعلب ؛ ٣٦٥

رجز في علم الكلام ؛ ٣٦٥

رجوم الإنذار بهجوم العذار ؛ ٤٨٩

رحلة ابن جبير ؛ ٢٣١

رحلة المثبت للمقرئ الجدد ؛ ٢٠٣

رسالة في ادخار الصبر واقتنار القصر والفقر ؛
١٧٤

رسالة في الأسطرلاب الخطي ؛ ١٤٣

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ؛ ١٨٥

رقم الحلل في نظم الجمل ؛ ٣٢٦

روضة الجنان ؛ ٣٤٢

روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ؛ ٤٨٩

الروض المظفور في أوصاف بنى منظور ؛ ١٧٠

رياضة الأبي في قصيدة الخزر جى ؛ ١٨٥

ريحان الآداب وريحان الشباب ؛ ٣٣٨

زاد المسافر لصفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغرى ؛ ٢٨٢

الزهرة الفايحة في الزهرة اللاتمة ؛ ٣٢٦

س - ظ

السحب الواكفة والظلال الوارفة... من اعتقاد
الفلاسفة ؛ ١٧١

سلوة الخاطر فيما أشكل من نسبة النسب المرتب إلى
الذاكر ؛ ١٤٨

سمط الجمان ؛ ٣٨٩

كتاب سيبويه ؛ ٣٢٨

شجرة أنساب العرب ؛ ١٤٣

شرح غريب البخارى ؛ ٣١٥

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ؛ ٣١٠

شمس البيان في لمس البنان ؛ ٣٢٦

صحيح البخارى ؛ ٣١٦

صحيح مسلم ؛ ١٤٩ ، ١٧٩

كتاب الصلة لابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٥٨١

الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن ؛ ١٤٨ ، ٤٣٣
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٩٧

ل - م

اللؤلؤ والمرجان من المذهب والأجاج يستخرجان ؛
١٤٨

ما اتفق لأبي البركات فيها يشبه الكرامات ؛ ١٤٩
ما رأيت وما رمى لي من المقامات ؛ ١٤٩
ما كثر وروده في مجلس القضاء ؛ ١٤٩
مختصر الإحاطة ؛ ٦

المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك ؛ ١٤٩
المرقصات والمطربات لابن سعيد ؛ ٤٨٦
مساجلة البيان ؛ ٢٩٤

مشبهات اصطلاح العلوم ؛ ١٤٩
المشرع الروى في الزيادة على المروى ؛ ١٧٤
مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ... من الرؤساء
والأعلام والأخبار ؛ ١٧٤
المغرب في حل المغرب ؛ ٥٨٢
مفتاح الإحسان في إصلاح البيان ؛ ٣٢٦

مقالة الإخوان ؛ ٤٨٩
مقامات التيمى ؛ ٣٢٦ ، ٥٢١
المقامات الحريرية ؛ ٢٥٣
مقدمة ابن خلدون ؛ ٥٨٢
ملق السبل في فضل رمضان ؛ ٤٨٩
ملء العيبة ؛ ٤٦٢
الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة ؛ ٢٧٤ ، ٤٦٤
ميزان العمل لابن رشيق ؛ ٢٧٥

ن - ي

نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح ؛ ٢٣٤
نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر ؛ ١٧٤
نظم الجهان في التشكى من إخوان الزمان ؛ ٢٣٤
نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٢٩٥
نفح الكامات في شرح المقامات ؛ ٣٢٦
نفحات المسوك وعيون التبر المسبوك في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك ؛ ١٧١
الوشاح المفضل ؛ ٣٣٨

فهرست القبائل والطوائف والدول

دولة الشام ٤١٨	الإسلام ١٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدولة الممتونية ٥١٦	٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠
الدولة النصرية ١٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥٢	بنو إسرائيل ٥٠٤
الروم ٢٢ ، ١٤٠ ، ٤٣٧	بنو بطرون ٦٥
الصحابة ٤٩٠	بنو تميم ٥٥٣
الصوفية ١٩٤ ، ٣٠١	بنو جفنة ٥٥٣
الطوائف ١١٦	بنو حجاج ٤٤٤
العرب ٤٣ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٤١٦ ، ٥٥٨	بنو حسون ٤٤٤
الفرنج ٤٦	بنو زيان ٥٧٢ ، ٥٣٩
اللتونيون ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦	بنو عباد ٤٤٤
المرايطون ١١٠ ، ١١١ ، ٥٨٢	بنو العباس ٣٢٤
المسلمون ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣	بنو عبد المؤمن ٤٨٢ ، ٤٨٦
٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٧ ، ٩٠	بنو غانية ، أنظر الملتشون
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	بنو غرون ٦٥ ، ٧٤
٤٧٢	بنو مرين ٦٤
المصامدة ٤١٨	بنو نصر ١٨٢ ، ٢٤٥
الملتشون (بنو غانية) ٤٨٦	حمير ٥٥٩
الموحدون ١٢٧ ، ١٢٨	الخزرج ٩٢
النصارى ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤١٦	اللدجن - الملتشون ٣٢ ، ١٤٠
٤٧٠ ، ٤٧١	اندولة الحكية ٢٤٩
النصرانية ٣٣ ، ١٠٥	الدولة العامرية ١٠٣ ، ١٠٥

فهرست البلدان والأماكن

المرية ؛ ٤٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ -
 ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ،
 ٣٦٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
 ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،
 ٤٩١

أنتقيرة ؛ ٢٨

الأنتكيرة ؛ ٤٦ ، ٤٣

أندرش ؛ ١٩٥

الأندلس ؛ ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٩ - ٣١ ،

٤٠ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ،

١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ - ١٤٥ ،

١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ -

٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٩ ،

٤١٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ،

أوريولة ؛ ٣٤٩

أى ولاتن ؛ ١٩٢

ب - ت

باب البيرة ؛ ٢٤٩ ، ٢٦٩

باب البنود ؛ ٦٥ ، ٧٥

باب الربض ؛ ٧٦

باب عبد الجبار ؛ ٤١٦

باب الفخارين ؛ ٥٦١

باب الفرج ؛ ١١١

باب القنطرة ؛ ١٢٥

باسجة ؛ ١١٩ ، ٢٣٩

باغة ؛ ٧٩

بحانة ؛ ١٦٢

بحاية ؛ ٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

— ١ —

أبابة ؛ ١٢٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٤٨ ،

أبيلية ؛ ٩٠

أجدونية ؛ ٤٤

أرجدونة ؛ ٥٢

أرجونة ؛ ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٧١

الأرض الكبيرة ؛ ٤٤

الأرك ؛ ٩٩

إستبة ؛ ٥٢٨

إستجة ؛ ١٢٦ ، ٣١٥

الإسكندرية ؛ ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩

الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال

أشونة ؛ ٨٦ ، ٨٧

إشبيلية ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ،

٩٨ ، ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٤٢١ ، ٤٣١ .

أشبونة ؛ ٢٤ ، ١٤٥ ، ٥٢٨

أشونة ؛ ٩٠

إصهان ؛ ٢٢٨ ، ٢٣٣

إطرابلس ؛ ١٠٣

أطريرة ؛ ٨١

أغمات وريكة ؛ ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩

إفراغة ؛ ١٢١

إفرنسية ؛ ٨٥ ، ٨٦

إفريقية ؛ ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٩ ، ٤٥١ ، ٥٦٣ ،

أكاديمية التاريخ بمدريد ؛ ٣

ألبول ؛ ١٤٥

إلبيرة ؛ ١٠٥ ، ١٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٤٤

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢
٥٧٧ ، ٥٧١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٢

ج-خ

جامع الزيتونة ؛ ٣ - ٦ ، ١٣ ، ٢٢٣
جبال ألمرية ؛ ١٦٥
جبال غمارة ؛ ٢١
جبل الفتح ؛ ٢٣ - ٢٥ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٨٨
الجزيرة الخضراء ؛ ٨٨ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،
١٣١ ، ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٥٦١
جزيرة شقر ؛ ٣٤٣
جنة العريف ؛ ٢٧
جيان (وكورة) ؛ ٣٨ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،
٢٧١ ، ٣٨٨
جيرة ؛ ٧٩
الحجاز ؛ ٤٤٦ ، ٥٦٣
الحجر الأسود ؛ ٣٣
حران ؛ ٢٣٣
حصن أشر ؛ ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٢
حصن إقليج ؛ ١٢٦
حصن برج الحكيم ؛ ٨٥
حصن برشاقة ؛ ٤٨٢
حصن برغة ؛ ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١
حصن بيليش ؛ ٩٩
حصن جلال ؛ ١٣١
حصن الخويز ؛ ٨٧
حصن زمرة ؛ ٨٧
حصن السهلة ؛ ٧٨
حصن شرانية ؛ ١٢٦
حصن شلب ؛ ٢٣٩
حصن القشور ؛ ٨٥
حصن اللقوة ؛ ٤٦٩
حصن مسقوط ؛ ١٢٥

٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٨
برجلونة (برشلونة) ؛ ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٥ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٣
برجة ؛ ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٣٤٤
برشانة ؛ ١٤٢ ، ٤٨٧
برغش ؛ ٤٨
برقة ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
برطفال (البرتغال) ؛ ٤٣ ، ٨٧
بسطة ؛ ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٨
بطلبيوس ؛ ٥٨١
بغداد ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ ،
٤٤٨
بلاد الريف ؛ ١٥١
بلاد القبلة ؛ ١٠٥
بلاد الهند ؛ ١٦٠
البلد الجديد ؛ ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠
بلد العناب ؛ ١٣٥
البلد القديم ؛ ٤٠
بلش ؛ ١٣٨
بلنسية ؛ ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ،
٤٨٥ ، ٥٠٧
بفلونة ؛ ٤٤
البيت الحرام ؛ ٥٥٨
بياسة ؛ ١٢٦
بيت المقدس ؛ ٢٣٢ ، ٤٥٠
بيرة ؛ ١٤٦
بيونة ؛ ٤٣
تاكرونا ؛ ٩٢
تدمير ؛ ١٠٦
تكرنت ؛ ١٣٥
التكرور ؛ ١٩٢
تلمسان ؛ ٢١ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٢٩
تونس ؛ ٣ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ١٣٥ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
 ٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،
 السبيكة ؛ ١٠٠
 سجلاسة ؛ ٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧١
 سقر سطونة ؛ ٩٢
 سكون ؛ ٢٨٨
 سلا ؛ ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٧١
 شاطبة ؛ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 الشام ؛ ١٠٨
 شذونة ، كورة ؛ ٢٣٠
 شرق الأندلس ؛ ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٠٠
 شقورة ؛ ٣٨٨
 شلب ؛ ٤١٨
 الصخور ؛ ١٢٨ ، ١٢٩
 طبرنش ؛ ٤٧٨
 طابيرة ؛ ٤٢٥
 طوطوشة ؛ ١٢٦
 طريانة ؛ ٤٣٢
 طريف ؛ ١٨٠
 طشانة ؛ ١٠٨
 طليطلة ؛ ٤٧ ، ١٣٣ ، ٤١٦
 طنجة ؛ ٣١ ، ١١٣ ، ١١٧
 طيبة (المدينة) ؛ ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢

ع - غ

العدوة ٩٥٣ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩١ ، ٢٩٤
 ٣٧١ ، ٤٢٦
 العريش ؛ ١٠٨
 عقبة إيلة ؛ ٥٦٧
 غرناطة ؛ ٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ،
 ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ،

حصن مطرنش ؛ ١٢٦
 حصن متيل ؛ ٨٥ ، ٨٧
 حصن وحبر ؛ ٨١
 الحمراء (قصر وقلعة) ؛ ٢٦ ، ٥٢ ، ٨٠ ،
 ١٤٦ ، ١٩٨
 حص ؛ أنظر إشبيلية
 الحمة ؛ ١٦٢
 حمة مرشانة ؛ ٣٦٤
 حومة الدرب ؛ ٤١٦
 خراسان ؛ ١٦٠
 الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٣

د - ز

دار الحديث الكاملية ؛ ٤٥١
 دائية ؛ ١٢٦
 درب الفرعوني ؛ ٤١٦
 دلالة ؛ ١٤٥
 دمشق ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠
 دومة الجندل ؛ ٥٥٨
 ذكوان ؛ ٢٨
 رابطة العقاب ؛ ١٥٥
 رباط آسني ؛ ١٢٩
 ربض البيازين ؛ ١٢٧ ، ٣٠٠
 الربض الشرق ؛ ٤١٦
 رجة أبان ؛ ٤١٦
 رغون ؛ ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٨
 رندة ؛ ٣٠ - ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٧ ،
 ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ ،
 ٣٦٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤
 روطلة ؛ ٨٧
 ريه ، كورة ؛ ٢٧٥
 الزاوية ؛ ٥٠٤

س - ط

سبتة ؛ ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٦ ،

القنب ؛ ٤٣١

قيجاطة ؛ ٤٦٧

كديّة مردنيش ؛ ١٢٧

الكعبة ؛ ٥٦٥ ، ٥٦٦

ل - م

لوشة ؛ ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٢٤٣

ماردة ؛ ١٣٠

المارستان الأعظم ؛ ٥١٥ ، ٥٠٠

مارستان مصر ؛ ٥٠

مالقة ؛ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٧

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٢

١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٩

٤٤٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٦

٥٢٨ ، ٥٦٤ ، ٥٧٥

المدينة ؛ أنظر طيبة

مدينة سالم ؛ ١٠٧

مراكش ؛ ٤١ ، ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٤

٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٧

مريلة ؛ ٢٨ ، ١٤٥

مرج الرقاد ؛ ١٢٧

مرسى تلهي ؛ ١٦١

موسية ؛ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ - ١٣١

٣٤٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١

مرشالة ؛ ٩٠ ، ٤١٩

المشرق ؛ ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢

٢٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٥

مشهد الحسين ؛ ٤٤٨

مصر ؛ ١٠٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

المغرب ؛ ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣

٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٤

١٠٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٧٤ ، ٢٤٢

٢٨٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٥

٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣

٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ - ٥٠٦

٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٥

٥٧٠

غليسية ؛ ٤٣

غمدان ؛ ٥٥٧

ف . ق . ك

فاس ؛ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠

١٤١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٥١٥

٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

فحص الفنت ؛ ٢٨

فرغليط ؛ ٣٨٨

الفسطاط ؛ ٢٢٩

فنيانة ؛ ١٤٥

القاهرة ؛ ٤٣٤ ، ٤٥١

قرطبة ؛ ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢

١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٤

٥٠٥ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢

قرطمة ، معقل ؛ ٢٧٥

قرومنة ؛ ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٢٦

قرية الخزرج ؛ ٩٣

قشالة ؛ ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٣٠٠

قصبة المري ؛ ٦٥ ، ٤١٩

قصبة قيحاطة ؛ ٤٧١ ، ٤٧٢

قصبة ؛ ٤٧٩

قنالش ، غزوة ؛ ١٠٧ ، ١٤٥

مقبرة ابن عباس ٤١٦

المقرمدة ١٤١

مكتبة الإسكوريال ٦ - ٣

المكتبة الزيدانية ٥

مكة ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٦

المنكب ١٣٥ ، ٣١٠ ، ٣٦٤

منورقة ٢٤٩

المهدية ٤٨٦

موقعة بكركى ٢٩٣

موقعة الزلاقة ١١٤

موقعة طريف ٣٦٨

موقعة العقاب ٣٢٩

ن - ي

نبارة ٤٤

نجد ٣١٧ ، ٣١٨

الزهر الأعظم (الوادى الكبير) ١٠٨

نهر الغدائق ٣٤٣

هين ١٦١

وانى آش ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩

١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١

١٨٧ ، ٣٦٧

وادي الحجارة ١٠٧

وادي الغيران ٣٦٠

وادي لو ١٥١

ادى هدارة ٢٦

وادي يانة ٤٦٩

يومين ١٠٨

فهرست الأعلام

— ١ —

ابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٣٩٠ ، ٤١٦ ، ٤٨٩ ، ٥٨١
 ابن بطرون ؛ ٧٤
 ابن بقی (أبو الحسن بن محمد) ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩
 ابن تافراquin ، أبو محمد ؛ ٢٢
 ابن تیمیة ؛ ٢٠٣
 ابن جابر (محمد بن أحمد الحواری) ؛ ٣٣٠
 ابن جبیر ، عبد السلام ؛ ٢٣٠
 ابن جبیر ، محمد بن أحمد ؛ ٧ ، ٢٣٠
 ابن جزى الكلبي ، أبو عبد الله (محمد بن محمد)
 ابن أحمد ؛ ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ابن جزى الكلبي (محمد بن عبد الله بن يحيى) ؛
 ٤٥٢
 ابن جمهور ، أبو الوليد ؛ ٥١٧
 ابن الجنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري) ؛
 ٣٤٨ ، ٦
 ابن الحباب ، أبو الحسن علي ؛ ١٨٣ ، ٢٢٧ ،
 ٤٥٣ ، ٢٨٢
 ابن الحاج البلقيني ، أبو البركات ؛ ١٨ ، ١٤٣ ،
 ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ،
 ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤
 ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله) ؛ ٤٤٢
 ابن الحاج (محمد بن علي) ؛ ١٣٩
 ابن الحاجب ؛ ٢٠٣ ، ٢٢٣
 ابن حبيش ، أبو القاسم ؛ ٣٩٠ ، ٤٨٣ ،
 ٤٨٨
 ابن الحداد الوادي آش ؛ ٦ ، ٣٣٣
 ابن حزب الله (محمد بن محمد) ؛ ٣٦٧
 ابن حزم ، أبو محمد ؛ ١٧٦
 ابن حسون ، أبو مرهوان ؛ ٤٤٤

إبراهيم بن أبي بكر الحفصي ، السلطان ؛ ٢٢
 إبراهيم بن أبي الفتح ؛ ٢٦
 إبراهيم بن أبي الوليد ؛ ٣٢٥
 إبراهيم بن أبي يحيى الحفصي ، السلطان ؛ ٤٢
 إبراهيم بن إسحاق النسافي ؛ ٢٣٢
 إبراهيم بن الحكيم ، أبو إسحاق ؛ ٤٦١
 إبراهيم بن حكيم الكناني ؛ ٢٠١
 إبراهيم بن المل ؛ ٤٨٨
 ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله ؛ ١٤٤ ،
 ٤٧٩
 ابن أبي البقاء ؛ ٣٤٣
 ابن أبي خالد ؛ ٩٨
 ابن أبي الخصال (محمد بن مسعود بن خالصة) ؛
 ٦ ، ٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٦ ، ٤٩٥
 ابن أبي خيشمة الجباني ؛ ٣١٥
 ابن أبي زيد ؛ ٢١٧
 ابن أبي السداد الباهلي ، أبو محمد ؛ ١٣٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٩
 ابن أبي العيش ، أبو الحسن محمد ؛ ٢٢٣
 ابن أبي القاسم السهيلي ؛ ٤٨٣
 ابن أرقم الفيزي ؛ ١٤١
 ابن الأزرق ؛ ١٢٢
 ابن أضحى (أبو الحسن علي بن عمر) ؛ ٥٠٤
 ابن الأفتس ، عمر المتوكل ؛ ١١٨ ، ١١٩ ،
 ٤٩٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨١
 ابن الباذش ، أبو الحسن ؛ ٣١٥ ، ٥٢١
 ابن باق الأموي ؛ ٣٣٨
 ابن برطلة ، أبو محمد عبد الرحمن ؛ ٣٤٣
 ابن بسام ؛ ٣٣٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

ابن حكيم ، أبو عثمان ؛ ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ؛ ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ٦ ، ٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ؛ ٢٦٦
 ابن حمادة (محمد بن أيوب بن غالب) ؛ ١٢٢
 ابن حديد ، أبو جعفر ؛ ٥٠٥ ، ٥٨٢
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ؛ ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ؛ ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ؛ ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ؛ ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خيس الجعري ؛ ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ؛ ٤٨٧
 ابن خيرة المواعيني ؛ ٣٣٧
 ابن دراج القسطل ؛ ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ؛ ٥١٧
 ابن رزمير ؛ ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ؛ ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٢
 ابن الزبير ، أبو جعفر ؛ ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ؛ ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحي) ؛ ٤ ،
 ٧ ، ٣٠٠
 ابن الزيات الكلاعي ؛ ١٣٨
 ابن زيدون ؛ ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى) ؛ ٦ ، ٥٨٢
 ابن سيد الناس اليعمرى (محمد بن محمد) ؛ ١٨٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ؛ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٤
 ابن الشديد (محمد بن محمد) ؛ ٣٨٦ ، ٥١٦
 ابن شرف ؛ ٢٩٠
 ابن شلبطور الهاشمي ؛ ٣٦٠ ، ٣٦٤
 ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) ؛ ١٠٧
 ابن صاحب الصلاة ؛ ١٠٧ ، ١٤٤
 ابن صفوان القيسي ؛ ٣٨١
 ابن الصيرفي ؛ ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥٧
 ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك) ؛ ٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٢
 ابن طلحة ؛ ١٤٤
 ابن عبد الصمد ؛ ١٢٠
 ابن عبد الملك المراكشي ؛ ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
 ٥٨١ ، ٥١٧
 ابن عبد الواحد البلوي (محمد بن محمد) ؛ ٣٨٢
 ابن عذارى المراكشي ؛ ٩٨
 ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسين) ؛ ٢٣٣
 ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضر) ؛ ١٧٢ ،
 ٣٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٤
 ابن عماد الحرائي ؛ ٤٤٩
 ابن عمار ؛ ١٠٩
 ابن عمر الفدوي ؛ ٢١٤
 ابن عميرة ، أبو المطرف ؛ ١٤٧ ، ٣٥٣
 ابن عياش التجيبي البرشاني ؛ ٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ابن عياض (والي بلنسية) ؛ ١٢١
 ابن غالب الرصافي ؛ ٧ ، ٥٠٥ - ٥٠٧
 ابن غاثية المسوقي ، يحيى ؛ ١٢١ ، ٤١٨
 ابن النماز البلنسي ، أبو العباس ؛ ٢٢٣ ، ٤٥٢
 ابن فرتون ؛ ١٤٤
 ابن الفرس ، أبو القاسم ؛ ٤٩١

ابن حكيم ، أبو عثمان ؛ ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ؛ ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ٦ ، ٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ؛ ٢٦٦
 ابن حمادة (محمد بن أيوب بن غالب) ؛ ١٢٢
 ابن حديد ، أبو جعفر ؛ ٥٠٥ ، ٥٨٢
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ؛ ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ؛ ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ؛ ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ؛ ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خيس الجعري ؛ ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ؛ ٤٨٧
 ابن خيرة المواعيني ؛ ٣٣٧
 ابن دراج القسطل ؛ ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ؛ ٥١٧
 ابن رزمير ؛ ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ؛ ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٢
 ابن الزبير ، أبو جعفر ؛ ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ؛ ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحي) ؛ ٤ ،
 ٧ ، ٣٠٠
 ابن الزيات الكلاعي ؛ ١٣٨
 ابن زيدون ؛ ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى) ؛ ٦ ، ٥٨٢

ابن هاشمك . إبراهيم ١٢٦ ، ١٣٧
ابن هود . المتوكل (محمد بن يوسف) ٧ ،
٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٨ - ١٣٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩
ابن هيش ٩٣

أبو إسحق بن أبي العاصي ٥٣
أبو إسحق الإلييري ١٥٥
أبو إسحق البليقي ٤٢١
أبو إسحق الزوالي ١٧٣
أبو إسحق بن الحاج ٤١٩ ، ٤٢٠
أبو إسحق بن حبيب ٢٣٣
أبو إسحق بن حكيم السلوي ٢١٥ ، ٢١٨
أبو إسحق ، شرف الدولة ١٣١
أبو إسحق الطيار ٢٠١
أبو إسحق بن عبد الرفيق ٢٤٢
أبو إسحق الغافقي ١٨٤ ، ٢٤٢ ، ٢٨٢
أبو إسحق الموحدي ، السيد ٣٢٨
أبو البدر بن عبد الله بن الزبير ٤٤٩
أبو بكر ، الخليفة ٣٢١
أبو بكر بن إبراهيم بن يربوع السبي ٥٥٢
أبو بكر بن خيس ، أنظر ابن خيس
أبو بكر بن خيرة ٣٣٨
أبو بكر الداني ١١٥
أبو بكر بن زرقون ٤٨٨
أبو بكر بن سابق ٣١٥
أبو بكر بن السعيد ، السلطان ٢١ ، ٢٢
أبو بكر بن صبيب ١٤٤
أبو بكر بن عباد المري ١١١
أبو بكر بن عبد العزيز ٣٢٨ ، ٤٠٤
أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ٢٤٢
أبو بكر بن العربي ٢١٣ ، ٣٨
٤٨٧
أبو بكر الكاتب ٩٨
أبو بكر بن محمد اليحصي ٩٦

ابن فطرس (محمد بن عبد الله) ٤٣٢
ابن القاسم ٢١٤ ، ٢١٥
ابن القاملي الكاتب ٤٨٤
ابن قزمان الزهري (محمد بن عيسى) ٦ ، ٧ ،
٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
ابن القصيرة ، أبو بكر ٦ ، ٧ ، ١٦
ابن قطبة الندوسي (محمد بن أحمد) ٢٥٠
ابن قطبة (محمد بن محمد بن أحمد) ٢٥٣
ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد) ٢٥٥
ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد)
٢٥٤
ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) ٢٥٥
ابن قطرال ٣٤٩
ابن قيد ٤٨٨
ابن الكباد ، أبو عبد الله ١٧١ ، ١٧٩
ابن لب الأمي (محمد بن عبد الله) ٤٣٣
ابن مجاهد الرندي ١٧١
ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس) ٦ ، ٧ ،
٣٤٧
ابن مرزوق ، الخطيب ، أبو عبد الله ٣٠٣ ،
٣١٠
ابن مشتمل (محمد بن محمد بن جعفر) ٣٦٤
ابن مضاه ، أبو العباس ٣٩٠ ، ٥٢١
ابن مقاتل (محمد بن محمد) ٣٧٩
ابن منخل الغافقي (محمد بن أحمد) ١٣٣
ابن منذر الإشبيلي (أبو العباس أحمد) ٤٢١
ابن منظور القيسي ١٧٠
ابن مهيب اللخمي ، أبو بكر ٤١٨ ، ٤١٩ ،
٤٢٥
ابن النعمة ٤٨٨
ابن هاني الأزدي الإلييري ٢٨٨ - ٢٩٠ ،
٥٠٤
ابن هبة الله الحراف ٤٤٨

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦
 أبو جعفر الإلييري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزي ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٤٨٣ ، ٣٤٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكثافي ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسعون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموال ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن بري ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعيني ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥
 أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥ ، ٣٤٩
 أبو الحسن بن شريح ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٧
 أبو الحسن بن شعيب ؛ ٤٤٠
 أبو حسن الشقوري ؛ ١٧٣
 أبو الحسن بن عبيده ؛ ٢٤٦
 أبو الحسن عضد الدولة ؛ ١٣١
 أبو الحسن بن عقيل الرندي ؛ ١٧١
 أبو الحسن بن علي الشاذي ؛ ٢٣٤
 أبو الحسن بن فرحون ؛ ٢١٩ ، ٢٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ؛ ١٧٩
 أبو الحسن القيجاطي ؛ ٢٧٤ ، ٤٣٤
 أبو الحسن المري ، السلطان ؛ ٤١
 أبو الحسن بن مستنور ؛ ٢٤٢
 أبو الحسن بن ملحان ؛ ٤٧٩
 أبو الحسن بن موسى ؛ ٢٢٦
 أبو حفص بن عبد المؤمن الموحدى ؛ ٣٣٨
 أبو حمو (موسى بن يوسف) ؛ ٢٢ ، ٤١ ،
 ١٩٣
 أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
 ٤٢٦
 أبو زكريا بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو زكريا الإصبهاني ؛ ١٧٣
 أبو زيان (محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن) ؛
 ٤٠
 أبو زيد بن الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
 ٢١٨
 أبو زيد السهيلي ؛ ٣٢٨
 أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) السلطان ؛ ٢١ ،
 ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧ ، ٣٣٨
 أبو سعيد بن لب ؛ ٣٠٣
 أبو طالب بن القرشي الزهري ؛ ٥٠٣

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦
 أبو جعفر الإلييري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزي ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٤٨٣ ، ٣٤٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكثافي ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسعون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموال ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن بري ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعيني ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥

أبو الطاهر السلفي ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرندي ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البشاني ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغربي ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النبائي ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعي ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحى ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلبيري ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حيد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميحي ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ، ٤١٩ ، ١٣٢
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمي ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكرسوني ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن النجار ؛ ٢٢٣
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن هارون ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٥٠ ، ١٨٣
 أبو عبد الله بن هشام الشواش ؛ ٤٢١
 أبو عبد الله الآبلي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٢٨
 أبو عبد الله الترجالي ؛ ٢٢٥
 أبو عبد الله الدباغ المالقي ؛ ٢٢٤
 أبو عبد الله السلال ؛ ١٧١
 أبو عبد الله الشطبي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله الطرسوني ؛ ١٣٤
 أبو عبد الله الطنجالي ؛ ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠
 أبو عبد الله المقرئ (محمد بن علي الأوسي) ؛ ٢٨٤ ، ٢٨٥
 أبو عبد الله العلوي التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله الفهري ؛ ١٨٤
 أبو عبد الله الفاسي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله اللوشي اليحصي ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٣
 أبو عبد الله الميرقي ؛ ٤٣٤ ، ٤٨٩
 أبو عبد الحميد المالقي ؛ ١٤٤
 أبو عبيد بن يوسف بن سعادة ؛ ٤٨٨
 أبو عبيد الله بن أبي القاسم الأنصاري ؛ ١٧٩
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٣٤٠
 أبو علي بن أبي الشرف ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن حمدون ؛ ٢٨٩
 أبو علي بن خلاص ؛ ٣٤٩
 أبو علي بن طاهر بن ربيع ؛ ١٧٩
 أبو علي بن علوان ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن كسرى الموري ؛ ٣٢٨
 أبو علي الحداد ؛ ٢٢٨
 أبو علي الراندحي ؛ ٣٦٤
 أبو علي الشلوين ؛ ٢٤٩
 أبو علي الصدقي ؛ ٥٢١

أبو الطاهر السلفي ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرندي ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البشاني ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغربي ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النبائي ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعي ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحى ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلبيري ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حيد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميحي ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ، ٤١٩ ، ١٣٢
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمي ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكرسوني ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩

- أبو علي النساني ؛ ٣١٥
 أبو عمر الطنجي ؛ ١٧١
 أبو عمر اللوشى ؛ ٢٧٠
 أبو عمران بن أبي تلب ؛ ٥٢١
 أبو عمرو بن أحمد النفري ؛ ٢٢٩
 أبو عمرو بن سالم ؛ ٥٠٦
 أبو عمرو بن عباد ؛ ٤٨٩
 أبو عمرو بن الملا ؛ ٢١٧
 أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٤
 أبو عيسى بن أبي السداد ؛ ٣٤٩
 أبو الفتح بن زياد بن مسعدة ؛ ٢٢٦
 أبو الفرج بن الجوزي ؛ ٢٣٣
 أبو القاسم البلوي ؛ ٤٨٣
 أبو القاسم بن بق بن نافحة ؛ ٢٢٨
 أبو القاسم بن حزب الله ؛ ١٥٠
 أبو القاسم بن حسان ؛ ٤٦٥
 أبو القاسم بن الشاط ؛ ١٨٤
 أبو القاسم بن صوابة ؛ ٥٢١
 أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ٤٩٧
 أبو القاسم بن عباد ؛ ١٠٨
 أبو القاسم بن عمران ؛ ١٧٤
 أبو القاسم بن نبيل ؛ ٣٤٩
 أبو القاسم بن يسر ؛ ٤٤٨
 أبو القاسم الحسيني ؛ ١٥٠ ، ١٩٧
 أبو القاسم السهلي ؛ ٣٢٨
 أبو القاسم الملاحي (محمد بن عبد الواحد النافقي) ؛
 ١٣٣ ، ٣٨٩
 أبو القاسم المواعيني ؛ ٤٨٧ ، ٤٩١
 أبو القمر هلال ؛ ١٢٧
 أبو المجد بن الأحوص ؛ ١٧١
 أبو محمد بن أبي الأحوص ؛ ١٧٤
 أبو محمد بن أبي الدباس ؛ ٥٠٩
 أبو محمد بن حسن اللواق ؛ ٢٣٤
 أبو محمد الرشاطي ؛ ٤٧٩
 أبو محمد بن سهل الضرير ؛ ٤٨٨
 أبو محمد بن السيد ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن الصايغ ؛ ١٤٦
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن عطية ؛ ١٧
 أبو محمد بن المؤذن ؛ ٢٤٢
 أبو محمد البسطي ؛ ٩٩
 أبو محمد الدلاصي ؛ ٢٢٢
 أبو محمد القرطبي ؛ ٣٢٨
 أبو مدين ، شعيب بن الحسين ؛ ١٩١ - ١٩٣
 أبو مروان البياضي ؛ ٤٨٩
 أبو مروان بن مسرة ؛ ٣٢٧
 أبو النجاة سالم ، عماد الدولة ؛ ١٣٠ ، ١٣١
 أبو الوليد بن حجاج ؛ ٤٨٩
 أبو الوليد بن شبكة ؛ ٢٣٢
 أبو الوليد بن يحيى بن سعد ؛ ٣٢٥
 أبو يحيى بن عبد الحق ؛ ٩٧
 أبو يحيى بن الكاتب ؛ ٩٦
 أبو يعقوب الموحدي ، السيد ؛ ١٢٧
 أبو يوسف بن طلحة ؛ ٤٨٧
 أبي بن كعب ؛ ٣٢٠
 أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني ؛ ٤٤٩
 أحمد بن أبي الوليد (أبو القاسم) ؛ ٣٢٥
 أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي ؛ ٤٥٠
 أحمد بن إسحاق ، أبو الممال ؛ ١٨٠
 أحمد بن زيد بن الحسن ؛ ١٣٣
 أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ؛ ٤٤٨
 أحمد بن أبي غالب الرصافي ؛ ١٠٧
 أحمد بن قاسم الأصول ؛ ٢٨٨
 أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٨٠
 أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري ؛ ٣٢٦
 إدريس المأمون ، الخليفة الموحدي ؛ ٩٧ ، ١٣٠

إدريس الوائق ، أبو دبوس ، الخليفة الموحدي ؛

٩٧

إدقوش بن فردلان ؛ ١١٠ ، ١١٤

إسحاق بن أبي العاص ؛ ٢٧٤

إسماعيل بن تهر الأيادي ؛ ٣١٩

إسماعيل بن قریش بن عباد ؛ ١٠٨

إسماعيل بن موسى ؛ ٢٢٩

إعتماد الرميكية ؛ ١١٠ ، ١١٩

إمروء القيس ؛ ٢٢٠

أندريق (الكونت) ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

أنس بن مالك ؛ ٢٢٩

أيوب بن عبد الله الفهري ؛ ٢٢٨

ب — ث

باديس بن حبوس ؛ ١١٨

برقسين ؛ ٤٣

بركات الخشوعي ، أبو الطاهر ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣

البرنس ؛ ٤٤ — ٤٦

بطره بن أدقش بن هرانده ؛ ٨١

بطره بن الهذشه بن هرانده ؛ ٢٢ ، ٤٢

بلج بن بشر القشيري ؛ ١٠٨ ، ٢٣٠

بلج بن يحيى بن أبي بردة ؛ ١٧٦

بوريل ، الكونت ؛ ١٠٦

تاج الدين الآمدي ؛ ٢٢٢

الترمذي ، أبو إسماعيل ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٩

تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٣

ثابت بن علي بن عبد العزيز ؛ ٤٥١

ج — خ

جار الله بن عساكر ، أبو اليمن ؛ ٤٤٨

جايمنش بن بطره (خايمن الفاتح) ؛ ٩٨

جايمنجوس ، المستشرق ؛ ٣ ، ٤

جرور ، القائد ؛ ١١٦

جعفر بن علي بن فلاح ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٠

جودي بن عبد الرحمن ؛ ١٤١

جوهر الصقلي ؛ ٢٨٩

الحاج اللباس ؛ ٤٩

الحارث بن أسد ؛ ٣٢٢

حارثة بن العباس بن مرداس ؛ ٤٣

حازم القرطاجني ، أبو الحسن ؛ ١٨٥

حسان بن مالك بن هاني ؛ ١٠٧

الحسن بن أيوب بن زيد ؛ ١٧٣

الحسن بن قاسم الحلالي ؛ ٢٧٥

حسين بن حسين ؛ ٢١٨

الحسين بن هبة الله الربيعي ؛ ٢٣٣

حسين بن يوسف الحسني ؛ ٢٢٦

الحصري القيرواني ؛ ١١٢

الحكم المستنصر ؛ ١٠٣

همزة بن يوسف السهمي ؛ ٢٢٦

حيانة بن عبد العزيز ؛ ٢٣٣

خليل بن أبي بكر المرادي ؛ ٤٤٨

الخليل النحوي ؛ ٢٢٢

الخونجي ؛ ٢١٧

د — ز

الدارقطني ؛ ١٤٨ ، ٣٥١

داود بن الملك المظفر عيسى ؛ ٤٥٠

الدليل البركي ؛ ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣

الدليل الموروري ؛ ٢٦

الدك (الدوق) ؛ ٤٤

دنطية ؛ ٤٥

ديرنبور ، هارتفج ؛ ٣

الرازي ، أحمد بن محمد بن موسى ؛ ١٣٣

الرشيد بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٧

رشيد الدين العطار ؛ ٢٣٤

الرشيد ، الخليفة الموحدي ؛ ٩٧

رضوان النصري ، أبو النعم ؛ ١٥ ، ٢٦

رضي الدين القسطنطيني ؛ ٤٤٨

رميك بن حجاج ؛ ١١٠

زيان بن مردئيش ، أبو جميل ؛ ٩٨
زينب بنت عبد اللطيف البغدادي ؛ ٤٤٨

س — ظ

السالمى الكاتب ؛ ١٢٣

سعد بن عبادة ؛ ٩٢

سعد بن الغنى بالله ؛ ٣٦

سعد بن إبراهيم الحياطي ؛ ٢٠١

سعيد بن عبد الله الشنتريني ؛ ١٠٧

سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ؛ ٤٥٠

سجاعة الوزير ؛ ٢٨٢ ، ٢٨٣

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ٣٢٩ ، ٣٥٩

سيبويه ؛ ٢١٥

الشافعي ، الإمام ؛ ٢١٧ ، ٢٢٦

شاكر بن الفخار المالح ؛ ٥٠٦

شرف الدين بن التلمساني ؛ ٢١٥

شرف الدين الدمياطي ؛ ٢٢٢

شمس الدين بن قيم الجوزية ؛ ٢٠٣

شيخ الغزاة ؛ ١٦

صاعد بن الحسن اللغوي ؛ ١٠٦

صدر الدين الغماري ؛ ٢٠٣

صفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

ضمرة بن كنانة بن بكر ؛ ٢٣٠

طارق بن زياد ؛ ١٠٢

طاهر بن محمد (المهند) ؛ ١٠٧

ع — غ

عائكة ، أم الحجد ؛ ٢٣٢ ، ٢٣٤

العادل ، الملك ؛ ٢٢٢

عباس بن عطية ، أبو عمرو ؛ ٤٢٠

عبد الحق بن ربيع ؛ ٢٢٣

عبد الرحمن بن أبي جو ، أبو تاشفين ؛ ٢١٤

عبد الرحمن الصنهاجي ؛ ٢٢٤

عبد الرحمن بن علي بن عمر ، الأمير ؛ ٣٩

عبد الرحمن بن قاسم ؛ ٢٢٨

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ؛ ٢٠١

عبد الرحيم بن عبد المنعم التدميري ؛ ٤٤٩

عبد العزيز بن سلطان الداني ؛ ٤٤٥

عبد العزيز الجزيري ؛ ٢٤٢

عبد العزيز المريني ، السلطان ؛ ٤١

عبد الكبير الإشبيلي ، أبو محمد ؛ ٤٢١

عبد الكريم بن عطاء الله ، أبو محمد ؛ ٢٣٤

عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي ؛ ٤٥١

عبد اللطيف الحجري ، أبو محمد ؛ ٢٣٣

عبد الله بن أحمد بن الملقوم ؛ ٢٢١

عبد الله بن بلقين ؛ ١١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

عبد الله بن عباد ، أبو بكر ؛ ١١٠

عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ؛ ٤١٨

عبد الله بن قيس ؛ ١٧٦

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ؛ ٤٥١

عبد الله بن محمد التجيبي الدكلي ؛ ٥٢١

عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ١٠٧

عبد الملك بن سهل ؛ ١٠٧

عبد الملك بن صناديد ، أبو مروان ؛ ٩٦

عبد الملك المعافري ؛ ١٠٥

عبد الملك بن مفضل الواسطي ؛ ٤٥١

عبد المنعم بن سهاك ، أبو محمد ؛ ٣١٦ ، ٣٢٩

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الحيمي ؛ ٤٤٨

عبد المنعم بن يحيى القرشي الزهري ؛ ٤٥٠

عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٤٥٣

عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ؛ ١٨٠ ، ٤٤٨

عبيد الله بن أحمد بن أبي ربيع القرشي ؛ ٤٥٢

عتبة بن يحيى الجزولي ؛ ١٢٩

عثمان بن أبي العلاء ؛ ١٣٧ ، ١٤١

عثمان بن أبي محمد بن جندرة ؛ ٤٥١

عثمان بن عبد القوي البلوي ؛ ١٨٠

عثمان بن عبد المؤمن ، السيد أبو سعيد ؛ ٢٣١ ،

الغزيري ، ميخائيل ٣٤

الغشقي ، المقدم ١٢٨ ، ١٢٩

ف - ك

فاطمة بنت إبراهيم البليكي ٤٥٠

فاطمة بنت الرسول ٥٩

الفتح بن خاقان ، أبو نصر ١٠٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥

فخر الدين الرازي ٢٠٢ ، ٢٢٢

فرج بن محمد بن نصر ، أبو سعيد ٩٦

فضل بن فضيلة المعافري ١٣٩ ، ٢٧٤

قاسم بن أحمد بن السكوت ١٧٩

القاسم بن محمد الصنهاجي ٢٢٥

قح بن ساعدة ٣٢٤

ل - م

المازري الإمام ٣٢٧

مالك بن أنس ، الإمام ٣١٤ ، ٢١٥

مالك بن عباد ١١٧

الأمون بن عباد ١٠٩ ، ١١٦

المتنبي ، أبو الطيب ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦

محمد بن إبراهيم الحكيم ٩٧

محمد بن إبراهيم بن داود الحميري ٣٧١

محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل الأنصاري ٩٦

محمد بن إبراهيم بن فضيلة ٣٤١

محمد بن إبراهيم المرادي (ابن العشاب) ٥٢٥

محمد بن أبي بكر ١٧٧

محمد بن أحمد الأقصري الفاسي ١٧١

محمد بن أحمد البغدادي ٢٢٩

محمد بن أحمد الحسني ٣٠٣

محمد بن أحمد الرازي (ابن الخطاب) ٢٢٩

محمد بن أحمد السالمي ٤٨٩

محمد بن أحمد الصندلاني ٢٢٨

محمد بن أحمد بن عبد الله الإسماعيلي ٣١٥ ، ٥

٣٢٩

عثمان بن علي ٩٧

عثمان بن يحيى بن عمر بن رحو ٣٨ ، ٧٦

عزيز بن خطاب ، أبو بكر ٣٤٩

عطاف بن نعيم ١٠٨

علم الدين الشيعوني ٤٥١

علي بن إبراهيم الشيباني ٩٦

علي بن أحمد الميموني القسطلاني ٤٥١

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ٣٨

علي التللي الجراحي ٢٠١

علي بن عبد الرحمن المقدسي ٤٥٠

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي ٤٤٩

علي بن عبد الله بن الحسن ٣٧

علي بن محمد بن أبي القاسم ٤٥٠

علي بن محمد بن سعيد اليحصبي ٩٦

علي بن نصر ٧٤

علي بن يوسف ، أمير المسلمين ٤٧٧ ، ٥١٩

علي بن يوسف العبدي السفاح ٤٤٧

علي بن يوسف بن كاشة ٣١

عمر بن أبي ربيعة ٢٧٦

عمر بن أبي سعيد ، الأمير ١٤١

عمر بن الخطاب ٣٢١

عمر بن شاذلي ٢٢٩

عمر بن عبد الله بن علي ٢٩ ، ٣٩ - ٤١

عمر بن عبد الحميد الأزدي ٣٢٧

عمر بن عبد الحميد الميانيجي ٢٣٣

عمر اللوشي ٤٥٧

عمر بن المنجم البغدادي ١٠٦

عمران بن موسى المشدالي ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٥

عياض بن موسى اليحصبي ٢٢٣

عيسى بن الحسن بن أبي منديل ٢٣

عيسى بن محمد بن عبد الله ٢٠١

غازي بن أبي الفضل بن الجلاوي ٤٥٠

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ؛ ٤٥١

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ ١٨٧

محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٣٥

محمد بن أحمد بن محمد الحسيني ؛ ١٨

محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ؛ ١٨١

محمد بن إسماعيل الزبيدي ؛ ١٠٧

محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأنماطي ؛ ٤٤٥

محمد بن إسماعيل بن فرج ؛ ٢٦

محمد بن حسان ؛ ١٧٢

محمد بن الحسن البروني ؛ ٢٠١

محمد بن حسن العمراني الشريف ؛ ٥٢٣

محمد بن الحسن القرشي ؛ ١٠٧

محمد بن سعد بن مردنيس ؛ ١٢٤ ، ١٣١ ، ٧

١٢٥ ، ١٢٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٥

محمد بن صالح بن رحيمة الكتافي ؛ ٤٥١

محمد بن عباس الأشعري ؛ ٤٤٩

محمد بن عبد الرحمن العقيلي ؛ ٤٧٦

محمد بن عبد الرحمن المتأهل ؛ ٤٧٧

محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٤٢٦

محمد بن عبد الله بن عبد النور ؛ ٢٠١

محمد بن عبد الملك بن جهور ؛ ١٠٧

محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ؛ ٤٩١

محمد بن علي بن العابد الأنصاري ؛ ٢٨٧

محمد بن علي بن عبد الله القيسي ؛ ٢٨٦

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ؛ ٥

محمد بن علي بن محمد الحمداني ؛ ٤٨٨

محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٧٩

محمد بن عياض بن موسى اليحصري ؛ ٩٧ ، ٢٢٦

٢٢٨ ، ٢٢٩

محمد بن غالب الطريقي ؛ ٤٦٤

محمد بن فتح الإشبيلي (الأشبرون) ؛ ٩٧ ، ١٣٨

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ؛ ٥١٥

محمد بن قايك الكلاعي ؛ ٢٤١

محمد بن مالك الطغفري ؛ ٢٨٢

محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني ؛ ٢٣٣

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزوي ؛ ٢١٣

محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٩٣

محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ؛

٥٢٧

محمد بن محمد القرشي ؛ ٤٢٧

محمد بن محمد بن نصر ؛ ٩٥

محمد بن محمد بن يوسف ... بن نصر الخزرجي ؛

السلطان ؛ ٥

محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، السلطان ؛

٤٤٥ ، ٤٤٧

محمد بن مطرف بن شخيص ؛ ١٠٧

محمد بن هارون ؛ ١٧٩

محمد بن يحيى الأشعري المالقي ؛ ١٧٦

محمد بن يحيى الباهلي (ابن المسفر) ؛ ٢٠٢ ،

٢٠٣

محمد بن يحيى السكري ؛ ٤٨٩

محمد بن يحيى الغساني البرجي ؛ ٢٩٣ ، ٢٩٥

محمد بن يحيى بن هيرة الشيباني ؛ ٤٤٩

محمد بن يوسف بن إسماعيل (السلطان الغني بالله) ؛

٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،

٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ،

٥٤ ، ١٣٤

محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي ؛ ٥٢١

محمد بن يوسف ... بن نصر (محمد بن الأجر

الكبير) ؛ ٧ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ،

١٣٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥

المرتضى بالله ، الخليفة الموحد ؛ ٩٧

المستنصر بالله الحفصي ؛ ٩٧ ، ٤٢٧

المستنصر بالله العباسي ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١

المعتد بن عباد ؛ ١٠٨ - ١١١ ، ١١٦ - ١٢٠ ،

٥١٧

وليد بن موفق ؛ ٤٨٨
 يحيى بن جاد البعلبكي ؛ ٤٤٩
 يحيى الحكيم ؛ ٤٤٤
 يحيى بن عبد الرحمن الأشعري ؛ ٩٦
 يحيى بن عبد الله القرشي ؛ ٤٤٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ؛ ٩٧
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ١٦ ، ٣٨
 يحيى بن محمد بن أبي الغصن ؛ ٢٣٤
 يحيى بن الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 يزيد بن حاتم بن قبيصة ؛ ٢٨٩
 يزيد الراضى (ابن عياد) ؛ ١١٠ ، ١١٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ، السلطان ؛
 ٩٧
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٥
 يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ؛ ٤٥٠
 يغمراس بن زيان ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ؛ ٤٨٨
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ١٤ ، ٩٦
 يوسف بن أبي ناصر السفاوى ؛ ٤٥٠
 يوسف بن تاشفين ؛ ١١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٩
 يوسف بن عبد الحق ، أبو يعقوب ، السلطان ؛
 ١٩٧
 يوسف بن هارون الزيدى ؛ ١٠٦
 يونس بن مفيث ؛ ٤٨٩

المعز لدين الله الفاطمى ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
 مفرج بن سلمة ؛ ٤٨٩
 المقرئ ، عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ١٩١
 المقرئ ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ؛
 ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٠٢
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥
 منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدلى ؛ ٤٥٢
 منصور الزواوى ، أبو علي ؛ ٣٠٢ ، ٣٩١
 منصور بن سليمان ؛ ٢١
 المنصور بن عبد الحق ، أبو يوسف ؛ ١٤٠
 موسى بن نصير ؛ ١٠٢

ن — ي

ناصر الدين المشدلى ، أبو علي ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ٢٤٢
 الناصر بن المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٦
 نزهون القليمية ؛ ٥٠٤
 النبي العربي ؛ ٨٩ ، ٥٩
 نصر ، أبو الجيوش ، السلطان ؛ ١٤٠ ،
 ٤٤٥
 هرائد بن الهنش بن شائجه (فرناندو الثالث) ؛
 ٩٨
 هشام المؤيد ، الخليفة ؛ ١٠٣
 هشام بن يوسف بن الملجوم ؛ ٥١٧

كامل طبع المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٤ هـ الموافق لليوم
الرابع من شهر يولييه سنة ١٩٧٤ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. II

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1974